هذه النسخة هي التي وقعت عليها المناقشة
وقام الطالب بإتباع التعليقات وصحح النسخة

اللجنة

د. عبد المحسن بن عبد الله

مزاحم يوسف القاسم
والد

المملكة العربية السعودية
جامعة أم القرى
مكة المكرمة
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا الشرعية

دكتور
مسعد عبد المطلب الحفني النبراوي

٣٠١٠٢٠٠٠٠٠٨٨٨

خصائص السور والآيات المدنية وأهدافها

٠٠٦٨٩٤
٨٨٨
جامعة أم القرى / مكة المكرمة
عمادة شؤون المكتبات
قسم المخطوطات
UMM AL-QURA UNIVERSITY MAKKAH

إعداد الطالب
عادل محمد صالح أبو العلا

إشراف الأستاذ الدكتور
محمد أحمد يوسف القاسم

رسالة مقدمة إلى قسم الدراسات العليا الشرعية لنيل درجة الماجستير
في الكتاب والسنة

١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا
إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ

" البقرة ٣١ "

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

أهدى ثمرة جهدى هذا إلى

جدى الجليل سيدى الشيخ محمد حسين أبو العلا أطال الله عمره

وسيدى الوالد العزيز الشيخ محمد صالح أبو العلا حفظه الله

اللذين كان لتوجيههما السديد أكبر الأثر فى

مواصلتى لطلب العلم واللذين وجهانى الوجهة

الصحيحة للسير فى طريق الحياة وفاءً وتقديرًا

فجزاهما الله عنى خير الجزاء

وأثابهما أحسن المثوبة

بسم الله الرحمن الرحيم

شكـــر وتقديـــــر

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على أشرف الانبياء و المرسلين سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين .

أتقدم بوافر الشكر والتقدير لجامعة الملك عبدالعزيز بجدة وعلى رأسها معالى مدير الجامعة الدكتور رضا محمد سعيد عبيد وسلفه الدكتور عبدالله عمر نصيف . وكذلك عميد كلية الآداب الدكتور سليمان الغنام وسلفه الدكتور حمد العرينان وأيضا رئيس قسم الدراسات الأسلامية سعادة الدكتور بكر باقادر وسلفه الدكتور محمد الحصرى الذين أتاحوا لى ولزملائى فرصة التحضير للدراسات العليا فى رحاب هذه البقعة الطاهرة - مكة المكرمة وبذلوا لناكل أسباب الراحة المادية والمعنوية .

كما أتقدم بالشكر الجزيل للقائمين على أمر جامعة أم القرى وعلى رأسهم معالى مدير الجامعة الدكتور راشد الراجح وعميد كلية الشريعة الدكتور على عباس الحكمى . الذين وفروا لنا الجو العلمى واستقطبوا لنا جهابذة العلماء والمفكرين ومن بينهم المشرف على رسالتى فضيلة الاستاذ الدكتور محمد احمد يوسف القاسم . .

فانى أتوجه الى الله العلى القدير أن يجزيه عنى خير الجزاء فقد قدم لى الكثير من وقته وجهده . .

فلهم ولكل من شارك بالتوجيه من الاساتذة الكرام وزملائى الافاضل حتى تم انجاز هذه الرسالة خالص تقديرى واحترامى . .

وأصلى وأسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . .

مكة المكرمة
الخميس ٤ رجب ١٤٠٤هـ

المقـــدمـــــة

الحمد لله نحمده ونستعينه . ونستغفره ونستهديه . ونؤمن به ونتوكل عليه ونسأله الخير كله . ونعوذ بالله من شرور أنفسنا . ومن سيئات أعمالنا . . . من يهده الله فلا مضل له . ومن يضلل فلا هادى له .

وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له . أنزل على عبده الكتـــاب لا ريب فيه هدى للمتقين .

وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله بلغ الرسالة وأدى الامانة ونصح الامة ودعا الى سبيل ربه حتى أتاه اليقين ، المؤيد بالمعجزات الباهرة وأبلغها وأخلدها القرآن الكريم .

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن سلك طريقه واهتدى بهديه الى يوم الدين . .

أما بعد :

فمنذ كنت اطلب العلم فى كلية الشريعة فرع الكتاب والسنة بجامعة أم القرى (فى مرحلة البكالوريوس) أجد فى نفسى الميل الشديد لمادة (علوم القرآن) لمالها من تعلق بمعرفة كتاب الله عز وجل .

ذلك الكتاب الذى أعيت بلاغته البلغاء ، وأعجزت حكمته الحكمـــاء وأخرست فصاحته الخطباء .

فأن أولى وأجدر ما أعملت فيه القرائح ، وعلقت به الافكار اللواقح التعمق بالبحث والدراسة حول ما احتوى عليه هذا الكتاب العزيز من أسرار التنزيـــل والكشف عن حقائق التأويل الذى بهرت بلاغته العقول ، وظهرت فصاحته علـــى كل مقول . عمت محاسنه مطالعه ومقاطعه . وحوت كل البيان جوامعه وبدائعه .

قال الحرالى[1] : فى بيان فضل المشتغل بعلوم القرآن :

---

(١) الحرالى : نسبة الى حراله ، وهو ابو الحسن على بن احمد بن الحسن التجيبى ، صاحب التفسير العظيم . اعتمد عليه البقاعى فى تفســـيره وله ايضا شرح الموطأ والشفاء . توفى سنة ٦٣٧هـ . انظر شـــذرات الذهب لابن عماد الحنبلى ط/القدسى ١٣٥١هـ ، النجوم الزاهـــرة لابن تغرى بردى ، مطبعة دار الكتب المصرية (٦ : ٣١٧) .

(١٨٩:٥)

(وأكمل العلماء من وهبه الله تعالى فهما فى كلامه ، ووعيا عن كتابه وتبصرة فى الفرقان ، وأحاطة بما شاء من علوم القرآن . ففيه تمام شهود ماكتب الله لمخلوقاته من ذكره الحكيم ، بما يزيل بكريم عنايته من خطأ اللاعبين إذ فيه كل العلوم)[1] ا.هـ

ونظرا لذلك فقد وقع اختيارى بحمد الله تعالى على أن اكتب رسالتى لمرحلة الماجستير فى (خصائص السور والايات المدنية ومقاصدها) .

بالاضافة الى ماسبق أن أسلفته عن أهمية مادة علوم القرآن وشغفى بها هناك العديد من الحوافز التى جعلتنى أختار هذا الموضوع :

(١) أننى وجدت جل من كتبوا فى المكى والمدنى ـ على كثرتهم ـ قل أن خرجوا به عن إطار التعريف والضبط وذكر بعض خصائصه ومقاصده على وجه الأختصار . فليس هناك كتاب مؤلف ـ فيما أعرف[2] ـ جمع أقوال أهل العلم فى ماهية المكى والمدنى وحقق إختلاف الروايات والاقوال فى سوره وآياته بحسب نزولها وذكر خصائصها ومقاصدها باستثناء الرسالة المقدمة من زميلى الدكتور (أحمد عباس البدوى) والتى حصل بها على الدكتوراه عام ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م والتى كانت فى الشق الأول من الموضوع وهو (خصائص السور والأيات المكية ومقاصدها).

(٢) وكانت تلك الرسالة السابقة أيضا حافزا لى على اكمال الطريق الذى شق عُبابه زميلى الدكتور (أحمد البدوى) ليكون بذلك الموضوع قد خدم من جانبيه .

ولقد أفدت من منهجه ومما كتبه فجزاه الله عنى خير الجزاء .

(٣) ولقد أشار المرحوم فضيلة الشيخ (عبد العظيم الزرقانى) فى كتابه (مناهل العرفان) فى بداية حديثه عن المكى والمدنى ، فقال :

(ليس من غرضنا فى هذا البحث أن نستقصيَ بالتفصيل والتدليل آيات القرآن الكريم وسوَره . وأن نحقق ماكان منها مكيا وماكان مدنيا

---

(١) البرهان للامام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى (١ : ٥) .

(٢) ممن كتبوا فى هذا العلم (مكى بن أبى طالب والعز الدرينى) ولقد بحثت طويلا بين المخطوطات فى مركز البحث العلمى بجامعة ام القرى وفى المكتبة الظاهرية وغيرهما من المكتبات فلم اعثر على شىء مماكتبوا .

فتلك محاولات كبيرة جديرة أن تفرد بالتآليف)[1] .

(٤) ان علم المدنى والمكى من القرآن يعد من أشرف علوم القرآن . لان تحديد زمان ومكان نزول الاية مهم جدا فى تمييز الناسخ من المنسوخ . وهو السبيل لمعرفة تاريخ التشريع وتدرجه الحكيم بوجه عام .

ولقد أفصح عن أهميته أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابورى فى كتابه (التنبيه على فضل علوم القرآن) :

(من أشرف علوم القرآن علم نزوله وجهاته وترتيب مانزل بمكة ابتداء ووسطا وانتهاء ، وترتيب مانزل بالمدينة كذلك . ثم مانزل بمكة وحكمه مدنى ومانزل بالمدينة وحكمه مكى . ومانزل بمكة فى أهل المدينة ومانزل بالمدينة فى أهل مكة . ثم مايشبه نزول المكى فى المدنى ومايشبه نزول المدنى فى المكى . . . الخ)[2] .

كل تلك الأسباب التى أشرت اليها جعلتنى أختار هذا الموضوع لبحث أتقدم به الى جامعة ام القرى لنيل درجة الماجستير فى الكتاب والسنة .

وعلى الرغم من قلة زادى وقصر باعى فقد استعنت بالله تعالى فى كتابة هذا البحث ، وأسأله التوفيق والعون والسداد ، كما اسأله سبحانه وتعالى أن يكون خالصا لوجهه الكريم ويجعل فيه النفع للمسلمين .

وباذنه تعالى سيكون منهج البحث على النحو التالى :

---

(١) مناهل العرفان فى علوم القرآن (١ : ١٨٥) ط/عيسى البابى الحلبى .

(٢) البرهان فى علوم القرآن للزركشى (١ : ١٩٢) ط/عيسى البابى الحلبى .

منهج البحث فى هذه الرسالة

اولا :

سأذكر أشهر التعاريف فى المدنى والمكى عند العلماء ، وأرجح أشهر الآراء عند الجمهور ، وهو إختيار الزمان ، لأن هذا التعريف يتميز بالضبط والحصر ، وسأجعله منهجا لى فى جميع الايات والسور التى بحثتها باذن الله .

ثانيا :

سأعدد الخصائص الاسلوبية والموضوعية للمدنى وزيادة فى الايضاح سأذكر كذلك خصائص المكى اكمالا للفائدة إن شاء الله .

ثالثا :

سأبحث عن أشهر الروايات والأقوال فى تحديد المدنى والمكى من القرآن ، وسأقوم بدراسة مفصلة عن كل سورة من السور المختلف فيها ، وسأرجح نزول السورة بما ورد من الاحاديث والاثار الصحيحة والمشهورة . أما إذا لم تكن هناك أية احاديث او آثار يفهم منها مدنية السورة أو مكيتها فالجأ الى دراسة اسلوبها وموضوعها والموضوعات التى تعالجها بحول الله .

رابعا :

هناك الكثير من الآيات المدنية فى السور المكية . وآيات مكية قليلة فى سور مدنية ، سأقوم بدراستها دراسة مفصلة فى كل سورة على حدة .

خامسا :

سأفصل القول فى كل مقصد من مقاصد السور والايات المدنية وسأجعل له فصلا مستقلا مثل التشريع فى العبادات والمعاملات ، وكذلك محاجة أهل الكتاب ، بعون الله .

سادسا :

أما أهمُّ المراجع التى استفدت منها بعد القرآن الكريم :

(١) فبالنسبة لكتب علوم القرآن استفدت كثيرا من البرهان للزركشى والا تقان للسيوطى وغيرهما .

(٢) وكذلك استفدت من معظم كتب السنة المطهرة وبخاصة الصحيحين .

(٣) وكذلك رجعت الى كثير من التفاسير مثل تفسير ابن كثير وتفسير القرطبى والطبرى و الرازى والالوسى وظلال القرآن للسيد قطب . . الـــــى غير ذلك مما هو موضح فى فهرس المراجع .

خطة البحث :

اشتمل البحث على مقدمة وبابين وخاتمة على النحو التالى :

المقدمة :

بينت فيها السبب الداعى لاختيار هذا الموضوع واهميته . كما بينـــت فيها المنهج الذى التزمته عند كتابة الرسالة .

الباب الاول : وفيه اربعة فصول :

الفصل الاول :

أولا : المراد من المدنى والفرق بينه وبين المكى .

ثانيا : الضوابط التى يُعْرف بها المدنى والفرق بين تلك الضوابـــط وضوابط المكى .

ثالثا : خصائص السور والآيات المدنية .

(أ) من الناحية الاسلوبية

(ب) من الناحية الموضوعية

الفصل الثانى : بيان السور المتفق على مدنيتها والمختلف فيها .

الفصل الثالث : بيان الآيات المدنية فى السور المكية ، والآيات المكية فـــى السور المدنية .

الفصل الرابع : دحض الشبه التى أثيرت حول المدنى والمكى من القرآن الكريم .

الباب الثانى : وفيه أربعة فصول

مقدمة : فى بيان حالة المجتمع المدنى وقت هجرة النبى صلى الله عليه وسلم .

الفصل الاول : التشريعات التفصيلية والأحكام العملية فى العبـــــادات والمعاملات . مع بيان الحكمة التشريعية .

الفصل الثانى : محاجة أهل الكتاب وبيان الصفات التى وصفهم بها القرآن الكريم .

الفصل الثالث: بيان ضلال المنافقين وما اتصفوا به من الصفات القبيحة ، وما أعد لهم من العذاب والنكال ، وموقف الرسول صلى الله عليه وسلم اتجاههم . وأشهر مواقفهم العدائية للمسلمين .

الفصل الرابع : بيان قواعد الجهاد وحكمة تشريعه والأحكام المتعلقـــة بالحروب والغزوات والصلح والمعاهدات .

الخاتمة : وتحوي النتائج التى توصلت إليها من خلال هذا البحث .

الباب الأول

وفيه أربعة فصول :

الفصل الاول : أولا : المراد من المدني والفرق بينه وبين المكي

ثانيا : الضوابط التي يعرف بها المدني والفرق بين تلك الضوابط وضوابط المكي

ثالثا : خصائص السور والايات المدنية

أولا : من الناحية الاسلوبية

ثانيا : " " الموضوعية

الفصل الثاني : بيان السور المتفق على مدنيتها والمختلف فيها

الفصل الثالث : بيان الآيات المدنية والسور المكية والآيات المكية في السور المدنية .

الفصل الرابع : بعض الشبه التي أثيرت حول المدني والمكي من القرآن الكريم

الفصل الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

التمهيد

المراد من المدنى والفرق بينه وبين المكى .

إن مما اختص الله به كتابه العزيز من الخصوصيات أنه لم ينزل دفعة واحدة ، بل أنزل منجما أى مفرقا بحسب الوقائع التى تقتضى نزول مايـنزل منه . إما جوابا عن سؤال وجه إليه صلى الله عليه وسلم. أو حكما فـى قضية عرضت عليه أو ردا على زعم من مزاعم المشركين فى مسائل الاعتقـاد والبعث والجزاء أو غيرها أو نقضا لمطعن من مطاعن اليهود والنصارى فى الرسالة المحمدية أو بيانا عاما للناس فى الدعوة إلى الله وأصول الشريعـة وأحوال المعاد إلى غير ذلك مما قام به الرسول صلى الله عليه وسلـم بتبليغه إلى أمته مدة حياته صلوات الله وسلامه عليه .

وهذا الأمر قد أفصح به القرآن الكريم فى معرض الرد على الكفـار الذين انتقدوا عدم نزوله دفعة واحدة(١) .

قال تعالى : (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحـدة كذلك لنثبت به فؤادك)(٢) .

أى أنزلناه كذلك لتثبيت فؤادك بالوحى المتتابع الذى تجدد بـه صلتك بالسماء ويستمر إمدادها لك بالعون فيطمئن المؤمنون إلى عنايـة الله بك ورعايته لك ويرتدع الكفار عن تكذيبك ومحاجتك .

ويؤيد ذلك ما أخرجه الحاكم بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهـما وقال(فصل القرآن من الذكر فوضع فى بيت العزة فى السماء الدنيـا فجعل جبريل عليه السلام ينزله على النبى صلى الله عليه وسلم ويرتلـه ترتيلا) . هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقد صححه الذهـبى فى التلخيص(٣) .

---

(١) باختصار من كتاب المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الأسلامية رجب١٣٨٨هـ (ص٣٥) ، من مقال للأستاذ عبد الله كنون . ط/المدنى بالقاهرة .

(٢) سورة الفرقان : ٣٢

(٣) المستدرك على الصحيحين للأمام الحافظ أبى عبد الله الحاكـم النيسابورى وبذيله التلخيص للذهبى (ص٢٢٣) جـ ٢ . الناشـر دار الكتاب العربى بيروت .

هذا وان كان الحديث موقوفا لكنه فى درجة المرفوع . لأنه أمر لا يعرف إلا عن طريق الوحى . ومعلوم أن قول الصحابى الذى لم يأخذ عن الأسرائيليات فيما لا مجال للرأى فيه له حكم الرفع .

وقد ذكر السيوطى عن القرطبى أنه حكى الاجماع على أن القرآن نزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة فى السماء الدنيا.(١)

وكان نزول القرآن الكريم على نبيه صلوات الله وسلامه عليه فى مدى ثلاث وعشرين سنة تقريبا فبعضه نزل فى مكة وبعضه الاخر نزل بالمدينة بعد الهجرة . فكان ينزل عليه القرآن أينما أقام فى السفر والحضر فكان منه المكى ومنه المدنى .

ولقد اختلفت وجهة أنظار العلماء فى تعريف المدنى والمكى :

(أ) فمنهم من عرفهما باعتبار حال المخاطبين بهما .

(ب) ومنهم من عرفهما باعتبار مكان نزولهما .

(جـ) ومنهم من عرفهما باعتبار زمان نزولهما .

واليك تفصيل تلك التعاريف الثلاثة فى المدنى والمكى .

أولا :

التعريف الأول : من نظر إليهما باعتبار حال المخاطبين بهما :

(إن المدنى ماوقع خطابا لأهل المدينة والمكى ماوقع خطابا لأهل مكة)(٢) .

ولقد اتخذ أصحاب هذا القول المخاطبين حدا للضبط .

أخرج ابو عبيد(٣) فى فضائل القرآن عن ميمون بن مهران(٤) : (ماكان فى

---

(١) انظر الاتقان (١ : ٤١) .

(٢) انظر الاتقان فى علوم القرآن للحافظ جلال الدين السيوطى (١ : ٩) دار الفكر بيروت .

(٣) القاسم بن سلام (١٥٧ - ٢٢٤) من كبار العلماء بالحديث والادب والفقه تولى القضاء بطرطوس ١٨ سنة وحج وتوفى بمكة . من كتبه (الغريب المصنف) ط/مجلدان فى غريب الحديث . الفه فى نحو من اربعين سنة وهو اول من صنف فى هذا الفن ، (فضائل القرآن) خ ..... انظر الاعلام (٥ : ١٧٦) دار العلم للملايين .

(٤) ميمون بن مهران البرقى (٣٧ - ١١٧) ابوايوب فقيه من القضاة =

القرآن يا أيها الناس أو يابنى آدم فأنه مكى . وماكان يا أيها الذين آمنوا فأنه مدنى)[١] .

وذلك لأن الكفر كان هو السائد على جميع أرجاء المعمورة فخوطبوا (بيا أيها الناس) فالخطاب لأهل مكة وإن كان غيرهم داخلا فيهم.

ولما هاجر المسلمون إلى المدينة ودخلوا فى دين الله أفواجا خوطبوا (بيا أيها الذين آمنوا) .

قال الرازى فى تفسيره : (حكى عن علقمة والحسن أنه قال : (كل شىء فى القرآن يا أيها الناس فأنه مكى - وماكان يا أيها الذين آمنوا فبالمدينة)[٢] .

ولقد تعقب هذا الرأى بأنه غير ضابط ولا حاصر .

فإن هناك فى القرآن الكريم آيات كثيرة ليست مصدرة بأحدهما نحو قوله تعالى (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين)[٣] ، وقوله تعالى : (اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الإنسان من علق)[٤] .

وتعقب أيضا بأنه غير مطرد فسورة النساء مدنية وصدرت بقوله تعالى : (يا أيها الناس اتقوا ربكم)[٥] . وجاء فيها أيضا قوله تعالى (يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم)[٦] . وقوله تعالى فى سورة البقرة المدنية : (يا أيها الناس اعبدوا ربكم)[٧] .

وبذلك نستخلص أن هذا التعريف غير شامل لجميع الشروط إذ أن مبنى التقاسيم والتعاريف يقوم على الضبط والانحصار والاطراد[٨] .

= كان مولى لامرأة فى الكوفة واعتقته فنشأ فيها ثم استوطن الرقة وكان ثقة فى الحديث كثير العبادة . ا . هـ انظر الاعلام (٨ : ٣٤٢) ، خير الدين الزركلى ط/ دار العلم للملايين .

(١) الاتقان للسيوطى (ص١٧) . جـ١

(٢) التفسير الكبير للامام فخر الدين الرازى (٢ : ٨٢-٨٣) ط/ الثانية دار الكتب العلمية بطهران .

(٣) البقرة : ٤٣

(٤) العلق : ١ - ٢

(٥) النساء : ١

(٦) النساء : ٣٧

(٧) البقرة : ٢١

(٨) انظر المدخل لدراسة القرآن الكريم للدكتور ابوشهبة ، ط/ الثانية بمطابع القاهرة الحديثة ١٩٧٣م .

ثانيا : التعريف الثانى :-

من نظر إليها باعتبار مكان نزولهما :

(إن المدنى مانزل فى المدينة والمكى مانزل بمكة ولو بعد الهجرة)[1].

ويشمل المدينة ضواحيها كالمنزل عليه فى بدر وأحد . ويشمل مكة ضواحيها كالمنزل عليه فى منى وعرفات والحديبية .

وهذا التقسيم اعتبر المكان وحدة للضبط .

ولقد تعقب بأنه غير حاصر ولا مطرد . فهناك آيات لم تنزل فى المدينة ولا مكة بل نزلت فى الأسفار مثل قوله تعالى : (لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك . . . . الآية)[2] . فقد نزلت عليه صلى الله عليه وسلم وهو مسافر لغزوة تبوك[3] .

قال الواحدى ثم أنزل فى المتخلفين عن غزوة تبوك من المنافقين قوله تعالى (لو كان عرضا قريبا . . الآية)[4] .

فبالقطع ليست من القسم المكى ولكن هل نعدها من القسم المدنى مع أنها لم تنزل بالمدينة ؟

وقوله تعالى : (إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد . . الآية) أخرج ابن أبى حاتم عن الضحاك رضى الله عنه قال : لما خرج النبى صلى الله عليه وسلم من مكة فبلغ الجحفة اشتاق إلى مكة فأنزل الله : (إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد إلى مكة) .

وأخرج ابن مردويه عن على بن الحسين بن واقد رضى الله عنه قال : (كل القرآن مكى أو مدنى . غير قوله تعالى : "إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد" فأنها أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجحفة حين خرج مهاجرا إلى الله فلا هى مكية ولا مدنية . وكل آية

---

(١) انظر الاتقان (١ : ٩) .

(٢) التوبة : ٤٢

(٣) انظر اسباب النزول للعلامة محمد بن اسعد العراقى مخطوطة من مصورات مركز البحث العلمى بجامعة ام القرى . رقم المخطوطة فى مكتبة دبلن ٥١٩٩ .

(٤) انظر اسباب النزول للواحدى تحقيق السيد صقر (ص٢٤٦) .

نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة فهى مكية نزلت بمكة أو بغيرها من البلدان . وكل آية نزلت بعد الهجرة فأنها مدنية نزلت بالمدينة أو بغيرها من البلدان)[1] .

وبهذا يتضح أن هذا التعريف غير حاصر لأنه يثبت الواسطة (ولا ريب ان عدم الضبط فى التقسيم يترك واسطة لا تدخل فيما يذكر من الأقسام وذلك عيب يخل بالمقصود الأول من التقسيم وهو الضبط والحصر)[2] .

ثالثا : التعريف الثانى :-

من نظر إليهما باعتبار زمان نزولهما .

وهذا أصح وأشهر الاعتبارات وأضبطها وعليه جمهور العلماء وهو : (أن المدنى ما نزل بعد هجرته صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وإن كان نزوله بمكة أو ضواحيها ويدخل فيه ما نزل عليه صلى الله عليه وسلم فى سفره والمكى ما نزل قبل هجرته صلى الله عليه وسلم إلى المدينة)[3] .

وقد اتخذ هذا التقسيم الزمان وحدة للضبط ولن نجد زمانا أليق للتمييز بين المكى والمدنى إلا الهجرة .

وهو تقسيم حاصر وضابط ومطرد بخلاف سابقيه ، وذلك لأنه تنعدم على القول به الواسطة ، ولا تخرج عنه آية من الآيات .

فالآيات إما أن يكون نزولها قبل الهجرة فنطلق عليها مكية أو بعد الهجرة فنطلق عليها مدنية دون النظر إلى مكان النزول بالذات .

---

(١) تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥ : ١٣٨ - ١٤٠) للامام الحافظ الكبير جلال الدين السيوطى (٨٤٩هـ - ٩١١هـ) ط/دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت وبهامشه القرآن الكريم مع تفسير ابن عباس .

(٢) انظر مناهل العرفان فى علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى (١ : ١٨٦) ط/الثالثة ، دار احياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبى وشركاه .

(٣) انظر الاتقان (١ : ٩) .

وعليه فقوله تعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا)[1] مدنية مع أنها نزلت في عرفة في حجة الوداع.

أخرج مسلم في صحيحه عن عبد بن حميد أخبرنا جعفر بن عون أخبرنا أبو عميس عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال :

" جاء رجل من اليهود إلى عمر فقال يا أمير المؤمنين . آية في كتابكم تقرأونها لو علينا نزلت معشر اليهود لاتخذنا ذلك اليوم عيدا ، قال وأي آية . قال : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الأسلام دينا) . فقال عمر إني لأعلم اليوم الذي نزلت فيه والمكان الذي نزلت فيه : نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرفات في يوم الجمعة"[2].

وكذلك قوله تعالى : (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها)[3].

مدنية مع أنها نزلت بمكة في جوف الكعبة عام الفتح .

قال القرطبي : (قال ابن جريج وغيره ذلك الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة في أمر مفتاح الكعبة حين أخذه من عثمان بن طلحة ابن ابي طلحة الحجبي العبدري من بني عبد الدار ، ومن ابن عمه شيبة بن عثمان بن ابي طلحة وكانا كافرين وقت فتح الكعبة فطلبه العباس بن عبد المطلب لتنضاف له السدانة إلى السقاية ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم الكعبة وكسر مافيها من الأوثان وأخرج مقام ابراهيم ، ونزل جبريل بهذه الآية ، فقال عمر بن الخطاب : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ هذه الآية وماكنت سمعتها من قبل منه فدعا عثمان وشيبة فقال : خذاها خالدة تالدة لاينزعها منكم إلا ظالم"[4]. ا.هـ

وبناء على ذلك فأن كل مانزل من القرآن الكريم قبيل الهجرة يطلق

---

(١) المائدة : ٣

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب التفسير (١٨ : ١٥٤) ط/الثانية دار الفكر بيروت ١٣٩٢هـ .

(٣) النساء : ٥٨

(٤) تفسير القرطبي (الجامع لاحكام القرآن) لابي عبد الله محمد بن احمد الانصاري القرطبي (٥ : ٢٥٦) مطبعة دار الكتب المصرية ـ الطبعة الثانية ١٣٥٦هـ.

عليه مكى سواء أنزل فى مكة أم فى الطائف أم فى أى جهة أخرى .

وكل ما نزل عليه بعد الهجرة يطلق عليه مدنى سواء أنزل بالمدينة أم فى الغزوات أم الأسفار أم فى طريقه إلى الهجرة .

وعليه فان قوله تعالى فى سورة الفتح : (إنا فتحنا لك فتحا مبينا . . .)[1] آية مدنية . فقد نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى منصرفه من الحديبية . كما ورد ذلك فى مسند الأمام أحمد بن حنبل عن قتادة عن أنس قال : لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية نزلت هذه الآية : (إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وماتأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما) قال المسلمون يارسول الله هنيئا لك ما أعطاك الله فما لنا ؟ فنزلت : (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما)[2] .

وقد أخرجه البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنه ـ إنا فتحنا لك فتحا مبينا ـ" قال الحديبية . قال أصحابه : هنيئا مريئا فما لنا ؟ فأنزل الله : (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار)[3] .

ومن خلال هذا العرض نخلص إلى أن التعريف الثالث للمدنى والفرق بينه وبين المكى هو الذى عليه الاعتماد والعمل ولا يرد عليه ماورد على التعريف الأول والثانى .

الموازنة بين الآراء الثلاثة .

من خلال النظر فى التعاريف الثلاثة للمدنى من القرآن والفرق بينه وبين المكى من القرآن .

---

(١) الفتح : ١

(٢) مسند الامام احمد (٣ : ١٢٢) .

(٣) صحيح البخارى وعلى هامشه فتح البارى (٨ : ٤٥٦) كتاب المغازى . للحافظ شهاب الدين ابى الفضل العسقلانى المعروف بابن حجر (٧٧٣ - ٨٥٢هـ) ط/البابى الحلبى واولاده بمصر ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م .

نجد ان التعريف الأول اتخذ المخاطبين هم الحد الفاصل لمعرفة المدنى من المكى فى القرآن وهو الذى يشير بأن المدنى ماوقع خطابا لأهل المدينة والمكى ماوقع خطابا لأهل مكة .

وهو تعريف غير حاصر . فهناك العديد من الآيات التى لاتكاد تعد ليس فيها " يا أيها الذين آمنوا" ـ ولا " يا أيها الناس" . . . نضيف إلى ذلك أنه غير مطرد إذ أن سورة البقرة وهى مدنية نجد فيها قوله تعالى (يا أيها الناس اعبدوا ربكم)(١) . وسورة النساء مدنية ومفتتحها (يا أيها الناس اتقوا ربكم)(٢) . وبهذا يتضح أنه غير حاصر ولا مطرد وذلك عيب يخل بالتعريف إذ يشترط فى التعاريف قيامها على الضبط والانحصار والاطراد .

اما التعريف الثانى : فقد اتخذ المكان حدا ضابطا .

وهو الذى نص إلى أن المدنى مانزل بالمدينة والمكى مانزل بمكة ومن المعروف أن هناك آيات نزلت خارج المدينة وأخرى نزلت خارج مكة وبهذا يكون التعريف أثبت الواسطة . كما أشار إلى ذلك السيوطى . فما نزل بالأسفار لايسمى مدنيا ولا مكيا . فهو إذاً غير حاصر ولا ضابط وعدم الحصر عيب يخل بالتعريف .

أما التعريف الثالث : الذى اتخذ الزمان حداً ضابطا وهو الذى أميل إلى ترجيحه والمشهور بين العلماء وهو :

(أن المدنى مانزل بعد الهجرة ، وإن كان نزوله بمكة ـ والمكى مانزل قبل الهجرة) .

وكما وضحت سابقا نجد أن هذا التعريف حاصر وضابط ومضطرد وتنعدم فيه الواسطة ولا يرد عليه ماينقضه .

لهذا كان هو أصح وأرجح الأقوال ، وهو الذى أتخذه منهجا بإذن الله تعالى ، فى الحكم على الآيات التى أتعرض لها أثناء دراستى وتحليلى لهذا الموضوع .

---

(١) البقرة : ٢١
(٢) النساء : ١

الضوابط التى يعرف بها المدنى والفرق بين تلك الضوابط وضوابط المكى .

للعلماء فى ضبط المدنى والمكى طريقان :

الطريق الاول : السماع .

الطريق الثانى : القياس .(١)

واليك بيان ذلك بالتفصيل .

الطريق الاول : السماع .

وهو النقل الصحيح عن الصحابى أو التابعى بقرينة تفهم من كلام الراوى تحدد زمن نزول الآية .

ولم يحفظ عن النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك قول ولاورد عنه أنه قال إن هذه الآية أو السورة نزلت بمكة أو بالمدينة .

وقد نقل الزركشى(٢) رحمه الله فى البرهان كلاما نفيسا عن القاضى أبوبكر الباقلانى(٣) فى الانتصار بعد أن طرح سؤالا وهو أنه هل نص النبى صلى الله عليه وسلم على بيان ذلك (أى الآيات المكية والمدنية) ؟

قال : " إنما هذا يرجع لحفظ الصحابة وتابعيهم ، كما أنه لابد فى العادة من معرفة معظمى العالم والخطيب ، وأهل الحرص على حفظ كلامه ومعرفة كتبه ومصنفاته من أن يعرفوا ماصنفه أولا وآخرا ، وحال القرآن فى ذلك أمثل والحرص عليه أشد ، غير أنه لم يكن من النبى صلى الله عليه وسلم

---

(١) الاتقان (١ : ١٧) .

(٢) هو الامام بدرالدين محمد بن عبدالله بن بهادر الزركشى ، ولد بمصر سنة ٧٤٥هـ شافعى المذهب وله الكثير من المؤلفات يربو على الثلاثين مؤلفاً منها البرهان فى علوم القرآن ، اعلام الساجد باحكام المساجد ، البحر المحيط فى اصول الفقه ، توفى سنة ٧٩٤هـ .

(٣) القاضى الباقلانى : هو ابو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم المعروف بالباقلانى . ولد بالبصرة وتوفى فى بغداد عام ٤٠٣هـ ومن اشهر مؤلفاته اعجاز القرآن . انظر كتاب اعجاز القرآن للباقلانى تحقيق سيد صقر (ص٥٣ - ٥٤) طبعة دار المعارف انظروفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان لابى العباس شمس الدين احمد بن محمد بن خلكان (٦٠٨ - ٦٨١هـ) حققه د . احسان عباس(٤ : ٦٠٨) ط/دار صادر .

فى ذلك قول ولا ورد عنه أنه قال : اعلموا أن قدر ما نزل بمكة كذا وبالمدينة كذا ، وفصله لهم . ولو كان ذلك منه لظهر وانتشر .

وإنما لم يفعله لأنه لم يؤمر به ، ولم يجعل الله علم ذلك من فرائض الأمة وإن وجب فى بعضه على أهل العلم معرفة تاريخ الناسخ والمنسوخ ليعرف الحكم الذى تضمنها ، فقد يعرف ذلك بغير نص الرسول صلى الله عليه وسلم بعينه ، وقوله هذا هو الأول المكى وهذا هو الآخر المدنى .

وكذلك الصحابة والتابعون من بعدهم لما لم يعتبروا ان من فرائض الدين تفصيل جميع المكى والمدنى مما لا يسوغ الجهل به . لم تتوفر الدواعى على إخبارهم به ، ومواصلة ذكره على أسماعهم ، وأخذهم بمعرفته وإذا كان كذلك ساغ أن يختلف فى بعض القرآن هل هو مكى أو مدنى وأن يعملوا فى القول بذلك ضربا من الرأى والاجتهاد ، وحينئذ فلم يلزم النقل عنهم ذكر المكى والمدنى ، ولم يجب على من دخل فى الإسلام بعد الهجرة أن يعرف كل آية نزلت قبل إسلامه : مكية أو مدنية ، فيجوز ان يقف فى ذلك أو يغلب على ظنه أحد الأمرين وإذا كان كذلك بطل ماتوهموه من وجوب نقل هذا أو شهرته فى الناس ولزوم العمل به لهم ووجوب ارتفاع الخلاف فيه (١) . ا.هـ

ونستطيع أن نوجز كلام القاضى فى ثلاث نقاط :

(١) إن العلم بالمكى والمدنى لم يكن مما علمه الرسول صلى الله عليه وسلم لصحابته ويرجع هذا العلم لحفظ الصحابة والتابعين .

(٢) إن هذا العلم علم اجتهادى يجوز لعلماء الأمة أن يحكموا فيه بحسب اجتهادهم .

(٣) إن هذا العلم فرض كفاية فمعرفته ليست واجبة على كل مسلم . لكن لابد من معرفته لبعض العلماء حتى يكونوا على معرفة وافية بتاريخ التشريع الأسلامى . ومعرفة الناسخ والمنسوخ والتدرج فى الأحكام والتكاليف .

---

(١) البرهان لبدر الدين الزركشى (١ : ١٩١-١٩٢) تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم .

ولكن عظمة ومكانة هذا العلم لم تهتز بهذا القول فالقاضي أبوبكر أوجبها على علماء الأمة ولقد أفصح العلامة أبو القاسم محمد بن حبيب النيسابوري (١) بوضوح عن أهمية هذا العلم في كتابه (التنبيه على فضل علوم القرآن) يقول :" من أشرف علوم القرآن علم نزوله ، وجهاته ، وترتيب مانزل بمكة ابتداء ووسطا وانتهاء . وترتيب مانزل بالمدينة كذلك ، ثم مانزل بمكة وحكمه مدني ، ومانزل بالمدينة وحكمه مكي . ومانزل بمكة في أهل المدينة ومانزل بالمدينة في أهل مكة (*) ومانزل بالحديبية ، ثم مانزل ليلا ومانزل نهارا ومانزل مشيعا ومانزل مفردا ، ثم الآيات المدنيات في السور المكية والآيات المكية في السور المدنية ، ثم ماحمل من مكة إلى المدينة وماحمل من المدينة إلى مكة وماحمل من المدينة إلى أرض الحبشة ، ثم مانزل مجملا ومانزل مفسرا ، ومانزل مرموزا ثم ما اختلفوا فيه فقال بعضهم مدني . هذه خمسة وعشرون وجها من لم يعرفها ويميز بينها لم يحل له أن يتكلم في كتاب الله" (٢).

وكلام النيسابوري هذا لايتناقض مع كلام القاضي أبي بكر . فهو يلزم المجتهد المفسر لكتاب الله أن يكون على إحاطة كاملة بعلم المكي والمدني . ولقد اشتهر من الصحابة والتابعين الكثير ممن عنوا بدراسة القرآن الكريم وساعدهم على ذلك وجودهم في فترة نزول الوحي والتنزيل يشهدون مكانه وزمانه وأسباب نزوله ومن هؤلاء الصحابة علي بن أبي طالب ، وعبد الله بن مسعود ، وأبي بن كعب ، وعبد الله بن عباس . ولقد كان لنشأة علي بن أبي طالب رضي الله عنه في بيت النبوة وزواجه بالسيدة فاطمة الأثر الكبير في بلوغه درجة عالية من العلم .

وأخرج ابن سعد بسنده عن علي قال :" والله مانزلت آية إلا وقد علمت فيمانزلت وأين نزلت وعلى من نزلت . إن ربي وهب لي قلبا عقولا ولسانا طلقا" (٣).

---

(١) العلامة محمد بن حبيب النيسابوري . اديب واعظ ، مفسر ، صاحب "عقلاء المجانين - ط) صنف في القراءات والتفسير والأدب وتناقل الناس تصانيفه . ومن كتبه التنزيل وترتيبه - خ . في الظاهرية توفي سنة ٤٠٦ هـ . الاعلام (٢ : ٢١٣)

(٢) البرهان (١ : ١٩٢) .

(٣) طبقات ابن سعد (٢ : ٣٣٨) .

(*) (ثم مايشبه نزول المكي في المدني ومايشبه نزول المدني في المكي . ثم مانزل بالجحفة ومانزل ببيت المقدس ومانزل بالطائف)

ملاحظة: هذه الوجوه سقطت عفواً من الطابع فليتنبه القارئ الى ذلك

وعنه ايضا عن يحيى بن سعيد بن المسيب قال : كان عمر يتعوذ بالله من معضلة ليس فيها أبوحسن (١) .

وروى البخارى فى صحيحه بسنده عن ابن مسعود قال :

(والله الذى لاإله غيره ماأنزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم اين أنزلت ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن أنزلت ولو أعلم أحدا أعلم منى بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه) (٢) .

وإليك نصا صريحاً من ابن عباس يدل على شمول معرفته بالمكى والمدنى والناسخ والمنسوخ .

روى مسلم بسنده عن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس ألمن قتل مؤمنا متعمدا من توبة ؟ قال : لا .

فتلوت عليه هذه الاية التى فى الفرقان : (والذين لايدعون مع الله إلهاآخر ولايقتلون النفس التى حرم الله إلابالحق" . . إلى آخر الآية قال : هذه آية مكية نسختها آية مدنية (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا) وفى رواية ابن هشام :

(فتلوت عليه هذه الآية التى فى الفرقان (إلا من تاب . . .) (٣) .

وإليك بعض الأمثلة على مدنية الآيات أو السور أو مكيتها بقرينة تفهم من كلام الراوى مثال ذلك :

روى البخارى (٤) بسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى حرث بالمدينة (٥) ، وهو يتوكأ على عسيب (٦)

---

(١) طبقات ابن سعد (٢ : ٣٣٩) .

(٢) صحيح البخارى وبهامشه فتح البارى كتاب فضائل القرآن (١٠ : ٤٩) ط/البابى وحلبى سنة ١٣٧٨هـ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب التفسير (١٨ : ١٦٠) دار الفكر بيروت .

(٤) صحيح البخارى وعلى هامشه فتح البارى (١٧ : ٣٣) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة .

(٥) فى رواية مسلم من طريق مسروق عن ابن مسعود بلفظ (كان فى نخل) وزاد فى رواية العلم (بالمدينة) . ا.هـ فتح البارى (١٠ : ١٩) .

(٦) العسيب - بوزن عظيم - وهى الجريدة التى لاخوص فيها .

فمر بنفر من اليهود فقال بعضهم : سلوه عن الروح . وقال بعضهم: لا تسألوه لا يسمعكم ما تكرهون . فقاموا إليه فقالوا : يا أبا القاسم . حدثنا عن الروح ، فقام ساعة ينظر فعرفت أنه يوحى إليه فتأخرت عنه حتى صعد الوحى . ثم قال : (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى)[1] .

فالآية مدنية كما هو واضح من الحديث . وذلك يفهم من كلام الراوى عند قوله (فى حرث بالمدينة) وقوله (فمر بنفر من اليهود) واليهود كانوا يقيمون فى المدينة .

ولا شك أن معرفة سبب النزول من أهم القرائن المساعدة لاعطاء حكمنا على الآية بأنها مدنية أو مكية .

فالايات التى نزلت بصدد المنافقين تنزلها منزلة المدنى . لان النفاق لم يظهر إلا فى المدينة بعد الهجرة .

مثل قوله تعالى : (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون)[2] .

أخرج البخارى بسنده عن ابن شهاب قال أخبرنى عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : لما مات عبد الله بن أبى بن سلول دعى له رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلى عليه ، فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت اليه . فقلت يا رسول الله أتصلى على ابن أبى وقد قال يوم كذا كذا وكذا أعدد عليه قوله . فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال : أخر عنى يا عمر فلما اكثرت عليه . قال إنى خيرت فاخترت . ولو أعلم أنى إن زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها . قال : فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انصرف فلم يمكث إلا يسيرا حتى نزلت الآيتان من براءة - ولا تصل على أحد منهم مات أبدا إلى قوله وهم فاسقون - قال : فعجبت بعد من جرأتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم . والله ورسوله أعلم[3] .

كذلك الآيات التى نزلت بشأن الأحكام الشرعية فأن معظمها نزلت

---

(١) الاسراء : ٨٥

(٢) التوبة : ٨٤

(٣) صحيح البخارى بهامشه فتح البارى (٩ : ٤٠٦ - ٤٠٧) .

بالمدينة وأيضا الآيات التى نزلت فى شأن الجهاد والغزوات وأحكام الصلح والمعاهدات فهى مدنية[١] .

والآيات التى نزلت لتثبت العقيدة فى قلوب الناس وبشأن المشركين وبيان زيف عقائدهم وجحدهم بالرسالة والكتاب فهى فى الغالب مكية مثل قوله تعالى : (ذرنى ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا ومهدت له تمهيدا ثم يطمع أن أزيد كلا إنه كان لآياتنا عنيدا سأرهقه صعودا . . . .)[٢] الآيات .

فقد نزلت فى الوليد بن المغيرة أحد صناديد قريش وزعمائها الطغاة الجبابرة أخرج الحاكم فى المستدرك عن ابن عباس رضى الله عنهما " أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقرأ عليه القرآن فكأنه رق له فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال ياعم إن قومك يريدون ان يجمعوا لك مالا قال : لم . قال : ليعطوكه فأنك أتيت محمدا لتتعرض لما قبله قال قدعلمت قريش أنى من أكثرها مالا قال فقل فيه قولا يبلغ قومك إنك منكر له أو أنك كاره له قال وماذا أقول ، فوالله مافيكم رجل أعلم بالأشعار منى ولا أعلم برجزه ولا بقصيده منى ولا بأشعار الجن والله مايشبه الذى يقول شيئا من هذا ووالله إن لقوله الذى يقول حلاوة وإن عليه لطلاوة[٣] ، وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله وإنه ليعلو ومايعلى وإنه ليحطم ماتحته . قال لايرضى عنك قومك حتى تقول فيه قال فدعنى حتى أفكر قال هذا سحر يؤثر يأثره عن غيره فنزلت ذرنى ومن خلقت وحيدا قال الحاكم هذا حديث صحيح الأسناد على شرط البخارى ولم يخرجاه[٤] . . فالآيات مكية بلا نزاع لأن الوليد بن المغيرة كان فى مكة والحادثة وقعت قبل الهجرة .

وخلاصة القول :

---

(١) راجع موضوع (ضوابط المدنى) فى الموضوع الذى يلى هذا البحث (ص ٦) من بحثنا هذا .

(٢) سورة المدثر : ٢ ، ١١ - ١٧

(٣) اى رونقا وحسنا .

(٤) المستدرك للحاكم (٢ : ٥٠٧) الناشر دار الكتاب العربى ، بيروت .

(١) أن الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم كان لهم الفضل الأول في وصول علم المدني والمكي إلينا وذلك من خلال ماروا لنا من الأحاديث .

(٢) إن علم أسباب النزول ذو علاقة وثيقة بعلم المكي والمدني ولا يكادان يفترقان .

الطريق الثاني : القياس .

وهو الضابط الذي يعرف بوساطته أن الاية أو السورة مدنية او مكية وهو ليس مطردا بل مبنيي على الغالب والكثر . ومرجعه إلى الألفاظ والتراكيب . ولكل من المدني والمكي ضوابط . وتعرف بالتتبع والاستقراء .

ضوابط السوروالآيات المدنية .

أولا : " كل سورة فيها فريضة أوحد فهي مدنية "(١) .

فاذا ماتتبعنا الآيات أو السور التي فصلت الفرائض وكيف يقسم الميراث على الورثة نجدها أنها مدنية . فمثلا سورة النساء عنيت منذ بدايتها من قوله تعالى : (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر . نصيبا مفروضا) إلى قوله تعالى (وصية من الله والله عليم حليم)(٢) . كذلك سورة البقرة والأنفال والتوبة والأحزاب تعرضت في بعض آياتها للفرائض وكيفية توزيعها وجميع تلك السور مدنية وكذلك الآيات والسور الكريمة التي فصلت الحدود تعد من الجانب المدني فقد شرع الله لعباده كثيرا من الحدود وألزمهم إقامتها كحد القتل والزنى والسرقةوفي تطبيق تلك الحدود وغيرها من حدود الله أمان للناس على أرواحهم وأعراضهم وأموالهم وليكون هذا العقاب الصارم عبرة للناس حتى يرتدع أهل

---

(١) الاتقان (١ : ١٨) .
(٢) سورة النساء : ٧ - ١٢

البغى والفساد .

وهذا التشريع من لدن العزيز فى سلطانه الحكيم فى أمره ونهيه الذى لا تخفى عليه مصالح عباده . قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفى له من أخيه شىء فاتباع بالمعروف وأداء إليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم . ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون)[١] . وسوف أتوسع فى هذا الموضوع بالتفصيل إن شاء الله فى خصائص السور المدنية .

ثانيا :

قال السيوطى فى الأتقان نقلا عن مكى بن أبى طالب : (كل سورة فيها ذكر المنافقين مدنية وزاد غيره سوى العنكبوت)[٢] فانها مكية إلا إحدى عشرة آية من مقدمتها مدنية وهى التى ورد فيها ذكر المنافقين ومن خلال تتبعى للسور والآيات التى ورد فيها ذكر المنافقين وجدتها فى البقرة والنساء والمائدة والتوبة والأحزاب والحديد والحشر والمنافقون وجميع هذه السور مدنية وسوف أتعرض للآيات فى موضوع خصائص السور والآيات المدنية بالتفصيل إن شاء الله تعالى[٣] .

ثالثا :

كذلك كل سورة فيها ذكر الجهاد أو بيان لأحكامه فهى مدنية حتى سورة (الحج) عند من يرى أنها مكية فآية الجهاد فيها مدنية .

فلقد وردت آيات الجهاد فى سورة آل عمران والنساء والأنفال والأحزاب والحديد والحشر . وضمت أحكامه وحضت عليه وفصلت أحكام الصلح والمعاهدات وسوف أتعرض للآيات بالتفصيل فى الحديث عن الجهاد فى موضوع خصائص السور المدنية[٤] .

---

(١) البقرة : ١٧٨ - ١٧٩

(٢) الاتقان (١ : ١٨) .

(٣) راجع (ص ٢٦٩) من بحثنا هذا .

(٤) راجع (ص ٢٩١) من بحثنا هذا .

ضوابط السور والآيات المكية .

أولا :

كل سورة ورد فيها لفظ " كلا "[1] فهى مكية . وهذه الكلمة قد ذكرت فيما بين سورة (مريم) وسورة (الهمزة) فى خمس عشرة سورة وكلها مكية ، وورد ذكرها ثلاثا وثلاثين مرة - حسب تتبعى لهذه اللفظة فى تلك السور قال السيوطى فى الاتقان : قال الدرينى رحمه الله :

(ومانزلت " كلا " بيثرب فاعلمن ولم تأت فى القرآن فى نصفه الأعلى

وحكمة ذلك أن نصفه الأخير نزل أكثره بمكة وأكثرها جبابرة فتكررت فيه على وجه التهديد والتعنيف لهم والإنكار عليهم بخلاف النصف الأول ومانزل منه فى اليهود لم يحتج إلى إيرادها فيه لذلتهم وضعفهم)[2] .

ومثال لسورة مكية ورد فيها (كلا) :

قال تعالى : (ألهاكم التكاثر . حتى زرتم المقابر . كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون . كلا لو تعلمون علم اليقين . لترون الجحيم . ثم لترونها عين اليقين . ثم لتسألن يومئذ عن النعيم)[3] .

فهذه السور المكية وردت فيها (كلا) ثلاث مرات على سبيل الزجر والردع .

ثانيا :

كل سورة ورد فيها آية السجدة فهى مكية وهى فى القرآن فى خمسة عشر موضعا تبدأ من سورة (الاعراف) وتنتهى بسورة (العلق) على خلاف فى حصرها[4] .

وفى سورة (الرعد) و (الحج) خلاف بين العلماء .

ومثال (لسجدة) فى سورة مكية قوله تعالى : (وممن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا)[5] .

---

(١) انظر الاتقان (١ : ١٨) .
(٢) الاتقان (١ : ١٨) .
(٣) سورة التكاثر : وهى ٨ آيات .
(٤) قال القرطبى : اولها خاتمة الاعراف وآخرها خاتمة العلق . انظر تفسير القرطبى (٧ : ٣٥٧) .
(٥) مريم : ٥٨

ثالثا :

ومن تلك الضوابط وجود حروف التهجى التى فى أوائل السور.

فكل سورة افتتحت بأحرف التهجى فهى مكية سوى الزهراوين (البقرة وآل عمران)[1].

ولقد وردت فى تسع وعشرين سورة فبإخراج البقرة وآل عمران يكون عدد السور المكية التى ورد فيها حرف التهجى سبعا وعشرين سورة.

رابعا :

وأخيرا كل سورة ورد فيها قصة آدم وإبليس فهى مكية باستثناء سورة البقرة . ولقد وردت قصة آدم وإبليس فى خمس آيات من كتاب الله العزيز اختصت سورة الأعراف بأربعة منها والخامسة فى سورة (يس) فى قوله تعالى : (ألم أعهد إليكم يابنى آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين)[2].

وخلاصة البحث أن هذه الضوابط لم يرد فيها بتاتا ذكر للأحكام الشرعية أو الحدود أو أحكام القتال ومجادلة أهل الكتاب فإن ذلك قد عنيت به السور والآيات المدنية .

خصائص السور والآيات المدنية .

لقد اختصت السور والآيات المدنية والمكية بخصائص بعضها يرجع إلى الأسلوب والآخرى ترجع إلى الموضوع.

اولا : خصائص السور والآيات المدنية من ناحية الأسلوب والفرق بينها وبين المكى .

(أ) طول أكثر سوره وآياته .

والحكمة فى ذلك أنه " لما انتقل النبى صلى الله عليه وسلم إلى المدينة كان التنظيم الكامل للمعاملات . لأنه وجدت دولة إسلامية فاضلة تنظم العلاقات بين الناس، وتقوم على تنفيذها والقضاء بها . وبدأت

---

(١) انظر الاتقان (٢ : ١٨) .

(٢) سورة يس : ٦٠

الآيات الكريمة تتوالى وابتدأت بأعلى أنواع التعاون بين الناس وهو الأخاء الذى آخى فيه النبى صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار وشرعت النظم الاجتماعية والمعاملات الأنسانية من أحكام للبيوع والمزارعات وتحريم للربويات وغيرها وفريضة الصدقات وتنظيمها وإعطاء الفقير حقه والتنظيم الاجتماعى الكامل . وشرعت الزواجر الاجتماعية من حدود وقصاص وسنت الأحكام الفاصلة بين الحقوق وفتح باب الجهاد ووضعت نظم الحرب وقامت العلاقات الدولية على أسس متينة محكمة يراعى فيها حق العدو كما يلاحظ حق الولى على سواء لأن المبادىء المدنية فى الأسلام قامت على إعطاء كل ذى حق حقه من غير بخس ولا شطط ولا مجاوزة للحد ولا اعتداء"(١) . ا . هـ

وهذه التشريعات السابقة بحاجة إلى البسط والأطالة . مثال ذلك : (آية الدين) .. ومن قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى) إلى قوله (والله بكل شىء عليم)(٢) .

على حين نجد الآيات والسور التى نزلت فى مكة قبل الهجرة اتسمت بالإيجاز وبالقصر - فى الجملة عن الآيات المدنية . فمثلا : (جزء عم) وهو الجزء الثلاثون من القرآن الكريم اغلبه مكى ونلاحظ قصر آياته وتعدد فواصله بل إن مقدار النصف الأخير من القرآن الكريم معظمه مكى ويتسم بقصر آياته وسوره . والحكمة فى ذلك " أن القوم فى مكة أهل عناد وشراسة وطغيان واعتداد بقوتهم والرسول والمؤمنون لا يستطيعون رد هذا الطغيان وايقافهم عند حدهم . . . . فكان الله هو الذى يتولى الدفاع عنهم بالكلمة الحاسمة ينزل بها القرآن يهز نفوس هؤلاء ويزجرهم ويتوعدهم بالأسلوب القوى الذى يناسب حالهم وبآيات كثيرا ما تكون قصيرة موجزة لكنها قارعة قاصمة شديدة فى كلماتها ووقعها .

وهكذا كان القرآن وهو الذروة العليا من الفصاحة والبلاغة ومراعاة مقتضى الحال فإذا وجدت آيات او سورا قصيرة واسلوبا يزمجر ويقسو ويشتد يرد هجوما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويهدد المعاندين فاعلم

---

(١) عن (القرآن المعجزة الكبرى) للشيخ محمد ابو زهرة (ص٢٤ - ٢٦) ط/دار الفكر العربى .

(٢) سورة البقرة : ٢٨٦

ان هذه الايات مكية)[1].

مثال ذلك قوله تعالى : " كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الاخرة . . الى آخر السورة"[2].

" كلا سوف تعلمون . ثم كلا سوف تعلمون . كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم" . السورة[3].

(ب) قلة الالفاظ التي يحتاج فهمها الى المعاجم .

وذلك لان الآيات المدنية عنيت بتفصيل وبيان الأحكام الشرعية وحدودها ودعت الى الجهاد لاعلاء لواء الاسلام . وحضت على الأستشهاد في سبيل الله وجادلت أهل الكتاب وندت بالمنافقين وكشفت مايضمرونه في نفوسهم للاسلام والمسلمين وشأن ذلك ان تكون الايات واضحة في اسلوبها يفهمها كل من يقرأها فلا تكون هناك له حجة عند عدم تطبيقها والعمل بمقتضاها . والامثلة الايات الواردة في المحرمات من النساء قال تعالى : (حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من اصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين إلا ماقد سلف إن الله كان غفورا رحيما والمحصنات من النساء الا ماملكت أيمانكم كتاب الله عليكم وأحل لكم ماوراء ذلكم[4] . . الاية .

على حين نجد الآيات المكية نزلت حيث كان القوم في جاهلية عمياء يتخذون الاصنام والاوثان آلهة يعبدونها من دون الله وينكرون الرسالة المحمدية ويكذبون بيوم الدين ويقولون (إن هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ومايهلكنا الا الدهر)[5]. وهم أهل لسن وفصاحة وبيان وقد

---

(١) باختصار من كتاب علوم القرآن د .عبد المنعم النمر ، ط/الاولى (ص٦١) ، ط/دار الكتاب المصرى - دار الكتاب اللبنانى .

(٢) القيامة : ٢٠ - ٤٠

(٣) التكاثر : ٣- ٨

(٤) النساء : ٢٣ -٢٤

(٥) الجاثية : ٢٤

برزوا فى جميع فنون اللغة شعرها ونثرها ، وحكمها وأمثالها وطاوعهم البيان فى أساليب ساحرة حقيقة ومجازا إيجازا وإطنابا ، حديثا ومقالا فنجد فى مكى القرآن ألفاظا شديدة اللهجة دعتهم الى توحيد اللهسبحانه وألزمتهم بالبراهين القطعية كما ورد فى قوله تعالى : (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا)[1] .

قال الامام فخر الدين الرازى فى تفسيره " القول بوجود إلاهين يفضى إلى المحال . لأنا لو فرضنا وجود الاهين فلابد وأن يكون كل واحد منهما قادرا على كل المقدورات ولو كان كذلك لكان كل واحد منهما قادرا على تحريك زيد وتسكينه . فلو فرضنا أن أحدهما أراد تحريكه والآخر تسكينه فأما أن يقع المراد وهو محال لاستحالة الجمع بين الضدين . أو لا يقع واحد منهما وهو محال لأن المانع من وجود مراد كل واحد منهما مراد الآخر فلا يمتنع مراد هذا إلا عند وجود مراد ذلك وبالعكس. فلو امتنعا معا لوجدا معا وذلك محال أو يقع مراد أحدهما دون الثانى[2] وذلك محال أيضا إذا لابد لهذا الكون من إله واحد يدبر أموره وشئونه كيف شاء إذ أن تعدد الآلهة مدعاة لتضارب الكون تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

وقد برهن سبحانه على وجوده بمخلوقاته وآياته العظيمة باسلوب بليغ أعجز به فصحاء العرب وبلغاءهم وجعلهم على مر العصور والدهور يقفون على اعتاب لغة القرآن مكتوفى الأيدى ، منحنين أمام أسلوبه إجلالا وخشية اعترافا بسموه وإدراكا لبعض أسراره .

ويحتاج القارىء للآيات الرجوع إلى التفاسير وأهل العلم لبيان المراد من الألفاظ الواردة فيها . قال تعالى : (أفرأيتم الماء الذى تشربون ءأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون)[3] . والمراد بالمزن السحاب قاله ابن عباس ومجاهد وغير واحد[4] .

والمزن : السحاب عامة . وقيل السحاب ذو الماء واحدته مزنه .

---

(١) الانبياء : ٢٢

(٢) تفسير الرازى (٢٢ : ١٥٠ - ١٥١) ، ط/دار الكتب العلمية طهران .

(٣) الواقعة : ٦٩

(٤) ابن كثير (٤ : ٢٦٩) ط/عيسى البابى الحلبى .

وقيل المزنة السحابة البيضاء . والجمع مزن[١] . ا . هـ

وقوله تعالى (أفبهذا الحديث انتم مدهنون)[٢] . قال العوفى عن ابن عباس اى مكذبون غير مصدقين[٣] .

المداهنةوالادهان : المصانعة واللين . وقيل المداهنة إظهار خلاف مايضمر . والادهان الغش . ودهن الرجل إذا نافق ودهن غلامه إذا ضربه وقال فى قوله (افبهذاالحديث انتم مدهنون) اى مكذبون[٤] . ا . هـ

وقوله تعالى : (عتل بعد ذلك زنيم) قال ابن كثير أما العتل فهو الفظ الغليظ الصحيح الجموع المنوع . وقال الامام أحمد حدثنا وكيع وعبد الرحمن عن سفيان عن سعيد بن خالد عن حارثة بن وهب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ألا انبئكم باهل الجنة . كل ضعيف لو أقسم على الله لابره . الا أنبئكم باهل النار كل عتل جواظ[٥] مستكبر)[٦] . وقال الامام احمد حدثنا وكيع حدثنا عبد الحميد عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العتل الزنيم . .

فقال : (هو الشديد الخلق المصحح الاكول الشروب الواجد للطعام والشراب الظلوم للناس رحيب الجوف)[٧] .

وبهذا الاسناد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لايدخل الجنة الجواظ الجعظرى[٨] العتل الزنيم . .) .

وقال إبن ابى حاتم حدثنا عمار بن خالد الواسطى حدثنا أسباط عن هشام عن عكرمة عن ابن عباس فى قول (الزنيم) قال الدعى الفاحش اللئيم[٩] .

والعتل : هو الشديد من الرجال والدواب . . وفى التنزيل

---

(١) لسان العرب (١٣ : ٤٠٦) ط/دار صادر . بتصرف .
(٢) الواقعة : ٨١
(٣) ابن كثير (٤ : ٢٨٩) .
(٤) لسان العرب (١٣ : ١٦٢) بتصرف .
(٥) الجواظ : الكثير اللحم الجافى الغليظ الضخم المختال فى مشيته . لسان العرب (٧ : ٤٣٩) .
(٦) مسند الامام احمد (٤ : ٣٠٦)
(٧) مسند الامام احمد (٤ : ٢٧٠)
(٨) الجعظرى : القصير الرجلين العظيم الجسم مع قوة وشدة الاكل . وقال ثعلب : الجعظرى : المتكبر الجافى عن الموعظة . لسان العرب (٤ : ١٤٢) .
(٩) باختصار من تفسير ابن كثير (٤ : ٤٠٤) .

(عتل بعد ذلك زنيم) قيل الشديد فى الخصومة وقيل هو ماتقدم[١].

والزنيم: وفى التنزيل العزيز (عتل بعد ذلك زنيم) وقال الفراء: الزنيم الدعى الملصق بالقوم وليس منهم، وقيل الذى يعرف بالشر واللؤم كما تعرف الشاه بزنمتها[٢].

وقوله تعالى فى سورة الغاشية يصف ما أعده من النعيم لعباده المؤمنين. إلى أن قال (ونمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة)[٣].

قال ابن عباس (النمارق) الوسائد وكذا قال عكرمة وقتادة والضحاك والسدى والثورى وغيرهم.

وقال ابن عباس (الزرابى) البسط وكذا قال الضحاك وغير واحد.

ومعنى مبثوثة أى هاهنا وهاهنا لمن أراد الجلوس عليها[٤].

والنمارق: جمع نمرقة. قال الفراء فى قوله ونمارق مصفوفة هى الوسائد واحدتها نمرقة. وجمعها نمارق[٥].

وزرابى: الزرابى البسط. وقيل كل مابسط واتكئ عليه..

وعن الأعرابى الزجاج فى قوله تعالى (وزرابى مبثوثة) الزرابى البسط[٦]. (مبثوثة) قال الله عز وجل وزرابى مبثوثة قال الفراء مبثوثة كثيرة[٧].

وقد يرد هنا سؤال هو أنه لماذا كان القرآن فى مكة يغلب عليه الألفاظ الجزلة والأسلوب القوى المتين بخلافه فى المدنى حيث يغلب عليه الأسلوب السهل؟

والجواب عليه: أن القرآن راعى البلاغة فى كلا العهدين حيث إن حال المخاطبين يقتضى ماجاء عليه القرآن الكريم. فإن البلاغة كما يقولون

---

(١) لسان العرب (١١: ٤٢٣) بتصرف.
(٢) لسان العرب (١٣: ١٦٢) بتصرف.
(٣) الغاشية: ١٥ - ١٦
(٤) باختصار من تفسير ابن كثير (٤: ٥٠٣).
(٥) لسان العرب (١٠: ٣٦١).
(٦) لسان العرب (١: ٤٤٧) بتصرف.
(٧) لسان العرب (٢: ١١٤) بتصرف.

هى مراعاة المتكلم لحال المخاطبين . وايضا فان الموضوعات التى تكلم عليها القرآن المدنى تقتضى هذا الأسلوب وتلك الألفاظ . وكذلك الأمر فى المكى .

وقد يتساءل البعض ويقول : إننا إذا رجعنا إلى الآيات المدنية نجد أيضا فيها ألفاظ يحتاج القارىء الرجوع فيها إلى التفاسيروالمعاجم . .

فالجواب عليه أن ذلك من جانب الكم . فالآيات المكية التى بها ألفاظا يحتاج لها الباحث الرجوع الى التفاسير والمعاجم أكثر من الآيات المدنية وذلك للحكمة التى سبق أن بينتها فى أول الموضوع .

(جـ) إن كل آية يبدأ الخطاب فيها بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا) فهى مدنية .

فقد أصبح المؤمنون ـ فى مجتمعهم الجديد ـ جماعة لها من القوة والمكانة مايدعو إلى تشريفهم بنداء الله لهم بصفة الإيمان[1] . وليس كل آية بدأ الخطاب فيها بقوله (يا أيها الناس) مكية . إلا أن نقول ذلك فى الغالب . وهناك أمثلة لسور وآيات مدنية جاء فيها الخطاب (ياأيها الناس) .

مثل سورة النساء مدنية وفاتحتها قوله تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدةو خلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساءواتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا)[2] . وكذلك سورة الحج على مذهب من يرى أنهامدنية افتتحت بقوله تعالى(يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شىء عظيم)[3] . فهذه خصائص السور والآيات المدنية مع الفرق بينها وبين المكية وهى ترجع إلى الأسلوب .

---

(١) المدخل لدراسة القرآن والسنة والعلوم الانسانية . د .شعبان محمد اسماعيل (ص٢٧٩) .

(٢) سورة النساء : ١

(٣) سورة الحج : ١

ثانيا : الخصائص الموضوعية للسور والآيات المدنية .

سبق أن تحدثنا عن خصائص السور والآيات المدنية من ناحية الأسلوب مع الفرق بينها وبين خصائص السور والآيات المكية .

ونتعرف الآن على النوع الثانى وهو : خصائص السور والآيات المدنية من الناحية الموضوعية والفرق بينها وبين الخصائص المكية الموضوعية .

ولكل فقرة أو خاصية من هذه الخصائص أفردت لها بابا مستقلا فى هذا البحث كما هو واضح فى الخطة . لذلك سوف أذكر هذه الخصائص إجمالا دون توسع وتفصيل ، تحاشيا للتكرار الذى لا فائدة منه . وإليك هذه الخصائص الموضوعية للسور والآيات المدنية .

(١) التحدث عن التشريعات التفصيلية والأحكام العملية فى العبادات والمعاملات كأحكام بعض أنواع الصلوات التى لم تشرع فى مكة والصيام والزكاة والقصاص والنكاح والطلاق والبيوع والمداينات والربا والحدود كحد القتل والزنى والسرقة والكفارات ككفارة القتل الخطأ والظهار وتنظيم الأسرة وهو مايعرف حديثا (بالاحوال الشخصية) ومايتصل بالمواريث والوصايا .

يقول الشيخ محمد ابو زهرة لما انتقل النبى صلى الله عليه وسلم إلى المدينة كان التنظيم الكامل للمعاملات لأنه وجدت دولة إسلامية فاضلة تنظم العلاقات بين الناس ، وتقوم على تنفيذها والقضاء بها . فنظم التعامل وابتدأ بأعلى أنواع التعاون بين الناس وهو الأخاء الذى آخى فيه النبى صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار . وشرعت النظم الاجتماعية والمعاملات الانسانية من أحكام البيوع والمزارعات وتحريم للربويات وغيرها وفريضة الصدقات وتنظيمها . والتنظيم الاجتماعى الكامل وشرعت الزواجر الاجتماعية من حدود وقصاص .(١)

وذلك كما ترى فى سورة البقرة والنساء والمائدة والنور .

---

(١) باختصار من كتاب (القرآن المعجزة الكبرى) للشيخ محمد ابوزهرة (ص٢٤ - ٢٥) .

(٢) محاجة أهل الكتاب وبيان ضلالهم فى عقائدهم كقولهم بالتثليث أو الحلول أو الإبنية أو الصلب ودعوتهم إلى الايمان بالدين الاسلامى الذى بشرت به رسلهم ، وبيان جناياتهم فى قتل أنبيائهم وتحريفهم لكتبهم ولاسيما البشارة بالنبى صلوات الله وسلامه عليه وتغيير بعض الأحكام التى لا تتفق مع أهوائهم مثل إبدالهم حد الرجم للزانى بالجلد أو تسخيم الوجه طمعا فى المال أو لتقربهم إلى الأشراف .

وذلك كما تشاهد فى آيات سورة المائدة وآل عمران والبقرة والنساء والتوبة(١) .

(٣) بيان ضلال المنافقين وإظهار ماتكنه نفوسهم من الحقد والعداوة وإظهار مابهم من سوء الطباع والجبن والهلع وأنهم لا يبتغون إلا عرض الدنيا ولا يهمهم أمر الأسلام وإعلاء كلمته .

ولقد اختصت الآيات المدنية بهذا الجانب فى حين لا نجده فى الآيات المكية لأن أهلها كانوا أعداء ظاهرين ولم يظهر إلا فى المدينة من قوم مذبذبين مرضى القلوب وهؤلاء أشد خطرا من الأعداء السافرين ومواقفهم البغيضة أفصح عنها القرآن فى سورة البقرة والتوبة والمنافقون وقاموا بمحاولات كثيرة لإثارة الفتن وتفريق كلمة المسلمين يتظاهرون بزى الإسلام مظهرين الحب له والوقوف صفا إلى جانبه وهم فى ظاهرهم ليسوا مجالا للشك والريب . فكان الوحى ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم مظهرا لحقيقة نفوسهم وماتخبئه قلوبهم فكان صلوات الله وسلامه عليه على معرفة كاملة بهم .

(٤) بيان قواعد التشريع الخاصة بالجهاد وحكمة تشريعه وذكر الأحكام المتعلقة بالحروب والغزوات والمعاهدات وما أعد الله من الثواب العميم للمجاهدين فى سبيله . وكذلك الغنائم والفيء وتقسيمه وقد وضحت ذلك سورة البقرة والأنفال وبراءة والقتال والفتح والحشر ففصلت الآيات نظم الحرب وأقامت العلاقات الدولية على أسس متينة

---

(١) باختصار وتصرف من (المدخل لدراسة القرآن الكريم) د . ابوشهبة (٢٣١-٢٣٢)

وأصبح لدولة الأسلام قوة حربية يهابها أعداؤها وتوسعت الفتوحات الاسلامية ودخل الناس في دين الله أفواجا[1] .

وإكمالا للفائدة لابد أن نشير باختصار إلى الخصائص الموضوعية للسور والآيات المكية .

(١) الدعوة إلى الأصول الأساسية لهذا الدين الحنيف ووضع الحجر الاساسي له وهو تثبيت العقيدة ومايتصل بها من الايمان بالله واليوم الآخر ومافيه من البعث والحشر والجزاء والايمان بالرسل والكتب والملائكة وذلك لأن العالم أجمع وبالأخص حيث انبثق هذا النور كانوا في ظلمات الشرك والوثنية وكانوا لايؤمنون بالبعث والجزاء (يقولون أئنا لمردودون في الحافرة أئذا كنا عظاما نخرة قالوا تلك إذا كرة خاسرة[2]) .

فمجتمع هذا شأنه من اللائق بحاله دعوته أولا إلى الايمان بالأصول الأساسية الموضحة ، فأذا ما آمنوا بها خوطبوا بالفروع والتشريعات التفصيلية .

(٢) مجادلة المشركين بأقامة الحجة عليهم في شأن مايعتقدونه في آلهتهم التي صنعتها أيديهم وبيان أنها لاتستحق العبادة وأنها لاتقربهم إلى الله زلفى فهي لاتضر ولاتنفع ولاتعي ولاتحس وتذكيرهم بأن الله هو الخالق الواحد المستحق وحدة العبادة ودعوتهم إلى استعمال عقولهم وترك ماورثوه عن آبائهم من الضلال وللجهل كماقال الله تعالى في سورة الزخرف (بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون . وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون[3]) . وكذلك إقامة الأدلة الواضحة على

---

(١) المدخل لدراسة القرآن الكريم ، د . ابوشهبة (٢٣٠)

(٢) النازعات : ٩ ، ١٠ ، ١١

(٣) الزخرف : ٢٢ - ٢٣

أن القرآن حق لاشك فيه وأنه من عند الله وقد وقع التحدى بالقرآن فى ثلاث سور مكية ولم يقع التحدى به فى القسم المدنى إلا فى سورة البقرة(١) .

(٣) التحدث عن أصول التشريعات العامة والآداب والفضائل والدعوة إلى التمسك بها متمثلة فى الكليات الخمس؛ (حفظ الدين والنفس والمال والعقل والنسب) التى نادت بها جميع الشرائع السماوية . والحث والثبات على العقيدة والأمر بالصلاة والصدقة والصدق والعفاف وبر الوالدين وصلة الرحم والعفو والعدل والإحسان والتواصى بالحق والخير والصبر والنهى عن القتل ووأد البنات والظلم والزنا وأكل أموال الناس بالباطل . قال تعالى : (قل تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ماظهر منها ومابطن ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا الا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون)(٢) . وقوله تعالى (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين)(٣) (٤) .

(٤) ذكر قصص الأنبياء مع أقوامهم ليكون فى قصصهم عبرة وموعظة لأولى الالباب . ولبيان أن دعوة الرسل جميعا واحدة وأنهم جاءوا بالتوحيد الخالص والايمان بالله وملائكته وكتبه واليوم الآخر وقد تكرر كثير من القصص القرآنى لهذه الأغراض وغيرها .

ولقد كانت لها دورها الهام فى حياة الدعوة :

---

(١) انظر المدخل لدراسة القرآن الكريم ، د . ابوشهبة (ص٢٢٩) .
(٢) الانعام : ١٥١ ، ١٥٢
(٣) الاعراف : ١٩٩
(٤) الموافقات فى اصول الشريعة لابى اسحاق الشاطبى (٣ : ٥)

(١) فهى تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين من شدة مايلاقونه من العذاب والاهانة فتزودهم بالصبر والثبات والتوكل على الله اقتداء بالرسل واتباعهم المؤمنين بهم . قال تعالى (فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل)[1] .. (وكلا نقص عليك من أنباء الرسل مانثبت به فؤادك وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين)[2] .

(٢) وفى نفس الوقت تحمل التهديد والوعيد بالهلاك والخزى للمشركين قال تعالى عن قوم نوح : (فكذبوه فنجيناه ومن معه فى الفلك وجعلناهم خلائف وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين)[3] .

ولقد كان القصص فى القسم المكى من أعظم الأدلة على أن القرآن من عند الله إذ لو تأخر نزوله إلى المدينة لقالوا : تعلمه من أهل الكتاب . قال تعالى : (تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ماكنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين)[4] .

وبهذه الخاصية تنتهى خصائص السور والايات المدنية والفرق بينها وبين خصائص السور والآيات المكية[5] . . وبالله التوفيق .

---

(١) الاحقاف : ٣٥
(٢) هود : ١٢٠
(٣) يونس : ٧٣
(٤) هود : ٤٩
(٥) باختصار وتصرف من (المدخل لدراسة القرآن الكريم) للدكتور ابو شهبة (ص٢٢٨ - ٢٣٣) .

الفصل الثاني

الفصل الثانـــى

فى بيان السور المتفق على مدنيتها والمختلف فيها

لابد لنا قبل الخوض فى بيان السو ر المتفق على مدنيتها ان نوضح المعنى المراد من كلمة (سورة) فى اللغة والاصطلاح .

السورة فى اللغة تطلق على ماذكره صاحب (لسان العرب) بقوله :

السورة : المنزلة .... قال الجوهرى : والسور جمع سورة .... وهى كل منزلة من البناء ، ومنه سورة القرآن لانها منزلة بعد منزلة مقطوعـــة عن الأخرى . والجمع سور بفتح الواو . قال ابن سيده : سميت السورة مـن القرآن سورة لأنها درجة إلى غيرها . ومن همزها جعلها بمعنى بقية مـن القرآن وقطعة .

وقيل : السورة من القرآن يجوز ان تكون من سؤرة المال ، ترك همـزه لما كثر فى الكلام . وأما أبو عبيدة فانه زعم أنه مشتق من سورة البنـــــاء وأن السورة عرق من أعراق الحائط . والسور عند العرب حائط المدينـــة وهو أشرف الحيطان وكل منزلة رفيعة فهى سورة مأخوذة من سورة البنـــاء وانشد للنابغة :

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب؟

معناه أعطاك رفعة وشرفا ومنزلة .

قال ابو الهيثم : وأما سورة القرآن فان الله جل ثناؤه جعلهـــا سورا مثل غرفة وغرف . ورتبة ورتب ، فدل على أنه لم يجعلها مـــــن سور البناء لأنها لو كانت من سور البناء لقال : فأتوا بعشر سُورٍ مثلـــه والقراء مجتمعون على سُوَر . وكذلك إجتمعوا على قراءة سور فى قولـــه (فضرب بينهم بسور) ولم يقل أحد بسور فدل ذلك على تميز سورة مـــن القرآن عن سورة من سور البناء . والسورة من سور القرآن عندنا قطعة مـن القرآن سبق و أحدها جمعها كما ان الغرفة سابقة للغرف .

وأنزل الله عز وجل القرآن على نبيه شيئا بعد شيء وجعله مفصلا وبين كل سورة بخاتمتها وبادئتها وميزها من التى تليها .

قال الأزهرى : وكأن أبا الهيثم جعل السو رة من سور القرآن من أسأرت سؤرا أى أفضلت فضلا إلا أنها لما كثرت فى الكلام وفى القـــرآن نزل فيها الهمز[1] . ا.هـ

وباختصار : (السورة فى اللغة مختلف فى أصلها (تهمز أولا تهمز) فمن همزها جعلها من (أسأرت) أى أفضلت من السؤر وهو مابقى مـــن المال كأنها قطعة من القرآن وحذفت الهمزة تخفيفا . ومن لم يهمزهـــا قال إن السورة هى المنزلة والرتبة أو مأخوذة من سور المدينة لاحاطتها بآياتها إحاطة السو ر بالمدينة) .

وفى الاصطلاح قال الزركشى نقلا عن الجعبرى :

(حد السورة قرآن يشتمل على اى ذوات فاتحة وخاتمة وأقلهـــا ثلاث آيات)[2] .

ويمكن تعريفها أيضا : بأنها طائفة مستقلة من آيات القـــرآن ذات مطلع ومقطع[3] .

وبعد أن اتضح لنا المراد بالسورة لغة واصطلاحا نشرع فى بيان مانحن بصدده وهو بيان السور المدنية المتفق على مدنيتها والمختلـف فيها . وكما هو معلوم أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن له فـــى ذلك قول ومرجعنا فى ذلك لحفظ الصحابة والتابعين . ولقد اختلـف العلماء فى تعيين السور المدنية والمكية وذلك لاختلاف الروايـــات الواردة عن الصحابة و التابعين رضوان الله عليهم أجمعين . وســـوف أسرد هذه الروايات وأناقشها ثم أبين المعتمد منها فيما يلى :

---

(١) لسان العرب (٤ : ٣٨٦) . للامام العلامة ابى الفضل جمـــال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقى المصرى ، ط/دار صادر بيروت .

(٢) البرهان للزركشى (١ : ٢٦٤) .

(٣) مناهل العرفان للزرقانى (١ : ٣٤٣) .

الرواية الاولى :

أخرج ابن سعد فى الطبقات قال : (أخبرنا محمد بن عمر، حدثنى قدامة بن موسى عن أبى سلمة الحضرمى قال : سمعت ابن عباس يقول كنت ألزم الأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، من المهاجرين والأنصار فاسألهم عن مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما نزل من القرآن فى ذلك وكنت لا آتى أحدا منهم إلا سر بأتيانى لقربى من رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلت أسأل أبى بن كعب يوما ، وكان من الراسخين فى العلم عما نزل من القرآن بالمدينة فقال : نزل بها سبع وعشرون سورة . وسائرها بمكة)[1] .

الرواية الثانية :

(رواية قتادة)

ذكر القرطبى نقلا عن أبى بكر الأنبارى قال : حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضى حدثنا حجاج بن منهال حدثنا همام عن قتادة قال : نزل بالمدينة من القرآن (البقرة، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنفال وبراءة ، والرعد ، والنحل ، والحج ، والنور ، والأحزاب ، ومحمد ، والفتح والحجرات ، والرحمن ، والحديد ، والمجادلة ، والحشر ، والممتحنة والصف ، والجمعة ، والمنافقون ، والتغابن ، والطلاق ، ويا أيها النبى لم تحرم الى رأس العشر[2] ، وإذا زلزلت ، وإذا جاء نصر الله . هؤلاء السور نزلن بالمدينة ، وسائر القرآن نزل بمكة)[3] .

قلت : وهذه سبع وعشرون سورة مدنية وردت فى هذه الرواية .

---

(١) الطبقات لابن سعد (٢ : ٣٧١) . ابى عبد الله محمد بن سعد البصرى الزهرى ، ط/دار صادر بيروت .

(٢) يعنى العشر آيات الاولى من السورة .

(٣) القرطبى (١ : ٦١) .

الرواية الثالثة :

(رواية عكرمة والحسين بن أبى الحسن)

وقال البيهقى فى دلائل النبوة أخبرنا أبو عبدالله الحافظ أخبرنا أبو محمد بن زياد العدل حدثنا محمد بن إسحق حدثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقى حدثنا أحمد بن نصر بن مالك الخزاعى حدثنا على بن الحسين بن واقد عن أبيه حدثنى يزيد النحوى عن عكرمة[1] والحسين بن أبى الحسن قالا أنزل الله من القرآن بمكة (اقرأ باسم ربك ، ون ، والمزمل والمدثر ، وتبت يدا أبى لهب ، وإذا الشمس كورت ، وسبح اسم ربك الأعلى والليل إذا يغشى ، والفجر والضحى ، وألم نشرح ، والعصر ، والعاديات والكوثر ، وألهاكم التكاثر ، وأرأيت ، وقل يا أيها الكافرون ، وأصحاب الفيل والفلق ، وقل أعوذ برب الناس ، وقل هو الله أحد ، والنجم ، وعبس ، وإنا أنزلناه ، والشمس وضحاها ، والسماء ذات البروج ، والتين والزيتون ولإيلاف قريش ، والقارعة ، ولا أقسم بيوم القيامة ، والهمزة ، والمرسلات و ق ، ولا أقسم بهذا البلد ، والسماء والطارق ، واقتربت الساعة ، و ص ، والجن ، ويس ، والفرقان ، والملائكة ، وطه ، والواقعة ، وطسم ، وطس وطسم ، وبنى إسرائيل والتاسعة (سورة يونس) وهود ، ويوسف ، وأصحاب الحجر ، والأنعام ، والصافات ، ولقمان ، وسبأ ، والزمر ، وحم المؤمن وحم الدخان ، وحم السجدة ، وهمعسق ، وحم الزخرف ، والجاثية والأحقاف ، والذاريات ، والغاشية ، وأصحاب الكهف ، والنحل ، ونوح وابراهيم ، والأنبياء ، والمؤمنون ، والم السجدة ، والطور ، وتبارك ، والحاقة وسأل ، وعم يتساءلون ، والنازعات ، وإذا السماء انشقت ، وإذا السماء انفطرت ، والروم ، والعنكبوت .

ومانزل بالمدينة : (ويل للمطففين ، والبقرة ، وآل عمران ، والأنفال والأحزاب ، والمائدة والممتحنة ، والنساء ، وإذا زلزلت ، والحديد ، ومحمد

---

(١) عكرمة البربرى ابو عبدالله مولى ابن عباس . قال البخارى ليس من اصحابنا الا وهو يحتج بعكرمة . قال يزيد النحوى عن عكرمة قال لى ابن عباس انطلق فأفت بالناس وانا لك عون . تهذيب التهذيب (٧ : ٢٦٥) ط/دار صادر .

والرعد ،والرحمن ، وهل أتى على الأنسان ، والطلاق ، ولم يكـــــن والحشر ، وإذا جاء نصر الله ، والنور ، والحج ، والمنافقون ، والمجادلـة والحجرات ، ويا أيها النبى لم تحرم ، والصف ، والجمعة ، والتغابـــن والفتح وبراءة) .

قال السيوطي : وقد سقط من هذه الرواية الفاتحة والأعـــراف وكهيعص فيما نزل بمكة[1] .

الرواية الرابعة :

وقال ابن الضريس[2] فى فضائل القرآن حدثنا محمد بن عبدالله بن ابى جعفر الرازى أنبأنا عمرو بن هارون حدثنا عثمان بن عطاء الخراسانى عن أبيه عن ابن عباس قال كانت إذا نزلت فاتحة سورة بمكة كتبت بمكـــة ويزيد الله فيها ماشاء وكان اول مانزل من القرآن اقرأ باسم ربك ، ثم ن ثم يا أيها المزمل ، وساق السور المكية كما ذكرنا من قبل مع اختلاف فى بعض السور .

ثم قال : فهذا ما أنزل الله بمكة ثم انزل بالمدينة سورة البقـرة ثم الأنفال ثم آل عمران ثم الأحزاب ثم الممتحنة ثم النساء ثم إذا زلزلـت ثم الحديد ثم القتال ثم الرعد ثم الرحمن ثم الانسان ثم الطلاق ثم لـم يكن ثم الحشر ثم إذا جاء نصر الله ثم النور ثم الحج ثم المنافقون ثـم المجادلة ثم الحجرات ثم التحريم ثم الجمعة ثم التغابن ثم الصف ثـم الفتح ثم المائدة ثم براءة[3]) .

الرواية الخامسة :

وقال أبو عبيد فى فضائل القرآن حدثنا عبدالله بن صالح عن معاوية ابن صالح عن على بن أبى طلحة[4] قال نزلت بالمدينة سورة البقرة وآل عمران

---

(١) الاتقان (١ : ١٠) .

(٢) هو محمد بن ايوب بن يحيى الضريسى ، تذكرة الحفاظ للإمـــام أبى عبدالله شمس الدين الذهبى المتوفى سنة ٧٤٨هـ (٢ : ٥٩٢) ط/دار احياء التراث العربى .

(٣) الاتقان (ص١١) جـ ١

(٤) على بن ابى طلحة واسمه سالم بن المخارق الهاشمى يكنى اباالحسن قال النسائى ليس به بأس ، ماتسنة ١٤٣هـ. باختصار من تهذيـب التهذيب (٧ : ٣٣٩) .

والنساء والمائدة والأنفال والتوبة والحج والنور والأحزاب والذين كفروا والفتح والحديد والمجادلة والحشروالممتحنة والحواريين يزيد الصف والتغابن ويا أيها النبى إذا طلقتم النساء ، يا أيها النبى لم تحرموالفجر والليل وإنا أنزلناه في ليلة القدر ولم يكن وإذا زلزلت وإذا جاءنصر الله) وسائر ذلك بمكة(١) .

وهناك أقوال أخرى غير ماذكر منها :

سادسا :

ماقاله أبو الحسن بن الحصار فى كتابه (الناسخ والمنسوخ)المدنى باتفاق عشرون سورة والمختلف فيه اثنتا عشرة سورة وماعدا ذلك مكى باتفاق ثم نظم فى ذلك ابياتا فقال فى مطلعها :

ياسائلى عن كتاب الله مجتهدا وعن ترتب مايتلى من السور

وذكر القصيدة بطولها وتحتوى على اثنين وعشرين بيتا .

والعشرون سورة المتفق على مدنيتها التى ذكرها فى منظومته هى :

(١) البقرة	(٢) آل عمران	(٣) النساء
(٤) المائدة	(٥) الأنفال	(٦) التوبة
(٧) النور	(٨) الأحزاب	(٩) محمدصلى الله عليه وسلم
(١٠) الفتح	(١١) الحجرات	(١٢) الحديد
(١٣) المجادلة	(١٤) الحشر	(١٥) الممتحنة
(١٦) المنافقون	(١٧) الجمعة	(١٨) الطلاق
(١٩) التحريم	(٢٠) النصر	

والسور المختلف فيها اثنتا عشرة سورة :

(١) الفاتحة	(٢) الرعد	(٣) الرحمن
(٤) الصف	(٥) التغابن	(٦) التطفيف
(٧) القدر	(٨) لم يكن	(٩) الزلزلة
(١٠) قل هو الله احد	(١١) الفلق	(١٢) الناس

وماعدا ذلك فهو مكى(٢) .

---

(١)(٢) الاتقان (١ : ١١) .

ومن هذه الاقوال ايضا :

سابعا :

ماذكره أبو القاسم هبة الله بن سلامة[1] (٤١٠ هـ) فى كتابه (الناسخ والمنسوخ) فى مقدمة حديثه عن كل سورة ومافيها من النسخ . الحكم على السورة هل هى مدنية أو مكية ومافيها من الخلاف . وقد احصيت السور المدنية المتفق عليها وهى كما يلى :

(١) البقرة	(٢) آل عمران	(٣) النساء
(٤) المائدة	(٥) الأنفال	(٦) التوبة
(٧) النور	(٨) الأحزاب	(٩) الفتح
(١٠) الحجرات	(١١) المجادلة	(١٢) الحشر
(١٣) الممتحنة	(١٤) الصف	(١٥) الجمعة
(١٦) المنافقون	(١٧) التغابن	(١٨) الطلاق
(١٩) التحريم	(٢٠) القدر	(٢١) الأنفكاك

أما السور المختلف فيها فهى سبعة عشرة سورة :

(١) الفاتحة	(٢) الرعد	(٣) النحل
(٤) الحج	(٥) العنكبوت	(٦) محمد صلى الله عليه وسلم
(٧) الرحمن	(٨) الحديد	(٩) الانسان
(١٠) عبس	(١١) المطففين	(١٢) الليل
(١٣) الزلزلة	(١٤) النصر	(١٥) الاخلاص
(١٦) الفلق	(١٧) الناس	

وماعدا ذلك من السور نزل بمكة[2] .

---

(١) هبة الله بن سلامة بن نصر بن على ابوالقاسم ، مفسر ، ضرير من أهل بغداد من كتبه الناسخ والمنسوخ فى القرآن ، والناسخ والمنسوخ فى الحديث . باختصار من الأعلام للزركلى (٨ : ٧٢) .

(٢) الناسخ والمنسوخ لأبى القاسم هبة الله بن سلامة ، ط/الثانية البابى الحلبى ١٣٨٧ هـ .

ومن هذه الأقوال ايضا :

ثامنا :

ماذكره الزركشى فى البرهان من أن السور المدنية حسب النزول هى على الترتيب التالى :

فأول مانزل فيها (سورة البقرة ، ثم الأنفال ، ثم آل عمران ، ثم الأحزاب ، ثم الممتحنة ، ثم النساء ، ثم إذا زلزلت ، ثم الحديد ، ثم محمد ثم الرعد ، ثم الرحمن ، ثم هل أتى ، ثم الطلاق ، ثم لم يكن ، ثم الحشر ، ثم إذا جاء نصر الله ، ثم النور ، ثم الحج ، ثم المنافقون ، ثم المجادلة ، ثم الحجرات ، ثم يا أيها النبى لم تحرم ، ثم الصف ، ثم الجمعة ، ثم التغابن ثم الفتح ، ثم التوبة ، ثم المائدة(١) . ا.هـ

ومن خلال دراستى لهذه الروايات والأقوال استنتج مايلى :

(١) إن الرواية الأولى ذكر ابن عباس أنه سأل أبى بن كعب عن عدد السور المدنية فأجابه بأنها سبع وعشرون سورة فهى مجملة ذكرت العدد فقط ولم توضح السور المدنية بالتفصيل .

(٢) الرواية الثانية ذكر قتادة السور المدنية فأحصيتها فوجدتها سبعا وعشرين سورة . وقد ذكرت الرواية بعض السور المختلف فيها وهى الرعد والنحل والحج والرحمن . وسوف أوضح الخلاف وأنتهى إلى بيان مابدا لى فيه فى نهاية هذا الفصل إن شاء الله تعالى .

(٣) الرواية الثالثة (رواية عكرمة والحسين بن أبى الحسن) . وقد ذكرت هذه الرواية السور المكية أولا وعددها ثنتان وثمانون سورة . وقد أشار السيوطى أنه سقطت من هذه الرواية ثلاث سور مكية وهى الفاتحة والأعراف وكهيعيص (مريم) فيكون تعداد المكى خمسا وثمانين سورة . وقد اشارت ايضا إلى السور المدنية وأحصيتها فوجدتها تسعا وعشرين سورة فيكون مجموع السور مائة وأربع عشرة سورة وهى مجموع سور القرآن . ويلاحظ فى هذه الرواية ورود بعض السور المختلف فيها وهى المطففين ، والرعد ، والرحمن ، والانسان ، والبينة ، والحج .

---

(١) البرهان للزركشى (١ : ١٩٤) .
ملاحظة : وقد ذكرانها تسع وعشرون سورة والصواب انها ثمان وعشرون سورة .

(٤) الرواية الرابعة (عن ابن عباس)
ذكرت أولا السور المكية وتحاشيا للتطويل اختصرت الرواية واقتصرت على مانحن بصدد دراسته وهو السور المدنية وقد ذكرت الرواية ثماني وعشرين سورة . ويلاحظ ورود بعض السور المختلف فيها وهي الرعد والرحمن والأنسان والبينة والحج .

(٥) الرواية الخامسة (رواية على بن أبي طلحة)
ذكرت أولا السور المدنية وعددها خمس وعشرون سورة وجاء فيها بعض السور المختلف فيها وهي الفجر ، والليل ، والقدر ، ولم يكن (البينة) .

(٦) القول السادس (قول أبي الحسن الحصار)
وقد قسم المدني إلى قسمين قسم مدني باتفاق وهو كما ورد في قوله عشرون سورة وقسم مختلف فيه وهو اثنتا عشرة سورة . وهذا القول يعتبر في مقدمة الأقوال السابقة لشموله ودقته .
قال الشيخ الزرقاني (نقل السيوطي في الأتقان أقوالا كثيرة في تعيين السور المكية والمدنية ، ومن أوفقها ماذكره أبو الحسن الحصار في كتابه الناسخ والمنسوخ)[1] .

(٧) القول السابع (قول أبي القاسم هبة الله بن سلامة)
وهذا القول جمعته من كتابه (الناسخ والمنسوخ) في مقدمة حديثه عن كل سورة يذكر أن السورة مدنية أو مكية وهو أيضا يمتاز بشموله ودقته وقد ذكر إحدى وعشرين سورة متفقا على مدنيتها . وذكر سبع عشرة سورة مختلفاً فيها وسوف أوضح الخلاف الوارد فيها إن شاء الله .

(٨) القول الثامن : وقد ذكر الزركشي السور المدنية حسب النزول وعددها ثمانية وعشرون سورة وورد في قوله بعض السور المختلف فيها وهي الرعد والرحمن والإنسان والبينة والحج .

ومن خلال النظر في الروايات السابقة والأقوال الواردة تبين لي أن هناك سورا مختلفاً فيها وهي كالتالي :

---

(١) مناهل العرفان للشيخ الزرقاني (١ : ١٩١) .

(١) الفاتحة	(٢) الرعد	(٣) النحل
(٤) الحج	(٥) العنكبوت	(٦) محمد صلى الله عليه وسلم
(٧) الرحمن	(٨) الصف	(٩) التغابن
(١٠) الأنسان	(١١) عبس	(١٢) المطففين
(١٣) الفجر	(١٤) الليل	(١٥) القدر
(١٦) البينة	(١٧) الزلزلة	(١٨) النصر
(١٩) الاخلاص	(٢٠) الفلق	(٢١) الناس

والسور المتفق على مدنيتها هى :

(١) البقرة	(٢) آل عمران	(٣) النساء
(٤) المائدة	(٥) الأنفال	(٦) التوبة
(٧) النور	(٨) الأحزاب	(٩) الفتح
(١٠) الحجرات	(١١) الحديد	(١٢) المجادلة
(١٣) الحشر	(١٤) الممتحنة	(١٥) الصف
(١٦) الجمعة	(١٧) المنافقون	(١٨) الطلاق
(١٩) التحريم		

وماعدا ذلك مكـــــى ..

(١) سورة الفاتحـــة

اختلف العلماء فى سورة الفاتحة اهى مكية ام مدنية ؟

فقال ابن عباس وقتادة وأبو العالية الرياحى - واسمه رفيع - وغيرهم : هى مكية . وقال أبو هريرة ومجاهد وعطاء بن يسار الزهرى وغيرهم : هـــى مدنية . ويقال : نزل نصفها بمكة . ونصفها بالمدينة . حكاه أبو الليـــث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندى فى تفسيره .

والأول أصح لقوله تعالى : " ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقـــرآن العظيم "(١) .

والحجر مكية بإجماع . ولا خلاف أن فرض الصلاة كان بمكة . وما حفـــظ أنه كان فى الإسلام قط صلاة بغير " الحمد لله رب العالمين " . يدل علـــى هذا قوله عليه الصلاة والسلام : " لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب "(٢) . وهذا خبر عن الحكم لا عن الابتداء ، والله أعلم(٣) . ا.هـ

والذى يؤيد تفسير قوله تعالى (سبعا من المثانى) أنها الفاتحـــة الحديث الصحيح الذى رواه الترمذى .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليـــه وسلم : " الحمد لله رب العالمين أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثانى "(٤) .

(حكم الترمذى) قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح .

قال السيوطى : " سورة الفاتحة الأكثرون على أنها مكية بل ورد أنهـــا أول مانزل "(٥) . واستدل لذلك بقوله (ولقد آتيناك سبعا من المثانى) وقـــد

---

(١) سورة الحجر : ٨٧

(٢) اخرجه البخارى وهذا الحديث يدل على حكم الصلاة بدون الفاتحـــة ولم يتعرض للكلام على زمان نزولها ، ويبقى الدليل الاول بـــــدون اعتراض عليه .

(٣) الجامع لاحكام القرآن للقرطبى (١ : ١١٥) .

(٤) الجامع الصحيح (سنن الترمذى) لابى عيسى محمد بن عيسى بـــن سورة (٥ : ٢٩٧) .

(٥) والصحيح ان اول مانزل عليه صلى الله عليه وسلم من القرآن هو صـــدر سورة اقرأ كما رواه البخارى فى صحيحه بسنده عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها . أنظر صحيح البخارى بهامشه فتح البارى (١ : ٢٥) ط/البابى وحلبى . ويذكر السيوطى فى النوع الثانى (١ : ٢٥) مستدلا بحديث خديجة "إنى اذا خلوت وحدى سمعت نداء" . . . وفيـــه =

فسرها صلى الله عليه وسلم بالفاتحة كما فى الصحيح . وسورة الحجر مكية باتفاق ولقد امتن على رسوله فيها فدل على تقدم نزول الفاتحة عليها اذ يبعد ان يمتن عليه بما لم ينزل بعد وبانه لا خلاف ان فرض الصلاة كان بمكة ولم يحفظ انه كان فى الاسلام صلاة بغير الفاتحة . . . ا.هـ(١)

قال ابن حجر : (يستنبط من تفسير السبع المثانى بالفاتحة أن الفاتحة مكية وهو قول الجمهور خلافا لمجاهد . ووجه الدلالة أنه سبحانه امتن على رسوله بها ، وسورة الحجر مكية إتفاقا فيدل على تقديم نزول الفاتحة عليها .

قال الحسين بن الفضل : هذه هفوة من مجاهد لأن العلماء على خلاف قوله وأغرب بعض المتأخرين فنسب القول بذلك لابى هريرة ، والزهرى وعطاء بن يسار)(٢) .

وقد سردت الروايات والأقوال السابقة والتى تشير الى السور المدنية ولم يرد لها ذكر بينها ولم يقل احد من الرواة بانها مدنية فاننى ارجح ان هذه السور الكريمة مكية .

قال إبن الحصار فى كتابه الناسخ والمنسوخ:

نعارض النقل فى أم الكتا ب وقد تؤول فى الجر تنبيه المعتبر
أم القرآن فى أم القرى نزلت ما كان للخمس قبل الخمر مهما أثر

والخلاصة : أن سورة الفاتحة مكية نظرا لأن الصلاة فرضت حينما عرج بالنبى صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء وحيث أن الصلاة لا تصح الا بفاتحة الكتاب اذا فالسورة مكية .

= (فلما خلا ناداه يا محمد قل "بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين . . . السورة" ويقول السيوطى فى التعليق عليه : "قال البيهقى هذا ان كان محفوظا فيحتمل ان يكون خبر اعن نزولها بعد ما نزلت عليه اقرأ والمدثر") .

(١) الاتقان للسيوطى (١ : ١٢) .
(٢) فتح البارى (٩ : ٢٢٥) .
(٣) الاتقان للسيوطى (١ : ١١) .

(٢) سورة الرعـــد

اختلف العلماء فى سورة الرعد فاذا مانحن استعرضنا الروايـــات السابقة نجد أن الرواية الثانية عن قتادة ، والرواية الثالثة عن عكرمـــة والحسين بن أبى الحسن ، والرابعة عن ابن عباس ، والقول الثامن عـــن الزركشى اتفاق على أنها مدنية ، والرواية الخامسة عن على بن أبى طلحـــة لم يذكرها ضمن المدنى .

والقول السادس لأبى الحسن الحصار ، والسابع لأبى القاسم هبـــة الله بن سلامة اعتبراها من المختلف فيه .

وإذا دققنا النظر فى آيات هذه السورة الكريمة نستخلص مايلى :

(١) افتتاح السورة بحروف المعجم (المر) وهذه سمة من سمات الســـور المكية .

(٢) موضوعها الأساسى هو العقيدة الحقة مع تفصيل دلائل الوحدانيـــة وضرب الأمثال للناس تثبيتا لهذه العقيدة . انظر الآيات ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ١٢ ، ١٦ ، ١٧ ، ٣٥ .

(٣) الوحى والرسالة كقوله تعالى " والذى أنزل إليك من ربك الحق " . انظر الآيات ١ ، ٧ ، ٣٠ ، ٤٣ .

(٤) البعث وصفة النعيم والعذاب . انظر الآيات ٥ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥

فهذه هى (المواضيع) التى تعالجها السورة وهى (مواضيع) السور المكيـــة نضيف إلى ذلك كله خلوها من التشريعات والأحكام التى تميز بها الســـور المدنية .

قال ابن الحصار :

فالرعد مختلف فيها متى نزلت . . وأكثر الناس قالوا الرعد كالقمر (١) .

أى مكيـــة .

" وقال قتادة وجماعة إنها نزلت بالمدينة وهى والله أعلم إلى تنزيـــل المدينة أشبه لأن فيها قصة أربد بن ربيعة ، وعامر بن الطفيل . وكان شأنهما بالمدينة وقدومهما على النبى صلى الله عليه وسلم ومالحق أربد من الصاعقـــة

---

(١) الاتقان للسيوطى (١ : ١٢) .

وكيف ابتلى الله عامر بن الطفيل بغده في علة فمات وهو يقول : غدة كغدة البعير[1] . ا.هـ

قال القرطبي : "سورة الرعد مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر ومدنية في قول الكلبي ومقاتل" .

وقال ابن عباس وقتادة : " مدنية إلا آيتين منها نزلتا بمكة وهما قوله عز وجل (ولو أن قرآنا سيرت به الجبال)[2] . . . . الآية .

قال القرطبي عند تفسير قوله تعالى : (قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب) .

قال أبو بشر : قلت لسعيد بن جبير " ومن عنده علم الكتاب" قال هو عبد الله بن سلام .

قال القرطبي : وكيف يكون عبد الله بن سلام وهذه السور مكية واين سلام ما أسلم إلا بالمدينة ؟

وقال القشيري : وقال ابن جبير السورة مكية وابن سلام أسلم بالمدينة بعد هذه السورة ، فلايجوز ان تحمل هذه الآية على ابن سلام ، فمن عنده علم الكتاب جبريل . وهو قول ابن عباس ، وقال الحسن ومجاهد والضحاك هو الله تعالى وكانوا يقرأون " ومن عنده علم الكتاب" وينكرون على من يقول : هو عبد الله بن سلام وسلمان ، لأنهم يرون أن السورة مكية وهؤلاء أسلموا بالمدينة[3] .

قلت : ومن (عنده علم الكتاب) يصح أن يفسر على أهل الكتاب الذين يعرفون الحق وهم يكتمونه وقد كان ذلك من قبل إسلام عبد الله بن سلام وغيره من أهل الكتاب .

وللجمع بين الرأيين : أرجح أن السورة مكية المطلع والموضوع والسياق وبها آيات مدنية قال تعالى (الله يعلم ماتحمل كل أنثى وماتغيض الأرحام وماتزداد وكل شيء عنده بمقدار . عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال)[4] الى قوله تعالى :

---

(١) الناسخ والمنسوخ لابى القاسم هبة الله بن سلامة (ص٥٥) .
(٢) تفسير القرطبي (٥ : ٢٧٨) .
(٣) تفسير القرطبي (٥ : ٣٣٦) .
(٤) الرعد : ٨

(ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال)[1] .

قال ابن كثير :" وذكروا في سبب نزولها قصة عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة لما قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه أن يجعل لهما نصف الأمر فأبى عليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عامر بن الطفيل لعنه الله أما والله لأملأنها عليك خيلا جردا ورجالا مردا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم " يأبى الله عليك ذلك وأبناء قيله) يعني الأنصار ثم أنهما هما بالفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل أحدهما يخاطبه والآخر يستل سيفه ليقتله من ورائه فحماه الله تعالى منهما وعصمه . فخرجا من عنده فانطلقا في أحياء العرب يجمعان الناس لحربه صلى الله عليه وسلم فأرسل الله على أربد سحابة فيها صاعقة فأحرقته . وأما عامر بن الطفيل فأرسل الله عليه الطاعون فخرجت فيه غدة عظيمة فجعل يقول ياآل عامر غدة كغدة البكر[2] . وهوت في بيت سلوليه . حتى ماتا لعنهما الله وأنزل الله في مثل ذلك (ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله) أي يشكون في عظمته وأنه لا إله إلا هو (وهو شديد المحال) قال ابن جرير : شديد مما حلته في عقوبته من طغى عليه وعتا وتمادى في كفره)[3] .

---

(١) الرعد : ١٣

(٢) الفتى من الابل . ا.هـ لسان العرب(٤ : ٧٩) .

(٣) تفسير ابن كثير باختصار (٢ : ٥٠٦) ط/دار الفكر .

(٣) سورة النحل

أما سورة النحل . فاختلف فيها أيضا . فالرواية الثانية عن قتادة هى الوحيدة التى نصت على أنها مدنية .

وقال القرطبى : هى مكية كلها فى قول الحسن وعكرمة وجابر . وتسمى سورة النعم بسبب ماعدد الله فيها من نعمه على عباده .

وقيل هى مكية غير قوله تعالى " وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به "[1] الآية .

نزلت بالمدينة فى شأن التمثيل بحمزة وقتلى أحد . وغير قوله "واصبر وماصبرك إلا بالله"[2] . وغير قوله : " ثم إن ربك للذين هاجروا "[3] الآية . وأما قوله " والذين هاجروا فى الله من بعد ماظلموا "[4] فمكى فى شأن هجرة الحبشة .

وقال ابن عباس : هى مكية إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة بعد قتل حمزة وهى قوله " ولاتشتروا بعهد الله ثمنا قليلا . . . إلى قوله بأحسن ماكانوا يعملون "[5] . [6] اهـ

وقال السيد قطب : (هى كسائر السور المكية تعالج موضوعات العقيدة الكبرى الألوهية ـ والوحى والبعث)[7] .

وقال العلامة بدر الدين الحلبى المعروف بالتادفى فى أرجوزته المتضمنة معرفة المكى والمدنى :

والخلف فى الرعد ياموافق ... والحجروالنحل مع الأسراء

الكل بمكة بلا مراء[8]

---

(١) النحل : ١٢٦

(٢) النحل : ١٢٧

(٣) النحل : ١١٠

(٤) النحل : ٤١

(٥) النحل : ٩٠ - ٩٦

(٦) تفسير القرطبي (١٠ : ٦٥) .

(٧) فى ظلال القرآن (٥ : ٢٢٤) .

(٨) مخطوطة من مركز البحث العلمى واحياء التراث الاسلامى فى كلية الشريعة بجامعة ام القرى مصورة من المكتبة الظاهرية رقم المخطوطة ٧٦٥٩ (ص١) .

فنص على أنها مكية بلا نزاع .

(واعلم أن وصف السورة بأنها مكية أو مدنية يكون تبعا لما يغلب فيها أو تبعا لفاتحتها)[1] .

فالموضوعات التى تعالجها السورة موضوعات مكية ثم إن فاتحتها مكية أيضا لأنها تعالج موضوع البعث ثم خلق السموات والأرض ومافيهما من عوالم أرضية وسماوية[2] .

---

(١) مناهل العرفان للزرقانى (١ : ١٩٢) .

(٢) راجع ص ١١٦ من بحثنا هذا .

(٤) سورة الحج

فهى أيضا من السور المختلف فيها . فالرواية الثانية (عن قتادة) والثالثة (عن عكرمة والحسين بن الحسن) ، والرابعة (عن ابن عباس) والخامسة عن (على بن أبى طلحة) والقول الثامن للزركشى جميعهم ذكروا أنها مدنية . أما أبو القاسم هبة الله بن سلامة فذكر أن هذه السورة تشتمل على المكى والمدنى معا . فقال (أما المكى فمن رأس خمس وعشرين آية إلى آخرها . وأما المدنى فمن رأس خمس وعشرين إلى رأس ثلاثين) . . . . الخ ماقال (١)

قال القرطبى : هى مكية سوى ثلاث آيات قوله تعالى" هذان خصمان" إلى تمام ثلاث آيات . قاله ابن عباس ومجاهد . وعن ابن عباس أيضا أنهن أربع آيات إلى قوله " عذاب الحريق" وقال الضحاك وابن عباس أيضا : هى مدنية . وقال قتادة : إلا أربع آيات " وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى - إلى عذاب يوم عقيم" فهن مكيات . وعد النقاش مانزل بالمدينة عشر آيات وقال الجمهور : السورة مختلطة . منها مكى ومنها مدنى . وهذا هو الأصح (٢) .

وقال السيد قطب : (هذه السورة مشتركة بين مكية ومدنية كما يبدو من دلالة آياتها وعلى الأخص آيات الاذن بالقتال . قال تعالى (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير) إلى قوله تعالى (ولله عاقبة الامور) (٣) .

وآيات العقاب بالمثل قال تعالى (ذلك ومن عاقب بمثل ماعوقب به . . . الاية) (٤) . فالمسلمون لم يؤذن لهم فى القتال والقصاص إلا بعد الهجرة . وبعد قيام الدولة الاسلامية .

---

(١) الناسخ والمنسوخ (ص٦٥) . لابى القاسم هبة الله بن سلامة .
(٢) تفسير القرطبى (١ : ١٢) .
(٣) الحج : ٣٩ - ٤١
(٤) الحج : ٦٠

والذى يغلب على السورة هو موضوعات السور المكية . وجو السور المكية فموضوعات التوحيد والتخويف من الساعة ، وإثبات البعث وإنكار الشرك ومشاهد القيامة[1] . . .)

وأضيف إلى هذا أن هذه السورة الكريمة عنيت بأمور العقيدة الثلاثة وهى الوحدانية والبعث والرسالة . وعلى ذلك فهى مكية إلا الآيات الثلاث.

وإذا نظرنا إلى قوله تعالى (هذان خصمان اختصموا فى ربهم) . . الآية نقول : اخرج ابن البخارى بسنده عن أبى ذر رضى الله عنه أنه كان يقسم قسما أن هذه الآية - هذان خصمان اختصموا فى ربهم - نزلت فى حمزة وصاحبيه ، وعتبة وصاحبيه يوم برزوا فى يوم بدر[2] .

ومعلوم أن غزوة بدر كانت بعد الهجرة فهى إذا آية مدنية .

وقوله تعالى (أذن للذين يقاتلون) الآية .(٣٩)

أخرج أحمد والترمذى وحسنه والحاكم وصححه عن ابن عباس قال خرج النبى صلى الله عليه وسلم من مكة فقال أبو بكر : أخرجوا نبيهم ليهلكن . فأنزل الله (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير)[3] .

فالآية نزلت بعد خروجه من مكة فهى مدنية .

وقوله تعالى (ذلك ومن عاقب بمثل ماعوقب به) الآية .

أخرج ابن أبى حاتم عن مقاتل أنها نزلت فى سرية بعثها النبى صلى الله عليه وسلم فلقوا المشركين لليلتين بقيتا من المحرم ، فقال المشركون بعضهم لبعض : قاتلوا أصحاب محمد فانهم يحرمون القتال فى الشهر الحرام . فناشدهم الصحابة وذكروهم بالله أن لايتعرضوا لقتالهم فانهم لايستحلون القتال فى الشهر الحرام فأبى المشركون ذلك وقاتلوهم وبغوا عليهم فقاتلهم المسلمون ونصروا عليهم . فنزلت هذه الآية[4] .

---

(١) فى ظلال القرآن (٥ : ٥٧٥) .

(٢) فتح البارى (١٠ : ٥٩) ط/البابى وحلبى . صحيح البخارى وعلى هامشه

(٣) لباب النقول فى اسباب النزول للعلامة الامام جلال الدين السيوطى رحمه الله (ص١٥٠) .

(٤) المرجع السابق (ص١٥١) ، وانظر تفسير ابن كثير (٣ : ٢٣٢) .

فالسورة مكية بها آيات مدنية ونحن نحكم على الغالب والمعظم وافتتحت بقوله تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم)[1]. والخطاب بيا أيها الناس من سمات السور المكية غالبا ، والحكم على السورة يكون تبعا لما يغلب فيها أو تبعا لفاتحتها ، والله أعلم . .

---

(١) الحج : ١

(٥) سورة العنكبوت

من خلال دراستى للأقوال الثمانية استنتج أن جميعها لم تورد سورة العنكبوت ضمن السور المدنية باستثناء القول السابع لأبى القاسم هبة الله بن سلامة ذكر أن هذه السورة من المختلف فيها .

فقال : (نزلت من أولها إلى رأس العشر بمكة ومن رأس العشر إلى آخرها بالمدينة)* .

وقد أورد القرطبى الخلاف بالتفصيل .

قال القرطبى : مكية كلها فى قول الحسن وعكرمة وعطاء و جابر .

ومدنية كلها فى أحد قولى ابن عباس وقتادة .

وفى القول الآخر لهما وهو قول يحيى بن سلام أنها مكية إلا عشر آيات من أولها فأنها نزلت بالمدينة فى شأن من كان من المسلمين بمكة .

وقال على بن أبى طالب : نزلت بين مكة والمدينة (١) . ا.هـ

واحتج من قال إنها مكية إلا عشر آيات من أولها بما ورد فى سبب النزول من قوله تعالى فى أول السورة (الم . أحسب الناس أن يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) الآيات . أخرج ابن أبى حاتم عن الشعبى فى قوله (الم أحسب الناس أن يتركوا) الآية .

قال : أنزلت فى إناس كانوا بمكة قد أقروا بالاسلام ، فكتب إليهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة أنه لا يقبل منكم حتى تهاجروا ، فخرجوا عامدين إلى المدينة فتبعهم المشركون فردوهم فنزلت هذه الآية ، فكتبوا إليهم أنه قد نزل فيكم كذا وكذا فقالوا : نخرج فأن اتبعنا أحد قاتلناه ، فخرجوا فاتبعهم المشركون فقاتلوهم ، فمنهم من قتل ومنهم من نجا فأنزل الله فيهم (ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد مافتنوا (٢)) الآية .

---

(١) الجامع لاحكام القرآن للقرطبى (١٣ : ٣٢٣) .

(٢) النحل : ١١٠

(*) ابن سلامة خالف بقوله الجمهور .

وكذلك قوله تعالى : (ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغنى عن العالمين)[1] . ا.هـ[2]

قال القرطبى :" قال ابن عطية : وهذه الآية وإن كانت نزلت بهذا السبب أو مافى معناه من الأقوال فهى باقية فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم موجود حكمها بقية الدهر وذلك أن الفتنة من الله تعالى باقية فى ثغور المسلمين بالأسر ونكاية العدو وغير ذلك وإذا اعتبر أيضا كل موضع ففيه ذلك بالأمراض وأنواع المحن ولكن التى تشبه نازلة المسلمين مع قريش هى ماذكرناه من أمر العدو فى كل ثغر .

قال القرطبى بعد أن أورد رأى ابن عطية السابق : ما أحسن ماقاله ولقد صدق فيما قال رضى الله عنه[3] .

ويرد على من قال إن العشر الآيات الأولى مدنية ماورد فى سبب نزول قوله تعالى (ووصينا الانسان بوالديه حسنا وإن جاهداك لتشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهما إلى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون)[4].

أخرج مسلم بسنده عن مصعب بن سعد عن أبيه أنه نزلت فيه آيات من القرآن قال حلفت أم سعد أن لاتكلمه أبدا حتى يكفر بدينه ولا تأكل ولا تشرب قالت : زعمت أن الله وصاك بوالديك وأنا أمك وآنا آمرك بهذا قال مكثت ثلاثا حتى غشى عليها من الجهد فقام ابن لها يقال له عمارة فسقاها فجعلت تدعو على سعد فأنزل الله عز وجل فى القرآن هذه الآية ووصينا الانسان بوالديه حسنا)[5] .

وأخرجه الترمذى وقال : هذا حديث حسن صحيح .

قلت : فسياق القصة يدل على أنها وقعت بمكة قبل الهجرة فالآية مكية بلا نزاع .

---

(١) العنكبوت : ٦

(٢) لباب النقول فى اسباب النزول لجلال الدين السيوطى (ص١٦٦) ، ط/دار احياء العلوم لبنان ط/٣ ، ١٤٠٠هـ.

(٣) تفسير القرطبى (ص٣٢٤) ، تفسير الطبرى (٢٠ : ١٢٩) .

(٤) العنكبوت : ٨

(٥) صحيح مسلم بشرح النووى (١٥ : ١٨٥) ط/دار الفكر .

قال السيد قطب : سورة العنكبوت مكية . وقد ذكرت بعض الروايات أن الأحدى عشرة آية الأولى مدنية وذلك لذكر (الجهاد) فيها وذكر المنافقين .

ولكنا نقول إن السورة كلها مكية . وقد ورد فى سبب نزول الآية الثامنة أنها نزلت فى إسلام سعد بن أبى وقاص كما سيجىء . وإسلام سعد كان فى مكة بلا جدال . وهذه الآية ضمن الآيات الأحدى عشرة التى قيل إنها مدنية . لذلك نرجح مكية الآيات كلها . أما تفسير ذكر الجهاد فيها فيسير لأنها واردة بصدد الجهاد ضد الفتنة أى جهاد النفس لتصبر ولا تفتن وهذا واضح فى السياق . وكذلك ذكر النفاق فقد جاء بصدد تصوير حالة نموذج من الناس (١) .

قلت يعنى بذلك قوله تعالى (وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين) قال قتادة : نزلت فى القوم الذين ردهم المشركون إلى مكة (٢) .

وخلاصة ماسبق أن من قال إن السورة مكية باستثناء الآيات الأحدى عشر الأولى فجوابه مايلى :

(١) افتتاح السورة الكريمة بحروف المعجم وهذه سمة من سمات السور المكية .

(٢) قوله تعالى (أحسب الناس أن يتركوا) فى شأن من كان من المسلمين بمكة .

(٣) وقوله (ومن جاهد فأنما يجاهد لنفسه) هذا جهاد عام فى دين الله وطلب مرضاته . وليس الجهاد المقصود هو مقاتلة أعداء الدين .

(٤) قوله تعالى (ووصينا الانسان بوالديه حسنا) نزلت فى شأن الصحابى الجليل سعد بن أبى وقاص . وكان إسلامه فى مكة .

(٥) قوله تعالى (وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين) فهى أيضا فى شأن من أسلم من أهل مكة . فكأن الله امتحنهم بفتنة

---

(١) تفسير (فى ظلال القرآن) للسيد قطب (٦ : ٣٨٤) ط/السابعة ١٣٩١ هـ .

(٢) تفسير القرطبى (١٣ : ٢٣٠) .

العذاب والنكال الذى لا قوة من المشركين فمن كان ايمانه قويا وعن يقين فاز برضا ربه ومن كان إسلامه رياء وزيفا لم يصبر على العذاب والفتنة فسرعان ما عاد إلى الشرك والكفر بالله .

وبهذه الأدلة السابقة فانني أرجح أن تكون العشرة الآيات الأولى مكية .

وقد ذكرت فى مطلع الحديث عن هذه السورة قول أبى القاسم هبة الله بن سلامة فقال (نزلت من أولها إلى رأس العشر بمكة ، ومن رأس العشر إلى آخرها بالمدينة) .

فهذا القول الشطر الأول منه يؤيد مارجحته من أن العشر الآيات الأولى مكية . أما الشطر الثانى منه فلا أوافقه عليه . وذلك أننا إذا تتبعنا الآيات نجد أنها تحدثت عن عدد من الأنبياء وذكر قصصهم مع أقوامهم فذكر سبحانه وتعالى قصة نوح عليه السلام .

(١) قال تعالى : (ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون . فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين)[1] .

ثم يذكر الله لنا قصة نبيه إبراهيم عليه السلام .

(٢) قال تعالى : (وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون)[2] الآيات .

وكذلك قصة لوط مع قومه .

(٣) قال تعالى : (ولوطا إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة ماسبقكم بها من أحد من العالمين)[3] .

(٤) وقال تعالى (وإلى مدين أخاهم شعيبا فقال ياقوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا فى الأرض مفسدين)[4] .

ثم قص الله علينا قصة عادٍ وثمود .

---

(١) العنكبوت : ١٤-١٥
(٢) العنكبوت : ١٦
(٣) العنكبوت : ٢٨
(٤) العنكبوت : ٣٦

(٥) قال تعالى : (وعادا وثمودا وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين)[1] .

وأخيرا قصة موسى مع قارون وفرعون وهامان واستكبارهم فى الأرض .

(٦) قال تعالى : (وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا فى الأرض وماكانوا سابقين)[2] .

وقد سبق أن أشرت فى الخصائص الموضوعية للسور المكية أن من تلك الخصائص ذكر قصص الأنبياء مع أقوامهم ولقد كان لهذه القصص دورها الهام فى حياة الدعوة (العهد المكى)[3] .

وأشرت إلى أن وجود القصص فى القسم المكى من أعظم الأدلة على أن القرآن من عند الله إذ لو تأخر نزوله إلى المدينة لقالوا : تعلمه من أهل الكتاب . . أى الموجودين فى المدينة .

ثم أعقب القصص بالأمثال وضرب المثل للذين يتخذون من دون الله أولياء . والأمثال كثيرا ماتكون فى العهد المكى ، والدعوة إلى توحيد الله الخالص .

قال تعالى : (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون) الى قوله تعالى (وتلك الأمثال نضربها للناس ومايعقلها إلا العالمون)[4] .

ومن الدلائل الموجودة فى السورة والتى ترجح مكية السورة قوله تعالى (اتل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ماتصنعون)[5] .

وتتوالى الآيات فى هذه السورة الكريمة باستعجال المشركين (أهل مكة) للعذاب قال تعالى (ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لايشعرون)[6] .

---

(١) العنكبوت : ٣٨
(٢) العنكبوت : ٣٩
(٣) ارجع الى البحث (ص٢٨-٢٩) .
(٤) العنكبوت : ٤٣
(٥) العنكبوت : ٤٥
(٦) العنكبوت : ٥٣

وقال تعالى : (ياعبادى الذين آمنوا إن أرضى واسعة فاياى فاعبدون) . هذه الآية نزلت فى تحريض المؤمنين الذين كانوا بمكة على الهجرة - فى قول مقاتل والكلبى - فأخبرهم الله بسعة أرضه . . فان كنتم فى ضيق من إظهار الأيمان بها (أى بمكة) فهاجروا إلى المدينة فأنها واسعة . لاظهار التوحيد بها (١) .

وقوله تعالى : (وكأين من دابة لاتحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم) قال السيوطى فى الأتقان : (سورة العنكبوت استثنى من أولها إلى (وليعلمن المنافقين) لما أخرجه ابن جرير فى سبب نزولها قلت ويضم اليها (وكأين من دابة) الآية لما أخرجه ابن أبى حاتم فى سبب نزولها) (٢) . ا.هـ

وقد سبق أن بينت بالتفصيل مارجحته من أن الآيات العشرة التى قيل إنها مدنية بأن الأرجح أنها مكية . والتى تنتهى بقوله تعالى (وليعلمن المنافقين) أما قول السيوطى ويضم اليها قوله تعالى (وكأين من دابة) لما أخرجه ابن ابى حاتم واستشهد بحديث ابن عمر فهذا الحديث سنده ضعيف . قال السيوطى فى كتابه (لباب النقول) عند قوله تعالى (وكأين من دابة) أخرج عبد بن حميد وابن أبى حاتم والبيهقى وابن عساكر بسند ضعيف عن ابن عمر قال : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل بعض حيطان المدينة (٣) . فجعل يلتقط من التمر ويأكل فقال لى : يا ابن عمر مالك لاتأكل ؟ قلت : لاأشتهيه قال : لكنى أشتهيه ، وهذا صبح لليلة رابعة لم أذق طعاما ولم أجده ولو شئت لدعوت ربى فأعطانى مثل ملك كسرى وقيصر فكيف بك يا ابن عمر إذا لقيت قوما يخبئون رزق سنتهم ويضعف اليقين قال فوالله مابرحنا ولابرمنا حتى نزلت (وكأين من دابة لاتحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن الله لم يأمرنى بكنز الدنيا ولاباتباع الشهوات ، ألا وإنى لاأكنز دينارا

---

(١) تفسير الرازى (١٣ : ٣٥٧) م٧ . (٢) الإتقان (١ : ١٦) .
(٣) اى احد بساتينها .

ولا درهما ولا اخبأ رزقا للغد)[1] .

قال الرازى بعد أن سرد الحديث: (وهذا ضعيف يضعفه أنه عليه السلام كان يدخر لأهله قوت سنتهم اتفق البخارى عليه ومسلم. وكانت الصحابة يفعلون ذلك وهم القدوة ، وأهل اليقين والأئمة لمن بعدهم من المتقين المتوكلين . وقد روى ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال للمؤمنين بمكة حين أذاهم المشركون " اخرجوا إلى المدينة وهاجروا ولا تجاوروا الظلمة" قالوا : ليس لنا بها دار ولا عقار ولا من يطعمنا ولا من يسقينا . فنزلت " وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم" اى ليس معها رزقها مدخرا ، وكذلك أنتم يرزقكم الله فى دار الهجرة . وهذا أشبه من القول الأول)[2] .

فالآية أرجح أنها مكية وذلك يفهم من سياق رواية ابن عباس.

واختتمت السورة الكريمة بقوله تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين) آ-(٦٩).

فالآية نصت على الجهاد وحثت عليه فالذى يتبادر إلى الذهن بأن الآية مدنية لأن الجهاد فرض فى المدينة .

والصواب ما أشار إليه الرازى فقال (والذين جاهدوا فينا) أى فى طلب مرضاتنا وقال السدى وغيره : إن هذه الآية نزلت قبل فرض القتال . قال ابن عطية: فهى قبل الجهاد العرفى ، وإنما هو جهاد عام فى دين الله وطلب مرضاته .

وبهذا نأتى إلى ختام حديثنا عن هذه السورة التى اتضح لى من خلال دراستى لها أنها مكية ، والله أعلم . .

---

(١) لباب النقول فى اسباب النزول للسيوطى (ص١٦٧) ط/دار احياء العلوم بيروت .

(٢) تفسير القرطبى (١٣ : ٣٦٠) .

(٦) سورة محمد صلى الله عليه وسلم

هذه السورة الكريمة تسمى أيضا سورة القتال وبعضهم يسميها بما فتحت به أى سورة (الذين كفروا) كما ورد ذلك فى الرواية الخامسة عن على بن أبى طلحة وهى من السور المختلف فيها فجميع الروايات التى وردت فى بيان السور المدنية أشارت إلى أن هذه السورة مدنية بل ذكر ابن الحصار فى الرواية السادسة أنها من المتفق على مدنيتها . غير أن أبا القاسم هبة الله بن سلامة ذكرها من السور المختلف فيها وشبهها بالسور المدنية . فقال فى كتابه الناسخ والمنسوخ :

(وهى من السور المختلف فى تنزيلها ، فقالت طائفة نزلت بمكة وقال آخرون نزلت بالمدينة ، وهى إلى تنزيل المدينة أشبه ، والله أعلم)[1] . ا.هـ

وقد فصل الخلاف فى ذلك القرطبى فقال :

(مدنية فى قول ابن عباس، ذكره النحاس) .

وقال الماوردى : فى قول الجميع[2] إلا ابن عباس وقتادة فأنهما قالا : إلا آية منها نزلت عليه بعد حجة الوداع حين خرج من مكة وجعل ينظر إلى البيت وهو يبكى حزنا عليه فنزل (وكأين من قرية هى أشد قوة من قريتك) .

وقال الثعلبى : إنها مكية ، وحكاه ابن هبة[3] الله عن الضحاك وسعيد بن جبير[4] . ا.هـ

فقوله : (إلا آية نزلت عليه بعد حجة الوداع حين خرج من مكة وجعل ينظر إلى البيت وهو يبكى حزنا عليه فنزل (وكأين من قرية هى أشد قوة من قريتك) الآية . يشير إلى أن السورة مدنية إلا الآية السابقة فانها نزلت بمكة وذكر سبب النزول . وهو على قوله هذا مبنى

---

(١) الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص٨٥) .
(٢) اى مدنية .
(٣) نلاحظ ان نقل الثعلبى عن ابن هبة الله مخالف لما ذكرته قبل من كتابه الناسخ والمنسوخ . انظر ص ٣٧ من بحثنا هذا.
(٤) تفسير القرطبى (١٦ : ٢٢٣) م٨ .

على أن المكى مانزل بمكة ولو بعد الهجرة .

والمشهور : هو ان المكى مانزل قبل الهجرة والمدنى مانزل بعدها ولو فى مكة فعليه تكون الآية مدنية .

والذى ذكره القرطبى أن الآية نزلت عليه بعد حجة الوداع ليس بصواب ، والصواب هو مانقله الخازن والخطيب بل والقرطبى نفسه عند تفسير هذه الآية أنها نزلت لما خرج من مكة الى الغار مهاجرا لأنه هو الذى يناسبه التوعد بقوله (وكأين من قرية) الآية . أما على أنها نزلت بعد حجة الوداع حين خرج من مكة فلايظهر هذا الوعيد لأنه فى حجة الوداع فارقها مختارا بعد ماصارت دار اسلام وأسلم جميع أهلها (١) فالآية مدنية لأنها نزلت بعد الهجرة .

فالسورة مدنية وموضوعها القتال . فالقتال لم يشرع إلا بها (فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال وكذلك تحدثت عن المنافقين ، قال تعالى : رأيت الذين فى قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشى عليه من الموت فأولى لهم) (٢) . وهذه أيضا سمة من سمات السور المدنية كما هو معلوم .

وبهذا يتبين ان السورة مدنية .

---

(١) انظر الفتوحات الالهية للشيخ سليمان بن عمر العجيلى الشافعى الشهير بالجمل المتوفى سنة ١٢٠٤ هـ (٤ : ١٤٠) ط/عيسى البابى الحلبى بمصر .

(٢) سورة محمد : ٢١

(٧) سورة الرحمن

هذه السورة الكريمة سورة الرحمن من المختلف فيها أهى مكية أم مدنية ؟

فإذا تتبعنا الروايات نجد أن الرواية الثانية عن قتادة والرواية الثالثة عن عكرمة والحسين بن أبى الحسن ، والرواية الرابعة عن ابن عباس، والقول الثامن عن الزركشى ذكروا أنها مدنية .

والقول السادس عن ابن الحسن بن الحصار والقول السابع عن أبى القاسم هبة الله بن سلامة ذكرا أنها من المختلف فيه .

والرواية الخامسة عن على بن أبى طلحة لم يذكرها ضمن المدنى وقال ماعدا ذلك فهو مكى .

قال القرطبى : [مكية كلها فى قول الحسن وعروة بن الزبير وعكرمة وعطاء وجابر . وقال ابن عباس إلا آية منها هى قوله تعالى" يسأله من فى السموات والأرض" الآية (٢٩) .

وقال ابن مسعود ومقاتل : هى مدنية كلها . والقول الأول أصح لما روى عروة بن الزبير قال : أول من جهر بالقرآن بمكة بعد النبى صلى الله عليه وسلم ابن مسعود ، وذلك أن الصحابة قالوا ماسمعت قريش هذا القرآن يجهر به قط . فمن رجل يسمعهموه ؟ فقال ابن مسعود : أنا فقالوا : إنا نخشى عليك وانما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه ، فأبى ثم قام عند المقام فقال " بسم الله الرحمن الرحيم ـ الرحمن علم القرآن" ثم تمادى رافعا بها صوته وقريش فى أنديتها . فتأملوا وقالوا : مايقول ابن أم عبد ؟ قالوا : هو يقول الذى يزعم محمد أنه أنزل عليه ، ثم ضربوه حتى اثروا فى وجهه .

وصح أن النبى صلى الله عليه وسلم قام يصلى الصبح بنخلة فقرأ سورة (الرحمن) ومر النفر من الجن فآمنوا به .

وفى الترمذى عن جابر قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه فقرأ عليهم سورة (الرحمن) من أولها إلى آخرها فسكتوا

فقال " لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردودا منكم كنت كلما أتيت على قوله " فبأى آلاء ربكما تكذبان" قالوا ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد . قال : هذا حديث غريب .(١)

وفى هذا دليل على أنها مكية والله اعلم .(٢)

قال السيوطى : الجمهور على أنها مكية وهو الصواب .

ويدل له ماروواه الترمذى والحاكم عن جابر قال لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه سورة (الرحمن) . . . . وذكر الحديث السابق .

وقال رحمه الله : وأصرح منه فى الدلالة ما أخرجه أحمد فى مسنده بسند جيد عن أسماء بنت أبى بكر قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى نحو الركن قبل أن يصدع بما يؤمر والمشركون يسمعون (فبأى آلاء ربكما تكذبان)(٣) وفى هذا دليل على تقدم نزولها على سورة الحجر .(٤) ا.هـ

ومن القرائن التى ترجح مكية السورة نجد أنها تميزت بما تميزت به السور المكية أسلوبا وموضوعا . فمن حيث الأسلوب نلاحظ تميزها بفواصلها القصيرة ووجازة العبارة كما هو الحال فى السور المكية . قال تعالى (الرحمن علم القرآن خلق الأنسان ، علمه البيان . . . الآية) .

أما موضوعها هو الأعلام بآلاء الله الباهرة الظاهرة بالبراهين القطعية فهو خالق الكون بما فيه من الآيات الكونية المشاهدة كالشمس والقمر والنجم والشجر . . . الخ وبينت حال الجاحدين لألوهية الخالق والمؤمنين به وما أعده لكل منهم .

وبهذا يتبين لنا أن سورة الرحمن مكية ، والله أعلم . .

---

(١) رواه الترمذى (٥ : ٣٩٩) ط/المكتبة الاسلامية لصاحبها الحاج رياض الشيخ وقال ابو عيسى : هذا حديث غريب لا نعرفه الا من حديث الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد . قال ابن حنبل كأن زهير بن محمد الذى وقع بالشام ليس هو الذى يروى عنه بالعراق كأنه رجل آخر قلبوا اسمه ، يعنى لما يروون عنه من المناكير .
واخرجه الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين ولما يخرجاه (٢ : ٤٧٣) .

(٢) تفسير القرطبى (١٧ : ١٥١) م٩ .

(٣) مسند الامام احمد (٣ : ٣٤٩) .

(٤) الاتقان للسيوطى (١ : ١٣) .

(٨) سورة الصف

من خلال تتبعى للروايات الواردة عن المدنى نجد أن جميع الروايات ذكرت أن سورة الصف مدنية باستثناء الرواية السادسة لابن الحصار فقد ذكر هذه السورة من المختلف فيها .

فقيل إنها مكية وهو قول عكرمة والحسن وقتادة وجزم به الزمخشرى والمختار أنها مدنية وهو قول الجمهور.(١)

وقال القرطبى : مدنية فى قول الجميع . فيما ذكر الماوردى .

وقيل : إنها مكية ، ذكره النحاس عن ابن عباس .(٢)

قال السيوطى : المختار أنها مدنية . ونسبه ابن الغرس إلى الجمهور ورجحه ويدل له ما أخرجه الحاكم(٣) عن عبد الله بن سلام قال قعدنا نفرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتذاكرنا فقلنا لو نعلم أى الأعمال أحب إلى الله لعملناه فأنزل الله سبحانه (سبح لله مافى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون) حتى ختمها قال عبد الله فقرأها علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ختمها .(٤)

فهذه الرواية عن عبد الله بن سلام وهو من الصحابة الذين كان إسلامهم فى المدينة بعد هجرة النبى صلى الله عليه وسلم إلى المدينة .

أضف إلى ذلك أن موضوع هذه السورة هو الحث على الجهاد فى سبيل الله والثبات عليه والجهاد فرض على الأمة فى المدينة .

قال تعالى : (إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص)(٥) .

---

(١) انظر الفتوحات الالهية (٤ : ٣٣٥) ط/البابى الحلبى بمصر .
(٢) تفسير القرطبى (١٨ : ٧٧) م ٩
(٣) اخرجه الحاكم (٢ : ٤٨٧) واللفظ للترمذى (٥ : ٤١٢) .
(٤) الاتقان للسيوطى (١ : ١٣) .
(٥) آية (٤) .

وقد تضمنت السورة الحديث عن أهل الكتاب وبيان سلوكهم مع أنبيائهم ومالاقوه من الأيذاء وكشف نواياهم وماتكنه نفوسهم من العداء والمقت لدين الله ، قال تعالى (يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون)(١) .

وأخيرا نلاحظ تعدد الخطاب بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا) ثلاث مرات وهو أحد خصائص السور المدنية(٢) .

قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون)(٣) .

وقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم)(٤) .

وقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله)(٥) الآية .

فجميع تلك القرائن التي تقدمت بالاضافة إلى حديث عبد الله بن سلام تدفعني إلى أن أرجح أن سورة الصف مدنية .

---

(١) آية (٨) .
(٢) انظر الى موضوع خصائص السور والايات المدنية من ناحية الاسلوب (ص ٤٧) من بحثنا هذا .
(٣) آية (٢) .
(٤) آية (١٠) .
(٥) آية (١٤) .

(٩) سورة التغابن

سورة التغابن من السور المختلف فى نزولها هل هى مكية أو مدنية؟ فمن خلال النظر فى الروايات الثمانية أجد أن جميعها اتفقت على أنها مدنية باستثناء القول السادس لابن الحصار فقد ذكرها من السور المختلف فيها . . ولم تشر أية رواية من تلك الروايات بأن السورة مكية .

قال القرطبى : مدنية فى قول الأكثرين . وقال الضحاك : مكية وقال الكلبى : هى مكية ومدنية وهى ثمانى عشرة آية . وعن ابن عباس أن (سورة التغابن) نزلت بمكة ، إلا آيات من آخرها نزلت بالمدينة فى عوف بن مالك الأشجعى ، شكا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم جفاء أهله وولده ، فأنزل الله عز وجل " يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم" إلى آخر السورة (١) . ا . هـ (٢)

وقال السيوطى : (سورة التغابن) قيل مدنية وقيل مكية إلا آخرها .

قال السيد قطب (هذه السورة أشبه شىء بالسور المكية فى موضوعها وفى سياقها وفى ظلالها وإيحاءاتها وبخاصة المقاطع الأولى منها . فلا يكاد الجو المدنى يتبين إلا فى فقراتها الأخيرة . فالفقرات الأولى إلى ابتداء النداء" يا أيها الذين آمنوا" . . . تستهدف بناء أسس العقيدة . . . وتعرض عليهم مشاهد القيامة لإثبات البعث وتوكيده توكيدا شديدا يدل على أن المخاطبين به من المنكرين الجاحدين .

قال تعالى (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا . قل : بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير) (٣) .

فأما الفقرات الأخيرة فهى تخاطب الذين آمنوا بما يشبه خطابهم فى السور المدنية ، تحثهم على الإنفاق وتحذرهم فتنة الأموال والأولاد وهى الدعوة التى تكررت نظائرها فى العهد المدنى بسبب مقتضيات الحياة

---

(١) تفسير القرطبى (١٨ : ١٣١) م٩ . (٢) الاتقان للسيوطى (١٤:١)
(٣) آية (٧) .

الاسلامية الناشئة فيها . . . . .الخ

ولقد وردت روايات أن السورة مكية . ووردت روايات أخرى أنها مدنية مترجيحها وكدت اميل[1] إلى اعتبارها مكية تأثرا بأسلوب الفقرات الأولى فيها وجوهاولكني أبقيت اعتبارها مدنية ـ مع الرأى الراجح فيها ـ لانه ليس مايمنع ان تكون الفقرات الأولى خطابا للكفار بعد الهجرة سواء أكانوا كفار مكة أم الكفار القريبين من المدينة . كما أنه ليس مايمنع أن يستهدف القرآن المدنى في بعض الأحيان جلاء أسس العقيدة وإيضاح التصور الاسلامى ، بهذا الأسلوب الغالب على أسلوب القرآن المكى)[2] .

قلت : وهذا الذى أشار إليه السيد قطب رحمه الله عين الصواب. فالسورة مدنية لأن معظم الروايات أشارت إلى أنها مدنية وليس هناك رواية جزمت بمكية السورة ثم إن ماورد فيها من الآيات الشبيهة بنزول الآيات المكية ليس معنى هذا أن السورة مكية ، إذ لايمنع أن تعالج السور المدنية الواقع الأليم الذى يعيشه المجتمع المكى . فالقرآن كتاب هداية نزل به جبريل على قلب نبينا الكريم صلوات الله وسلامه عليه لاصلاح الأمة وهدايتها لايختص بمكان ولابزمان . فأذا مانزل بمكة أو بالمدينة فهو يخاطب الناس جميعا . وإذا كان نزوله قبل الهجرة أو بعدها فهو أيضا يخاطب الأمة جميعها . فأذا مانزل بالمدينة آيات تدعو إلى تثبيت العقيدة الصحيحة الخالية من الشوائب وإلى الأيمان باليوم الآخر وإلى تقرير حقيقة البعث وأن المؤمنين مردهم إلى النعيم والجاحدين مآلهم إلى الجحيم والعياذ بالله فليس معنى هذا أن نحكم على أن الآيات مكية .

ومن المعلوم أن الآيات والسور المدنية اهتمت بالتشريع والجهاد والرد على أهل الكتاب إلى غير ذلك مما عنى به القسم المدنى ، ومع ذلك لم تغفل التوجيه والارشاد للكفار جميعا وغيرهم وكما سبق أن بينت فالقرآن لم يخاطب أهل مكة بشخصهم وإنما يخاطب الأمة بأكملها ولم

---

(١) هكذا قال .

(٢) انظر تفسير ظلال القرآن (٨ : ١١٩) .

يخاطب أهل المدينة بشخصهم وإنما يخاطب العالم أجمع . وعلى ذلك فالآيات التى تكلمت عن البعث فى أثناء هذه السورة هى كذلك مدنية لأنه لم يقم دليل صحيح على مكيتها . ثم إن البعث كما يذكر فى السور المكية يذكر كذلك فى السور المدنية .

أما الجزء الأخير من هذه السورة وهو قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم) الآيات .

فلا خلاف فى أن نزوله كان فى المدينة .

أخرج الترمذى بسنده عن عكرمة عن ابن عباس سأله رجل عن هذه الاية (يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم) قال : هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة وأرادوا أن يأتوا النبى صلى الله عليه وسلم فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم أن يأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم رأوا الناس قد فقهوا فى الدين(١) هموا ان يعاقبوهم فأنزل الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم) الاية . قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح .(٢)

وأخرجه الحاكم أيضا وقال : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه .(٣)

وبهذا يتبين لنا أن سورة التغابن من السور المدنية ، والله أعلم . .

---

(١) اى يعذبوا ازواجهم واولادهم الذين منعوهم من اتيان الرسول صلى الله عليه وسلم . ا.هـ سنن الترمذى .

(٢) سنن الترمذى (٥ : ٤١٩) .

(٣) المستدرك للحاكم (٢ : ٤٩٠) .

(١٠) سورة الأنسان

سورة الأنسان من السور المختلف فى نزولها لاختلاف الروايات الواردة فيها . فالرواية الثانية عن قتادة والخامسة عن على بن أبى طلحة والسادسة عن ابن الحصار لم يذكروها ضمن السور المدنية .

والقول السابع لابن سلامة ذكرها من السور المختلف فيها وقال : نزلت بالمدينة ، وقيل بمكة ، وهى إلى نزول المدينة أشبه[1] .

والرواية الثالثة عن عكرمة والحسين بن أبى الحسن والرابعة عن ابن عباس والقول الثامن للزركشى ذكروا أنها مدنية .

قال القرطبى : مكية فى قول ابن عباس ومقاتل والكلبى . وقال الجمهور : مدنية وقيل : فيها مكى ، من قوله " إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا "[2] إلى آخر السورة . وماتقدمه مدنى[3] . ا.هـ

وقال السيد قطب : فى بعض الروايات إن هذه السورة مدنية ولكنها مكية ، ومكيتها ظاهرة جدا فى موضوعها وفى سياقها ، وفى سماتها كلها ، لهذا رجحنا الروايات الأخرى القائلة بمكيتها ، بل نحن نلمح من سياقها أنها من بواكير مانزل من القرآن المكى . .

فصور النعيم الحسية المفصلة الطويلة متمثلة فى قوله (إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا . . .الآيات[4]) إلى قوله (إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا) .

وصور العذاب الغليظ متمثلة فى قوله (إنا أعتدنا للكافرين سلاسلا واغلالا وسعيرا)[5]

وتوجيه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الصبر لحكم ربه وعدم طاعته آثما

---

(١) الناسخ والمنسوخ لابى القاسم هبة الله بن سلامة (ص٩٧) .
(٢) آية ٢٣
(٣) تفسير القرطبى (١٩ : ١١٨) م١٠ .
(٤) من آية ٥ الى آية ٢٢ .
(٥) آية ٤

أو كفورا مع اهمال المشركين وتثبيت الرسول صلى الله عليه وسلم على الحق . . . واحتمال أن هذه السورة مدنية - في نظرنا - هو احتمال ضعيف جدا يمكن عدم اعتباره[1] .

قال السيوطي[2] : سورة الانسان قيل مدنية وقيل مكية إلا آية واحدة (ولا تطع منهم آثما أو كفورا)[3] .

وأقول أيضا ان هذه الآية مكية ، فقد أخرج عبدالرزاق وابن جرير وابن المنذر عن قتادة أنه بلغه أن أبا جهل قال : لئن رأيت محمدا يصلي لأطأن عنقه ، فأنزل الله " ولا تطع منهم آثما أو كفورا "[4] . فالأثر السابق يدل على أن الآية مكية .

وعلى ذلك فأنني أرجح أن السورة كلها مكية ، والله أعلم . .

---

(١) باختصار وتصرف من ظلال القرآن للسيد قطب (٨ : ٣٩١) .
(٢) الاتقان للسيوطي (١ : ١٤) .
(٣) آية ٢٤ .
(٤) لباب النقول في اسباب النزول لجلال الدين السيوطي (ص٢٢٦) .

(١١) سورة عبس

وهى من السور المختلف فى تنزيلها فقيل مكية وقيل مدنية .

أما الروايات السابقة فليس هناك أى رواية ذكرت أنها مدنية فالرواية الثانية عن قتادة والخامسة عن على بن ابى طلحة والقول السادس لابن الحصار والقول الثامن للزركشى لم يذكروها ضمن المدنى بل إن الرواية الثالثة عن عكرمة والحسين بن أبى الحسن ، والرابعة عن ابن عباس ذكروها ضمن السور المكية .

أما القول السابع للقاسم هبة الله بن سلامة فقال : وهى إحدى السور السبعة عشر المختلف فى تنزيلها .(١)

قال القرطبى : مكية فى قول الجميع وهى إحدى وأربعون آية .(٢)

ويؤيد مكية السورة ماورد فى سبب نزولها ، أخرج الترمذى والحاكم بسندهما عن عائشة رضى الله عنها قالت : أنزل (عبس وتولى) فى ابن أم مكتوم الأعمى . أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول يارسول الله أرشدنى وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من عظماء المشركين فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض عنه ويقبل على الآخر ويقول : أترى بما نقول بأسا ، فيقال لا ، ففى هذا أنزل .

قال أبو عيسى : هذا حديث غريب .(٣)

وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه فقد أرسله جماعة عن هشام بن عروة .(٤)

فالحديث يفهم منه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعرض الإسلام على أحد صناديد قريش الذين يرجى فى إسلامهم دخول كثير من أتباعهم إلى الاسلام . فالقصة لا خلاف أنها كانت بمكة قبل الهجرة .

---

(١) الناسخ والمنسوخ لابى القاسم هبة الله (ص٩٨) .
(٢) تفسير القرطبى (١٩ : ٢١١) م ١٠ .
(٣) سنن الترمذى (٥ : ٤٣٢) .
(٤) المستدرك للحاكم (٢ : ٥١٤) .

فالروايات كلها مجمعة على أنها بمكة ولم تذكر أية رواية أنها نزلت بالمدينة . وكذلك الحديث الوارد في سبب نزولها كل هذا يؤكد أن السورة مكية .

نضيف إلى ذلك أن موضوعات السورة هي من علامات المكي حيث ذكر فيها خلق الانسان وحياته ثم موته وذكر فيها النشور والجزاء الأخروى وأيضا ذكر فيها من نعم الله على الانسان نعمة الاطعام والتفكه وكذلك الأنعام إلى غير ذلك .

قال تعالى (من أى شيء خلقه) الآيات .

والله اعلم . .

(١٢) سورة المطففين

وهى من السور المختلف فى نزولها . فالرواية الثانية عن قتادة والرواية الخامسة عن على بن أبى طلحة والقول الثامن للزركشى لم يذكروها ضمن السور المدنية . والرواية الثالثة عن عكرمة والحسين بن أبى الحسن ذكراها ضمن السور المكية . والقول السادس لابن الحصار والسابع لأبى القاسم هبة الله عداها من المختلف فيه .

قال القرطبى : مكية فى قول ابن مسعود والضحاك ومقاتل ومدنية فى قول الحسن وعكرمة وهى ست وثلاثون آية .

قال مقاتل : وهى أول سورة نزلت بالمدينة[1] ، وقال ابن عباس وقتادة : مدنية إلا ثمان آيات من قوله " إن الذين أجرموا" الى آخرها مكى .

وقال الكلبى وجابر بن زيد : نزلت بين مكة والمدينة[2] .

وقال السيوطى : قال ابن الفرس: قيل إنها مكية لذكر الأساطير فيها وقيل مدنية لأن أهل المدينة كانوا أشد الناس فسادا فى الكيل وقيل نزلت بمكة إلا قصة التطفيف وقال قوم نزلت بين مكة والمدينة . انتهى

قلت : أخرج النسائى[3] وغيره بسند صحيح عن ابن عباس قال لما قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة كانوا من أخبث الناس كيلا فأنزل الله (ويل للمطففين) فأحسنوا الكيل[4] .

قال القرطبى : بعد أن اورد الحديث الذى رواه النسائى والذى ذكره السيوطى قال الفراء : فهم من أوفى الناس كيلا إلى يومهم هذا

---

(١) هكذا ذكر القرطبى عن مقاتل

(٢) تفسير القرطبى (١٩ : ٢٥٠) م ١٠ .

(٣) الحاكم فى المستدرك (٢ : ٣٣) وقال صحيح الاسناد واقره الذهبى راجع الصحيح المسند من اسباب النزول بحث مقبل الوادعى (ص ١٧٢) ط/مكتبة السعادة . وأخرجه ابن ماجه (٢ : ٧٤٨)

(٤) الاتقان للسيوطى (١ : ١٤) .

وعن ابن عباس أيضا قال : أول سورة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة نزل بالمدينة وكان هذا فيهم . كانوا إذا اشتروا استوفوا بكيل راجح ، فاذا باعوا بخسوا المكيال والميزان ،فلما نزلت هذه السورة انتهوا فهم أوفى الناس كيلا إلى يومهم هذا .

وقال قوم : نزلت فى رجل يعرف بأبى جهينة واسمه عمرو ، كان له صاعان يأخذ باحدهما ويعطى بالآخر ، قاله أبو هريرة رضى الله عنه .(١)

فالسورة مطلعها مدنى إلى قوله (يوم يقوم الناس لرب العالمين) ومابعد هذه الآية مكى بدليل ذكر لفظ " كلا" .

وأيضا فأن استهزاء الكفرة بالمؤمنين وضحكهم منهم هذا كان فى مكة وقد ذكر فى آخر السورة (إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون وإذا مروا بهم يتغامزون) الآيات . . .إلخ السورة .

---

(١) تفسير القرطبى (٢٠ : ٢٥٢) .

(١٣) سورة الفجـر

جميع الروايات والأقوال أشارت إلى أن سورة الفجر مكية باستثناء الرواية الخامسة عن علي بن أبي طلحة ذكرها من السور المدنية[١].

قال السيوطي : (فيها قولان حكاهما ابن الغرس، قال ابن الغرس قال ابن حبان والجمهور إنها مكية)[٢].

قال الشوكاني : (وهي مكية بلا خلاف. وأخرج ابن الضريس والنحاس في ناسخه وابن مردويه والبيهقي من طرق عن ابن عباس قال نزلت (والفجر) بمكة وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير وعائشة مثله)[٣].

وإذا استعرضنا أسلوب السورة وجدنا الأسلوب المكي واضحا جليا فنلاحظ افتتاحها بالقسم - قال تعالى (والفجر . وليال عشر. والشفع والوتر . والليل إذا يسر . هل في ذلك قسم لذي حجر؟) .

ثم ذكر تعالى أحوال الأمم السابقة وكيف كانت نهاية تكذيبهم لأنبيائهم (ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد . التي لم يخلق مثلها في البلاد وثمود الذين جابوا الصخر بالواد . وفرعون ذي الأوتاد . الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد . فصب عليهم ربك سوط عذاب . إن ربك لبالمرصاد) ثم تلاحظ تكرر أداة الردع والزجر (كلا) والتي لا ترد إلا في السور المكية[٤].

قال تعالى : (كلا ، بل لا تكرمون اليتيم ، ولا تحاضون على طعام المسكين) الآيات (١٧ - ١٨) .

(كلا إذا دكت الأرض دكا دكا . وجاء ربك والملك صفا صفا) الآيات (٢١-٢٢).

وفيها تهديد شديد ليوم الجزاء والحساب وذكر الجنة والنار، كل هذا فيه دلالة على أن الآيات مكية. وأخيرا خلوها من التشريع الذي حفل به القرآن المدني . كل هذه الاعتبارات جعلتني أرجح مكية السورة . والله أعلم.

---

(١) انظر (ص ٣٥-٣٦) من هذا البحث .
(٢) الاتقان (١ : ١٤) .
(٣) فتح القدير للشوكاني (٥ : ٤٣٢) .
(٤) راجع ص ١٧ من بحثنا هذا .

(١٤) سورة الليل

من خلال النظر فى الروايات الواردة فى تحديد السور المدنية والمكية نلاحظ أن جميع الروايات لم تورد ها ضمن السور المدنية ماعدا الرواية الخامسة عن على بن أبى طلحة ذكر أنها مدنية ، والقول السابع لابن سلامة ذكرها من المختلف فيها .

ونلاحظ أن الرواية الثالثة عن عكرمة والحسين بن ابى الحسن والرواية الرابعة عن ابن عباس ذكراها فى عداد السور المكية .

قال الشوكانى : (وهى مكية عند الجمهور ، وقيل مدنية . وأخرج ابن الضريس والنحاس والبيهقى عن ابن عباس قال نزلت سور (والليل إذا يغشى) بمكة)[1] .

قال الرازى : (قال القفال رحمه الله نزلت هذه السورة فى أبى بكر وانفاقه على المسلمين وفى أمية بن خلف وبخله وكفره بالله ، ألا وإن كانت كذلك لكن معانيها عامة للناس)[2] .

قلت: وأمية بن خلف عاش فى مكة قبل الهجرة فهى مكية . وقال السيوطى : (الأشهر أنها مكية وقيل مدنية لما ورد فى سبب نزولها من قصة النخلة . كما أخرجناه فى أسباب النزول . وقيل فيها مكى ومدنى)[3] .

أما قوله (وقيل مدنية لما ورد فى سبب نزولها من قصة النخلة . . . .) فقد أخرج ابن أبى حاتم وغيره من طريق الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس أن رجلا كانت له نخلة فرعها فى دار رجل فقير ذى عيال فكان الرجل إذا جاء الدار صعد إلى النخلة ليأخذ منها الثمرة فربما تقع ثمرة فيأخذ ها صبيان الفقير . فينزل من نخلته فيأخذ الثمرة من أيديهم وأن وجد ها فى فم أحد هم أدخل أصباعه حتى يخرج الثمرة من فيه . فشكا ذلك الرجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : اذهب ، ولقى النبى صلى الله عليه وسلم صاحب النخلة ، فقال له : اعطنى نخلتك التى فرعها

---

(١) فتح القدير (٥ : ٤٥١) .
(٢) تفسير الرازى (٣١ : ١٩٧) .
(٣) الاتقان للسيوطى (١ : ١٤) .

فى دار فلان ولك بها نخلة فى الجنة ، فقال الرجل : لقد أعطيت وإن لى نخلا كثيرا ومافيه نخلة أعجب إلى ثمرة منها ، ثم ذهب الرجل ولقى رجلا كان يسمع الكلام من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن صاحب النخلة ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتعطينى يارسول الله ما أعطيت الرجل إن أنا اخذتها ؟ فقال نعم . فذهب الرجل فلقى صاحب النخلة ولكليهما نخل ، فقال له صاحب النخلة أشعرت أن محمدا صلى الله عليه وسلم أعطانى بنخلتى الماثلة فى دار فلان نخلة فى الجنة فقلت له : لقد اعطيت ولكن يعجبنى ثمرها . ولى نخل كثير مافيه نخلة أعجب إلى ثمرة منها ، فقال له الآخر: أتريد بيعها ، فقال لا إلا أن أعطى بها ما أريد ولا أظن أن أعطى ، فقال فكم مناك منها ؟ فقال اربعون نخلة . فقال لقد جئت بأمر عظيم ، ثم سكت عنه فقال له : أنا اعطيك اربعين نخلة فاشهد لى إن كنت صادقا ، فدعا قومه فأشهد له ، ثم ذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : يارسول الله إن النخلة قد صارت لى وهى لك فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صاحب الدار فقال له النخلة لك ولعيالك فأنزل (والليل إذا يغشى) إلى آخر السورة[1] .

قال ابن كثير : حديث غريب جدا[2] .

وأخرج الواحدى بسنده عن ابن إسحاق ، عن عبد الله ، أن أبا بكر اشترى بلالا من أمية بن خلف ببرده وعشر أواق ، فأعتقه ، فأنزل الله تبارك وتعالى - والليل إذا يغشى - إلى قوله إن سعيكم لشتى سعى أبى بكر وأمية ابن خلف[3] .

وأخرج الحاكم بسنده عن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال أبو قحافة لأبى بكر أراك تعتق رقابا ضعافا فلو أنك إذ فعلت مافعلت أعتقت رجالا جلدا يمنعونك ويقومون دونك فقال: يا أبت إنى إنما أريد ما أريد

---

(١) لباب النقول فى اسباب النزول للسيوطى (٢٢٩) .
(٢) تفسير ابن كثير (٤ : ٥٢٠) .
(٣) اسباب النزول للواحدى تحقيق الاستاذ سيد صقر (ص٤٨٦) .

(لما نزلت هذه الآيات فيه) -

(فأما من أعطى واتقى) إلى قوله (ومالأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى) هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه (١) .

ونضيف إلى ذلك أن السورة بدئت بالقسم مثل سابقتها ولاحقتها والكل مكي .

---

(١) المستدرك للحاكم (٢ : ٥٢٥) .

(١٥) سورة القدر

اختلفت الروايات والأقوال فى سورة القدر فالرواية الثالثة عن عكرمة والرابعة عن ابن عباس ذكراها ضمن السور المكية ، والرواية الثانية عن قتادة لم تذكرها ضمن السور المدنية فهى أيضا كأنها تشير إلى أنها مكية . وكذلك القول الثامن للزركشى لم يوردها ضمن المدنى . أما الرواية الخامسة لعلى بن أبى طلحة والقول السابع لابن سلامه فذكرا أنها مدنية والقول السادس لابن الحصار ذكر أنها من المختلف فيه .

قال السيوطى : (فيها قولان والأكثر أنها مكية ويستدل لكونها مدنية بما أخرجه الترمذى والحاكم عن الحسن بن على أن النبى صلى الله عليه وسلم أُرِيَ بنى أمية على منبره فساءه ذلك فنزلت (انا اعطيناك الكوثر . وانا انزلناه فى ليلة القدر) الحديث قال المزى وهو حديث منكر)[1] .

والحديث رواه الترمذى بسنده عن يوسف بن سعد قال : قام رجل إلى الحسن بن على بعد ما بايع معاوية ، فقال : سودت وجوه المؤمنين ، أو يا مسود وجوه المؤمنين ، فقال : لا تؤنبنى رحمك الله ، فان النبى صلى الله عليه وسلم ارى بنى أمية على منبره فساءه ذلك فنزلت (إنا اعطيناك الكوثر) يا محمد يعنى نهرا فى الجنة ، ونزلت (إنا أنزلناه فى ليلة القدر ، وما أدراك ما ليلة القدر . ليلة القدر خير من الف شهر) يملكها بنو أمية يا محمد . قال القاسم : فعددناها فاذا هى ألف شهر لا يزيد يوم ولا ينقص . قال أبو عيسى (هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث القاسم بن الفضل)[2] .

قال ابن كثير : وقول القاسم بن الفضل الحدانى إنه حسب مدة بنى أمية فوجدها ألف شهر لا تزيد يوما ولا تنقص ليس بصحيح فان معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه استقل بالملك حين سلم إليه الحسن بن على

---

(١) الاتقان (١ : ١٤) .
(٢) سنن الترمذى (٥ : ٤٤٥) .

الإمره سنة أربعين . واجتمعت البيعة لمعاوية وسمى ذلك عام الجماعة ثم استمروا فيها متتابعين بالشام وغيرها لم تخرج عنهم إلا مدة دولة عبد الله بن الزبير في الحرمين والأهواز وبعض البلاد قريبا من تسع سنين لكن لم تزل يدهم عن الامرة بالكلية بل عن بعض البلاد إلى أن استلبهم بنو العباس الخلافة في سنة اثنتين وثلاثين ومائة فيكون مجموع مدتهم اثنتين وتسعين سنة وذلك أزيد من ألف شهر . فإن الألف شهر عبارة عن ثلاث وثمانين سنة وأربعة أشهر وكأن القاسم بن الفضل أسقط من مدتهم أيام ابن الزبير . وعلى هذا يقارب ماقاله الصحة في الحساب والله أعلم .

ومما يدل على ضعف الحديث أنه سبق لذم دولة بني أمية ولو أريد ذلك لم يكن بهذا السياق فإن تفضيل ليلة القدر على أيامهم لايدل على ذم أيامهم فإن ليلة القدر شريفة جدا والسورة الكريمة إنما جاءت لمدح ليلة القدر فكيف تمدح بتفضيلها على أيام بني أمية التي هي مذمومة بمقتضى هذا الحديث .

وهل هذا الا كما قال القائل :

ألم تر أن السيف ينقص قدره ... إذا قيل إن السيف أمضى من العصا

وقال آخر:

إذا أنت فضلت امرءا ذا براعة ... على ناقص كان المديح من النقص

ثم الذي يفهم من الحديث أن الألف شهر المذكورة في الآية هي أيام بني أمية والسورة مكية فكيف يحال على ألف شهر هي دولة بني أمية ولا يدل عليها لفظ الآية ولا معناها . والمنبر إنما صنع بالمدينة بعد مدة من الهجرة فهذا كله مما يدل على ضعف الحديث ونكارته والله أعلم[1] . ا . هـ

أخرج ابن أبي حاتم والواحدي عن مجاهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر فعجب المسلمون من ذلك ، فأنزل الله "انا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ماليلة القدر. ليلة القدر خير من ألف شهر" التي لبس ذلك

---

(١) تفسير ابن كثير (٤: ٥٢٩) .

الرجل السلاح فيها فى سبيل الله .

وأخرج ابن جرير عن مجاهد قال كان فى بنى إسرائيل رجل يقوم الليل حتى يصبح ثم يجاهد العدو بالنهار حتى يمسى . فعمل ذلك ألف شهر ، فأنزل الله (ليلة القدر خير من ألف شهر) عملها ذلك الرجل(١) .

وقال القرطبى (وهى مدنية فى قول أكثر المفسرين ، ذكره الثعلبى . وحكى الماوردى مكية . قلت : وهى مدنية فى قول الضحاك وأحد قولى ابن عباس)(٢) .

وقال الجمل فى الفتوحات الألهية (والقول بالمدنية هو الأصح وقول الأكثرين وقيل إنها أول مانزل بالمدينة)(٣) .

وقد يرد هنا سؤال وهو أن الصيام فرض فى المدينة فى السنة الثانية الهجرية وسورة القدر تتحدث عن ليلة القدر ، وليلة القدر كما جاء فى الحديث الصحيح فى العشر الأواخر من رمضان (الحديث) فهل يعنى ذلك أن السورة مدنية ؟

والجواب أن ذلك لايعطى مدنيتها إلا من دليل خارجى آخر ذلك لأن شهر رمضان كان يعرف بهذه التسمية قبل نزول القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد أخرج الإمام أحمد والبيهقى فى شعب الأيمان بسند حسن عن واثلة بن الأسقع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (أنزلت صحف إبراهيم عليه السلام فى أول ليلة خلت من رمضان والإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان وانزل القرآن لاربع وعشرين خلت من رمضان)(٤) .

والذى أرجحه أن السورة مكية

---

(١) لباب النقول فى اسباب النزول للسيوطى (ص٢٣٣) .

(٢) تفسير القرطبى (٢٠ : ١٢٩) م١٠ .

(٣) انظر الفتوحات الالهية (٤ : ٥٦٥) .

(٤) مسند الامام أحمد (٤ : ١٠٧)

(١٦) سورة البينة

جميع الروايات ذكرت أنها مدنية ماعدا الرواية الثانية عن قتادة لم يذكرها ضمن المدنى والقول السادس ذكرها من السور المختلف فيها قال القرطبى : وهى مكية فى قول يحيى بن سلام . ومدنية فى قول ابن عباس والجمهور (١) .

وقال السيد قطب (هذه السورة معدودة فى المصحف وفى أكثر الروايات أنها مدنية . وقد وردت بعض الروايات بمكيتها . ومع رجحان مدنيتها من ناحية الرواية ومن ناحية أسلوب التعبير التقريرى ، فان كونها مكية لايمكن استبعاده وذكر الزكاة فيها وذكر أهل الكتاب لايعتبر قرينة مانعة . فقد ورد ذكر أهل الكتاب فى بعض السور المقطوع بمكيتها . وكان فى مكة بعض أهل الكتاب الذين آمنوا ، وبعضهم لم يؤمنوا . كما أن نصارى نجران وفدوا على الرسول صلى الله عليه وسلم فى مكة وآمنوا كما هو معروف . وورد ذكر الزكاة كذلك فى سور مكية (٢) .

قلت : وفيما قاله السيد قطب نظر .

وقال السيوطى : " قال ابن الغرس الأشهر أنها مكية قلت ويدل لمقابله ما أخرجه أحمد عن أبى حبة البدوى قال لما نزلت لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب إلى آخرها قال لى جبريل يارسول الله ان ربك يأمرك أن تقرئها أبيا الحديث . وقد جزم ابن كثير بأنها مدنية واستدل به (٣) .

والذى يؤكد مدنية السورة ما أخرجه الامام أحمد بسنده عن مالك ابن عمرو بن ثابت الأنصارى قال لما نزلت (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب) إلى آخرها قال جبريل : يارسول الله ان ربك يأمرك أن تقرئها أبيا . فقال النبى صلى الله عليه وسلم لأبىّ " ان جبريل أمرنى أن أقرئك

---

(١) تفسير القرطبى (٢٠ : ١٣٨) .

(٢) فى ظلال القرآن (٨ : ٦٣٠) . وقوله (انه نصارى نجران وفدوا على الرسول صلى الله عليه وسلم ..الخ) هذا مخالف لما فى الصحيحين أنهم وفدوا عليه بالمدينة وهو الحق .

(٣) الاتقان (١ : ١٤) .

هذه السورة فقال أُبَيّ وقد ذكرت ثم يارسول الله؟ فقال (نعم) قال فبكى أبيّ[1].

وقد اخرجه البخارى[2] ومسلم[3] فى كتاب المناقب .

وأخرجه الترمذى أيضا عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأُبَىّ بن كعب : إن الله أمرنى أن أقرأ عليك (لم يكن الذين كفروا) قال : وسمانى؟ قال : نعم، فبكى . قال أبو عيسى[4] : هذا حديث حسن صحيح .

---

(١) رواه البخارى فى فضائل ابى بن كعب (٨ : ١٢٧) .
(٢) رواه البخارى فى فضائل ابى بن كعب (٨ : ١٢٧) .
(٣) رواه مسلم (١٦ : ٢٠) فى فضائل ابى بن كعب .
(٤) سنن الترمذى (٥ : ٦٦٥) .

(١٧) سورة الزلزلة

هذه السورة العظيمة من السور المختلف فى نزولها فجميع الروايات تشير إلى أنها مدنية ماعدا القولين السادس والسابع ذكرا أنها من المختلف فيها . قال القرطبى : (مدنية فى قول ابن عباس وقتادة . ومكية فى قول ابن مسعود وعطاء وجابر) .

وقال السيوطى : فيها قولان ويستدل لكونها مدنية بما أخرجه ابن أبى حاتم عن أبى سعيد الخدرى قال : لما نزلت فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . . الآية . قلت يارسول الله إنى لراء عملى الحديث . . وأبو سعيد لم يكن إلا بالمدينة ولم يبلغ إلا بعد أحد (١) .

والدارس لآيات هذه السورة الكريمة يجد أن موضوعها هو يوم الحساب ومايسبقه من أهوال ومايلاقيه الانسان من الجزاء الذى هو بحسب ماقدم من العمل (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره (٢) فالموضوع والسياق شبيه بموضوع وسياق السور المكية .

قال السيد قطب : هذه السورة مدنية فى المصحف وفى بعض الروايات ، ومكية فى بعض الروايات الأخرى ونحن نرجح الروايات التى تقول بأنها مكية وأسلوبها التعبيرى وموضوعها يؤيدان هذا (٣) .

وأقول مادام هناك حديث يرجح مدنيتها فهو المقدم على الرأى ثم إنه لايمنع أن يذكر البعث والجزاء فى المدنى .

---

(١) الاتقان للسيوطى (١ : ١٤) . (٢) الزلزلة (٧-٨)
(٣) فى ظلال القرآن (٨ : ٦٣٩) .

(١٨) سورة النصـــــر

جميع الروايات تشير الى ان سورة النصر مدنية . ماعدا القول السابع لأبى القاسم هبة الله بن سلامة فأنه ذكر أنها نزلت بالمدينة وقيل بمكـــــة وذكر القول بالمكى بأسلوب التضعيف فهو قول ضعيف .

قال القرطبى : وهى مدنية بأجماع . وتسمى سورة (التوديع) (١) .

قال الواحدى : نزلت فى منصرف النبى صلى الله عليه وسلم مـــن غزوة حنين وعاش سنتين بعد نزولها (٢) .

قلت : وغزوة حنين كانت بعد فتح مكة ، فهى مدنية بالأجماع .

---

(١) تفسير القرطبى (٢٠ : ٢٢٩) .

(٢) أسباب النزول للواحدى (٣٠٨)

(١٩) سورة الصمد (الأخلاص)

هذه السورة الكريمة من السور المختلف فى نزولها ، فالرواية الثانية عن قتادة والخامسة عن على بن أبى طلحة والقول الثامن للزركشى لم يورد وها ضمن السور المدنية .

والرواية الثالثة عن عكرمة والرابعة عن ابن عباس ذكراها ضمن السور المكية والقول السادس لابن الحصار والسابع لابن سلامة ذكرا أنها من المختلف فيه قال القرطبى : مكية فى قول ابن مسعود والحسن وعطاء وعكرمة وجابر .

ومدنية ، فى أحد قولى ابن عباس وقتادة والضحاك والسدى .

والذى يرجح مكية السورة ما أخرجه الترمذى بسنده عن أبى بن كعب أن المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : انسب لنا ربك فأنزل الله (قل هو الله أحد الله الصمد) فالصمد الذى لم يلد ولم يولد لأنه ليس شىء يولد الا سيموت ولا شىء يموت الا سيورث . وان الله عز وجل لا يموت ولا يورث (ولم يكن له كفوا أحد) قال : لم يكن له شبيه ولا عدل وليس كمثله شىء (١) .

قال السيوطى : الأخلاص فيها قولان لحديثين فى سبب نزولها متعارضين وجمع بعضهم بينهما بتكرر نزولها ثم ظهر لى أنها مدنية كما بينته فى أسباب النزول (٢) .

قلت : والذى أشار إلى بيانه فى كتابه أسباب النزول هو أنه ذكر أولا حديث الترمذى عن أبى بن كعب السابق ذكره .

ثم ذكر حديثا آخر اخرجه ابن أبى حاتم عن ابن عباس ان اليهود جاءت إلى النبى صلى الله عليه وسلم منهم كعب بن الأشرف وحيى بن أخطب فقالوا : يامحمد صف لنا ربك الذى بعثك ، فأنزل الله (قل هو الله أحد) . . إلخ وأخرج ابن جرير عن قتادة وابن المنذر عن سعيد ابن جبير مثله فاستدل بهذا على أنها مدنية .

---

(١) سنن الترمذى (٥ : ٤٥١) وقد سكت عن الحديث .
(٢) الاتقان (١ : ١٥) .

وأخرج ابن جرير عن أبى العالية قال : قال قتادة : قالت الأحزاب انسب لنا ربك ، فأتاه جبريل بهذه السورة . وهذا المراد بالمشركين فى حديث أبى فتكون السورة مدنية كما دل عليه حديث ابن عباس .

لكن أخرج ابو الشيخ فى كتاب العظمة من طريق أبان عن انس قال : اتت يهود خيبر إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا أبا القاسم ، خلق الله الملائكة من نور الحجاب وآدم من حمأ مسنون ، وإبليس من لهب النار ، والسماء من دخان ، والأرض من زبد الماء فاخبرنا عن ربك ؟ فلم يجبهم ، فأتاه جبريل بهذه السورة (قل هو الله أحد) ا.هـ[1]

قال الشهاب : (فيما نزل مرتين هل يكون مكيا ومدنيا أو يعتبر أول النزولين . مالم يكن فى الثانى زيادة او نقص)[2] .

قلت : وأنا ارجح أن السورة مكية ذلك لرواية الترمذى . أما من قال إنها نزلت مرتين فان النزول الثانى يعتبر تأكيدا للنزول الأول ولا مانع أن ينزل بعض القرآن مرتين تأكيدا ولأهمية هذا النزل .

---

(١) لباب النقول للسيوطي (٢٣٨)

(٢) حاشية الشهاب المسماة عناية القاضى وكفاية الراضى على تفسير البيضاوى (٦ : ٣٥١) ط/المكتبة الاسلامية محمد ازمير ـ تركيا .

(٢٠) سورتا المعوذتين

سورتا المعوذتين من السور المختلف فيها . وليس هناك رواية من الروايات السابقة تنص على مدنيتها فهى مكية . بل إن الرواية الثالثة والرابعة ذكرتهما ضمن السور المكية . والقول السادس والسابع ذكراهما من السور المختلف فى نزولها .

قال القرطبى : (وهى (أى الفلق) مكية فى قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر . ومدنية فى أحد قولى ابن عباس وقتادة)[١] . وقد ذكر نفس الحكم فى تفسير سورة الناس[٢] . قال السيوطى : (المختار أنهما مدنيتان لأنهما نزلتا فى قصة سحر لبيد بن الأعصم كما أخرجه البيهقى فى الدلائل)[٣] .

وقصة سحر (لبيد بن الأعصم) اليهودى أخرجها البخارى ومسلم وأحمد أخرج البخارى بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت : (سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بنى زريق يقال له لبيد بن الأعصم حتى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخيل إليه أنه كان يفعل الشىء ومافعله حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة وهو عندى لكنه دعا ودعا ثم قال : ياعائشة ، أشعرت أن الله أفتانى فيما استفتيته فيه[٤] ؟ أتانى رجلان فقعد أحدهما فقال صاحبه : ماوجع الرجل ؟ فقال : مطبوب[٥] ، قال من طبه ؟ قال : لبيد بن الأعصم ، قال : فى إى شىء ؟ قال فى مشط ومشاطة ، وجف[٦] طلع نخلة ذكر ، قال : واين هو ؟ قال : فى بئر ذروان ،

---

(١) تفسير القرطبى (٢٠ : ٢٥١) .
(٢) (٢٠ : ٢٦٠) . نفس المرجع السابق
(٣) الاتقان (١ : ١٥) .
(٤) فى رواية الحميدى (افتانى فى امر استفتيته فيه) اى اجابنى فيما دعوته ، فاطلق على الدعاء استفتاء لان الداعى طالب والمجيب مستفتى او المعنى اجابنى بما سألته عنه . فتح البارى (١٢ : ٣٣٩) .
(٥) اى مسحور ويسمونه بذلك تيامنا كما يسمون المريض بالصحيح .
(٦) وهو الغشاء الذى يكون على الطلع ويطلق على الذكر والانثى فلهذا قيده بالذكر فى قوله طلعه ذكر .

فأتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ناس من أصحابه فجاء فقال ياعائشة ، كأن ماءها نقاعة الحناء . وكأن رءوس نخلها رءوس الشياطين قلت : يارسول الله ، أفلا استخرجته[1]؟

قال : قد عافانى الله فكرهت أن أثير على الناس فيه شرا ، فامربها فدفنت[2] .

ويلاحظ فى هذه الرواية عدم التطرق لنزول المعوذتين وعدم تحديد المدة التى بقى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسحورا فيها . وقد حددت المدة رواية الأمام أحمد فى مسنده عن ابراهيم بن خالد عن معمر عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت : لبث النبى صلى الله عليه وسلم ستة أشهر يرى أنه يأتى ولا يأتى فأتاه ملكان فجلس أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فقال أحدهما للآخر ماباله؟ قال مطبوب . قال ومن طبه ؟ قال لبيد بن الأعصم[3].

قال الرازى : (ذكروا فى سبب نزول هذه السورة وجوها.

(أحدها) روى أن جبريل عليه السلام أتاه وقال ان عفريتا من الجن يكيدك . فقال إذا أويت الى فراشك قل (اعوذ برب) . . . . . السورتين .

(ثانيها) إن الله تعالى أنزلهما عليه ليكونا رقيه من العين . وعن سعيد بن المسيب أن قريشا قالوا : تعالوا نتجوع فنعين محمدا ففعلوا ثم أتوه وقالوا ما أشد عضدك وأقوى ظهرك وأنضر وجهك ، فأنزل الله تعالى المعوذتين .

(وثالثها) وهو قول جمهور المفسرين ، أن لبيد بن أعصم اليهودى سحر النبى صلى الله عليه وسلم فى احدى عشرة عقده وفى وتر دسه فى بئر يقال لها ذروان فمرض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واشتد عليه ذلك ثلاث ليال فنزلت المعوذتان لذلك وأخبره جبريل بموضع السحر فأرسل

---

(١) المراد بالمخرج ماحواه الجف لاالجف نفسه . انظر فتح البارى (١٢ : ٣٤٧) .

(٢) اى البئر ـ فتح البارى (١٢ : ٣٤٣) ، ورواه ايضا مسلم (٤ : ١٧١٩) بتحقيقه وترتيب الشيخ محمد فؤاد عبد الباقى.

(٣) مسند الامام احمد (٦ : ١٢٤ ـ ١٣٥)

عليا عليه السلام وطلحة وجاءا به . وقال جبريل للنبى حل عقده ، واقرأ آية ففعل وكان كلما قرأ آية انحلت عقده فكان يجد بعض الخفة والراحة[1] .

والذى يرجح أنهما مدنيتان بجانب الرواية التى ذكرها البخارى وغيره ما أخرجه النسائى وغيره عن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آيات أنزلت على الليلة لم ير مثلهن قط قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس .[2]

فالحديث الذى يرويه عقبة بن عامر[3] رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه صلوات الله وسلامه عليه قال (آيات أنزلت على الليلة لم ير مثلهن قط. . . الحديث فحدد نزولها بقوله (الليلة) وعقبة ابن عامر لم يكن بمكة - فالآيات على هذا مدنية .

---

(١) تفسير الرازى (٣٢ : ١٨٧) .

(٢) سنن النسائى بشرح الحافظ السيوطى وحاشية الامام السندى (٢ : ١٥٨) ط/دار احياء التراث العربى - لبنان . وسلم بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقى (١: ٥٥٨)

(٣) عقبة بن عامر بن عبس بن عمرو الجهنى الصحابى المشهور . . . روى عن النبى صلى الله عليه وسلم كثيرا روى عنه جماعة من الصحابة كان قارئا عالما بالفرائض والفقه فصيح اللسان شاعرا كاتبا وهو احد من جمع القرآن ، وفى صحيح مسلم من طريق قيس بن ابى حازم عن عقبة ابن عامر قال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا فى غنم لى ارعاها فتركتها ثم ذهبت اليه فقلت بايعنى فبايعنى على الهجرة الحديث . . مات فى خلافة معاوية على الصحيح .
انظر الاصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر العسقلانى (٢ : ٤٨٩) .

الفصل الثالث

الفصل الثالث

بيان الآيات المدنية فى السور المكية

تمهيـــــــد

ترتيب سور القرآن وآياته .

قبل الخوض فى بيان الآيات المدنية فى السور المكية والآيات المكية فى السور المدنية لابد من الاشارة باختصار الى أن ترتيب القرآن الكريـــــم توقيفى سواء فى ذلك ترتيب الآيات فى داخل سورها و ترتيب الســـور ذاتها .

(١) أما عن ترتيب الايات :

فالاجماع قائم على أنها بتوقيف عن النبى صلى الله عليه وسلم وأنه لامجال للرأى والاجتهاد فيه . فاذا مانزلت الآيات بوساطة امين الوحى جبريل عليه السلام على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم أرشده الـى موضع كل آية من سورتها . ثم يقرؤها النبى ويبلغها صلوات الله وسلامه عليه لأصحابه .

قال القاضى أبو بكر فى الأنتصار : (ترتيب الآيات أمر واجب وحكم لازم فقد كان جبريل يقول ضعوا آية كذا فى موضع كذا (وقال) أيضـــا الذى نذهب اليه أن جميع القرآن الذى أنزله الله وأمر باثبات رسمـــه ولم ينسخه ولا رفع تلاوته بعد نزوله هو الذى بين الدفتين الذى حـــواه مصحف عثمان وأنه لم ينقص منه شىء ولا زيد فيه وأن ترتيبه ونظمه ثابت علـى مانظمه الله تعالى ورتبه عليه رسوله من آى السور لم يقدم من ذلك مؤخرا ولا أخر منه مقدم وأن الأمة ضبطت عن النبى صلى الله عليه وسلـــم ترتيب آى كل سورة ومواضعها وعرفت مواقعها . . .)[1] .

وقال مكى بن أبى طالب وغيره (ترتيب الآيات فى السور بأمر مـــن النبى صلى الله عليه وسلم ولما لم يأمر بذلك تركت بلابسملة)[2] أى ســـورة براءة (التوبة) .

---

(١) الاتقان (١ : ٦٣) . للحافظ جلال الدين السيوطى ط. دار الفكر/بيروت
(٢) الاتقان (١ : ٦٣) .

وقال ابن الحصار : ترتيب السور ووضع الآيات مواضعها انما كان بالوحى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ضعوا آية كذا في موضع كذا وقد حصل اليقين من النقل المتواتر بهذا الترتيب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومما أجمع الصحابة على وضعه هكذا في المصحف.(١)

وقد أخرج البيهقي والامام أحمد والترمذى (عن زيد بن ثابت قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن من الرقاع إذ قال : طوبى للشام، قيل ولم ذلك يارسول الله قال : إن ملائكة الرحمة باسطة أجنحتها عليه)(٢) .

واسنده البيهقي في الدلائل وقال : (وهذا يشبه أن يكون المراد به تأليف مانزل من الآيات المتفرقة في سورها وجمعها فيها بإشارة النبي صلى الله عليه وسلم)(٣) .

وأخرجه الحاكم في المستدرك ولفظه (عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن من الرقاع إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى للشام فقلنا : لأى شئ ذاك ؟ فقال : لأن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليهم - قال (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وفيه البيان الواضح أن جمع القرآن لم يكن مرة واحدة)(٤) . وأقره الذهبي وحسنه الترمذى .

وروى الترمذى والحاكم وغيرهما من حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد فكان إذا نزل عليه الشئ دعا بعض من كان يكتب فيقول ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا) قال الترمذى : هذا حديث حسن وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين.(٥)

---

(١) الاتقان (١ : ٦٣) .
(٢) الفتح الرباني للساعاتى (ص ١٨ - جـ ٣) .
(٣) البرهان للزركشى (١ : ٢٥٦) .
(٤) المستدرك للحاكم (٢ : ٢٢٩) .
(٥) البرهان للزركشى (١ : ٢٤١) .

اخرجه الترمذى في تفسير القرآن من سورة التوبة (٥ : ٢٧٢)
والحاكم في المستدرك " " " " (٢ : ٣٣٠)

وهذا الحديث صريح فى الدلالة على أن ترتيب الآيات فى السوركان توقيفيا .

(٢) وأما عن ترتيب السور :

ففيها خلاف بين العلماء . (والذى يؤيد أنها بتوقيف عن النبى صلى الله عليه وسلم ما أخرجه الامام أحمد وأبو داود[1] وغيرهما ، عن أوس بن أوس بن حذيفة قال : كنت فى الوفد الذين أسلموا من ثقيف ـ فذكر الحديث ـ وفيه : فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم طرأ على حزبى من القرآن فأردت ألا أخرج حتى أقضيه قال : فسألنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قلنا : كيف تحزبون القرآن ؟ قالوا نحزبه ثلاث سور وخمس سور وسبع سور وتسع سور واحدى عشرة وثلاث عشرة وحزب المفصل من (ق) حتى نختم . قلت : فهذا يدل على أن ترتيب السور على ماهو فى المصحف الآن ، كان فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم)[2] .

وأوس بن أوس الثقفى له صحبة . قال الحافظ المنذرى (قال ابن معين اسناد هذا الحديث صالح)[3] . وحسن إسناده الحافظ ابن كثير فى فضائل القرآن[4] . ولو أننا عددنا ثمانى وأربعين سورة بعد سورة الفاتحة كانت التى تليهن (ق) وحزب المفصل من (ق) إلى نهاية القرآن الكريم وهذا يدل على أن ترتيب السور على ماهو فى المصاحف الآن كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم[5] .

وقال أبو بكر الأنبارى : أنزل الله القرآن كله الى سماء الدنيا ، ثم فرق فى بضع وعشرين سنة ، فكانت السورة تنزل لامر يحدث ، والآية جوابا لمستخبر ، ويقف جبريل النبى صلى الله عليه وسلم على موضع السورة والاية

---

(١) سنن ابو داود (١ : ٣٢٢) .
(٢) انظر فتح البارى (١٠ : ٤١٨) .
(٣) مختصر المنذرى على سنن ابى داود (٢ : ١١٣ - ١١٤) .
(٤) فضائل القرآن (ص٢٦) نهاية جـ٤ تفسير ابن كثير .
(٥) الاعجاز البيانى فى ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره ، د . محمد احمد يوسف القاسم ط/الاولى ١٣٩٩هـ . (ص ٧٨)

فاتساق السور كاتساق الآيات والحروف ، كله عن النبي صلى الله عليه وسلم فمن قدم سورة أو أخرها فقد أفسد نظم الايات .

وقال القاضي أبو بكر : ومن نظم السور على المكي والمدني لم يدر اين يضع الفاتحة لاختلافهم في موضع نزولها . ويضطر إلى تأخير الآية في رأس خمس وثلاثين ومائتين من البقرة إلى رأس الاربعين ، ومن أفسد نظم القرآن فقد كفر به (١) .

ومما يؤيد أن ترتيب سور القرآن توقيفي حديث معارضة جبريل بالقرآن كل سنة . أخرج البخاري بسنده عن فاطمة عليها السلام : أسر إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن جبريل يعارضني بالقرآن كل سنة وأنه عارضني العام مرتين ، ولا أراه إلا حضر أجلي (٢) .

والمراد بقوله (ان جبريل يعارضني) من العرض بفتح العين وسكون الراء اى يقرأ جبريل ويستعرضه ما اقرأه . وهذه المعارضة تكون القراءة الاخيرة المعتمدة بعد النسخ والأبقى للحفظ .

(٣) ثم ان الصحابة رضى الله عنهم الذين نقل أنهم خالفوا مصحف سيدنا عثمان رضى الله عنه ثبت أنهم رجعوا إلى المصحف العثماني وأن قراءتهم توافق ماجاء في القراءات المتواترة وفي سندها عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وعلي بن ابى طالب وابى بن كعب وغيرهم ممن يقال عنهم إن مصاحفهم كانت تخالف المصحف العثماني في كميته وترتيبه .

(وان اختلاف مصاحفهم ليس دليلا على ان ترتيب القرآن ليس توقيفيا لان مصاحفهم لم تكن مصاحف تلاوة ، بل مصاحف علم وتأويل ، قصد بها ضبط وقائع معينة فقد كتب بها المنسوخ تلاوة وبعض الأدعية كالقنوت وتفسير بعض الآيات . ثم إن هذه المصاحف لو كانت بتوقيف لتمسك أصحابها بها ولما دفعوها وعرضوها للتحريق فعدولهم عنها وعن ترتيبها دليل على أن الأمر ليس فيه مجال للاجتهاد لأنه لا اجتهاد مع النص. ومن جهة

---

(١) البرهان للزركشي (١ : ٢٦٠) .
(٢) صحيح البخاري وبهامشه فتح الباري (١٠ : ٤١٨) .

اخرى لو كان مصحف عثمان اجتهاديا لما وافقوه في ذلك لأنه ليس للمجتهد أن يقلد مجتهدا آخر كما هو مقرر عند الاصوليين)[1] .

اقتران سورة التوبة بالأنفال لا إشكال فيه

(٤) وأخيرا لابد من الأشارة إلى حديث ابن عباس حول اقتران سورة التوبة بالأنفال .

أخرج الأمام أحمد والترمذى[2] والنسائى وأبو داود[3] وابن حبان والحاكم[4] وابن ماجه وأبو يعلى والبزار والبيهقى وإسحاق بن راهويه واللفظ لأحمد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : (قلت لعثمان بن عفان ماحملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهى من المثانى ، وإلى براءة وهى من المئين ، فقرنتم بينهما . ولم تكتبوا - قال ابن جعفر : بينهما سطرا بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموها فى السبع الطوال ؟ ماحملكم على ذلك ؟ قال عثمان : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مما يأتى عليه الزمان ينزل عليه من السور ذوات العدد ، وكان إذا أنزل عليه الشىء يدعو بعض من يكتب عنده ، يقول ضعوا هذا فى السورة التى يذكر فيها كذا وكذا ، وكانت الأنفال من أوائل ما أنزل بالمدينة وبراءة من آخر القرآن . فكانت قصتها شبيهة بقصتها فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا أنها منها وظننت أنها منها ، فمن ثم قرنت بينهما ولم أكتب بينهما سطرا بسم الله الرحمن الرحيم . قال ابن جعفر ووضعتها فى السبع الطوال)[5] .

---

(١) باختصار من كتاب الاعجاز البيانى فى ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره ، تأليف الدكتور محمد احمد القاسم (ص٢٧٠) .
(٢) سنن الترمذى (٥ : ٢٧٢) .
(٣) سنن ابى داود (١ : ١٨١) .
(٤) المستدرك للحاكم (٢ : ٢٢١) .
(٥) الفتح الربانى (١٨ : ١٥٤ ، ١٥٥) .

يقول ابن حجر - بعد أن أورد طرفا من الحديث السابق - (فهذا يدل على أن ترتيب الآيات فى كل سورة كان توقيفا . ولما لم يفصح النبى صلى الله عليه وسلم بأمر براءة أضافها عثمان إلى الأنفال اجتهادا منه رضى الله عنه)(١).

وهذا فيه نظر - فأن قوله (فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا أنها منها وظننت أنها منها فمن ثم قرنت بينهما . . . . . هذا قائم على مجرد الظن ومن عثمان وحده فكيف نثبت فى القرآن أمرا ظنيا ؟

وكذلك قوله (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مما يأتى عليه الزمان ينزل عليه من السور ذوات العدد ، وكان إذا أنزل عليه الشئ يدعو بعض من يكتب عنده يقول ضعوا هذا فى السورة التى يذكر فيها كذا وكذا . فيه دلالة على أن الأمر توقيفى وليس لأحد اجتهاد فيه .

وقوله (فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا أنها منها) بعيد .

إذ الأنفال نزلت فى السنة الثانية عقب غزوة بدر ، وسورة التوبة نزلت فى أواخر السنة التاسعة بعد غزوة تبوك وبعد خروج أبى بكر على رأس المسلمين إلى الحج . فكيف يعقل أن يظل رسول الله صلى الله عليه وسلم زهاء خمسة عشر شهرا ولا يبين للناس أنها منها أو غيرها ؟ إنه بذلك يكون قد تأخر عن البيان فى وقت الحاجة إليه بل ومات قبل البيان وحاشاه صلى الله عليه وسلم أن يفعل ذلك.

ثم إن إطلاق الاسم على كل منهما واختلافه فيهما مما يعين أن هذه غير تلك فقد سمى النبى صلى الله عليه وسلم كلا منهما(٢).

أما قوله (فمن ثم قرنت بينهما ولم أكتب بينهما سطر " بسم الله الرحمن الرحيم" يفهم من ذلك أن عدم ذكر البسملة فى أول براءة هو باجتهاد من عثمان رضى الله عنه مع أن المعلوم أن (بسم الله الرحمن الرحيم)

---

(١) فتح البارى (١٠ : ٤١٨) .
(٢) الالوسى (١ : ٢٧) ، الاتقان (١ : ٦٥) .

كانت تنزل مع كل سورة حتى ان الصحابة كانوا لايعرفون إنقضاء السورة إلا إذا نزلت (بسم الله الرحمن الرحيم) فيعرفون أن سورة أخرى قد نزلت.

أخرج أبو داود والحاكم وابن حبان وصححاه عن ابن عباس رضى الله عنه - واللفظ لابى داود - (كان النبى صلى الله عليه وسلم لايعرف فصل السورة حتى تنزل عليه (بسم الله الرحمن الرحيم)[1].

(وفى رواية عن ابن عباس قال كان النبى صلى الله عليه وسلم لايعلم ختم السورة حتى تنزل بسم الله الرحمن الرحيم).

وفى رواية (فإذا نزلت بسم الله الرحمن الرحيم علموا أن السورة قد انقضت)[2].

والعلة فى عدم ذكرها فى أول براءة قيل لأنها جاءت بنقض العهود والبسملة أمان.

اخرج الحاكم عن على بن عبد الله بن عباس قال سمعت ابى يقول سألت على بن ابى طالب رضى الله عنه لم لم تكتب فى براءة بسم الله الرحمن الرحيم قال (لان بسم الله الرحمن الرحيم أمان وبراءة نزلت بالسيف ليس فيها أمان)[3].

قال القرطبى نقلا عن الامام القشيرى : والصحيح أن التسمية لم تكتب لأن جبريل عليه السلام مانزل بها فى هذه السورة[4].

فالخلاصة أن البسملة لم ينزل بها جبريل عليه السلام وماورد ذكره من المفسرين فهو التماس للحكمة.

قال الفخر الرازى (قال القاضى : يبعد أن يقال إنه عليه الصلاة والسلام لم يبين كون هذه السورة تالية لسورة الأنفال. لأن القرآن مرتب من قبل الله تعالى ومن قبل رسوله صلى الله عليه وسلم على الوجه

---

(١) سنن ابى داود (١ : ١٨٢).
(٢) فتح البارى (١٠ : ٤١٨).
(٣) المستدرك للحاكم (٢ : ٣٢٠).
(٤) تفسير القرطبى (٨ : ٦٣).

الذى نقل .

ولو جوزنا فى بعض السور ان لايكون ترتيبها من الله على سبيل الوحى . لجوزنا مثله فى سائر السور وفى آيات السورة الواحدة . وتجويزه يطرق مايقوله الامامية من تجويز الزيادة والنقصان فى القرآن . وذلك يخرجه من كونه حجة . بل الصحيح أنه عليه السلام أمر بوضع هذه السورة بعد سورة الأنفال وحيا وأنه عليه السلام حذف (بسم الله الرحمن الرحيم) من أول هذه السورة وحيا[1] .

ويبقى علينا الكلام على سند الحديث .

---

(١) التفسير الكبير للامام الفخر الرازى (١٥ : ٢١٦) ط/دار الكتب العلمية ـ طهران .

البحث فى رجال الحديث

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من حديث عوف عن يزيد الفارسى عن ابن عباس. ويزيد الفارسى قد روى عن ابن عباس غير حديث ويقال هو يزيد بن هرمز ويزيد الرقاشى هو يزيد بن أبان الرقاشى ولم يدرك ابن عباس . إنما روى عن أنس بن مالك وكلاهما من أهل البصرة(١).

قال ابن حجر فى تهذيب التهذيب (عوف الأعرابى) : قال عبد الله بن أحمد عن أبيه ثقة صالح الحديث . وقال إسحق بن منصور عن ابن معين ثقة وقال أبو حاتم صدوق صالح . وقال ابن سعد كان ثقة كثير الحديث وكان يتشيع . وحكى العقيلى عن ابن المبارك قال كانت فيه بدعتان قدرى وشيعى وقال الأنصارى : رأيت داود بن أبى هند يضرب عوفا ويقول ويلك ياقدرى . وقال فى الميزان قال بندار وهو يقرأ لهم حديث عوف لقد كان قدريا رافضيا شيطانا(٢).

وأما يزيد فقد اختلف فيه : هل هو ابن هرمز أو غيره ؟ وقد ذكره البخارى فى كتاب الضعفاء باسم يزيد الفارسى لاشتباهه فيه . وحيث انه قد انفرد بهذا الحديث فلا يحتج به فى شأن القرآن الذى يطلب فيه التواتر(٣).

وقال فيه الذهبى(٤) : قال فيه النسائى وغيره متروك . وقال الدارقطنى وغيره ضعيف . وقال ابن عدى : أرجو أنه لا بأس به . وقال أحمد منكر الحديث .

---

(١) سنن الترمذى (٥ : ٢٧٣) .
(٢) تهذيب التهذيب (٨ : ١٦٧) .
(٣) الفتح الربانى (١٨ : ١٥٤ ، ١٥٦) .
(٤) ميزان الاعتدال (٣ : ٣٠٨) .

والخلاصة : أن العلماء جرحوه ، فالحديث مردود من جهة إسناده . وفي متنه بعض الأشكالات والشكوك التي تطعن في صحته أما القليل الذين قوموه فانهم لم يخرجوه عن أقل درجات القبول وهذا لايعتد به ، لأنه متعلق بأمر كتاب الله الذي هو في أعلى درجات الصحة(١).

وبذلك نصل إلى نتيجة نهائية وهي أن ترتيب القرآن الكريم توقيفي في آياته وسوره . فاذا ماوجدت آيات مدنية في سور مكية او آيات مكية في سور مدنية فهذا بامر من الله تعالى وليس لنا فيه رأي . اللهم إلا العلم بأن هذه الآيات مكية أو مدنية .

---

(١) انظر الاعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره ، د . محمد احمد يوسف القاسم . (٨٠ ـ ٨٦)

بيان الآيات المدنية في السور المكية

في هذا البحث سأشرع في بيان جميع الآيات المدنية في السور المكية والله اسأل لي العون والتوفيق والسداد .

فبالنسبة لسورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة فهن مدنيات وليس فيها مكي على التحقيق .

(١) سورة الانعام

(١) نزلت سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون ألف ملك .

اخرج ابو عبيد وابن الضريس في فضائلهما وابن المنذر والطبراني وابن مردويه عن ابن عباس قال : (نزلت سورة الأنعام بمكة ليلا جملة حولها سبعون ألف ملك يجأرون بالتسبيح)[١] .

(وقال سفيان الثوري عن ليث عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت " نزلت سورة الأنعام على النبي صلى الله عليه وسلم - جملة وأنا آخذة بزمام ناقة النبي صلى الله عليه وسلم - إن كادت من ثقلها لتكسر عظام الناقة)[٢] .

(٢) لكن هناك روايات مؤداها أن بعض الآيات من سورة الأنعام نزلت بالمدينة .

الآية الأولى قوله تعالى (وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلّم مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون)[٣] .

اختلف المفسرون فيمن عنى بهذه الآية ؟ فقال ابن عباس وغيره يعني مشركي قريش وقال سعيد بن جبير : هو مالك بن الصيف .

---

(١) الدر المنثور للسيوطي (٣ : ٢) .
(٢) ظلال القرآن للسيد قطب (٧ : ١٠٦) ، تفسير ابن كثير (٢ : ١٢٢) .
(٣) سورة الانعام : ٩١

أخرج الطبرى فى تفسيره بسنده عن سعيد بن جبير قال : جاء رجل من اليهود يقال له مالك بن الصيف يخاصم النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم " أنشدك بالذى أنزل التورا ة على موسى أما تجد فى التوراة أن الله يبغض الحبر السمين ؟ وكان حبرا سمينا فغضب . فقال : والله ما أنزل الله على بشر من شىء ، فقال له أصحابه الذين معه ويحك ولا موسى ؟ فقال : والله ما أنزل الله على بشر من شىء فأنزل الله (وماقدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شىء . قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى)[1] . . . الآية

ومعلوم أن اليهود كانوا فى المدينة بعد الهجرة فالآية مدنية والسورة مكية .

الاية الثانية :

(ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى إلى ولم يوح إليه شىء) . الآية ٩٣

نزلت فى مسيلمة الكذاب الحنفى كان يسجع ويتكهن ويدعى النبوة ويزعم أن الله أوحى إليه .[2]

أما قوله تعالى (ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله) نزلت فى عبد الله بن سعد بن أبى السرح كان قد تكلم بالإسلام فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم يكتب له شيئا فلما نزلت الآيات التى فى المؤمنين - ولقد خلقنا الانسان من سلالة - أملاها عليه ، فلما انتهى إلى قوله - ثم انشأناه خلقا آخر - عجب عبد الله فى تفصيل خلق الأنسان ، فقال : تبارك الله أحسن الخالقين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا أنزلت على ، فشك عبد الله حينئذ وقال : لئن كان محمد صادقا لقد أوحى إلى كما أوحى إليه . ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال - وذلك قوله - ومن قال سانزل مثل ماأنزل الله - وأرتد عن الاسلام .[3]

---

(١) راجع تفسير الطبرى (٧ : ٢٦٧) ، تفسير القرطبى (٧ : ٣٧) ، اسباب النزول للواحدى بتحقيق الاستاذ سيد صقر (ص ٢١٥) ، لباب النقول للسيوطى (ص ١٠٢) .

(٢) اسباب النزول للواحدى (ص ١٤٨) .

(٣) اسباب النزول للواحدى تحقيق الاستاذ سيد صقر (ص ٢١٦) ، تفسير القرطبى (٧ : ٤٠) .

الاية الثالثة :

قوله تعالى (وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشا به كلوا من ثمره[1] إذا أثمر، وآتوا حقه يو م حصاده ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين) .

ذكر بعض المفسرين أن هذه الآية مدنية وذلك باعتبار قوله تعالى (وآتوا حقه يوم حصاده) أنه يعنى الزكاة . والزكاة لم تفرض إلا فى المدينة بأنصبتها المحد دة فى الزروع والثمار . ولكن هذا المعنى ليس واردا فى الآية إذ أن هناك أقوالا مأثورة فى تفسيرها بأنها تعنى الصد قات . أو بأنها تعنى الاطعام منها لمن يمر بهم يوم الحصاد أوجنى الثمار، وبخاصة أن هذه الآية ليس فيها تحديد لمقدار الزكاة أولقرابتهم وأن الزكاة فرضت فى المدينة فيما بعد بالعشر ونصف العشر، وعلى هذا تكون الآية مكية[2] .

الاية الرابعة :

(قل تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا)[3] . .الايات

أخرج ابو جعفر النحاس فى كتابه الناسخ والمنسوخ بسنده عن أبى عمرو بن العلاء يقول سألت مجاهدا عن تلخيص آى القرآن المدنى من المكى فقال سألت ابن عباس عن ذلك فقال - سو رة الأنعام نزلت بمكة جملة واحدة فهى مكية إلا ثلاث آيات منها نزلن بالمدينة (قل تعالوا أتل) إلى تمام الآيات الثلاث . وماتقدم من السور مدنيات)[4] .

وهذا الأثر السابق يجعلنى أحكم على هذه الآيات بأنها مدنية

---

(١) الانعام : ١٤١

(٢) باختصار من ظلال القرآن (٧ : ١٠٦) .

(٣) الايات من سو رة الانعام (١٥١ - ١٥٢ - ١٥٣) الى قوله تعالى ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون .

(٤) الناسخ والمنسوخ لابى جعفر النحاس ت ٣٣٨هـ (ص١٣٨) ، ط/ مطبعة السعادة الطبعة الاولى ١٣٢٣هـ ، وراجع (ص ١٠٠) من بحثنا هذا .

والنتيجة التى نصل إليها أن سورة الانعام مكية نزلت جملة واحدة ماعدا الآيات التى أشرنا إلى مدنيتها لما ورد فيها من الآثار التى تدل على ذلك .

ولا تعارض بين قولنا بمدنية الآيات ، وبين ماثبت من نزول الأنعام جملة واحده . لانه قد يعبر عن غالب الشئ بكله

وعلى الرأى الثانى بعدم مدنية هذه الآيات فلا إشكال . والله أعلم .

(٢) سورة الاعراف

سورة الأعراف مكية إلا تسع آيات من قوله تعالى (واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر إذ يعدون فى السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون)[١] .

إلى قوله تعالى (وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظله وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا مافيه لعلكم تتقون)[٢] .

قال الزركشى : سورة الأعراف مكية إلا ثلاث آيات (واسألهم عن القرية التى كانت) إلى قوله تعالى (وإذ نتقنا الجبل)[٣] .

هكذا قال الزركشى : (ثلاث آيات) ولكن مع العد يظهر أنها تسع آيات وقال السيوطى : أخرج أبو الشيخ ابن حبان عن قتادة قال : الأعراف مكية الا آية (واسئلهم عن القرية) وقال غيره من هنا إلى (واذ أخذ ربك من بنى آدم) مدنى .

وسبب نزول تلك الآيات (أن اليهود ادعوا وقالوا لم يصدر من بنى إسرائيل كفر ولا مخالفة للرب وكانوا يعرفون ماوقع لأهل هذه القرية ويخفونه ويعتقدون أنه لا يعلمه أحد غيرهم فأمره الله أن يسألهم عن حال هذه القرية وماوقع لهم توبيخا وتقريعا وتقريرا لهم بما يعلمون من حال أهلها فذكر لهم قصة أهلها فبهتوا وظهر كذبهم فى دعواهم المذكورة وكانت واقعة أهل القرية المذكورة فى زمن داود عليه السلام)[٤] ا . هـ

وقال السيد قطب (والآيات من هنا أى من قوله (واسألهم عن القرية) إلى قوله (وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظله) آيات مدنية . نزلت فى المدينة لمواجهة اليهود فيها وضمت إلى هذه السورة المكية فى هذا الموضع تكملة للحديث عما ورد فيها من قصة بنى إسرائيل مع نبيهم موسى[٥] .

ومن خلال ماسبق بيانه أميل إلى أن تلك الآيات مدنية .

---

(١) الاعراف : ١٦٣

(٢) الاعراف : ١٧١

(٣) البرهان (١ : ٢٠٠) .

(٤) الفتوحات الالهية تأليف سليمان بن عمر العجلى الشافعى الشهير بالجمل (٢ : ٢٠٢) .

(٥) فى ظلال القرآن للسيد قطب (٩ : ٦٥٥) .

(٣) سورة يونس عليه السلام

سبق ان بينا الآيات المدنية فى سورة الأعراف المكية . وتليها سورة الأنفال والتوبة وهما مدنيتان .

أما سورة يونس فهى مكية وفيها آيات مدنية .

وهى قوله تعالى (ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به)[1] وكذلك قوله تعالى (فإن كنت فى شك)[2] .

قال السيوطى : (سورة يونس مكية استثنى منها (فإن كنت فى شك) الآيتين . وقوله (ومنهم من يؤمن به) الآية قيل نزلت فى اليهود . وقيل من أولها الى رأس الأربعين مكى والباقى مدنى حكاها ابن الغرسى والسخاوى فى جمال القراء)[3] .

أما قوله (ومنهم من يؤمن به) قيل المراد أهل مكة . وقيل المراد أهل الكتاب وقيل هو عام فى جميع الكفار - وهو الصحيح[4] .

وقوله تعالى (فإن كنت فى شك مما أنزلنا اليك فسئل الذين يقرأون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين) .

(الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد غيره والمعنى (فإن كنت فى شك) أى قل يا محمد للكافر فإن كنت فى شك مما أنزلنا إليك (فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك) أى ياعابد الوثن ان كنت فى شك من القرآن فاسأل من اسلم من اليهود يعنى عبد الله بن سلام وأمثاله لأن عبدة الأوثان كانوا يقرون لليهود أنهم أعلم منهم من أجل أنهم أصحاب كتاب ، فدعاهم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أن يسألوا من يقرون بأنهم اعلم منهم هل يبعث الله برسول من بعد موسى)[5] .

---

(١) يونس : ٤٠

(٢) يونس : ٩٤

(٣) الاتقان للسيوطى (١ : ١٥) ، وانظر القرطبى فى تفسيره (٨ : ٣٠٤) .

(٤) تفسير القرطبى (٨ : ٣٤٥) .

(٥) باختصار من تفسير القرطبى (٨ : ٣٨٢) .

أخرج الطبرى بسنده عن يونس قال : أخبرنا ابن وهب . قال ابن زيد فى قوله تعالى (فإن كنت فى شك مما أنزلنا إليك ، فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك) قال : هو عبد الله بن سلام كان من أهل الكتاب فآمن برسول الله صلى الله عليه وسلم.(١)

وعلى هذا فيمكننا أن نقول إن السورة كلها مكية ماعدا قوله تعالى (فإن كنت فى شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك) حيث إنها نزلت فى عبد الله بن سلام وأمثاله من أهل الكتاب الذين آمنوا فى المدينة .

---

(١) تفسير الطبرى (١١ : ١٦٨) .

بسم الله الرحمن الرحيم

(١)

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٤	١٥	وضع رقم ٥ ولم يشر له في الهامش	يلغى رقم ٥
ز	١٢	لم يشر الى ذكر الخاتمة	الخاتمة : وفيها بيان اهم النتائج التي توصلت اليها في البحث
٤	١	مد نظر اليه	مد نظر اليها
٩	١٣	ابو بكر الباقلاني	ابي بكر
٩	٢٥	يربي على الثلاثين مؤلف	يربو على الثلاثين مؤلفاً
٩	٢	للعلماء	للعلماء
١١	٤	مد أشرف علم القرآن علوم نزوله	مد اشرف علوم القرآن علم نزوله
١١	٢	ولقد افصح العلامة محمد بن حبيب النيسابوري	ولقد افصح العلامة ابو القاسم الحسن محمد بن حبيب النيسابوري
١١	٧	في اهل مكة (....) ومانزل بالحديبية	في اهل مكة ثم ما يشبه نزول المكي في المدني وما يشبه نزول المدني في المكي ثم ما نزل بالجحفة وما نزل ببيت المقدس وما نزل بالطائف وما نزل بالحديبية .
١١	١٦،٢٠	كانت لنشأة علي	كان لنشأة علي .
١٢	٧	واليك نص صريح	واليك نصاً صريحاً
٢١	٢٤	واحدته	واحده
٢٤	٥	ألفاظ	ألفاظاً
٢٤	٧	الفاظاً	ألفاظُ
٢٩	١	والمؤمنون	والمؤمنين
٢٤	٥	الدوري	الدوري
٣٥	٩	هرون	هارون
٢٥	٢٥	أبو عبدالله	أبي عبدالله
٢٩	٧	خمس وعشرين	خمس وعشرون
٢٩	٢٤	ثمانية وعشرين	ثمانية وعشرون
٤٠		أبه سلوم	إبه سلوم
٥٢	٢٢	إحاناً	حيناً

بسم الله الرحمن الرحيم

(٢)

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٥٤	٢٥	قصت عاداً وثموداً	قصت عادٍ وثمودَ
٥٥	١٣	الـــمـوات	الـــمـوات
٦٤	٢	فيه خلل دراستي للروايات الثمانية استنتج فيه خلل بتفرع الروايات لثمانية أجمأه جميع	
٦٤	١٠	أنهم تبعثوا	أنهم يُبعثوا
٧٣	١٦	بالمرصاد	لبالمرصاد
٧٧	٦	لابد الحصار	لابد سلامة
٨٤	٤	انها من المختلف فيه	أنها من المختلف فيه
٩٢	١١	وضرب المتصل	وضرب المفصل
١٠٢	٧	أنه هناك اقوال	أنه هناك أقوالاً
١٥٧	٦	السنوات	السماوات
١٥٩	١	ضياء الثوري	ضياء العدي
١٤٣	١٤	مع كل واحد منهم جماعه	كل واحد منهما
١٥٠	٢	في الآية الثانية عشره	الثاني عشره
١٥٢	١٩	بطل به الاستدلال	بطل الاستدلال
١٧٥	١٢	ثنتانيه قبل طلوع الشمس	ثنتيه قبل طلوع الشمس
١٨٤	٩	مدبر ره بمكه تأخر	بمكه وتأخر
١٩٣	١٠	يبدأوها	يبدأونها
٢٠٥	١٤	خالقه لا ومدبر	خالقاً لا ومدبراً
٢٠٦	٤	ونرد عليه	ونرد عليهم
٢٠٨	١٠	وجبالاً متعطشون	وجبال متعطشون
٢٠٩	٢	ركعتان ركعتيه	ركعتيه ركعتيه
٢٠٩	٥	البقره: ٥٨	الحج: ٣٢
٢٢٠	١٨	دينه	دينه
٢٢٥	٢	نزلت فيه	نزل فيه
٢٤٤	٢	السع	السمع
٢٤٥	١٤	ثم رجع القائليه	ثم رجع إلى القائليه
٢٥٨	٢٢	المطيعون	المضعفون

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٥٩	٨	وعاء الزكاه	نصاب الزكاه
٦٤	١٧	مثل الذين ينفقوه	مثل ما ينفقون
٥٥	١٨	تعتبر الزكاه ركنه	تعتبر الزكاه ركنا
٥٩	١٢	ها هنا	هظا
٦٦	١٠	ذو القعده وذالحجه	ذا القعده وذا الحجه
٧١	٧	وقوف	وقف
٧٤	٨	ما يقضوا به	ما يقضون به
٧٢	١٨	وهو المراد	وهى المراد
٧٤	٢	أشار تعالى	أشار قوله تعالى
٨٢	٢٥	الى ابو نعيم	أبى نعيم
٧٨	١٢	والتلي	والتليه
٨٠	٩	بما شيه	بما يشبه
٨١	٩	يريد بكم اليسر	يريد الله بكم اليسر
٨٢	٤	فالكمه من مشروعيت الصوم	فالكمه من مشروعية الصيام
٨٥	٥	فكلوا واشربوا	وكلوا واشربوا
٨٧	٨	(واتموا الحج والعمرة	واتموا الحج والعمرة لله)
٩٢	٣	المعبه	المحبه
٩٤	١٧	الجمع	الجميع
٩٦	٤	إنما نزل أو ما نزل	إنما نزل أول ما نزل
٣٠	١٧	تأثيراً مباشر	تأثيراً مباشراً
٣١	٤	في صايته	في حياته
٤٣	١٧	الاثنى عشر	الاثنا عشر
٥٤	١٨	يعتبروه	يعبرون
٥٩	١٤	قال السدى	قال السدى
٨١	٤	ها هنا	هرنا
٦١	٢	هو تفضهم	هى تفضهم
٦٥	٦	أيه بقره	ايه بقره

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٦٧	١٢	فتقلبوا خاسرين	فتنقلبوا خاسرين
٢٦٧	١٤	ادخلوا عليهم والباب	ادخلوا عليهم الباب
٢٨٢	١	قال تعالى	قول الله تعالى
٢٧١	١٩	وتحلوا	وتخلقوا
٢٧٥	١٧	انهم الكاذبون	انهم لكاذبون
٢٧٥	٢٠	إنه تصيك	انه تصبك
٢٧٧	١١	خلف رسول الله	خلاف رسول الله
٢٧٧	١٨	سيحلفون بالله إذا انقلبتم	سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم
٢٨٦	٦	وهم معهم	وهو معهم
٢٨٨	١	قصد	والقصد
٢٩١	٢٠	المتوفى ٨٧ هـ	المتوفى ٥٨٧ هـ
٢٩٤	٧	للمرء	للمرء
٢٩٦	١	إنى لكما لمن الناصحين	إنى لكما لمن الناصحين
٢٩٦	١٢	لما يزينوه	لما يزينونه
٧٠٤	٢	سعد بن ابى قاص	سعد بن معاذ
٤١٤	١٩	شديد العذاب	شديد العقاب
٤١٦	١٨	رسول الله وابوبكر قاعدين	قاعدا نبيكيان
٤٢٠	٢٣	وكذلك التابعين	وكذلك عن التابعين
٤٣٥	١٢	للامام ابو حامد	للامام ابن حامد

بیان تصحیح الآیات القرآنیہ

صہ ۴۰	سطر ۴۰	وأحل لکم ماوراء ذلکم
صہ ۶۲	سطر ۳	یریدون لیطفئوا نوراللہ
صہ ۱۰۰	سطر ۱۸	وعلمتم مالم تعلموا
صہ ۱۱۹	سطر ۲۲	لایلبثون خلافک
صہ ۱۲۰	سطر ۴	اذاھم فیہ مبلوہ
صہ ۱۲۰	سطر ۳	ھم بہ یؤمنون
صہ ۱۲۵	سطر ۶	ویمکرون ویمکراللہ
صہ ۱۲۷	سطر ۱۸	فآوالم
صہ ۱۲۸	سطر ۹	ثم تکون علیھم حسرۃ
صہ ۱۹۶	سطر ۱۵	وأمر بالعرف
صہ ۲۵۸	سطر ۲۲	فاولئک ھم المضعفون
صہ ۲۸۵	سطر ۵	وکلوا واشربوا
صہ ۲۹۶	سطر ۴۰	ویصدھم عن سبیل اللہ کثیراً
صہ ۳۰۸	سطر ۱۰	بما فضل اللہ بعضھم
صہ ۳۰۴	سطر ۱۱	فآمنوا باللہ ورسلہ
صہ ۳۵۸	سطر	یکفرون بآیات اللہ ویقتلون
صہ ۴۰۸	ھ ۲	البقرہ ۱۰۱ - ۱۰۲
صہ ۴۶۰	سطر ۱۲	واسمع وانظرنا
صہ ۴۸۹	سطر ۵	واللہ یحب المطھرین
صہ ۴۹۲	سطر ۹	رب أوزعنی أن اشکر نعمتک

(٤) سورة هـــود عليه السلام

وهى من السور المكية وفيها آية مدنية . وهى قوله تعالى (وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين)[١] .

قال السيوطى : (" هود " استثنى منها ثلاث آيات "فلعلك تارك"[٢] "أفمن كان على بينة من ربه"[٣] " وأقم الصلاة طرفى النهار" ، ثم قال ودليل الثالثة ماصح من عدة طرق أنها نزلت بالمدينة فى حق أبى اليسر)[٤] .

قلت : ولم أجد دليلا على مدنية الآيتين (فلعلك تارك) (أفمن كان على بينة من ربه) .

بل ذكرت بعض التفاسير مايفيد أن قوله تعالى (فلعلك تارك بعض مايوحى إليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك إنما أنت نذير والله على كل شىء وكيل) . إنها نزلت فى المشركين .

قال ابن كثير (ويقول تعالى مسليا لرسوله صلى الله عليه وسلم عما كان يتعنت به المشركون فيما كانوا يقولونه عن الرسول كما أخبر تعالى عنهم فى قوله (وقالوا مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا . أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا) . الفرقان(٧-٨)

فأمر الله تعالى رسوله صلوات الله تعالى وسلامه عليه وأرشده إلى أن لايضيق بذلك صدره ولايصدنه ذلك ولايثنينه عن دعائهم إلى الله عز وجل آناء الليل وأطراف النهار كما قال تعالى (ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون) الآية . وقال هنا (فلعلك تارك بعض

---

(١) هود : ١١٤
(٢) هود : ١٢
(٣) هود : ١٧
(٤) الاتقان (١ : ١٥) .

مايوحى إليك وضائق به صدرك أن يقولوا) أى لقولهم ذلك فانما أنت نذير ولك أسوة بأخوانك من الرسل قبلك فإنهم كذبوا وأوذوا فصبروا حتى أتاهم نصر الله عز وجل)[1] . ا.هـ

قال الرازى فى سبب نزول الآية (روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رؤساء مكة قالوا : يامحمد اجعل لنا جبال مكة ذهبا إن كنت رسولا وقال آخرون : ائتنا بالملائكة يشهدون بنبوتك . فقال : لاأقدر على ذلك فنزلت هذه الاية[2].

أما الآية الثانية (أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة أولئك يؤمنون به ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده فلاتك فى مرية منه إنه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لايؤمنون)[3] .

قلت : ولم أقف على شاهد يدل على مدنيتها . بل هى مكية نزلت فى اتباع النبى عليه الصلاة والسلام وهم من الفضل البين على غيرهم ممن أرادوا الحياة الدنيا وزينتها والشاهد من الله تعالى هو النبى عليه الصلاة والسلام ومعه جبريل عليه السلام (ومن قبله كتاب موسى) لأن النبى صلى الله عليه وسلم موصوف فى كتاب موسى عليه السلام (يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل) .

أما الاية الثالثة قوله تعالى (وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين)[4] .

قال الواحدى : (أخبرنا الأستاذ منصور البغدادى قال : أخبرنا أبو عمرو بن مطر قال : حدثنا إبراهيم بن على : قال حدثنا يحيى بن يحيى : قال حدثنا أبو الأحوص عن سماك ، عن إبراهيم عن ، علقمة والأسود ، عن عبدالله قال : جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم

---

(١) تفسير ابن كثير (٢ : ٤٣٩) .
(٢) تفسير الرازى (١٧ : ١٩٣) .
(٣) هود : ١٧
(٤) هود : ١١٤

فقال : يارسول الله إنى عالجت[١] امرأة فى أقصى المدينة وإنى أصبت منها مادون ان آتيها . وأنا هذا فاقض فيّ ماشئت ، قال : فقال عمر : لقد سترك الله لو سترت نفسك ، فلم يرد عليه النبى صلى الله عليه وسلم فانطلق الرجل فاتبعه رجلا ودعاه فتلا عليه هذه الاية ، فقال رجل يارسول الله هذا له خاصة؟ قال : لابل للناس كافة . رواه مسلم عن يحيى ورواه البخارى عن طريق يزيد بن ذريع)[٢] .

رواه البخارى فى تفسير سورة هود عليه السلام فى باب قوله تعالى (وأقم الصلاة طرفى النهار)[٣] .

ورواه مسلم فى كتاب التوبة فى باب قوله تعالى (إن الحسنات يذهبن السيئات)[٤] .

وأخرجه أيضا الترمذى[٥] والنسائى من طريق موسى بن طلحة عن أبى اليسر بن عمرو أنه أتته امرأة وزوجها قد بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعث فقالت له بعنى تمرا بدرهم قال : واعجبتنى فقلت لها : إن فى البيت تمرا أطيب من هذا ، فانطلق بها معه فغمزها وقبلها ثم فرغ . فخرج فلقى أبا بكر فأخبره فقال تب ولا تعد ، ثم أتى النبى صلى الله عليه وسلم . . .الحديث

وفى روايته أنه صلى مع النبى صلى الله عليه وسلم العصر فنزلت[٦] .

وفى ماسبق ذكره دليل واضح على أن الآية مدنية . والله أعلم .

---

(١) عالجت امرأة : اى داعبتها وتناولت منها مايكون بين الرجل والمرأة غير انى ماجامعتها .
(٢) اسباب النزول للواحدى تحقيق الاستاذ سيد صقر(ص٢٦٩) .
(٣) صحيح البخارى وعلى هامشه فتح البارى(٩ : ٤٢٥) .
(٤) صحيح مسلم بشرح النووى مجلد ٩ (١٧ : ٧٩) .
(٥) سنن الترمذى (٥ : ٢٨٩) فى كتاب تفسير القرآن ـ تفسير سورة هود .
(٦) فتح البارى (٩ : ٤٥٦) .

(٥) سورة يوسف عليه السلام

سورة يوسف كلها مكية . قال القرطبي : قال ابن عباس وقتادة إلا أربع آيات منها . وروى أن اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف فنزلت السورة[١] . هكذا ذكر القرطبي في مقدمة تفسيره للسورة ويفهم منه أن اليهود كانوا في المدينة ، فالسورة مدنية .

وقال السيوطي : في الفصل الذي ذكر فيه السور المكية التي فيها آيات مدنية وعد منها سورة (يوسف) استثنى منها ثلاث آيات من أولها حكاه أبو حيان وهو واه جدا لا يلتفت إليه[٢] . ا.هـ

والذي ذكره القرطبي عن سؤال اليهود عن قصة يوسف اوردها هو نفسه في شرح قوله تعالى (إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) .

فقال : (وقيل معنى (أنزلناه) أي أنزلنا خبر يوسف . قال النحاس : وهذا أشبه بالمعنى لأنه يروى أن اليهود قالوا : سلوه لما انتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر ؟ وعن خبر يوسف ، فأنزل الله عز وجل هذا بمكة موافقا لما في التوراة وفيه زيادة ليست عندهم[٣] .

وقد ورد في بعض المصاحف أن الآيات (١ ، ٢ ، ٣ ، ٧) مدنية وماعداه مكي وهي قوله (الر . تلك آيات الكتاب المبين . إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون . نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين)[٤] .

وقوله تعالى : (لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين)[٥] .

وهذا لا أوافق عليه كما سبق أن بينت وليس فيه دليل صحيح ويخل بنظم السياق . والذي صح وثبت ماذكره الواحدي وأخرجه الحاكم[٦] وصححه

---

(١) تفسير القرطبي (٩ : ١١٨) .
(٢) الاتقان (١ : ١٥) .
(٣) القرطبي (٩ : ١١٨) .
(٤) يوسف : ١ - ٣
(٥) يوسف : ٧

(٦) قال الحاكم (هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه) وقال الذهبي صحيح (٢ : ٣٤٥) .

الذهبي : عن سعد بن أبي وقاص في قوله (نحن نقص عليك أحسن القصص قال : أنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلاه عليهم زمانا فقالوا : يارسول الله لو قصصت ، فأنزل الله تعالى ـ آلر تلك آيات الكتاب المبين ، إلى قوله (نحن نقص عليك أحسن القصص) الآية . فتلاه عليهم زمانا فقالوا : يارسول الله لو حدثتنا ، فأنزل الله تعالى (الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها) قال : كل ذلك ليؤمنوا بالقرآن[1] .

وليس في الرواية الصحيحة السابقة (لسعد) مايشير إلى مدنية الآيات وجاء في القرطبي (أن اليهود سألوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا أخبرنا عن رجل من الأنبياء كان بالشام أخرج ابنه إلى مصر فبكى عليه حتى عمي . .

ولم يكن بمكة أحد من أهل الكتاب ولا من يعرف خبر الأنبياء وإنما وجه اليهود إليهم من المدينة يسألونه عن هذا . فأنزل الله تعالى سورة يوسف جملة واحدة فيها كل مافي التوراة من خبر وزيادة فكان ذلك آية للنبي صلى الله عليه وسلم بمنزلة إحياء عيسى بن مريم الميت[2] .

أضف إلى ذلك أن السورة مفتتحة بالأحرف المقطعة (الر) ووجود الأحرف المقطعة في أوائل السور دليل على مكيتها ماعدا الزهراوين .

---

(١) اسباب النزول للواحدي تحقيق الاستاذ سيد صقر (ص٢٧٣) .
(٢) تفسير القرطبي (٩ : ١٣٠) .

(٦) سورة الرعد

وهى من السور المكية المختلف فيها . وقد سبق ان فصلت الخلاف الوارد فيها ورجحت ما أطمأنت إليه نفسى مستندا بالأدلة الصحيحة[١] .

وخلاصته : أن السورة مكية المطلع والموضوع والسياق وبها آيات مدنية .

قال تعالى (الله يعلم ماتحمل كل أنثى وماتغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار . عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال)[٢] .

إلى قوله تعالى : (ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال)[٣] .

فقد ذكر الواحدى عن ابن عباس : (أنها نزلت فى عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة) وقد سبق ذكر القصة فلا حاجة للتكرار هنا[٤] .

قال السيوطى : وعلى القول بأنها مكية يستثنى قوله (الله يعلم ماتحمل كل أنثى) إلى قوله (شديد المحال)[٥] .

---

(١) راجع (ص ٤٣)سورة الرعد ـ من بحثنا هذا .
(٢) (٣) سورة الرعد : ٨ - ١٣
(٤) راجع اسباب النزول للواحدى تحقيق الاستاد السيد صقر(ص٢٧٦) . وقد اورده القرطبى (٩ : ٢٩٦) ، وابن كثير(٢ : ٥٠٦) ، وتفسير الطبرى (١٣ : ٨٠ ، ٨٤ ، ٨٥) والدر المنثور(٤ : ٥٢) والبحر المحيط(٥ : ٣٧٥) .
(٥) الاتقان (١ : ١٥) للسيوطى .

(٧) سورة إبراهيم عليه السلام

سورة ابراهيم من السور المكية وتضمنتها ثلاث آيات مدنية وهي قوله تعالى (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار . جهنم يصلونها وبئس القرار . وجعلوا لله أندادا ليضلوا عن سبيله قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار)[1] .

قال القرطبي في تفسير الآية : أي جعلوا بدل نعمة الله عليهم الكفر في تكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم، حين بعثه الله منهم وفيهم فكفروا ، والمراد مشركو قريش وأن الآية نزلت فيهم . عن ابن عباس وعلي وغيرهم وقيل : نزلت في المشركين الذين قاتلوا النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر .

وقال السيوطي : أخرج أبو الشيخ عن قتادة : قال سورة ابراهيم مكية غير آيتين مدنيتين[3] .

وقال الزركشي : سورة إبراهيم مكية غير آيتين . نزلتا في قتلى بدر (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا . . . .)[4] الايتين.

وأخرج الطبري بسنده عن قتادة في قوله (وأحلوا قومهم دار البوار) قال هم قادة المشركين يوم بدر أحلوا قومهم دار البوار (جهنم يصلونها)[5]

وبهذا أرجح أنها ثلاث آيات لأنها تتحدث عن موضوع واحد وهو مشركو قريش الذين قاتلوا النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر .

ومعلوم أن غزوة بدر كانت في السنة الثانية بعد الهجرة النبوية فهي إذا آيات مدنية ، والله أعلم .

---

(١) سورة ابراهيم : ٢٨ - ٢٩ - ٣٠

(٢) تفسير القرطبي (١٠ : ٣٦٤) .

(٣) الاتقان (١ : ١١٦) .

(٤) البرهان للزركشي (١ : ٢٠٠) .

(٥) تفسير الطبري (١٣ : ٢٢٣) .

(٨) سورة الحجـــر

وهى من السور المكية . ولقد استثنى منها قوله تعالى (ولقـــد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم)[١] فقيل إنها مدنية .

والذى أرجحه أن سورة الحجر مكية باتفاق[٢] . فقد أخرج النحاس فى ناسخه وابن مردويه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال (نزلت ســورة الحجر بمكة)[٣] .

والذين قالوا بمدنية الآية المستثناة (ولقد آتيناك سبعا) الآيـــة استدلوا بما قاله ابن الجوزى فى سبب نزول هذه الآية ، وذكره الواحدى عن الحسين بن الفضل[٤] : أن سبع قوافل وافت من بصرى وأذرعات ليهود بنى قريظة والنضير فى يوم واحد فيها أنواع من البز وأوعية الطيب والجواهـــر وأمتعة البحر . فقال المسلمون لو كانت هذه الأموال لنا لتقوينا بهـــا فانفقناها فى سبيل الله ، فأنزل الله تعالى هذه الاية وقال : لقد أعطيتكم سبع آيات هى خير لكم من هذه السبع القوافل .

ويدل على صحة هذا القول على أثرها : (لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم)[٥] وذلك لأن يهود قريظة والنضير كانوا يسكنون المدينة .

أما الذى جعلنى أرجح مكية الآية بل السورة بأكملها فللحديـــث الصحيح الذى أخرجه الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قـــال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الحمد لله رب العالمين أم القـــرآن وأم الكتاب والسبع المثانى) .

---

(١) الحجر : ٨٧

(٢) راجع الاتقان للسيوطى (١ : ١٢) ، والفتوحات للجمل (٢ : ٥٣٧) نص على الاجماع .

(٣) الدر المنثور للسيوطى (٤ : ٩٣) .

(٤) الحسين بن الفضل بن عمير البجلى (١٧٨ - ٢٨٢هـ) مفسر معمر كان رأسا فى معانى القرآن اصله من الكوفة انتقل الى نيسابـــور فاقام فيها يعلم الناس ٦٥ سنة وتوفى فيها . انظر الاعلام للزركلى (٢ : ٢٥١ - ٢٥٢)

(٥) سورة الحجر : ٨٨ . انظر الفتوحات الالهية (٢ : ٥٥٣) ، اسباب النزول للواحدى تحقيق الاستاذ سيد صقر (ص ٢٨٢) .

قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح (١).

وقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم (السبع المثاني) بأنها الفاتحة.

ومعلوم أن الفاتحة نزلت بمكة لأن الصلاة فرضت في مكة ولم يحفظ أنه كان في الأسلام صلاة بغير الفاتحة (٢).

ويضم إلى هذا ماحكاه السيوطي والجمل وغيرهما انّ السورة مكية بالأجماع واتفاق العلماء على هذا.

وقال السيوطي في الأتقان (وينبغي أن يستثنى قوله (ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين) (٣).

لما اخرجه الترمذي وغيره في سبب نزولها وأنها في صفوف الصلاة.

فقد أخرج الترمذي بسنده عن ابن عباس قال (كانت امرأة تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم حسناء من أحسن الناس، فكان بعض القوم يتقدم حتى يكون في الصف الأول لئلا يراها. ويستأخر بعضهم حتى يكون في الصف المؤخر، فأذا ركع نظر من تحت ابطيه فأنزل الله (ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين) (٤).

وقد أخرجه الحاكم عن ابن عباس وقال (هذا حديث صحيح الأسناد ولم يخرجاه).

وقال الذهبي: صحيح (٥).

وقد ذكر القرطبي ثمانية أقوال في تفسير الآية.

فقال الثامن: (المستقدمين) في صفوف الرجال (والمستأخرين) فيها بسبب النساء .....ثم قال: ألا ان القول الثامن هو سبب نزول الآية لما رواه النسائي والترمذي عن أبي الجوزاء عن ابن عباس .... وذكر الحديث (٦).

---

(١) سنن الترمذي (٥: ٢٩٧).
(٢) الاتقان (١: ١٢).
(٣) الحجر: ٢٤
(٤) سنن الترمذي (٥: ٣٠٤) في باب تفسير سورة الحجر.
(٥) المستدرك للحاكم (٢: ٣٥٣) في باب تفسير سورة الحجر.
(٦) تفسير القرطبي (١٠: ١٩).

(٩) سورة النحـــل

هـذه السورة الكريمة من السور المكية وقد تضمنتها من آخرهـــا ثلاث آيات مدنية وهى قوله تعالى (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم بـــه ولئن صبرتم لهو خير للصابرين . واصبر وماصبرك إلا بالله ولا تحزن عليهـم ولا تك في ضيق مما يمكرون . إن الله مع الذين اتقوا والذين هـــم محسنون)[1] . صدق الله العظيم

وقد ورد فى سبب نزولها أنها نزلت بشأن سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه .

قال القرطبى : (أطبق جمهور أهل التفسير أن هذه الآية مدنية نزلت فى شأن التمثيل بحمزة فى يوم احد[2] . ووقع ذلك فى صحيح البخارى وفى كتاب السير[3] . وذهب النحاس إلى أنها مكية . والمعنى متصل بما قبلها من المكى اتصالا حسنا لأنها تتدرج الرتب من الذى يدعـــى ويوعظ إلى الذى يجادل إلى الذى يجازى على فعله[4] ولكن مـــا روى الجمهور اثبت)[5] .

روى الدارقطنى[6] عن ابن عباس قال : لما انصرف المشركون من قتلى أحد انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى منظرا ساءه ، رأى حمزة قد شق بطنه ، واصطلم[7] انفه ، وجدعت[8] اذناه ، فقال : (لولا أن يحـــزن

---

(١) النحل : ١٢٦ - ١٢٧ - ١٢٨

(٢) ذكر البخارى قصة قتل حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه كما قصها وحشى . فتح البارى (٨ : ٣٧١) فى كتاب المغازى

(٣) سيرة ابن هشام (٣ : ١٠٢) .

(٤) وذهب الى ذلك الرازى وانتصر له (٢٠ : ١٤١) .

(٥) تفسير القرطبى (١٠ : ٢٠١) .

(٦) سنن الدارقطنى (٤ : ١١٨) تحقيق السيد عبد الله هاشم يمانى المدنى ، ط/دار المحاسن للطباعة بالقاهرة .

(٧) اصطلم : الاصطلام هو الاستئصال . انظر لسان العرب (١٢ : ٣٤٠) .

(٨) جدعت اذناه : الجدع : القطع وقيل هو القطع البائن فى الانـــف والاذن والشفة . انظر لسان العرب (٨ : ٤١) .

النساء أو تكون سنة بعدى لتركته حتى يبعثه الله من بطون السباع والطير لأمثلن مكانه بسبعين رجلا) ثم دعا ببرده وغطى بها وجهه فخرجت رجلاه فغطى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهه وجعل على رجليه الاذخر . ثم قدمه فكبر عليه عشرا ، ثم جعل يجاء بالرجل فيوضع وحمزة مكانه حتى صلى عليه سبعين صلاة ، وكان القتلى سبعين، فلما دفنوا وفرغ منهم نزلت هذه الاية (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة إلى قوله . . واصبر وماصبرك إلا بالله فصبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يمثل بأحد)[1] .

وأخرج الطبرى بسنده عن عطاء بن يسار قال : نزلت سورة النحل كلها بمكة ، وهى مكية إلا ثلاث آيات فى آخرها نزلت فى المدينة بعد أحد ، حيث قتل حمزة ومثل به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن ظهرنا عليهم لنمثلن بثلاثين رجلا منهم . . فلما سمع المسلمون بذلك قالوا : والله لئن ظهرنا عليهم لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب بأحد قط فأنزل الله (وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين)[2] . . إلى آخر السورة .

---

(١) تفسير القرطبى (١٠ : ٢٠١) . راجع اسباب النزول للواحدى تحقيق الاستاذ سيد صقر (ص٢٨٩) .

(٢) تفسير الطبرى (١٤ : ١٩٥) .

(١٠) سورة الاسراء

سورة الاسراء من السور المكية وقد وردت فيها آية مدنية (آية الروح) وهناك آيات مختلف فيها . والأصح أنها مكية .

قال السيوطى فى الاتقان (الأسراء) استثنى منها (ويسألونك عن الروح)[١] الآية . . لما أخرجه البخارى عن أبن مسعود أنها نزلت بالمدينة فى جواب سؤال اليهود عن الروح واستثنى منها أيضا (وإن كادوا ليفتنونك الى قوله إن الباطل كان زهوقا)[٢] . وقوله (قل لئن اجتمعت الأنس والجن)[٣] الآية ، وقوله (وماجعلنا الرؤيا)[٤] الآية . وقوله (إن الذين أوتوا العلم من قبله)[٥] الآية لما أخرجناه فى أسباب النزول[٦] .

وقال الزركشى : (سورة بنى اسرائيل مكية غير قوله (وان كادوا ليفتنونك عن الذى اوحينا إليك) يعنى ثقيفا وله قصة[٧] . ا . هـ

ويلاحظ فى القولين السابقين اقتصار الزركشى على قوله تعالى (وإن كادوا ليفتنونك) واتفاقه مع السيوطى على الآية ذاتها بأنها مدنية .

ولقد اختلفت الروايات الواردة فى سبب نزول الآية .

(قال سعيد بن جبير : كان النبى صلى الله عليه وسلم يستلم الحجر الأسود فى طوافه ، فمنعته قريش وقالوا لاندعك تستلم حتى تلم[٨] بآلهتنا . فحدث نفسه وقال : " ماعلى ان ألم بها بعد أن تدعونى استلم

---

(١) الاسراء : ٨٥
(٢) الاسراء : ٧٣ - ٨١
(٣) الاسراء : ٨٨
(٤) الاسراء : ٦٠
(٥) الاسراء : ١٠٧
(٦) الاتقان للسيوطى (١ : ١٦) .
(٧) البرهان للزركشى (١ : ٢٠١) .
(٨) حتى تلم : الالمام : النزول . وقد الم به اى نزل به - والم به زاره غيبا يزورنا لماما اى فى الاحايين . وقال ابن برى : اللمام اللقاء اليسير واحدتها لمة . لسان العرب (١٢ : ٥٥٠) .

الحجروالله يعلم أني لها كاره" فأبى الله تعالى ذلك وأنزل عليه هذه الآية قاله مجاهد وقتادة[١]. وعلى هذه الرواية تكون الآية مكية .

وقال ابن عباس في رواية عطاء : نزلت في وفد ثقيف، أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فسألوه شططا . وقالوا متعنا بآلهتنا سنة حتى نأخذ مايهدى لها ، فإذا أخذناه كسرناها وأسلمنا . وحرم وادينا كما حرمت مكة ، حتى تعرف العرب فضلنا عليهم فهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يعطيهم ذلك فنزلت هذه الاية .

وعلى هذه الرواية تكون الآية مدنية .

وقيل هو قول أكابر قريش للنبي صلى الله عليه وسلم : اطرد عنا هؤلاء السقاط والموالي حتى نجلس معك ونسمع منك . فهم بذلك حتى نهى عنه[٢] .

قال الطبري بعد أن ذكر تلك الروايات (والصواب من القول في ذلك أن يقال إن الله تعالى أخبر عن نبيه صلى الله عليه وسلم أن المشركين كادوا أن يفتنوه عما أوحاه الله إليه ليعمل بغيره وذلك هو الافتراء على الله ، وجائز أن يكون ذلك كان عنهم من ذكر أنهم دعوه أن يمس آلهتهم ويلم بها . وجائز أن يكون كان ذلك ماذكر عن ابن عباس من أمر ثقيف ومسألتهم إياه ماسألوه مما ذكرنا ، وجائز أن يكون غير ذلك ، ولا بيان في الكتاب ولا في الخبر يقطع العذر أي ذلك كان . والاختلاف فيه موجود على ماذكرنا ، فلا شيء فيه أصوب من الأيمان بظاهره حتى يأتي خبر يجب التسليم له ببيان ماعني بذلك منه)[٣] .

أما قوله تعالى (وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذا لايلبثون خلفك إلا قليلا سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا)[٤] .

---

(١) تفسير القرطبي (١٠ : ٢٩٩) ، اسباب النزول للواحدي تحقيق الاستاذ سيد صقر (ص٢٩٧) ، تفسير الطبري (١٥ : ١٣٠) .

(٢) تفسير القرطبي (١٠ : ٢٩٩) ، اسباب النزول للواحدي (ص٢٩٧) .
(٣) تفسير الطبري (١٥ : ١٣٠) .
(٤) الاسراء : ٧٦ - ٧٧

اختلف أيضا فى هذه الآية هل هى مكية أم مدنية وذلك يرجع إلى المراد من الآية فاذاكان المراد منهم اليهود كانت الآية مدنية واذا كان المراد منهم المشركين كانت الآية مكية .

ولقد تعددت الروايات والرواية التى وردت فى شأن اليهود ضعيفة . قال الحافظ ابن كثير: (قيل نزلت فى اليهود إذ اشاروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسكن الشام بلاد الأنبياء وترك سكنى المدينة ، وهذا القول ضعيف لأن هذه الآية مكية وسكنى المدينة بعد ذلك . وقيل إنها نزلت بتبوك وفى صحته نظر . روى البيهقى عن الحاكم بسنده إلى عبد الرحمن بن غنم أن اليهود أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يومافقالوا يا أبا القاسم ان كنت صادقا أنك نبى فالحق بالشام فأن الشام أرض المحشروأرض الأنبياء فصدق ماقالوا فغزا غزوة تبوك لايريد إلا الشام فلما بلغ تبوك أنزل الله عليه آيات من سورة بنى اسرائيل بعد ماختمت السورة وإن كادوا ليستفزونك ، فأمره الله بالرجوع إلى المدينة ، وقال فيها محياك ومماتك ومنها تبعث .

وفى هذا الأسناد نظر والأظهر أن هذا ليس بصحيح فأن النبى صلى الله عليه وسلم لم يغز تبوك عن قول اليهود وانما غزاها امتثالا لقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار)[1] ولقوله تعالى (قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولابااليوم الآخر ولايحرمون ماحرم الله ورسوله ولايدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون)[2] .

وغزاها ليقتص وينتقم ممن قتل أهل مؤتة من الصحابة ، والله أعلم .

وقيل نزلت فى كفار قريش هموا بأخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين أظهرهم فتوعدهم الله بهذه الآية وأنهم لو أخرجوه لما لبثوا بعده بمكة إلا يسيرا[3] .

---

(١) التوبة : ١٢٣

(٢) التوبة : ٢٩

(٣) تفسير ابن كثير (٣ : ٥٢) .

قال القرطبى : قيل انها مكية . قال مجاهد وقتادة : نزلت فى همّ اهل مكة باخراجه ولو أخرجوه لما أمهلوا ولكن اللهأمره بالهجرة فخرج . وهذا أصح لأن السورة مكية ولأن قبلها خبراًعن أهل مكة . ولم يجر لليهود ذكر(١) .

أما قوله تعالى (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا)(٢) .

أخرج البخارى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى حرث بالمدينة وهو يتوكأ على عسيب فمر بنفر من اليهود فقال بعضهم سلوه عن الروح . وقال بعضهم لا تسألوه لا يسمعكم ماتكرهون . فقاموا اليه فقالوا يا أبا القاسم حدثنا عن الروح فقام ساعة ينظر فعرفت أنه يوحى اليه فتأخرت عنه حتى صعد الوحى ، ثم قال (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى)(٣) الآية .

واخرج الترمذى عن ابن عباس قال : قالت قريش لليهود علمونا شيئا نسأل هذا الرجل . فقالوا سلوه عن الروح فسألوه فأنزل الله (ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربى) .

قال : هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه(٤) .

قال ابن كثير : يجمع بين الحديثين بتعدد النزول . وكذا قال الحافظ ابن حجر(٥) .

قال السيوطى : (وقد رجح بأن ماروواه البخارى اصح من غيره وبان ابن مسعود كان حاضرا القصة)(٦) .

قلت : رواية الترمذى الراوى فيها ابن عباس ليس حاضرا فى القصة أما رواية البخارى كان ابن مسعود حاضرا اومشاهدا لوقائع القصة ولاشك أن للمشاهدة قوة فى التحمل وعليه فالآية مدنية .

---

(١) تفسير القرطبى (١٠ : ٣٠١) .
(٢) الاسراء : ٨٥
(٣) صحيح البخارى وبهامشه فتح البارى (١٠ : ١٩) .
(٤) سنن الترمذى (٥ : ٣٠٤) .
(٥) تفسير ابن كثير (٣ : ٦٠) .
(٦) انظر الاتقان (١ : ٣٣-٣٤) ، وانظر فتح البارى (١٠ : ١٩) .

(١١) سورة الكهف

سورة الكهف من السور المكية . ولقد اختلف العلماء فى الآيات من أول السورة الى قوله (وإنا لجاعلون ماعليها صعيدا جرزا)[١] . وقوله تعالى (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا)[٢] . وكذلك من قوله تعالى (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا)[٣] إلى آخر السورة .

قال السيوطى فى بيان الآيات المدنية فى السور المكية (الكهف استثنى من أولها الى "جرزا" وقوله " واصبر نفسك" الآية و" إن الذين آمنوا" الى آخر السورة)[٤] .

أما قوله (استثنى من أولها إلى " جرزا") أى إنها آيات مدنية وفيه نظر .

قال القرطبى : وهى مكية فى قول جميع المفسرين . وروى عن فرقة إن أول السورة نزل بالمدينة إلى قوله " جرزا" والاول اصح[٥] .

ثم قال فى قوله تعالى (الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا) ذكر ابن إسحاق (أن قريشا بعثوا النضر بن الحارث وعقبة بن أبى معيط الى أحبار يهود وقالوا لهما : سلاهم عن محمد وصفا لهم صفته وأخبراهم بقوله فإنهم أهل الكتاب الاول ، وعندهم علم

---

(١) آية : ٨
(٢) آية : ٢٨
(٣) آية : ١٠٧
(٤) الاتقان (١ : ١٦) .
(٥) تفسير القرطبى (١٠ : ٣٤٦) .

ليس عندنا من علم الأنبياء ، فخرجا حتى قدما المدينة ، فسألا أحبار يهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفا لهم أمره . وأخبراهم ببعض قوله ، وقالا لهم : إنكم أهل التوراة قد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا . فقالت لهما أحبار اليهود : سلوه عن ثلاث فأمركم بهن فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل وإن لم يفعل فالرجل متقول ، فروا فيه رأيكم ، سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ماكان أمرهم ، فأنه قد كان لهم حديث عجيب . وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ، ماكان نبؤه ؟ وسلوه عن الروح . ماهي ؟ فإذا أخبركم بذلك فاتبعوه فانه نبي ، وإن لم يفعل فالرجل متقول فاصنعوا في أمره مابدا لكم . فأقبل النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط حتى قدما مكة على قريش فقالا : يامعشر قريش . . قد جئناكم بفصل مابينكم وبين محمد - صلى الله عليه وسلم - قد أمرنا أحبار يهود أن نسأله عن اشياء أمرونا بها فان أخبركم عنها فهو نبي وان لم يفعل فالرجل متقول ، فروا فيه رأيكم . فجاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يامحمد ، أخبرنا عن فتية ذهبوا في الدهر الأول قد كانت لهم قصة عجب وعن رجل كان طوافا قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها وأخبرنا عن الروح ماهي ؟ قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أخبركم بما سألتم عنه غدا) ولم يستثن . فانصرفوا عنه . فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يزعمون خمس عشرة ليلة ، لا يحدث الله إليه في ذلك وحيا ولا يأتيه جبريل ، حتى أرجف[1] أهل مكة وقالوا : وعدنا محمد غدا . واليوم خمس عشرة ليلة ، وقد أصبحنا منها لا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه وحتى أحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث الوحي عنه وشق عليه مايتكلم به أهل مكة ثم جاء جبريل عليه السلام من عند الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم . وخبر ماسألوه عن أمر الفتية والرجل الطواف والروح . .

فافتتح السورة تبارك وتعالى بحمده وذكر نبوة رسوله صلى الله

---

(١) أرجف القوم : خاضوا في الأخبار السيئة وذكر الفتن . راجع اللسان (٩ : ١١٣) .

عليه وسلم لما أنكروا عليه ذلك فقال (الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب) يعنى محمدا[1].

قلت : فسبب النزول الذى أورده القرطبى نقلا عن ابن إسحاق دليل واضح على أن مقدمة السورة نزلت بمكة . ويلاحظ أيضا أن القرطبى ذكر امر الروح بجانب الرجل الطواف وامر الفتية لان الجميع فى معرض السؤال ، وهذا لايعنى ان الثلاثة ذكرن فى سورة واحدة ، وإلا فإن الروح جاء ذكرها فى سورة الإسراء .

وأما قوله (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى)[2] قال الواحدى : قوله تعالى (واصبر نفسك) الآية . حدثنا القاضى أبو بكر أحمد بن الحسين الحيرى املاء فى دار السنة يوم الجمعة بعد الصلاة فى (شهور) سنة عشر وأربعمائة قال أخبرنا ابو الحسن بن عيسى بن عبد ربه الحيرى قال : حدثنا محمد بن إبراهيم اليوشنجى قال : حدثنا الوليد بن عبد الملك بن مسرح الحرانى قال : حدثنا سليمان بن عطاء الحرانى عن مسلمة بن عبد الله الجهنى عن عمه ابن مشجعه بن ربعى الجهنى ، عن سلمان الفارسى قال : جاءت المؤلفة القلوب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصن والأقرع بن حابس وذووهم فقالوا : يارسول الله إنك لو جلست فى صدر المجلس ونحيت عنا هؤلاء وارواح جبابهم يعنون سلمان وابا ذر وفقراء المسلمين وكانت عليهم جباب الصوف لم يكن عليهم غيرها جلسنا إليك وحادثناك وأخذنا عنك فأنزل الله تعالى (واتل ما اوحى اليك من كتاب ربك لامبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا . واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه - حتى بلغ - إنا أعتدنا للظالمين نارا - يتهددهم بالنار فقام النبى صلى الله عليه وسلم يلتمسهم حتى اصابهم فى مؤخر المسجد يذكرون الله تعالى - قال : الحمد لله

---

(١) تفسير القرطبى (١٠ : ٣٤٧) .
(٢) الكهف : ٢٨

الذى لم يمتنى حتى أمرنى أن أصبر نفسى مع رجال من أمتى . معكم المحيا ومعكم الممات)[1] .

فهذا الأثر يدل على ان الآية مدنية لأن سلمان وأبا ذر كانا فى المدينة وهو ضعيف لأن فى سنده سليمان بن عطاء الحرانى[2] .

والذى أرجحه أن الآية مكية وهى شبيهة بقوله تعالى فى سورة الأنعام المكية (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه)[3] الاية .

والآية التى بين أيدينا (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا . ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا) . . فقد ورد فى سبب نزول آية الأنعام الحديث الصحيح الذى رواه مسلم بسنده عن سعد قال كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم ستة نفر فقال المشركون للنبى صلى الله عليه وسلم اطرد هؤلاء لا يجترؤون علينا وقال وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان لست أسميهما فوقع فى نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشاء الله أن يقع فحدث نفسه فأنزل الله عز وجل (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه)[4] . ا.هـ

وأيضا أخرج الواحدى فى قوله تعالى (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا) الآية . نزلت فى امية بن خلف .

أخرج الواحدى بسنده عن ابن عباس فى قوله (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا)[5] قال : نزلت فى امية بن خلف الجمحى وذلك انه دعا

---

(١) اسباب النزول للواحدى (ص٣٠٦) تحقيق الأستاذ سيد صقر.

(٢) سليمان بن عطاء الحرانى . .قال البخارى فى حديثه مناكير، وقال أبو زرعة منكر الحديث . .وقد ذكره ابن حبان فى الضعفاء . وقال ابو حاتم منكر الحديث يكتب حديثه .ا.هـ
باختصار من تهذيب التهذيب(٤ : ٢١١) .

(٣) الانعام : ٥٢

(٤) صحيح مسلم (باب مناقب سيدنا سعد بن ابى وقاص) بشرح النووى ط/دار الفكر(١٥ : ١٨٨) . وراجع اسباب النزول للواحدى تحقيق الاستاذ سيد صقر (ص٢١٢) .

(٥) الكهف : ٢٨

النبى صلى الله عليه وسلم إلى أمر كرهه من تحرد الفقراء عنه وتقريب صناديد اهل مكة فأنزل الله (ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا) - يعنى من ختمنا على قلبه عن التوحيد واتبع هواه - يعنى الشرك.(١)

وأخيرا قوله تعالى (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا) الى آخر السورة. أشار السيوطى الى انها مدنية وذلك لان قوله تعالى (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا) فقد ورد فى سبب نزولها أنها نزلت فى اليهود.

قال الواحدى: قال ابن عباس: قالت اليهود لما قال لهم النبى صلى الله عليه وسلم (وما اوتيتم من العلم الا قليلا) كيف وقد اوتينا التوراة. ومن أوتى التوراة فقد اوتى خيرا كثيرا فنزلت - قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى - الآية.(٢)

فدل سبب النزول على أنها مدنية.

وكذلك قوله تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه) الآية.

وأخرج الواحدى بسنده عن ابن عباس: نزلت فى جندب بن زهير الغامدى(٣) وذلك انه قال: إنى أعمل العمل لله، فاذا اطلع عليه سرنى. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا ولا يقبل ماروئى فيه فأنزل الله تعالى هذه الاية.(٤)

والذى أرجحه ان الآيات مكية لما فيها من الحض على الإيمان بالله والنهى عن الشرك بالله. وهى من أهم خصائص الآيات المكية.

قال ابن كثير: (قال ابن جرير: حدثنا ابو عامر اسماعيل بن

---

(١) أسباب النزول للواحدى (ص٣٠٧) تحقيق الاستاذ سيد صقر.

(٢) أسباب النزول للواحدى تحقيق الاستاذ سيد صقر (ص٣٠٨) وراجع تفسير القرطبى (١١ : ٦٨).

(٣) هو جندب الخير الازدى العامرى قاتل الساحر يكنى ابا عبد الله له صحبة روى عن النبى صلى الله عليه وسلم (حد الساحر ضربه بالسيف) ذكر العسكرى انه مات فى خلافة معاوية. تهذيب التهذيب (٢ : ١١٨).

(٤) أسباب النزول للواحدى (ص٣٠٨) تحقيق الاستاذ سيد صقر.

عمرو السكوني . حدثنا هشام بن عمار حدثنا ابن عياش حدثنا عمرو بن قيس الكندي أنه سمع معاويةبن أبي سفيان تلا هذه الآية (فمن كان يرجوا لقاء ربه) الآية وقال انهاآخرآية نزلت من القرآن . وهذا أثر مشكل فان هذه الآية آخر سورة الكهف . والكهف كلها مكية ولعل معاوية أراد أنه لم ينزل بعدها آية تنسخها ولا تغير حكمها بل هي مثبتة محكمة فاشتبه ذلك على بعض الرواة فروى بالمعنى على مافهمه والله أعلم)[1] .

فهذا فيه تأكيد من ابن كثير رحمه الله على مكية السورة عند قوله (والكهف كلها مكية) . . والله أعلم . .

---

(١) تفسير ابن كثير (٣ : ١١٠) .

(١٢) سورة مريـــم

وهى من السور المكية . وقال السيوطى : استثنى منها آيـــة السجدة[١] . وقوله (وإن منكم الا واردها)[٢] أى أنهما آياتان مدنيتان[٣] .

ولم أجد مايعضد ذلك . . وقد نقل القرطبى الإجماع على مكيتها قال القرطبى فى تفسيره : (سورة مريم عليها السلام وهى مكية باجماع)[٤] .

---

(١) آية السجدة (اولئك الذين انعم الله عليهم) الى قوله (اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا) آية : ٥٨

(٢) آية : ٧١

(٣) الاتقان (١ : ١٦) .

(٤) القرطبى (١١ : ٧٢) .

(١٣) سورة طـــه

سورة طه من السور المكية . .

قال السيوطى فى الاتقان : ("طه" استثنى منها" فاصبر علـــى مايقولون"[١] الآية .

قلت : وينبغى أن يستثنى آية أخرى فقد أخرج البزار وأبويعلـــى عن أبى رافع قال : اضاف النبى صلى الله عليه وسلم ضيفا فأرسلنى إلـى رجل من اليهود أن أسلفنى دقيقا إلى هلال رجب فقال : لا . الا برهـن فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال أما والله انى لأمين فـــى السماء أمين فى الأرض . فلم أخرج من عنده حتى نزلت هذه الآيـــة "لاتمدن عينيك الى مامتعنا به أزوا جا منهم"[٢] [٣] .

قال القرطبى : (قال بعض الناس : سبب نزول هذه الآية (ولا تمدن عينيك) مارواه ابو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : نـزل ضيف برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسلنى عليه السلام الى رجـل يهودى وقال قل له يقول لك محمد : نزل بنا ضيف ولم يلق عندنا بعـض الذى يصلحه فبعنى كذا وكذا من الدقيق ، أو أسلفنى إلى هـــلال رجب فقال : لا ، إلا برهن .

قال : فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقـال والله انى لأمين فى السماء أمين فى الارض ولو أسلفنى أو باعنى لأديت اليه اذهب بدرعى اليه . . ونزلت الآية تعزية له عن الدنيا .

قال ابن عطية : وهذا معترض أن يكون سببا ، لأن السورة مكيـــة والقصة المذكورة مدنية فى آخر عمر النبى صلى الله عليه وسلم ، لأنـــه مات ودرعه مرهونة عند يهودى بهذه القصة التى ذكرت .

وإنما الظاهر أن الآية متناسقة مع ماقبلها وذلك أن الله تعالـــى

---

(١) طه : ١٣٠
(٢) طه : ١٣١
(٣) الاتقان (١ : ١٦) .

وبخهم على ترك الاعتبار بالامم السالفة ثم توعدهم بالعذاب المؤجل ثم أمر نبيه بالاحتقار لشأنهم والصبر على أقوالهم والاعراض عن أموالهم ومافى أيديهم من الدنيا ، إذ ذلك منصرم عنهم صائر إلى خزى[١] .

قلت : قال القرطبى : سورة طه عليه السلام مكية فى قول الجميع[٢] .

أضيف إلى قوله هذا الحديث الصحيح الذى رواه البخارى بسنده عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال : (بنى اسرائيل والكهف ومريم وطه والانبياء هن من العتاق[٣] الاول وهن من تلادى[٤]) .

قال ابن حجر : (وزاد فى هذه الرواية مالم يذكره فى تلك وحاصله : أنه ذكر خمس سور متوالية ومقتضى ذلك أنهن نزلن بمكة لكن اختلف فى بعض آيات منهن ..... قيل فى جميع ذلك إنه مدنى ولايثبت شىء من ذلك والجمهور على أن الجميع مكيات وشذ من قال خلاف ذلك[٥]) .

والخمس سور التى يشير إليها ابن حجر هى (الاسراء) ، (الكهف) (مريم) ، (طه) ، (الأنبياء) .

فعليه فسورة طه مكية كلها والله أعلم .

---

(١) تفسير القرطبى (١١ : ٢٦٢ - ٢٦٣) .
(٢) تفسير القرطبى (١١ : ١٦٣) .
(٣) قوله هن من العتاق الاول وهن من تلادى : يعنى ان تلك السور من قديم ما اخذت من القرآن شبههن بتلاد المال . والتالد هو المال القديم . انظر لسان العرب (٣ : ١٠٠) .
(٤) صحيح البخارى وعلى هامشه فتح البارى (١٠ : ٥٠) .
(٥) فتح البارى (١٠ : ٥٠) .

(١٤) سورة الأنبيـــاء

وهى من السور المكية . وقد أخرج البخارى فى صحيحه فى بـــاب تفسير سورة الأنبياء بسنده عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قـــال (بنى اسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء هن من العتاق الأول وهن من تلادى)[١] .

وقوله فى الحديث (من العتاق) بكسر العين المهملة جمع عتيـــق والعرب تجعل كل شىء بلغ الغاية فى الجودة عتيقا يريد تفضيل هـــذه السور لما تضمن مفتتح كل منها بامر غريب وقع فى العالم وهو الاســـراء وقصة أصحاب الكهف وقصة مريم ونحوها .

وقوله (الأول) بضم الهمزة وفتح الواو المخففة والأولية اما باعتبـــار حفظها و باعتبار نزولها لانها مكيات .

وقوله (من تلادى) بكسر التاء المثناة من فوق وتخفيف اللام وهـــو ماكان قديما وأراد بقوله من تلادى أى من محفوظاتى القديمة[٢] .

قال السيوطى : الانبياء (استثنى منها "أفلايرون أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون")[٣] .

قلت : لم أجد مايعضد ذلك . وقال القرطبى (سورة الأنبياء مكيـــة فى قول الجميع)[٤] .

---

(١) صحيح البخارى وعلى هامشه فتح البارى (١٠ : ٥٠) .
(٢) باختصار من عمدة القارى شرح صحيح البخارى لبدر الدين ابى محمد محمود بن احمد العينى الحنفى ـ دار الطباعة العامرة ـ الشركـــة الصحافية العثمانية فى دار السلطنة السنية سنة ١٣٠٨هـ (٩ : ٢) .
(٣) الاتقان (١ : ١٦) . الانبياء : ٤٤ .
(٤) القرطبى (١١ : ٢٦٦) .

(١٥) سورة الحج

سورة الحج من السور المكية وفيها آيات مدنية . وهى قوله تعالى (ومن الناس من يعبد الله على حرف)[١] الآية . وقوله تعالى (هذان خصمان)[٢] الى نهاية الآيات الثلاث . وقوله تعالى (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير)[٣] .

قال القرطبى : ("سورة الحج" وهى مكية ، سوى ثلاث آيات . قوله تعالى " هذان خصمان" إلى تمام ثلاث آيات قاله ابن عباس ومجاهد . وعن ابن عباس أيضا أنهن أربع آيات الى قوله (عذاب الحريق) .

وقال الضحاك وابن عباس أيضا : هى مدنية ـ وقاله قتادة . . . . . الا أربع آيات (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى)[٤] إلى (عذاب يوم عقيم) فهن مكيات وعد النقاش مانزل بالمدينة عشر آيات .

وقال الجمهور : السورة مختلطة منها مكى ومنها مدنى . وهذا هو الاصح . لأن الآيات تقتضى ذلك . لان (يا أيها الناس) مكى و(يا أيها الذين آمنوا) مدنى[٥] .

قلت : أما قوله تعالى (ومن الناس من يعبد الله على حرف) الآية مدنية فقد أخرج البخارى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : (ومن الناس من يعبد الله على حرف) قال كان الرجل يقدم المدينة فان ولدت امرأته غلاما ونتجت خيله قال هذا دين صالح وإن لم تلد امرأته ولم تنتج خيله قال هذا دين سوء)[٦] .

فدل الحديث على أن مناسبة نزول الآية كان فى المدينة بعد الهجرة .

---

(١) الحج : ١١
(٢) الحج : ١٩ - ٢٠ - ٢١
(٣) الحج : ٣٩
(٤) الحج : ٥٢ ومابعدها
(٥) تفسير القرطبى (١ : ١٢) .
(٦) صحيح البخارى وعليها هامش فتح الباري (١٠ : ٥٩) .

واما قوله تعالى (هذان خصمان اختصموا فى ربهم) الاية.

فقد اخرج البخارى بسنده عن ابى ذر رضى اللهعنه انهكا ن يقسم فيها أن هذه الاية هذان خصمان اختصموا فى ربهم نزلت فى حمزة وصاحبيه وعتبه وصاحبيه يوم برزوا فى يوم بدر .

وفى رواية أيضا للبخارى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال أنا اول من يجثو بين يدى الرحمن للخصومة يوم القيامة قال قيس وفيهم نزلت (هذان خصمان اختصموا فى ربهم) قال هم الذين بارزوا يوم بدر على وحمزة وعبيدة وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة)[1].

فدل سبب النزول على نزول الآية بعد الهجرة فهى مدنية.

وأما الآية الأخيرة، وهى قوله تعالى (اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير)[2].

فقد أخرج الترمذى بسنده عن ابن عباس قال (لما أخرج النبى صلى الله عليه وسلم من مكة . قال أبو بكر : أخرجوا نبيهم ليهلكن . فأنزل الله تعالى (أذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير)[3] فقال أبو بكر لقدعلمت أنه سيكون قتال)[4].

فدل سبب النزول على أن الآية مدنية لانها بعد خروجه من مكة

هذا وهناك آية رابعة فى هذه السوره وهى مدنيه . وهى قوله تعالى (ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به) الآيه[5]

---

(١) صحيح البخارى وعلى هامشه فتح البارى (١٠ : ٥٩) . راجع اسباب النزول للواحدى (ص٢٠٧) .

(٢) الحج : ٣٩

(٣) الحج : ٣٩

(٤) سنن الترمذى (٥ : ٣٢٥) .

(٥) الآيه ٦٠ راجع ص ٤٨ من بحثنا هذا

(١٦) سورة المؤمنون

وهى من السور المكية . وقد نص القرطبى على مكيتها فى أول تفسيره للسورة فقال : (مكية كلها فى قول الجميع)[١] .

ولقد استثنى منها السيوطى فى الاتقان الآيات من قوله تعالى (حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب اذا هم يجأرون)[٢] إلى قوله تعالى (حتى إذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد إذا هم فيه مبلسون)[٣] .

ولكن القرطبى نقض كلامه السابق والذى نص فيه على مكية السورة كلها بأن قال فى تفسيره لقوله تعالى (حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب) (يعنى بالسيف يوم بدر قاله ابن عباس) . وبدر كانت بعد الهجرة فعليه فالآية مدنية . وقال فى قوله تعالى (ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم ومايتضرعون) قال : نزلت فى قصة ثمامة بن اثال لما اسرته السرية واسلم . وخلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيله حال بين مكة وبين المبيره وقال : والله لايأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم واخذ الله قريشا بالقحط والجوع حتى اكلوا الميتة والكلاب والعلهز . قيل وما العلهز؟ قال : كانوا يأخذون الصوف والوبر فيبلونه بالدم ثم يشوونه ويأكلونه . فقال له ابو سفيان انشدك الله والرحم . اليس تزعم ان اللهبعثك رحمة للعالمين ؟ قال بلى قال : فوالله ما أراك الا قتلت الآباء بالسيف ، وقتلت الأبناء بالجوع فنزل قوله (ولو رحمناهموكشفنا مابهم من ضر للجوا فى طغيانهم يعمهون)[٥] .

قلت : والسرية التى أسر فيها ثمامة بن أثال هى سرية (محمد بن مسلمة إلى القرطاء وهم بنو بكر بن كلاب)[٦] . وكانت بعد الهجرة وعليه فتكون

---

(١) تفسير القرطبى (١٢ : ١٠٢) .
(٢) المؤمنون : ٦٤
(٣) المؤمنون : ٧٧ ، الاتقان (١ : ١٦) .
(٤) راجع القرطبى (١٢ : ١٣٥) .
(٥) تفسير القرطبى (١٢ : ١٤٣) .
(٦) انظر السيره الحلبيه للعلامه برهان الدين الحلبي (٣ : ٧٧١)

الآية مدنية ولكن ابن كثير ذكر فى تفسيره أنها مكية فقال (تفسير سورة المؤمنون مكية) ولم يستثن منها شيئا .

وقال عند تفسيره للآيات التى استثناها السيوطى وهى قوله تعالى (حتى اذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجأرون . لا تجأروا اليوم انكم منا لا تنصرون قد كانت آياتى تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون مستكبرين به سامرا تهجرون) (١) .

يعنى حتى اذا جاء مترفيهم وهم المنعمون فى الدنيا عذاب الله وبأسه ونقمته بهم (إذا هم يجأرون) اى يصرخون ويستغيثون . . . . وقوله (مستكبرين به سامرا تهجرون) فى تفسيره قولان (أحدهما) أن مستكبرين حال منهم حين نكوصهم عن الحق وابائهم إياه استكبارا عليه واحتقارا له ولأهله فعلى هذا الضمير فى (به) فيه ثلاثة اقوال :

(أحدها) أنه الحرم أى مكة ذموا لأنهم كانوا يسمرون فيه بالهجر من الكلام (٢) .

(والثانى) أنه ضمير للقرآن كانوا يسمرون ويذكرون القرآن بالهجر من الكلام : أنه سحر ، أنه شعر ، أنه كهانة . . إلى غير ذلك من الأقوال الباطلة .

(الثالث) أنه محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يذكرونه فى سمرهم بالاقوال الفاسدة ويضربون له الامثال الباطلة من أنه شاعر أو كاهن أو ساحر أو كذاب أو مجنون . . . . .

وقيل المراد بقوله (مستكبرين به) أى بالبيت يفتخرون به ويعتقدون إنهم أولياؤه وليسوا به (٣) .

وقوله تعالى (ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم ومايتضرعون حتى إذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد إذا هم فيه مبلسون) (٤) .

---

(١) المؤمنون : ٦٤ - ٦٧

(٤) المؤمنون : ٧٦ - ٧٧

(٢) الهجر من الكلام : القبيح وهو الاستهزاء والفحش من القول . انظر لسان العرب (٥ : ٢٥٢)

(٣) انظر تفسير ابن كثير (٣ : ٢٤٩)

قال ابن كثير (ولقد أخذناهم بالعذاب) أى ابتليناهم بالمصائب والشدائد (فما استكانوا لربهم ومايتضرعون) أى فما ردهم ذلك عما كانوا فيه من الكفر والمخالفة بل استمروا على غيهم وضلالهم (ماستكانوا) أى ماخشعوا[1] .

ثم روى بسنده عن ابن أبى حاتم عن عكرمة عن ابن عباس قال جاء أبو سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يامحمد أنشدك الله والرحم فقد أكلنا العلهز - يعنى الوبر والدم - فأنزل الله (ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا) الآية .

وكذا رواه النسائى عن محمد بن عقيل عن على بن الحسين عن أبيه به وأصله فى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا على قريش حين استعصوا فقال (اللهم أعنى عليهم بسبع كسبع يوسف) .

وقوله (حتى إذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد إذا هم فيه مبلسون) أى حتى إذا جاءهم أمر الله وجاءتهم الساعة بغتة فأخذهم من عذاب الله مالم يكونوا يحتسبون فعند ذلك أبلسوا من كل خير وأيسوا من كل راحة وانقطعت آمالهم ورجاؤهم[2] . ا.هـ

قلت : الحديث الذى أشار اليه ابن كثير أصله فى الصحيحين قوله صلى الله عليه وسلم (اللهم أعنى عليهم بسبع كسبع يوسف) أخرجه البخارى مطولا فى كتاب التفسير سورة الروم وسورة ص، والدخان[3] . وأخرجه مسلم[4] فى كتاب صفة القيامة والجنة والنار فى باب الدخان مطولا) . وأخرجه الترمذى فى تفسير سورة الدخان[5]) .

وإليك الحديث كما أخرجه البخارى بسنده عن مسروق قال : قال عبد الله (يعنى ابن مسعود) : إنما كان هذا لان قريشا لما استعصوا على النبى صلى الله عليه وسلم دعا عليهم بسنين كسنى يوسف ، فأصابهم

---

(١) تفسير ابن كثير (٣ : ٢٥٢) .
(٢) فتح البارى (ص ٦٢٨ ، ١٦٤ ، ١٩٢ ، جـ ١٠) .
(٣) صحيح مسلم وعلى هامشه شرح النووى (١٧ : ١٤٢) .
(٤) سنن الترمذى (٥ : ٣٧٩) .

قحط وجهد حتى أكلوا العظام .فجعل الرجل ينظر إلى السماء ، فيرى مابينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد . فأنزل الله تعالى (فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم)[1] .

قال : فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل :يارسول الله استسق الله لمضر فانها قد هلكت ، قال : لمضر؟ إنك لجرىء فاستسقى فسقوا. فنزلت إنكم عائدون ـ فلما أصابتهم الرفاهية عادوا الى حالهم حين أصابتهم الرفاهية فأنزل الله (يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون) قال يعنى يوم بدر[2]

وفى الرواية[3] الأخرى والتى للبخارى ايضا : (حول قوله"انا كاشفو العذاب قليلا إنكم عائدون"[4] ـ أفيكشف العذاب يوم القيامة؟ قال فكشف ثم عادوا فى كفرهم فأخذهم الله يوم بدر ـ قال الله تعالى (يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون)[5] .

فمن خلال دراستنا للرواية السابقة نستخلص مايلى :

(١) أن رأى عبدالله بن مسعود رضى اللهعنه فى تفسير الدخان هو ماحدث لأهل مكة من جراء دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم على أهلها حين استعصت عليه فدعا عليهم بسنين كسنى يوسف . وكان الرسول صلى الله عليه وسلم آنذاك فى مكة ولم يهاجر الى المدينة بعد .

(٢) الآتى المذكور هو أبو سفيان كما صرح به فى الرواية الأخيرة المذكورة فى الباب (فأتاه أبو سفيان فقال اى محمد ، إن قومك قد هلكوا فادع الله أن يكشف عنهم)[6] وأبو سفيان كان فى مكة .

---

(١) الدخان : ١٠ - ١١

(٢) صحيح البخارى شرح فتح البارى (١ : ١٩٢) .

(٣) صحيح البخارى شرح فتح البارى (١ : ١٦٧) .

(٤) الدخان : ١٥

(٥) الدخان : ١٦

(٦) صحيح البخارى وفى هامشه فتح البارى (١٠ : ١٩٤) .

(٣) وقوله (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمضر إنك لجرىء) .
(اى تأمرنى أن استسقى لمضر مع ماهم عليه من المعصية والاشراك به ؟ ووقع فى شرح الكرمانى قوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمضر أى لأبى سفيان فانه كان كبيرهم فى ذلك الوقت وهو كان الآتى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم المستدعى منه الاستسقاء)[1] .

ولم تنص أى رواية أن أبا سفيان سافر الى المدينة لطلب السقيا بل قال فأتاه أبو سفيان وهو لايزال على الشرك فقال أى محمد ولم يقل يانبى الله . كل هذه دلائل على ان هذه الدعوة من رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت قبل هجرته إلى المدينة .

فعليه فالآيات مكية والسورة فى اسلوبها ومعانيها وتعبيراتها تجعلنى أميل الى انها كلها مكية .

والذين قالوا بمدنية الآيات قالوا ذلك بناء على أن دعاء النبى صلى الله عليه وسلم كان فى المدينة . نعم ثبت فى الصحيح أنه كان النبى صلى الله عليه وسلم يدعو على قريش وقد مكث شهرا إذا رفع رأسه من الركعة الثانية من صلاة الفجر بعد قوله سمع الله لمن حمده يقول اللهم أنج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن أبى ربيعة والمستضعفين من المؤمنين بمكة اللهم اشدد وطأتك على مضر . اللهم اجعلها سنين كسنى يوسف ثبت ذلك .

أخرج البخارى بسنده عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا رفع رأسه من الركعة الاخيرة يقول : اللهم أنج عياش بن ابى ربيعة ، اللهم انج سلمة بن هشام ، اللهم انج الوليد بن الوليد اللهم انج المستضعفين من المؤمنين ، اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها سنين كسنى يوسف[2] .

---

(١) فتح البارى (١٠ : ١٩٢) .
(٢) فتح البارى (٣ : ١٤٦) ابواب الاستسقاء وكذلك (١٣ : ٤٥٠) فى كتاب الدعوات .

ويلاحظان الراوى هو ابو هريرة وكان اسلامه بعد الهجرة فى المدينة ولم يكن فى مكة قبل الهجرة . والرواية السابقة عن عبد الله بن مسعود وهو من اوائل الصحابة السابقين الى الاسلام .

وللتوفيق بين الروايتين : ان الايات التى نص السيوطى ومن اتبعه من المفسرين على مدنيتها هى آيات مكية نزلت بسبب دعاء المصطفى صلى الله عليه وسلم على قريش حين استعصوا على النبى صلى الله عليه وسلم فقال (اللهم اعنى عليهم بسبع كسبع يوسف) فقد اخرج البخارى بسنده عن مسروق (وفيه) وان قريشا ابطأوا عن الاسلام فدعا عليهم النبى صلى الله عليه وسلم فقال (اللهم أعنى عليهم بسبع كسبع يوسف ، فأخذتهم سنة حتى هلكوا فيها وأكلوا الميتة والعظام ويرى الرجل مابين السماء والأرض كهيئة الدخان فجاءه ابو سفيان فقال : يامحمد جئت تأمرنا بصلة الرحم وإن قومك قد هلكوا فادع الله فقرأ "فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين" الى قوله "عائدون" - افيكشف عنهم عذاب الاخرة اذا جاء ثم عادوا الى كفرهم . فذلك قوله يوم نبطش البطشة الكبرى - يوم بدر . . .) (١) .

على حين كان دعاؤه فى المدينة هو دعاء القنوت للمستضعفين من المؤمنين فى مكة أن ينجيهم الله من براثن القتل والفتك الذى وقع للمسلمين فى مكة وختم دعاءه صلى الله عليه وسلم بقوله (اللهم اشدد وطأتك على مضر . . اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف) . ويلاحظ الفرق بينها وبين دعوته السابقة فى مكة (اللهم أعنى عليهم بسبع كسبع يوسف) فتلك كانت فى مكة والأخيرة كانت فى المدينة وكلتا الروايتين صحيحة .

فالمراد من الايات (ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم ومايتضرعون حتى إذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد إذا هم فيه مبلسون) (٢) .

---

(١) صحيح البخارى وعلى هامشه فتح البارى (١٠ : ١٢٩) .

(٢) المؤمنون : ٧٦ - ٧٧

هو ما أصابهم فى مكة من الجوع وأكلهم العلهز والميتة نتيجة لدعوته صلى الله عليه وسلم عليهم فى مكة حين استعصوا ولم يد خلوا فى الاسلام أن يعينه الله عليهم بسنين كسنى يوسف عليه السلام واستجاب الله له فحدث ماحدث . والله اعلم . .

(١٧) سورة الفرقـان

سورة الفرقان من السور المكية كما نص عليه قول الجمهور .

قال القرطبي : (مكية كلها في قول الجمهور . وقال ابن عباس وقتادة إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة وهي " والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر" إلى قوله " وكان الله غفورا رحيما")(١) .

وبذلك قال السيوطي في الأتقان (استثنى منها " والذين لا يدعون" إلى "رحيما")(٢) .

قلت : ورد في صحيح مسلم مايشير إلى أن الآيات مكية .

أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عباس : أن ناسا من أهل الشرك قتلوا فأكثروا وزنوا فأكثروا فأتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فقالوا : إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن لو تخبرنا بأن لما عملنا كفارة فنزلت " والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما")(٣) .

وأخرج مسلم ايضا في صحيحه عن عبد الله بن مسعود قال رجل يارسول الله ، أي الذنب أكبر عند الله ؟ قال : أن تدعو لله ندا وهو خلقك قال : ثم أي ؟ قال : أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك . قال : ثم أي ؟ قال : أن تزني في حليلة جارك . فأنزل الله تعالى تصديقها "والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما"(٤) .

وأخرج البخاري بسنده قال :

(حدثنا إبراهيم بن موسى . أخبرنا هشام بن يوسف أن ابن جريج أخبرهم قال : أخبرني القاسم بن أبي بزه أنه سأل سعيد بن جبير : هل

---

(١) تفسير القرطبي (١٣ : ١) . والايات من سورة الفرقان آية : ٦٨ - ٧٠

(٢) الاتقان للسيوطي (١ : ١٦) .

(٣) صحيح البخاري (١٠ : ١٧٠) وعلى هامشه فتح الباري

(٤) صحيح مسلم (٢ : ٨٠) . بشرح النووي

لمن قتل مؤمنا متعمدا من توبة؟ فقرأت عليه (ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق)[١]. فقال سعيد : قرأتها على ابن عباس كما قرأتها علىّ فقال هذه مكية نسختها آية مدنية التى فى سورة النساء)[٢].

قلت : هذا نص من حبر الأمة رضى الله عنه على مكية الاية . ويعنى بالاية المدنية التى فى سورة النساء (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما)[٣].

فمن تأمل الاحاديث السابقة وموضوع الاية وهو نبذ الشرك بالله وقتل النفس والزنا وهى تلك القبائح المتفشية فى المجتمع المكى وارتباط الآية بما قبلها من صفات عباد الرحمن كل ذلك مؤشرات تجعلنى أميل الى ان الآية مكية فعليه فالسورة كلها كما نص الجمهور مكية وبدون استثناء . والله اعلم . .

---

(١) الفرقان : ٦٨

(٢) صحيح البخارى وعلى هامشه فتح البارى (١٠ : ١١٠) ، كتاب التفسير .

(٣) النساء : ٩٣

(٢٦) سورة الشعراء

وهى من السور المكية . (قال القرطبى : هى مكية فى قول الجمهور. وقال مقاتل : منها مدنى ، الآية التى يذكر فيها الشعراء - وقوله (أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى إسرائيل)[١] . وقال ابن عباس وقتادة : مكية إلا اربع آيات منها نزلت بالمدينة من قوله " والشعراء يتبعهم الغاوون "[٢] إلى آخرها)[٣] .

وقال السيوطى : (الشعراء . استثنى ابن عباس منها والشعراء الى آخرها . . . وزاد غيره وقوله (أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى اسرائيل) حكاه ابن الغرس)[٤] .

وقال القاسمى : (هى مكية إلا قوله " والشعراء يتبعهم الغاوون" الى آخرها وقوله " أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى اسرائيل" فقد روى أنهما نزلتا بالمدينة وكان شعراؤه صلى الله عليه وسلم بالمدينة حسان وكعب بن مالك وابن رواحه رضى الله عنهم .

وقال الدانى : روى بسند صحيح أنها نزلت فى شاعرين تهاجيا فى الجاهلية مع كل واحد منهما جماعة ، فالسورة على هذا كلها مكية)[٥] .

وقال ابن كثير : قال ابن إسحق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن ابى الحسن سالم البراء عن عبد الله تميم الدارى : قال : لما نزلت (والشعراء يتبعهم الغاوون) جاء حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحه وكعب بن مالك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يبكون قالوا : قد علم الله حين انزل هذه الاية أنا شعراء فتلا النبى صلى الله عليه وسلم (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) قال : أنتم (وذكروا الله كثيرا) قال

---

(١) الشعراء : ١٩٧

(٢) الشعراء : ٢٢٤-٢٢٧

(٣) تفسير القرطبى (١٣ : ٨٧) م٧ ، اول تفسير السورة .

(٤) الاتقان للسيوطى (١ : ١٦) .

(٥) تفسير القاسمى (محاسن التأويل) محمد جمال الدين القاسمى (١٣ : ٤٦٠٤) ط/الاولى عيسى البابى وحلبى سنة ١٣٧٩هـ تعليق وتخريج محمد فؤاد عبد الباقى .

انتم (وانتصروا من بعد ماظلموا) قال (انتم) رواه ابن أبى حاتم وابن جرير من رواية ابن اسحاق.

وقد روى أبن أبى حاتم أيضا عن ابى سعيد الأشج عن أبى أسامة عن الوليد بن ابى كثير عن زيد بن عبد الله عن أبى الحسن مولى بنى نوفل أن حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحه أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انزلت هذه الآية (والشعراء يتبعهم الغاوون) يبكيان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرأها عليهما (والشعراء يتبعهم الغاوون - حتى بلغ - إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) قال أنتم. وقال ايضا: حدثنا ابى حدثنا أبو مسلم حدثنا حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن عروة قال: لما نزلت (والشعراء يتبعهم الغاوون) إلى قوله (وأنهم يقولون مالا يفعلون) قال عبد الله بن رواحه يارسول الله قد علم الله أنى منهم فانزل الله تعالى (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) الاية.

وهكذا قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد وقتادة وزيد بن أسلم وغير واحد أن هذا استثناء مما تقدم. ولاشك انه استثناء. ولكن هذه السورة مكية فكيف يكون سبب نزول هذه الايات شعراء الأنصار؟ وفى ذلك نظر، ولم يتقدم إلا مرسلات لايعتمد عليها والله أعلم. ولكن هذا الاستثناء يدخل فيه شعراء الانصار وغيرهم وممن يدخل فيه من كان متلبسا من شعراء الجاهلية بذم الاسلام وأهله ثم تاب وأناب ورجع وأقلع وعمل صالحا وذكر الله كثيرا فى مقابله ماتقدم من الكلام السيء. فإن الحسنات يذهبن السيئات وامتدح الاسلام وأهله فى مقابله ماكان يذمه)[1].

وعلى هذا فالسورة كلها مكية كما نص على ذلك الجمهور.

---

(١) تفسير ابن كثير (٣: ٣٥٤) ط/دار الفكر.

(١٩) سورة القصص

سورة القصص من السور المكية وقد تضمنت بعض الآيات المدنية قال الزركشي : سورة القصص مكية غير آية : (الذين آتيناهم الكتاب) يعني الانجيل (من قبله هم به يؤمنون) يعني الفرقان . نزلت في أربعين رجلا من مؤمني أهل الكتاب قدموا من الحبشة مع جعفر بن أبي طالب فاسلموا .

قال السيوطي في الاتقان : (سورة القصص استثنى منها (الذين آتيناهم الكتاب)[1] الى قوله (الجاهلين)[2] فقد أخرج الطبراني عن ابن عباس أنها نزلت هي وآخر الحديد في اصحاب النجاشي الذين قدموا وشهدوا وقعة احد . وقوله (إن الذي فرض عليك القرآن)[3] الاية لما سيأتي)[4] .

(وقد وضح قوله " لما سيأتي " في امثلة السفرى فقال منها (إن الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد) نزلت بالجحفة في سفر الهجرة كما اخرجه ابن ابي حاتم عن الضحاك .

وقال القرطبي : مكية كلها في قول الحسن وعكرمة وعطاء ، وقال ابن عباس وقتادة الا آية نزلت بين مكة والمدينة . وقال ابن سلام : بالجحفة في وقت هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وهي قوله (ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد) الاية .

وقال مقاتل : فيها من المدني " الذين آتيناهم الكتاب الى قوله : لا نبتغي الجاهلين "[5] ويؤيد ذلك في قوله تعالى (الذين آتيناهم الكتاب الى قوله (لا نبتغي الجاهلين) . :

(١) ما اخرجه الطبري عن ابن عباس قال : (يعني من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب) .

---

(١) (٢) القصص : ٥٢ - ٥٥
(٣) القصص : ٨٥
(٤) الاتقان للسيوطي (١ : ١٦) .
(٥) القرطبي (١٣ : ٢٤٧) .

(٢) ما أخرجه عن قتادة قال (كنا نحدث انها نزلت فى أناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق يأخذون بها وينتهون إليها حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم، فآمنوا به وصدقوا به فأعطاهم الله أجرهم مرتين . بصبرهم على الكتاب الأول ، واتباعهم محمدا صلى الله عليه وسلم وصبرهم على ذلك ، وذكر أن منهم سلمان ، وعبد الله بن سلام[١].

وذكر القرطبى فى تفسير الآية : (أن قوما ممن أوتوا الكتاب من بنى اسرائيل من قبل القرآن (يؤمنون بالقرآن ، كعبد الله بن سلام وسلمان ويدخل فيه من أسلم من علماء النصارى ، وهم أربعون رجلا ، قدموا مع جعفر بن أبى طالب المدينة ، اثنان وثلاثون رجلا من الحبشة وثمانية نفر أقبلوا من الشام وكانوا ائمة النصارى : منهم بحيرا الراهب وأبرهة والاشرف وعامر وايمن وإدريس ونافع .كذا سماهم الماوردى . وأنزل الله تعالى فيهم هذه الاية والتى بعدها " أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا" قاله قتادة[٢] .

وقد ثبت فى صحيح مسلم عن أبى موسى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :" ثلاثة يؤتون اجرهم مرتين رجل من اهل الكتاب آمن بنبيه وأدرك النبى صلى الله عليه وسلم فآمن به واتبعه وصدقه فله اجران . وعبد مملوك ادى حق الله عز وجل وحق سيده فله أجران ورجل كانت له امة فغذاها فأحسن غذاءها ثم ادبها فأحسن أدبها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران"[٣].

فالصنف الأول من الناس الوارد ذكره فى الحديث يطابق ماجاءت به الآية (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين . أولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا ويدرأون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون)إلى قوله (لا نبتغى الجاهلين)[٤].

---

(١) تفسير الطبرى (٢٠ : ٨٩) .
(٢) تفسير القرطبى (١٣ : ٢٩٦) .
(٣) صحيح مسلم بشرح النووى (٢ : ١٨٧) م ١ - كتاب الايمان .
(٤) القصص : ٥٢ - ٥٥

وهؤلاء الذين آمنوا من أهل الكتاب كانوا بعد الهجرة قدموا الى المدينة فالآيات مدنية .

اما قوله تعالى (ان الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد قل ربى أعلم من جاء بالهدى ومن هو فى ضلال مبين)[1] . فهى مكية .

والمراد بقوله الى (معاد) أى إلى مكة .

اخرج البخارى بسنده عن عكرمة عن ابن عباس (لرادك إلى معاد) : قال : الى مكة[2] .

وأخرج ابن أبى حاتم عن الضحاك رضى الله عنه قال : لما خرج النبى صلى الله عليه وسلم من مكة فبلغ الجحفة اشتاق إلى مكة فانزل الله (إن الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد) .

وهناك من لا يقول بمدنيتها ولا مكيتها كابن عباس فانه قال :(نزلت هذه الاية بالجحفة ليست مكية ولا مدنية)[3] .

قلت : هذا لانه نظر الى المكان وحده للضبط فمانزل بمكة فهو مكى ومانزل بالمدينة فهو مدنى . ومانزل بين مكة والمدينة فهو ليس مكيا ولا مدنيا .

ولكنى اقول معقبا على هذا بأن التعريف الجامع المانع للمكى وللمدنى هو (انه مانزل قبل الهجرة فهو مكى ومانزل بعد الهجرة فهو مدنى) .

فهنا اعتبرنا الزمان مع مراعاة أن الحد الفاصل بين المكى والمدنى هو وصول الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة . إذا فمانزل فى طريق الهجرة فهو مكى فالآية (ان الذى فرض) مكية .

---

(١) القصص : ٨٥

(٢) فتح البارى شرح صحيح البخارى (١٠ : ١٢٧) .

(٣) تفسير القرطبى (١٣ : ٣٢١) .

ذكر ابو عمرو عثمان بن سعيد الدارمي[1] بإسناده الى يحيى بن سلام قال :(مانزل بمكة ومانزل فى طريق المدينة قبل أن يبلغ النبى صلى الله عليه وسلم المدينة فهو من المكى ومانزل على النبى صلى الله عليه وسلم فى اسفاره بعد ماقدم المدينة فهو من المدنى)[2] .

فعليه فالآية نزلت قبل ان يصل المصطفى صلى الله عليه وسلم الى المدينة فهى مكية . والله اعلم . .

ويلى هذه السورة سورة العنكبوت وقد سبق ان فصلت القول فيها (ص ١٥) من بحثنا هذا .

---

(١) وهو صاحب المسند الكبير، اخذ الفقه عن البويطى والعربية عن ابن الاعرابى والحديث عن ابن المدينى . توفى سنة ٢٨٠هـ . شذرات الذهب(٢ : ١٧٦) .

(٢) البرهان للزركشى (١ : ١٨٨) ، الاتقان (١ : ٩) .
وقد ذكر السيوطى ان الذى اخرج الاثر هو عثمان بن سعيد الرازى والصواب انه الدارمى كما فى البرهان .

(٢٠) سورة لقمـــان

وهى من السور المكية واختلف فى قوله تعالى (ولو أنما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن اللـــه عزيز حكيم)[١] .

قال ابن كثير: روى أن هذه الآية نزلت جوابا لليهود قال ابـــن إسحاق حدثنى محمد بن ابى محمد عن سعيد بن جبير أو عكرمة عـــن ابن عباس أن أحبار يهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة يا محمد ارأيت قولك (وما أوتيتم من العلم الا قليلا)[٢] أيانا تريد أم قومك ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "كلا كما" قالوا الست تتلو فيمـــا جاءك انا قد أوتينا التوراة فيها تبيان لكل شىء ؟ فقال رسول اللـــه صلى الله عليه وسلم (إنها فى علم الله قليل وعندكم من ذلك مايكفيكـــم) وأنزل الله فيما سألوه عنه من ذلك (ولو أن مافى الأرض من شجرة أقلام) ثم عقب ابن كثير (هكذا روى عن عكرمة وعطاء بن يسار وهذا يقتضى أن هـــذه الاية مدنية لا مكية والمشهور أنها مكية والله أعلم)[٣] .

قلت : والذين قالوا بمدنية الآية لان اليهود جاء ذكرهم فى القصة المذكورة فى سبب نزول الآية . ولا يمنع أن يكون اليهود أتوا الى مكـــة وسألوا الرسول صلى الله عليه وسلم عن قوله (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) فلذلك ارجح مكية الاية والله اعلـــم . .

---

(١) لقمان : ٢٧

(٢) الاسراء : ٨٥

(٣) تفسير ابن كثير (٣ : ٤٥١) ، راجع اسباب النزول للواحدى (ص٢٣٣) .

(٢١) سورة السجدة

سورة السجدة من السور المكية حيث إنها افتتحت بحروف المعجم وتضمنتها فى الآية الخامسة عشرة سجدة .

قال الألوسى فى مقدمة تفسيره للسورة : (أخرج ابن الضريسى وابن مردويه والبيهقى فى الدلائل عن ابن عباس أنها نزلت بمكة ، واخرج ابن مردويه عن عبد الله بن الزبير مثله ، وفى رواية أخرى عن الحبر استثناء واخرج النحاس عنه رضى الله عنه أنه قال : نزلت سورة السجدة بمكة سوى ثلاث آيات (أفمن كان مؤمنا) إلى تمام الآيات الثلاث[1] . . وروى مثله عن مجاهد والكلبى . واستثنى بعضهم أيضا آيتين أخريين وهما قوله تعالى (تتجافى جنوبهم)[2] واستدل عليه ببعض الروايات فى سبب النزول وستطلع على ذلك إن شاء الله واستبعد استثناؤهما لشدة ارتباطهما بما قبلهما[3]) .

أما قوله (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون) .

فقد اختلف العلماء فى المراد من الصلاة التى تتجافى جنوبهم لاجلها .

قال القرطبى : (وفى الصلاة التى تتجافى جنوبهم لأجلها أربعة أقوال :

احدها : التنفل بالليل ، قاله الجمهور من المفسرين وعليه أكثر الناس . . . .ويدل عليه قوله تعالى (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة اعين) لأنهم جوزوا على ما أخفوا بما خفى . والله اعلم . .

وفى قيام الليل أحاديث كثيرة منها حديث معاذ بن جبل ان النبى صلى الله عليه وسلم قال له : (ألا أدلك على أبواب الخير : الصوم جنة والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار وصلاة الرجل فى جوف الليل قال ثم تلا (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا - حتى

---

(١) السجدة : ١٨ - ٢٠

(٢) السجدة : ١٦

(٣) تفسير الالوسى (٢١ : ١١٥) .

بلغ - يعملون)[1] .

أخرجه أبو داود الطيالسى[2] فى مسنده والقاضى اسماعيل بن اسحاق وأبو عيسى الترمذى[3] . وقال فيه حديث حسن صحيح .

الثانى : صلاة العشاء التى يقال لها العتمة ، قاله الحسن وعطاء . وفى الترمذى عن أنس بن مالك أن هذه الآية (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) نزلت فى انتظار الصلاة التى تدعى العتمة . قال هذا حديث حسن صحيح غريب[4] .

الثالث : التنفل مابين المغرب والعشاء ، قاله قتادة وعكرمة .

روى ابو داود[5] عن أنس بن مالك ان هذه الآية (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) قال : كانوا يتنفلون مابين المغرب والعشاء .

الرابع : قال الضحاك : تجافى الجنب هو أن يصلى الرجل العشاء والصبح فى جماعة .

قلت : هذا قول حسن . وهو يجمع الأقوال بالمعنى . . .)[6] .

والذين قالوا بمدنية الآية احتجوا بما أخرجه البزار بسنده . قال حدثنا عبد الله بن شبيب حدثنا الوليد بن عطاء بن الاغر حدثنا عبد الحميد بن سلمان حدثنى مصعب عن زيد بن اسلم عن ابيه قال بلال لما نزلت هذه الآية (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) الآية كنا نجلس فى المجلس[7] وناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون بعد المغرب إلى العشاء فنزلت هذه الآية (تتجافى جنوبهم عن المضاجع)[8] .

فالحديث ضعيف فيه عبد الله بن شبيب .

---

(١) السجدة : ١٦ - ١٧

(٢) مسند ابى داود الطيالسى ص ٧٦ — نسخة مصورة عن طبع دائرة المعارف لعثمانية حيدر آباد ط ١ ولى سنة ١٣٢١ هـ

(٣) سنن الترمذى (٥ : ١١ - ١٢) .

(٤) سنن الترمذى (٥ : ٣٤٦) .

(٥) سنن أبى داود (١ : ٣٠٤) .

(٦) تفسير القرطبى (١٤ : ١٠٠) .

(٧) وفى لباب النقول للسيوطى (فى المسجد) (ص ١٧٠) .

(٨) تفسير ابن كثير (٣ : ٤٦٠) .

قال الذهبى : عبدالله بن شبيب (أبو سعيد الربعى) اخبارى علامة لكنه واه قال أبو أحمد الحاكم : ذاهب الحديث)[١].

وبما أخرجه الطبرى قال حدثنى محمد بن خلف قال ثنا يزيد بن حيان قال : حدثنا الحارث بن وجيه الراسبى قال : ثنامالك بن دينار عن انس بن مالك : أن هذه الآيات نزلت فى رجال من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كانوا يصلون فيما بين المغرب والعشاء (تتجافى جنوبهم عن المضاجع)[٢].

فالحديث أيضا ضعيف فيه الحارث بن وجيه الراسبى . قال ابن حجر فى تهذيب التهذيب : قال الدورى وغيره عن ابن معين ليس بشىء وقال البخارى فى حديثه بعض المناكير. وقال ابو حاتم وزاد ضعيف الحديث ....)[٣].

وبما أخرجه ابن مردويه عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : نزلت فينا معاشر الأنصار كنا نصلى المغرب فلا نرجع إلى رحالنا حتى نصلى العشاء مع النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت تتجافى جنوبهم عن المضاجع. . الآية .[٤]

قلت : والذى أرجحه ان المراد من الصلاة التى تتجافى جنوبهم هى صلاة قيام الليل ويؤيده ما أخرجه الطبرى بسنده عن الحسن (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) قال : قيام الليل[٥].

وبما أخرجه الطبرى عن مجاهد قوله (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) يقومون يصلون الليل[٦].

وقد ذكر الطبرى عدة أقوال فى المراد من الآية ثم قال بعد الانتهاء

---

(١) ميزان الاعتدال لابى عبدالله محمد بن احمد بن عثمان الذهبى (٢ : ٤٣٨) ط/دار المعرفة ـ بيروت .
(٢) تفسير الطبرى (٢١ : ١٠٠) .
(٣) تهذيب التهذيب (٢١ : ١٦٢) .
(٤) الدر المنثور للسيوطى (٥ : ١٧٤) .
(٥) تفسير الطبرى (٢١ : ١٠١) .
(٦) تفسير الطبرى (٢١ : ١٠١) .

من سردها (الصواب من القول فى ذلك أن يقال : إن الله وصف هؤلاء القوم بأن جنوبهم تنبو عن مضاجعهم شغلا منهم بدعاء ربهم وعبادته خوفا وطمعا ، وذلك نبو جنوبهم عن المضاجع ليلا ، لأن المعروف من وصف الواصف رجلا بان جنبه نبا عن مضجعه ، إنما هو وصف منه له بأنه جفا عن النوم فى وقت منام الناس المعروف ، وذلك الليل دون النهار . وكذلك تصف العرب الرجل إذا وصفته بذلك ، يدل على ذلك قول عبد الله بن رواحه الانصارى[1] رضى الله عنه فى صفة النبى صلى الله عليه وسلم :

(يبيت يجافى جنبه عن فراشه إذا استثقلت بالمشركين المضاجع)[2]

قلت : ومن المعروف أن قيام الليل كان فريضة بمكة . وذلك بنزول سورة المزمل وهى مكية بلا خلاف . وقد اشار الحديث الطويل الذى اخرجه مسلم فى صحيحه : قال سعد بن هشام بن عامر[3] مخاطبا السيدة عائشة رضى الله عنها : (ثم قلت : أنبئينى عن قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : ألست تقرأ : يا ايها المزمل . قلت : بلى . قالت : فان الله افترض قيام الليل فى أول هذه السورة ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حولا . وامسك الله خاتمتها اثنى عشر شهرا فى السماء حتى أنزل الله فى آخر هذه السورة التخفيف ، فصار قيام الليل تطوعا بعد فريضة[4] . . . الحديث .

فقوله تعالى (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) الآية . . مكية تبعا للسورة وليس هناك اثر او دليل على مدنيتها .

---

(١) عبد الله بن رواحه بن ثعلبة بن امرىء القيس بن ثعلبة الاميرالسعيد الشهيد ابو عمرو الانصارى الخزرجى البدرى النقيب الشاعر .
سير اعلام النبلاء للامام شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبى (١ : ٢٣٠) . مؤسسة الرسالة ، ط/١ بيروت .

(٢) تفسير الطبرى (٢١ : ١٠٢) .

(٣) ترجمة : سعد بن هشام بن عامر الانصارى المدنى ابن عم انس . . . وذكر البخارى انه قتل بارض مكران على احسن احواله . قلت : قال ابو بكر الحازمى (مكران) بضم الميم بلدة بالهند . . باختصار .
تهذيب التهذيب (٣ : ٤٨٣) لابن حجر العسقلانى .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووى (٦ : ٢٦) .

اما قوله تعالى (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لايستوون)[١] .

فقد ذكرت بعض الآثار ان هذه الآية مدنية . والصواب ان الآية مكية عامة والآثار التى وردت بشأنها ضعيفة .

فقد أخرج الطبرى بسنده فقال : حدثنا ابن حميد ، قال ثناسلمة ابن الفضل قال : ثنى ابن إسحاق ، عن بعض رجاله عن عطاء بن يسار قال : نزلت بالمدينة فى على بن أبى طالب ، والوليد بن عقبة بن أبى معيط ، كان بين الوليد وبين على كلام فقال الوليد بن عقبة : أنا أبسط منك لسانا ، وأحد منك سنانا ، وأرد منك للكتيبة فقال على : اسكت فإنك فاسق فأنزل الله (افمن كان مؤمنا)[٢] .

فالحديث فيه مجاهيل . فمن هم أصحابه الذين أخذ منهم ابن اسحاق ؟ وهو يدلس ولم يرفع الحديث .

ثم إن هناك رواية تشير الى أن الآية نزلت بسبب على بن أبى طالب والوليد بن عقبة بن معيط ورواية أخرى ان الاية نزلت فى على بن ابى طالب وعقبة بن أبى معيط . وفى هذا اضطراب[٣] . والذى أحدث الالتباس هى كلمة (فاسق) الموجودة فى الاثر والآية .

قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين)[٤] فقد قيل إنها نزلت فى الوليد بن عقبة بن أبى معيط عندما بعثه النبى صلى الله عليه وسلم إلى بنى المصطلق . . . .)[٥] . وعلى أثر الحادثة سمى الوليد فاسقا .

---

(١) السجدة : ١٨

(٢) تفسير الطبرى (٢١ : ١٠٧) .

(٣) انظر لباب النقول للسيوطى (ص ١٧٠) .

(٤) سورة الحجرات : ٦

(٥) تفسير القرطبى (١٦ : ٣١١) .

فعليه فالآية مكية تبعا للسورة وهى عامة . فكل كافر جاحد مكذب لله ورسوله لايستوى مع المطيع لله ورسوله المصدق بكل ماجاء به الشرع فيما ينالهما من الجزاء والحساب يوم القيامة .

قال الألوسى : بعد ذكر بعض الروايات الضعيفةوالأقوال على وجود بعض الآيات المدنية فى السورة ، قال : (وأستبعد استثناؤهما لشدة ارتباطهما بما قبلهما)[1] .

وأخيرا فان سورة السجدة كلهامكية . والله أعلم . .

---

(١) تفسير الالوسى (٢١ : ١١٥) .

(٣٤) سورة سبـــأ

وهى من السو ر المكية إلا أن بعض المفسرين استثنى منها قولـــه (ويرى الذين أوتوا العلم الذى أنزل اليك من ربك هو الحق ويهدى الـى صراط العزيز الحميد)[1].

قال السيوطى : (سورة " سبأ" استثنى منها" ويرى الذين أوتـــوا العلم" الآية وروى الترمذى[2] عن فروة بن مسيك المرادى[3] قال : أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله لا اقاتل من أدبر من قومى . . الحديث وفيه وأنزل فى سبأ ما أنزل فقال رجل يارسول الله : وماسبأ . . الحديـث (قال) ابن الحصار : هذا يدل على ان هذه القصة مدنية لأن مهاجـرة فروة بعد إسلام ثقيف سنة تسع . (قال) ويحتمل أن يكون قوله وأنـــزل حكاية عما تقدم نزوله قبل هجرته)[4].

قلت : وقوله (ويحتمل ان يكون قوله " وأنزل" حكاية عما تقدم نزولـه قبل هجرته) وهو الذى أرجحه وعليه فالآية مكية تبعا للسورة وهى عامة .

قال القرطبى : سورة سبأ مكية فى قول الجميع الا آية واحـــدة اختلف فيها[5].

وقال الطبرى : فى تفسيره للآية (وعنى بالذين أوتوا العلم : مسلمة أهل الكتاب كعب دالله بن سلام ونظرائه الذين قد قرأوا كتب الله الـتى أنزلت قبل الفرقان وقيل : عنى بالـذين أوتوا العلم : أصحاب رسـول الله صلى الله عليه وسلم . وعلى ذلك فالأدلة على مدنية الآية يتطرق إليها الاحتمال ولذلك بطل بها الاستدلال .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ويـرى

---

(١) سبأ : ٦

(٢) سنن الترمذى (٥ : ٣٦١) .

(٣) فروة بن مسيك بن غطيف المرادى ثم القطيعى له صحبة . اسلم سنة تسع وسكن الكوفة . روى عن النبى صلى الله عليه وسلم وقد استعمله عمر بن الخطاب على صدقات مذحج وكناه ابن ابى خيثمة .
انظر تهذيب التهذيب (٨ : ٢٦٥) .

(٤) الاتقان للسيوطى (ص ١٦) .

(٥) القرطبى (١٤ : ٢٥٨) .

الذين أوتوا العلم الذى أنزل إليك من ربك هو الحق) قال : أصحاب محمد (١) .

وهذا الذى أرجحه ان الآية عامة .

وكذلك نلاحظ سياق الآيات التى قبلها والتى بعدها عن المشركين وهى مترابطة فى معانيها وموضوعاتها .

قال تعالى (وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربى لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السماوات ولا فى الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين . ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا فى آياتنا معاجزين أولئك لهم عذاب من رجز أليم) وهم المشركون .

(ويرى الذين اوتوا العلم الذى أُنزل اليك من ربك هو الحق ويهدى إلى صراط العزيز الحميد وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق انكم لفى خلق جديد) (وهم المشركون) (٢) .

وأخيرا نجد ابن كثير اطلق على السورة أنها مكية ولم يتعرض للآية المذكورة بأنها مدنية . فعليه فالسورة مكية .

---

(١) تفسير الطبرى (٢٢ : ٦٢) .

(٢) سبأ : ٣ - ٧

(٣٦) سورة يـــس

وهى من السور المكية ولقد استثنى منها قوله تعالى (إنا نحن نحيى الموتى ونكتب ماقدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه فى امام مبين)[1] .

قال القرطبى فى مقدمة تفسيره للسورة : (وهى مكية بإجماع . وهى ثلاث وثمانون آية إلا أن فرقة قالت ان قوله تعالى" ونكتب ماقدموا وآثارهم" نزلت فى بنى سلمة من الأنصار حين ارادوا ان يتركوا ديارهم وينتقلوا الى جوار مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم . . . .)[2] .

واستدلوا لمدنية الآية بما أخرجه الترمذى بسنده قال : حدثنا محمد بن وزير الواسطى حدثنا إسحاق بن يوسف الازرق عن سفيان الثورى عن ابى نضرة عن أبى سعيد الخدرى قال : كانت بنو سلمة فى ناحية المدينة فأرادوا النقلة الى قرب المسجد . فنزلت هذه الاية (انا نحن نحيى الموتى ونكتب ماقدموا وآثارهم) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان آثاركم تكتب فلم ينتقلوا .

قال : هذا حديث حسن غريب من حديث الثورى وأبو سفيان هو طريف السعدى[3] . قال ابن حجر : طريف بن شهاب وقيل ابن سعد ابن سفيان . ابو سفيان السعدى الأشل ويقال الأعم وقال فيه البخارى العطاردى روى عن أبى نضرة العبدى . . . .قال احمد ليس بشيء ولايكتب حديثه وقال ابن معين ضعيف الحديث وقال ابو حاتم ضعيف الحديث ليس بالقوى وقال البخارى ليس بالقوى عندهم وقال ابو داود وليس بشيء وقال مرة واهى الحديث . وقال النسائى متروك الحديث . . . وقال ابن عبدالبر : اجمعوا على أنه ضعيف الحديث[4] .

---

(١) سورة (يس) : ١٢

(٢) تفسير القرطبى (١٥ : ١) م ١٨ .

(٣) سنن الترمذى (٥ : ٣٦٣) . انظر تحفة الأحوذى (٦٤٠٦)

(٤) تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى (٥ : ١١ - ١٢) .

فالحديث فى سنده أبو سفيان السعدى وهو ضعيف . وهو (طريف السعدى).

قلت : ويؤول الحديث عند قوله (فنزلت هذه الآية) بعبارة (فتلا هذه الآية) والله أعلم .

ويؤيده ماذهبت إليه الرواية الصحيحة فى صحيح مسلم.

أخرج مسلم بسنده عن جابر بن عبد الله قال : اراد بنو سلمة ان يتحولوا إلى قرب المسجد ، قال : والبقاع خالية ، قال فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال : " يابنى سلمة دياركم تكتب آثاركم دياركم تكتب آثاركم" . فقالوا : ماكان يسرنا أناكنا تحولنا[1] .

فرواية مسلم ذكرت الحكاية مطلقة . ولم يذكر فيها ان هذه الحكاية كانت سببا فى نزول الآية .

وحيث إن رواية الترمذى ضعيفة ورواية مسلم خالية من الآية فان هذه الآية مكية وبالتالى فالسورة مكية كلها .

واذا تأملنا سياق الآية مع ماقبلها من الايات نجد أن الآيات مترابطة كالحلقة يشد بعضها بعضا . وهى اشبه بالبناء الواحد المتكامل المترابط فى أجزائه وقد أفصح عن ذلك الرازى فى تفسيره للآية .

فقال فى الترتيب (أى فى ترتيب الآيات) وجوه :

(أحدها) أن الله تعالى لما بين الرسالة وهو أصل من الأصول الثلاثة التى يصير بها المكلف مؤمنا مسلما ذكر أصلا آخر وهو الحشر .

(وثانيها) وهو أن الله تعالى لما ذكر الانذار والبشارة بقوله (فبشره بمغفرة) ولم يظهر ذلك بكماله فى الدنيا فقال إن لم ير فى الدنيا فالله يحيى الموتى ويجزى المنذرين ويجزى المبشرين .

(وثالثها) أنه تعالى لما ذكر خشية الرحمن بالغيب ذكر مايؤكده وهو إحياء الموتى)[2] . ا.هـ

وعليه فالاية مكية كبقية السورة . والله أعلم . .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى (٥ : ١١٩) .

(٢) تفسير الرازى (٢٦ : ٤٨) .

(٣٤) سورة الزمر

وهى من السور المكية ، ولقد استثنى منها قوله تعالى (قل ياعبادى الذين أسرفوا على انفسهم لاتقنطوا من رحمة اللهإن الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم)[١] .

قال الزركشى : (سورة الزمر مكية غير " قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم" الاية)[٢] .

قلت : أخرج البخارى بسنده عن يعلى : أن سعيد بن جبير اخبره عن ابن عباس رضى الله عنهما : ان أناسا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا وأكثروا ، وزنوا وأكثروا فأتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فقالوا : إن الذى تقول وتدعو اليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة فنزل (والذين لايدعون مع الله إلهاآخر ولايقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولايزنون)[٣] ـ ونزل ـ قل ياعبادى الذين أسرفوا على انفسهم لاتقنطوا من رحمة الله)[٤] .

وقد سبق أن بينت فى سورة الفرقان ان قوله تعالى (والذين لايدعون مع الله إلهاآخر ولايقتلون النفس التى حرم الله الابالحق) أنها آية ٦٨ مكية وذلك لما ورد فى الحديث الصحيح الذى أخرجه مسلم بسنده عن ابن عباس قال (نزلت هذه الآية بمكة " والذين لايدعون مع اللهإلها آخر . . .إلى قوله مهانا" فقال المشركون ومايغنى عنا الاسلام وقد عدلنا بالله وقد قتلنا النفس التى حرم الله وآتينا الفواحش فأنزل الله (إلا من تاب وآمن وعمل صالحا الى آخر الآية قال فأما من دخل فى الاسلام وعقله ثم قتل فلاتوبة له)[٥] .

---

(١) الزمر : ٥٣
(٢) البرهان للزركشى (١ : ٢٠٢) .
(٣) الفرقان : ٦٨
(٤) صحيح البخارى وعلى هامشه فتح البارى (٣ : ١٧٠) .
(٥) صحيح مسلم بشرح النووى (١٨ : ١٥٩) .

فعليه فقوله (قل ياعبادى الذين اسرفوا) قد نزلتا معا فى مكة كما نصت رواية البخارى السابقة (فنزل " والذين لايدعون مع الله الها آخر" ونزل قوله" قل ياعبادى الذين اسر فوا" وكان ذلك قبل الهجرة .

وذكر القرطبى فى تفسيره وابن حجر فى شرحه لصحيح البخارى ورواه ابن إسحق فى السيرة عن نافع عن ابن عمر عن عمر قال : لما اجتمعنا على الهجرة ، اتعدت انا وهشام بن العاصى بن وائل السهمى وعياش بن ابى ربيعة بن عتبة ، فقلنا : الموعد أضاة(١) بنى غفار . وقلنا : من تأخرمنا فقد حبس فليمض صاحبه ، فاصبحت أنا وعياش بن عتبة وحبس عنا هشام وإذا به قد فتن فافتتن ، فكنا نقول بالمدينة : هؤلاء قد عرفوا الله عز وجل وآمنوا برسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم افتتنوا لبلاء لحقهم لا نرى لهم توبة وكانوا هم أيضا يقولون هذا فى انفسهم ، فأنزل الله عز وجل فى كتابه (قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله) إلى قوله تعالى (أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين)(٢) .

قال عمر : فكتبتها بيدى ثم بعثتها إلى هشام . قال هشام : فلما قدمت على خرجت بها إلى ذى طوى فقلت : اللهم فهمنيها فعرفت أنها نزلت فينا ، فرجعت فجلست على بعيرى فلحقت برسول الله صلى الله عليه وسلم(٣) .

ويوفق بين الحديثين بانه قد تكون الاية مما تكرر نزوله . والله أعلم . .

---

(١) الأضاة أى الغدير .

(٢) الزمر من آية ٥٣ - ٦٠

(٣) تفسير القرطبى (١٥ : ٢٦٧ - ٢٦٨) ، فتح البارى (١٠ : ١٧٠) .

(٢٥) سورة غافـــر

وهى أول سورة فى الحواميم . قال الالوسى : (تسمى سو رة غافـــر وسورة الطول وهى كما روى عن ابن عباس وابن الزبير ، ومسروق وسمرة بـــن جندب مكية وحكى ابن حيان الاجماع على ذلك . وعن الحسن أنها مكيـــة إلا قوله تعالى " وسبح بحمد ربك "[1] لأن الصلوات نزلت بالمدينة وكانـــت الصلاة بمكة ركعتين من غير توقيت وأنت تعلم أن الحق فى قول الأكثريـــن ان الخمس نزلت بمكة على أنه لايتعين ارادة الصلاة بالتسبيح فى الآيـــة وقيل : هى مكية إلا قوله تعالى " إن الذين يجادلون "[2] الأية فانها مدنيـة فقد أخرج إبن أبى حاتم عن ابى العالية وغيره أنها نزلت فى اليهود لمـــا ذكروا الدجال . وهذا ليس بنص على انها نزلت بالمدينة . قال شيـــخ الاسلام ابن تيمية : قولهم نزلت الآية فى كذا يراد به تارة سبب الـــنزول ويراد به تارة أن ذلك داخل فى الآية . وإن لم يكن السبب كما تقول عنى بهذه الآية كذا ، وقال الزركشى فى البرهان : قد عرف من عادة الصحابـــة والتابعين أن أحدهم اذا قال : نزلت الآية فى كذا فانه يريد أنهـــا تتضمن هذا الحكم . لاأن هذا كان السبب فى نزولها . فهو من جنـــس الاستدلال على الحكم بالآية لا من جنس النقل لما وقع[3] .

قلت : فعليه فالسورة مكية وقد عقب ابن كثير على الذين قالـــوا بمدنية الاية قوله تعالى (ان الذين يجادلون فى آيات الله بغـــير سلطان اتاهم) الآية ...

قال كعب وأبو العالية نزلت هذه الاية فى اليهود (إن الذيـــن

---

(١) غافر : ٥٥ والاية هى (فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبـــك وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار) .

(٢) غافر : ٥٦ والاية هى (إن الذين يجادلون فى آيات الله بغـــير سلطان اتاهم ان فى صدورهم الاكبر ماهم ببالغيه فاستعذ باللـــه انه هو السميع البصير) .

(٣) تفسير الالوسى (٢٤ : ٣٩) .

يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم إن فى صدورهم إلاكبر ماهم ببالغيه) .

قال أبو العالية : وذلك أنهم ادعوا أن الدجال منهم وأنهم يملكون به الأرض فقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم آمرا له أن يستعيذ من فتنة الدجال ولهذا قال عز وجل (فاستعذ بالله إنه هو السميع البصير) .

قال ابن كثير : وهذا قول غريب وفيه تعسف بعيد وان كان قد رواه ابن أبى حاتم فى كتابه والله سبحانه وتعالى أعلم[1] . ا.هـ

فعليه فالسورة كلها مكية .

---

(١) تفسير ابن كثير (٤ : ٨٤) .

(٢٦) سورة الشورى

وهى من السور المكية ولقد استثنى منها أربع آيات قوله (قل لا أسألكم عليه اجرا إلا المودة فى القربى)[١] إلى قوله (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض ولكن ينزل بقدر مايشاء إنه بعباده خبير بصير)[٢] .

قال القرطبى : (مكية فى قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر . وقال ابن عباس وقتادة : الا اربع آيات منها نزلت بالمدينة" قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى" الى آخرها وهى ثلاث وخمسون آية)[٣] . ا.هـ

وآخرها قوله تعالى (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض ولكن ينزل بقدر مايشاء انه بعباده خبير بصير) .

اما الآيات من قوله (ذلك الذى يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا إن الله غفور شكور)[٤] الايات فقد أشار القرطبى وغيره إلى مدنيتها ولم اجد أثرا يؤيد ما أشاروا اليه بل وجدت خلاف ذلك فى الصحيح ، فقد أخرج البخارى بسنده عن عبد الملك بن ميسرة قال سمعت طاوسا ، عن ابن عباس رضى الله عنهما : أنه سئل عن قوله - إلا المودة فى القربى - فقال سعيد بن جبير : قربى آل محمد صلى الله عليه وسلم ، فقال ابن عباس : عجلت ، أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة ، فقال : إلا أن تصلوا مابينى وبينكم من القرابة[٥] .

---

(١) الشورى : ٢٣
(٢) الشورى : ٢٧
(٣) القرطبى (١٦ : ١) .
(٤) الشورى : ٢٣
(٥) صحيح البخارى بشرح فتح البارى (١٠ : ١٨٥) وسنن الترمذى (٥ : ٣٧٧) وكذلك رواه الامام احمد فى مسنده وبهامشه الفتح الربانى (١٨ : ٢٦٥) ، تفسير الطبرى (٢٥ : ٢٣) .

قال ابن كثير : والحق تفسير الآية بما فسرها به حبر الأمة وترجمان القرآن عبدالله بن عباس رضى الله عنهما كما رواه البخارى (١) .

والذين قالوا بمدنية الآية احتجوا بحديث ذكره الواحدى فى أسباب النزول قال الواحدى : قوله تعالى" قل لاأسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى" قال ابن عباس : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة كانت تنوبه نوائب وحقوق وليس فى يده لذلك سعة ، فقال الأنصار : إن هذا الرجل قد هداكم الله تعالى به وهو ابن اختكم وتنوبه نوائب وحقوق وليس فى يده لذلك سعة ، فاجمعوا له من أموالكم مالا يضركم فأتوبه به ليعينه على ماينوبه ففعلوا ، ثم أتوابه فقالوا : يارسول الله إنك ابن اختنا وقد هدانا الله تعالى على يديك وتنوبك نوائب وحقوق وليست لك عندها سعة فرأينا أن نجمع لك من أموالنا فنأتيك به فتستعين على ماينوبك وهو هذا فنزلت هذه الآية (٢) .

قال ابن حجر : بعد أن ذكر الرواية السابقة :

(وهذه من رواية الكلبى ونحوه من الضعفاء) .

ثم قال : والأقوى فى سبب نزولها عن قتادة : قال المشركون : لعل محمدا يطلب أجرا على مايتعاطاه . فنزلت (٣) .

قال ابن كثير رحمه الله : (وذكر نزولها فى المدينة فيه نظر لأن السورة مكية وليس يظهر بين هذه الاية وهذا السياق مناسبة والله أعلم) (٤) .

قلت : فالاية هى والتى تليها من الايات الثلاث التى نص القرطبى على مدنيتها هى آيات مكية تبعا للسورة .

---

(١) تفسير ابن كثير (٤ : ١١٢) .
(٢) أسباب النزول للواحدى بتحقيق الاستاذ سيد صقر (ص ٣٩٥) .
(٣) فتح البارى (١٠ : ١٨٤ - ١٨٥) .
(٤) تفسير ابن كثير (٤ : ١١٢) .

أما قوله تعالى (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض ولكن ينزل بقدر مايشاء إنه بعباده خبير بصير)[1] .

قال القرطبى (قيل إنها نزلت فى قوم من اهل الصفة تمنوا سعة الرزق وقال خباب بن الأرث[2] : فينا نزلت ، نظرنا الى اموال بنى النضير وقريظة وبنى قينقاع فتمنيناها ، فنزلت[3] .

وأخرج الحاكم بسنده عن على بن أبى طالب رضى اللهعنه قال : ماأصبح بالكوفة أحد إلا ناعم ان أدناهم منزلة يشرب من ماء الفرات ويجلس فى الظل ويأكل من البر وانما أنزلت هذه الاية فى أصحاب الصفة (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض ولكن ينزل بقدر مايشاء) .

(وذلك أنهم قالوا لو أن لنا فتمنوا الدنيا) .

قال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وذكره الذهبى ورمز له بـ (خ . م) .

قلت : فالاية مدنية . والله اعلم . .

---

(١) الشورى : ٢٧

(٢) خباب بن الارث بتشديد المثناة بن جندلة بن سعد بن خزيمة بن كعب بن سعد بن زيد مناه بن تميم التميمى ويقال الخزاعى ابوعبد الله . سبى فى الجاهلية فبيع بمكة فكان مولى ام انمار الخزاعية وقيل غير ذلك ثم حالف بنى زهرة وكان من السابقين الاولين . . . . . روى البارودى انه اسلم سادس سنة وهو اول من اظهر اسلامه وعذب عذابا شديدا لاجل ذلك . . شهد المشاهد كلها وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين جبر بن عتيك روى عن النبى صلى الله عليه وسلم . . مات فى الكوفة سنة ٣٧هـ وعاش ٦٣ سنة .
باختصار من الاصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر العسقلانى (١ : ٤١٦) .

(٣) تفسير القرطبى (١٦ : ٢٧) ، أسباب النزول للواحدى تحقيق السيد صقر (ص ٣٩٥ - ٣٩٦) .

(٢٧) سورة الزخرف

سورة الزخرف من السور المكية وقد نقل القرطبى فى تفسيره الإجماع على مكيتها فقال : (سورة الزخرف : مكية بإجماع) . وقال مقاتل : الا قوله تعالى (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا)[١] .

قال الطبرى : اختلف أهل التأويل فى معنى قوله (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا) من الذين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمسألتهم ذلك .

فقال بعضهم : الذين أمر بمسألتهم ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مؤمنو أهل الكتابين : التوراة ، والانجيل ، واستشهد بقراءة عبد الله ابن مسعود للآية .

فأخرج الطبرى بسنده عن مجاهد قال : فى قراءة عبد الله بن مسعود (واسأل الذين أرسلنا اليهم قبلك رسلنا)[٢] .

قال ابن كثير : (وهكذا حكاه قتادة والضحاك والسدى عن ابن مسعود رضى الله عنه . وهذا كأنه تفسير لا تلاوة والله اعلم)[٣] .

وقال آخرون : بل الذين أمر بمسألتهم ذلك الأنبياء الذين جمعوا له ليلة أسرى به ببيت المقدس . أخرج الطبرى بسنده قال ابن وهب : قال ابن زيد فى قوله (واسأل من أرسلنا من قبلك) الآية قال : جمعوا له ليلة أسرى به ببيت المقدس ، فأمهم ، وصلى بهم ، فقال الله له : سلهم ، قال فكان أشد إيمانا ويقينا بالله وبماجاءه من الله أن يسألهم . . . الخ) .

قال الطبرى : وأولى القولين بالصواب فى تأويل ذلك قول من قال عنى به : سل مؤمنى أهل الكتابين[٤] .

قلت : فسورة الزخرف مكية كلها .

---

(١) تفسير القرطبى (١٦ : ٦١) الاية المذكورة رقم : ٤٥
(٢) تفسير الطبرى (٢٥ : ٧٧) .
(٣) تفسير ابن كثير (٤ : ١٢٩) .
(٤) تفسير الطبرى (٢٥ : ٧٨) .

(٣٨) سورة الجاثية

وهى من السور المكية. قال القرطبى : " مكية كلها فى قول الحسن وجابر وعكرمة وقال ابن عباس وقتادة : إلا آية هى (قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله)[1] نزلت بالمدينة فى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ذكره الماوردى . وقال المهدوى والنحاس عن ابن عباس : إنها نزلت فى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، شتمه رجل من المشركين بمكة قبل الهجرة ، فأراد ان يبطش به ، فأنزل الله عز وجل (قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله) ثم نسخت بقوله (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم)[2] . فالسورة كلها مكية على هذا من غير خلاف"[3].

وذكر الواحدى إن الآية نزلت فى عمر مع عبد الله بن أبى فى غزوة بنى المصطلق .

قوله تعالى (قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله .) الاية أخرج الواحدى قال ابن عباس فى رواية عطاء :

يريد عمر بن الخطاب خاصة ، وأراد بالذين لا يرجون أيام الله عبد الله بن أبى وذلك أنهم نزلوا فى غزوة بنى المصطلق على بئر يقال لها المريسيع ، فارسل عبد الله غلامه ليستقى الماء ، فأبطأ عليه ، فلما أتاه قال له ما حبسك ؟ قال غلام عمر قعد على فم البئر فما ترك احدا يستقى حتى ملأ قرب النبى وقرب ابى بكر ، وملأ لمولاه فقال عبد الله : مامثلنا ومثل هؤلاء الا كما قيل : سمن كلبك يأكلك ، فبلغ قوله عمر رضى الله عنه فاشتمل سيفه يريد التوجه اليه ، فأنزل الله هذه الآية[4].

وأخرج الواحدى من طريق الثعالبى عن ابن عباس قال :

---

(١) الجاثية : ١٤

(٢) التوبة : ٥

(٣) تفسير القرطبى (١٦ : ١٥٦) .

(٤) اسباب النزول للواحدى تحقيق الاستاذ السيد صقر (ص ٣٩٩) ، تفسير القرطبى (١٦ : ١٦١) .

لما نزلت هذه الآية (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا) قال يهودى بالمدينة يقال له : فنحاص : احتاج رب محمد (قال) : فلما سمع عمر بذلك اشتمل على سيفه وخرج فى طلبه ، فجاء جبريل عليه السلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ان ربك يقول لك : (قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله) .

واعلم ان عمر قد اشتمل سيفه وخرج فى طلب اليهودى ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طلبه ، فلماجاءه قال : ياعمر ضع سيفك قال : صدقت يارسول الله أشهد أنك أرسلت بالحق . فأن ربك عز وجل يقول (قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله) قال : لاجرم والذى بعثك بالحق لاترى الغضب فى وجهى (١) .

قلت : فهذان السببان فى جملتهما يشيران الى ان الاية مدنية والذى عليه المفسرون ان الاية منسوخة .

فقد أخرج الطبرى عن مجاهد (لا يرجون أيام الله) قال : لا يبالون نعم الله . وهذه الآية منسوخة بأمر الله بقتال المشركين . وإنما قلنا هى منسوخة لإجماع أهل التأويل على أن ذلك كذلك (٢) .

وقال ابن كثير فى تفسيره للآية : ("قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله" اى ليصفحوا عنهم ويتحملوا الاذى منهم وكان هذا فى ابتداء الاسلام امروا ان يصبروا على أذى المشركين وأهل الكتاب ليكون ذلك كالتأليف لهم ثم لما اصروا على العناد شرع الله للمؤمنين الجلاد والجهاد . هكذا روى عن ابن عباس رضى الله عنهما وقتادة) (٣) .

فعليه فالذى أرجحه أن الآية مكية تبعا للسورة . فسورة الجاثية مكية كلها . والله اعلم .

---

(١) اسباب النزول للواحدى (ص. ٤٠٠) تحقيق الاستاذ سيد صقر.
(٢) تفسير الطبرى (٢٥ : ١٤٤) .
(٣) تفسير ابن كثير (٤ : ١٤٩) .

(٢٩) سورة الاحقاف

سورة الأحقاف من السور المكية وهى خاتمة الحواميم . ولقد استثنى منها قوله تعالى (قل ارأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم إن الله لايهدى القوم الظالمين)[١] .

قال الزركشى (الحواميم كلها مكيات ، غير آية فى الاحقاف نزلت فى عبدالله بن سلام[٢] " قل ارأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به "[٣]) .

قال القرطبى فى مقدمة تفسيره للسورة (مكية فى قول جميعهم وهى أربع وخمسون آية وقيل خمس)[٤] .

قال ابن كثير فى تفسيره للآية : (وشهد شاهد من بنى إسرائيل) وهذا الشاهد اسم جنس يعم عبدالله بن سلام رضى الله عنه وغيره . فان هذه الآية مكية نزلت قبل إسلام عبدالله بن سلام رضى الله عنه وهذه كقوله تبارك وتعالى (وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين)[٥] وقال (إن الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا)[٦] .

قال مسروق والشعبى ليس بعبدالله بن سلام ، هذه الآية مكية وإسلام عبدالله بن سلام رضى الله عنه كان بالمدينة رواه عنهما ابن جرير وابن ابى حاتم واختاره ابن جرير)[٧] .

قلت : وهذا الذى ذهب اليه إبن كثير هو الذى أرجحه .

---

(١) الاحقاف : ١٠

(٢) عبدالله بن سلام بن الحارث ابو يوسف من ذرية يوسف النبى عليه السلام حليف النوافل من الخزرج الاسرائيلى ثم الانصارى . يقال كان اسمه الحصين فغيره النبى صلى الله عليه وآله وسلم وجزم بذلك الطبرى . . اسلم اول ماقدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة قال الطبرى مات فى قول جميعهم بالمدينة سنة ٤٣هـ .
باختصار من الاصابة فى تمييز الصحابة (٢ : ٣٢٠) .

(٣) البرهان (١ : ٢٠٢) .

(٤) القرطبى (١٦ : ١٧٨) .

(٥) القصص : ٥٣

(٦) الاسراء : ١٠٧ - ١٠٨

(٧) تفسير ابن كثير (٤ : ١٥٦) .

والذى أحدث الاختلاف حول مكية الآية الحديث الصحيح الذى أخرجه البخارى فى مناقب عبدالله بن سلام رضى الله عنه :

حدثنا عبدالله بن يوسف قال : سمعت مالكا يحدث عن أبى النضر مولى عمر بن عبيد الله عن عامر بن سعد بن أبى وقاص عن ابيه قال : ماسمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول لأحد يمشى على الارض انه من أهل الجنة إلا لعبدالله بن سلام قال : وفيه نزلت هذه الآية . وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله .. الآية ..... الى آخر الحديث[1] .

وقد أخرج الحديث بنصه مسلم فى صحيحه[2] .

وقد استنكر الشعبى فيما رواه عبد بن حميد عن النضر بن شميل عن ابن عون عنه نزولها فى عبدالله بن سلام . لأنه انما أسلم بالمدينة والسورة مكية . فأجاب ابن سيرين بانه لايمتنع أن تكون السورة مكية وبعضها مدنى وبالعكس وبهذا جزم ابو العباس فى مقامات التنزيل ، فقال الاحقاف مكية إلا قوله - وشهد شاهد - الى آخر الآيتين . انتهى .....

وقد جمع ابن حجر رحمه الله بين الاقوال بقوله :

(ولا مانع أن تكون جميعها مكية وتقع الاشارة فيها إلى ماسيقع بعد الهجرة من شهادة عبدالله بن سلام)[3] .

---

(١) صحيح البخارى وبهامشه فتح البارى (٨ : ١٢٩) .
(٢) صحيح مسلم بشرح النووى (١٦ : ٤١) .
(٣) فتح البارى (٨ : ١٢٩ - ١٣٠) .

(٣٠) سـورة (ق)

سورة (ق) من السور المكية المبتدئة بحرف المعجم .

واستثنى منها قوله تعالى (ولقد خلقنا السموات والأرض ومابينهما في ستة أيام ومامسنا من لغوب)[1] فقد وردت الآثار في أن نزولها بسبب سؤال اليهود عن الايام الستة .

أخرج الطبرى بسنده حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران ، عن ابى سنان عن ابى بكر قال جاءت اليهود إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا : يامحمد اخبرنا ماخلق الله من الخلق فى هذه الأيام الستة ؟ فقال : خلق الله الارض يوم الاحد والاثنين ، وخلق الجبال يوم الثلاثاء وخلق المدائن والأقوات والأنهار وعمرانها وخرابها يوم الأربعاء ، وخلق السموات والملائكة يوم الخميس الى ثلاث ساعات ، يعنى من يوم الجمعة وخلق فى أول الثلاث الساعات الآجال ، والثانية الآفة ، وفى الثالثة آدم ، قالوا : صدقت إن أتممت ، فعرف النبى صلى الله عليه وسلم مايريدون ، فغضب فأنزل الله (ومامسنا من لغوب فاصبر على مايقولون)[2] .

قال القرطبى : قال قتادة والكلبى : هذه الاية نزلت فى يهود المدينة ، زعموا أن الله تعالى خلق السموات والارض فى ستة أيام ، أولها يوم الأحد وآخرها يوم الجمعة ، واستراح يوم السبت ، فجعلوه راحة فأكذبهم الله تعالى فى ذلك[3] .

قال ابن كثير : قال قتادة : قالت اليهود عليهم لعائن الله - خلق الله السموات والأرض فى ستة أيام ثم استراح فى اليوم السابع وهو يوم السبت وهم يسمونه يوم الراحة فأنزل الله تكذيبهم فيما قالوه وتأولوه[4] .

---

(١) آية رقم : ٣٨

(٢) تفسير الطبرى (٢٦ : ١٧٨) ، المستدرك للحاكم (٢ : ٤٥٠) اسباب النزول للواحدى (ص ٢٢٠) تحقيق السيد صقر ، لباب النقول للسيوطى (ص ٢٠٠) .

(٣) تفسير القرطبى (١٧ : ٢٤) .

(٤) تفسير ابن كثير (٤ : ٢٢٩) .

قلت : والذى يظهر لى (والله أعلم) ان الأية مكية تبعا للسورة فان الآثار الواردة فيها ضعيفة ومن تلك الآثار مارواه الواحدى بسنده عن أبى سعيد البقال عن عكرمة عن ابن عباس أن اليهود أتت النبى صلى الله عليه وسلم، فسألت عن خلق السموات والأرض فقال : خلق الله الأرض يوم الأحد والاثنين ، وخلق الجبال يوم الثلاثاء (ومافيهن من المنافع) وخلق يوم الاربعاء (الشجر والماء) وخلق يوم الخميس السماء وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر . قالت اليهود : ثم ماذا يامحمد ؟ قال : ثم استوى على العرش . قالوا : قد أصبت لو أتممت ثم استراح فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا ، فنزلت (ولقد خلقنا السموات والارض ومابينهما فى ستة أيام ومامسنا من لغوب . فاصبر على مايقولون) .

قلت : هذا السند فيه (أبو سعد البقال) وهو سعيد بن المرزبان العبسى كما فى تهذيب التهذيب . قال : سعيد بن المرزبان العبسى (أبو سعد البقال الكوفى الاعور مولى حذيفة . روى عن أنس وأبى وائل وأبى عمرو الشيبانى وعكرمة . . .

قال أحمد بن أبى سهم عن ابن معين ليس بشىء[1] . وقال عمرو بن على ضعيف الحديث متروك الحديث وقال أبو زرعة لين الحديث مدلس وقال البخارى منكر الحديث . وقال أبو حاتم لايحتج بحديثه[2] .

فالحديث الذى رواه الواحدى ضعيف لايحتج به .

وقد تبين لنا ضعف حديث الواحدى وكذلك قول ابن كثير مروى عن الكلبى وهو من الضعفاء[3] فهناك حديث صحيح مخالف للرواية من جهتين

اولا : إن قول الرسول صلى الله عليه وسلم الذى قال عن ابتداء الخلق لم يكن نتيجة سؤال اليهود .

---

(١) قال ابن معين فى كتابه التاريخ : سعيد بن المرزبان هو ابو سعد البقال ، وليس بشىء (٢ : ٢٠٧) (يحيى بن معين وكتابه التاريخ دراسة وترتيب وتحقيق د . احمد نور سيف ، ط/الاولى ، من مطبوعات مركز البحث العلمى - كلية الشريعة - مكة المكرمة) .

(٢) تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى (ص ٧٩ م ٤) .

(٣) انظر فتح البارى (١٠ : ١٨٥) .

ثانيا : ان اول الحديث (خلق الله عز وجل التربة يوم السبت) وجميع تلك الآثار ذكرت انه لم يكن يوم السبت خلق لشيء من المخلوقات مما دعى اليهود أن يقولوا قولهم القبيح إن الله عز وجل استراح يوم السبت فهو يوم الراحة تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

وإليك الحديث بنصه كما رواه مسلم فى صحيحه .

حدثنى سريج بن يونس وهارون بن عبد الله . قالا : حدثنا حجاج بن محمد قال : ابن جريج : أخبرنى اسماعيل بن أمية بن خالد عن عبد الله بن رافع، مولى ام سلمة عن أبى هريرة قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى فقال (خلق الله عز وجل التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الأحد ، وخلق الشجر يوم الاثنين ، وخلق المكروه يوم الثلاثاء ، وخلق النور يوم الأربعاء ، وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة فى آخر الخلق . فى آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر الى الليل)[1] .

وللرازى كلام نفيس أعجبنى وهو يؤيد ماذهبت اليه من أن الآية مكية .

قال الرازى : قال بعض المفسرين المراد من الاية الرد على اليهود حيث قالوا بدأ الله تعالى خلق العالم يوم الأحد وفرغ منه فى ستة أيام آخرها يوم الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على عرشه فقال تعالى (ومامسنا من لغوب) ردا عليهم .

والظاهر أن المراد الرد على المشرك والاستدلال بخلق السموات والأرض ومابينهما وقوله (ومامسنا من لغوب) أى ماتعبنا بالخلق الأول حتى لانقدر على الاعادة ثانيا والخلق الجديد . كما قال تعالى (أفعينا بالخلق الأول) .

وأما ماقاله اليهود ونقلوه من التوراة فهو إما تحريف منهم او لم يعلموا تأويله وذلك لأن الأحد والاثنين أزمنة متميز بعضها عن بعض، فلو كان خلق السموات ابتدىء يوم الأحد لكان الزمان متحققا قبل الأجسام

---

(١) صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى (٤ : ٢١٤٩) .

والزمان لاينفك عن الاجسام فيكون قبل خلق الأجسام أجسام أخر فيلـــزم القول بقدم العالم وهو مذهب الفلاسفة . . .

(وقال قبل هذه الأسطر السابقة) فى تفسير قوله (ستة أيـــام) إشارة الى ستة اطوار والذى يدل عليه ويقرره هو ان المراد من الأيـــام لايمكن أن يكون هو المفهوم فى وضع اللغة لان اليوم عبارة فى اللغة عـــن زمان مكث الشمس فوق الأرض من الطلوع الى الغروب وقبل خلـــق السموات لم يكن شمس ولا قمر لكن اليوم يطلق ويراد به الوقت[1] . ا.هـ

ومما يؤيد ما أشرت إليه من كون الاية مكية ارتباطها بما بعدهـــا وهى قوله تعالى (فاصبر على مايقولون) خطاب للنبى صلى الله عليـــه وسلم أمره بالصبر على مايقوله المشركون . أى هون أمرهم عليك[2] .

وذلك أنهم أنكروا البعث والرسالة وآذوه هو وأصحابه .

وقوله تعالى (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب) . آية ٣٩

قال ابن كثير: كانت الصلاة المفروضة قبل الأسراء ثنتين قبـــل طلوع الشمس فى وقت الفجر وقبل الغروب فى وقت العصر .

قلت : وهى نظير قوله تعالى فى سورة غافر المكية (فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار)[3] وقد سبـــق أن فصلت فيها القول[4] .

وأخيرا فان سورة (ق) كلها مكية ، والله أعلـــم .

---

(١) تفسير الرازى (٢٨ : ١٨٤) ط/الثانية .
(٢) تفسير القرطبى (١٧ : ٢٤) .
(٣) غافر : ٥٥
(٤) راجع (ص ٦٢ ١) من بحثنا هذا .

(٣١) سورة النجـم

وهى من السور المكية . قال القرطبى : مكية كلها فى قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر . وقال ابن عباس وقتادة : إلا آية منها وهى قوله تعالى (الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش)[1] الآية .

والآية الكريمة (الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم إن ربك واسع المغفرة هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الارض وإذ أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى) .

قال القرطبى : ذكر مقاتل بن سليمان أن هذه الآية نزلت فى رجل كان يسمى نبهان التمار ، كان له حانوت يبيع فيه تمرا ، فجاءته امرأة تشترى منه تمرا فقال لها : إن داخل الدكان ماهو خير من هذا ، فلما دخلت راودها فأبت وانصرفت فندم نبهان ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله . مامن شىء يصنعه الرجل إلا وقد فعلته إلا الجماع ، فقال : " لعل زوجها غاز " فنزلت هذه الآية[2] .

فدل هذا الأثر على مدنية الآية .

قال ابن حجر فى الاصابة بعد أن ذكر هذه القصة : (هكذا أخرجه عبد الغنى بن سعيد الثقفى فى تفسيره عن موسى بن عبد الرحمن عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس مطولا ومقاتل متروك والضحاك لم يسمع عن ابن عباس وعبد الغنى وموسى هالكان وأورد هذه القصة الثعلبى والمهدوى ومكى والماوردى فى تفسيرهم بغير سند[3] .

قلت : فالاثر الذى رواه مقاتل ضعيف والاية مكية تبعا للسورة والله اعلم .

---

(١) النجم : ٣٢

(٢) تفسير القرطبى (١٧ : ١٠٦) .

(٣) الاصابة فى تمييز الصحابة لشهاب الدين ابى الفضل احمد بن على ابن حجر العسقلانى (٣ : ٥٥٠) وبهامشه الاستيعاب فى معرفة الاصحاب .

قال القرطبى : والصحيح أنها (اى السورة) مكية لما روى عن ابن مسعود انه قال : هى أول سورة اعلنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة[١] .

وقد ورد الحديث الصحيح فى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنه قال : سجد النبى صلى الله عليه وسلم بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس[٢] . فدل على ان السورة كلها مكية .

---

(١) تفسير القرطبى (١٧ : ٨١) .
(٢) صحيح البخارى وبهامشه فتح البارى (١٠ : ٢٣٧) .

(٣٢) سورة القمـــر

وهى من السور المكية . (قال القرطبى : مكية كلها فى قـــول الجمهور .

وقال مقاتل إلا ثلاث آيات من قوله تعالى "أم يقولون نحن جميـع منتصر"[١] إلى قوله " والساعة أدهى وامر"[٢] ولا يصح على مايأتى) .

قلت : الآيات التى اشار إليها مقاتل بانها مستثناة ورد فيهـــا الحديث الصحيح الذى اخرجه البخارى بسنده عن يوسف بن ماهـــك[٣] قال : انى عند عائشة أم المؤمنين قالت : لقد أنزل على محمد صلـــى الله عليه وسلم بمكة وإنى جارية العب بل الساعة موعدهم والساعة أدهـى وأمر)[٤] .

فسورة القمر كلها مكية . والله أعلـــم . .

---

(١) القمر : ٤٤

(٢) القمر : ٤٦

(٣) يوسف بن ماهك الفارسى المكى مولى قريش روى عن ابى هريـــرة وعائشة وحكيم بن حزام وغيرهم قال ابن معين والنسائى ثقـــة وذكره ابن حبان فى الثقات مات سنة ثلاث ومائة .
انظر تهذيب التهذيب (١١ : ٤٢٢) .

(٤) صحيح البخارى وبهامشه فتح البارى (١٠ : ٢٤٣) .

(٣٣) سورة الواقعة

وهى من السور المكية . قال القرطبى : (مكية فى قول الحسن وعكرمة وجابر وعطاء وقال ابن عباس وقتادة إلا آية منها نزلت بالمدينة قوله "وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون")[1] .

أخرج مسلم فى صحيحه بسنده عن ابن عباس قال : مطر الناس على عهد النبى صلى الله عليه وسلم . فقال النبى صلى الله عليه وسلم " أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر قالوا : هذه رحمة الله ، وقال بعضهم لقد صدق نوء كذا وكذا" .

قال فنزلت هذه الاية (فلا أقسم بمواقع النجوم - حتى بلغ - وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون)[2] .

قلت : هذه الرواية السابقة لم تحدد زمن الحادثة فالظاهر أن الآيات مكية ووقوع الحادثة المذكورة فى الرواية كان بمكة .

أما الرواية الأخرى المذكورة فى البخارى ومسلم وغيرهما الشبيهة لها والتى وقعت فى الحديبية ولم تنص على نزول آيات بسببها فالذى يظهر لى (والله أعلم) انها حادثة اخرى تكررت ولم تنزل بصددها آيات اكتفاء بما نزل أو لا قبل الهجرة .

أخرج البخارى ومسلم واللفظ للبخارى عن زيد بن خالد الجهنى[3] أنه قال صلى لنا النبى صلى الله عليه وسلم الصبح بالحديبية على أثر سماء[4] كانت من الليلة ، فلما انصرف أقبل على الناس فقال : هل تدرون ماذا قال

---

(١) تفسير القرطبى (١٧ : ١٩٤) .

(٢) صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى (١ : ٨٤) .

(٣) ترجمة زيد بن خالد الجهنى مختلف فى كنيته ابو زرعة وابو عبد الرحمن وابو طلحة . . روى عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن عثمان وابى طلحة وعائشة . شهد الحديبية وكان معه لواء جهينة يوم الفتح وحديثه فى الصحيحين وغيرهما . قال ابن البرقى وغيره : مات سنة ثمان وسبعين بالمدينة وله خمس وثمانون .
الاصابة لابن حجر العسقلانى (١ : ٥٦٥) .

(٤) اى عقب مطر .

ربكم ؟ قالوا الله ورسوله أعلم . قال : أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكواكب. وأما من قال بنوء كذا وكذا فذلك كافر بى ومؤمن بالكواكب[1] .

وزيادة على هذا فوجود القسم فى هذه الآيات معكون السورة تحدثت عن أقسام أهل الجنة وأهل النار ثم الكلام على آيات الله فى خلق الانسان وامتنانه عليه بماسخر له فى الكون ثم الاستدلال على إمكان البعث ، وأن الانسان محاسب يوم القيامة على ماقدم من خيراو شر كل ذلك وغيره من علامات مكية السورة . والله أعلم . .

---

(١) صحيح البخارى وبهامشه فتح البارى (٢ : ٤٧٨) ، صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى (١ : ٨٣) ، موطأ الامام مالك تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى (١ : ١٩٢) .

(٣٤) سورة الماعـــون

وهى من السور المكية وقد فصل الألوسى القول فى السورة علـــى ثلاثة أقوال :

(قال الالوسى : وتسمى سورة ارأيت والدين والتكذيب .

اولا : وهى مكية فى قول الجمهور . وأخرجه ابن مردويه عن ابـــن عباس وابن الزبير كما فى الدر المنثور .

ثانيا : وفى البحرالمحيط أنها مدنية فى قول ابن عباس وقتـــادة وحكى ذلك عن الضحاك .

ثالثا : وقال هبة الله بن سلام المفسر الضرير نزل نصفها بمكـــة فى العاص بن وائل ونصفها فى المدينة فى عبد الله بن أبى المنافق)[1] .

قلت : والذى أرجحه أن السورة كلها مكية . والذين قالوا بمدنيـــة نصفـــها الآخراعتمادا على أن الآيات (فويل للمصلين الذين هم عـــن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون ويمنعون الماعون)[2] نزلت فى المنافقـــين والنفاق لم يظهر إلا فى المدينة .

قال ابن حجر : (لا مانع أن تكون جميعها (اى السورة) مكيـــة وتقع الإشارة فيها الى ماسيقع بعد الهجرة)[3] . فلا يمنع أن تشير هـــذه السورة المكية الى ماسيقع من النفاق فى اداء الصلاة واللهو عنها اوادائها لغير وقتها . أو منع الماعون وهو مايعار ثم ليس هناك مايمنع أن ينهـــى القرآن عن شىء من ترك الواجبات أو فعل المنهيات قبل ان يقع بـــين الأمـــة .

---

(١) تفسير الالوسى (٣٠ : ٢٤١) .
(٢) من آية ٤ الى آية ٧ .
(٣) فتح البارى (٨ : ١٣٠) .

(٣٥) سورة الكوثر

وهى من السور المكية المختلف فيها . واحتج من قال بمدنيتها بالحديث الصحيح الذى رواه مسلم عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين أظهرنا اذ أغفى اغفاءة ثم رفع رأسه مبتسما . فقلنا : ما أضحكك يارسول الله . قال (أنزلت على آنفا سورة فقرأ " بسم الله الرحمن الرحيم . إنا أعطيناك الكوثر . فصل لربك وانحر إن شانئك هو الابتر" ثم قال أتدرون ما الكوثر ؟ فقلنا : الله ورسوله أعلم . قال "فأنه نهر وعدنيه ربى عز وجل عليه خير كثير . هو حوض ترد عليه امتى يوم القيامة . آنيته عدد النجوم . فيختلج العبد منهم . فأقول : رب انه من أمتى فيقول : ماتدرى ما أحدثت بعدك" .

زاد ابن حُجْرٍ فى حديثه : بين أظهرنا فى المسجد . وقال "ما أحدث بعدك"[1] .

فدل الحديث على أن نزول السورة كان فى المدينة . لقوله (بين أظهرنا فى المسجد) وراوى الحديث أنصارى .

وقد استدل على مكية السورة بماجاء فى تفسير السورة :

(إن شانئك) قال ابن عباس اى عدوك[2] .

(هو الابتر) الذى لاعقب له حيث لايبقى منه نسل .

قال الألوسى : والجمهور على نزولها فى العاص بن وائل[3] .

فالآيات فى معانيها والفاظها واسلوبها تدل على مكيتها .

ويجمع بين القول بمكيتها والحديث الصحيح الذى رواه مسلم بتكرر نزولها فى مكة والمدينة .

---

(١) صحيح مسلم بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقى (١ : ٣٠٠) دار احياء التراث العربى

(٢) صحيح البخارى وبهامشه فتح البارى (١٠ : ٣٦٢) .

(٣) تفسير الالوسى (٣٠ : ٢٢٤) .

قال الالوسى : (وفى أخبار سبب النزول ومايقتضى كلا من القولين . . . استشكل أمرها وذكر الخفاجى[1] أن لبعضهم تأليفا صحح فيه أنها نزلت مرتين وحينئذ فلا إشكال)[2] .

---

(١) الشهاب الخفاجى (٩٧٧ - ١٠٦٩ هـ) احمد بن محمد بن عمر شهاب الدين الخفاجى المصرى قاضى القضاة وصاحب التصانيف فى الادب واللغة نسبته الى قبيلة خفاجة ، ولد ونشأ بمصر . من اشهر كتبه (ريحانة الالبانى) ، (شفاء العليل) ، (عناية القاضى وكفاية الراضى حاشية البيضاوى) .
باختصار من الاعلام للزركلى (١ : ٢٣٨) .

(٢) تفسير الوسى (٣٠ : ٢٢٤) .

ثانيا : الايات المكية فى السورالمدنية

سبق أن تحدثنا فى مقدمة هذا الفصل عن ترتيب القرآن الكريم سوره وآياته[١] .

والخلاصة : أن ترتيب القرآن الكريم توقيفى فى ترتيب آياته وسوره فاذا ماوجدت آيات مدنية فى سورة مكية أو آيات مكية فى سورة مدنية فهذا بامر الله تعالى . وليس لنا فيه رأى . اللهم إلا العلم بأن هذه الايات مكية أو مدنية .

والآيات المكية فى السور المدنية معدودة ونادرة .

قال ابن حجر (وقد اعتنى الائمة ببيان مانزل من الآيات بالمدينة فى السور المكية وأما عكس ذلك وهو نزول شيء من سوره بمكة وتأخر نزول تلك السورة إلى المدينة فلم أره إلا نادرا)[٢] .

ومن بين تلك السور المدنية التى قيل إن فيها آيات مكية :

---

(١) (ص١٢٦) .

(٢) فتح البارى (١٠ : ٤١٧) .

(١) سورة الانفـــال

سورة الأنفال من السو ر المدنية وتسمى أيضا بالبدرية .

قال القرطبي : (سورة الأنفال مدنية بدرية في قول الحسن وعكرمـــة وعطاء . وقال ابن عباس هي مدنية إلا سبع آيات من قوله تعالى "واذ يمكر بك الذين كفروا" إلى آخر السبع الايات[١] .

والآيات الكريمة من قوله تعالى (وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتـــوك أو يقتلوك أويخرجوك ويمكرون ويمكر اللهواللـه خيرالماكرين . واذا تتلـــى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنامثل هذا إن هذا الا اساطـــير الاولين . وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينـــا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب أليم . وماكان الله ليعذبهم وأنت فيهـم وماكان الله معذبهم وهم يستغفرون . ومالهم الا يعذبهم الله وهـــم يصدون عن المسجد الحرام وماكانوا أولياءه ان أولياءه إلا المتقون ولكـــن أكثرهم لا يعلمون . وماكان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية فذوقـــوا العذاب بما كنتم تكفرون . إن الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدو عن سبيـل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهـنم يحشرون)[٢] .

فهذه الآيات أشار ابن عباس وغيره إلى أنها آيات مكية في ســـورة الأنفال المدنية .

قال الزركشي[٣] : (الآيات المكية في السور المدنية) منها قوله تعالـى في الأنفال (وماكان الله ليعذبهم وأنت فيهم . . . .)[٤] .

قلت : والذي يظهر لي أن الآيات كلها مدنية تبعا للسورة .

---

(١) تفسير القرطبي (٧ : ٣٦٠) .
(٢) الانفال : ٣٠ - ٣٦
(٣) البرهان للزركشي (١ : ٢٠٢) .
(٤) الانفال : ٣٣

والذى أحدث هذا الاستثناء فى الآيات هو ماتدور حوله الآيات من المعنى والحديث عن ماقاساه الرسول صلى الله عليه وسلم من مشركى مكة من مكرهم وتكذيبهم للوحى وتحديهم لخالقهم وهم أضعف الأمم السابقة التى عتت عن أمر ربها . قال تعالى : (اولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اشد منهم قوة وأثاروا الارض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فماكان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون)[1] . صدق الله العظيم

ثم وصف صلاتهم وعبادتهم الفاسدة التى كانوا يؤدونها من التصفير والتصفيق[2] . . . . الخ

فهذه الآيات فى ظاهر معناها وسياقها أنها مكية . ولا يمنع أن تكون مدنية وقد تضمنها تذكير الرسول صلى الله عليه وسلم بحاله مع قومه عند اول نصر له عليهم يوم بدر . فقوله تعالى (وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك) الاية . .

عن ابن عباس فى قوله (وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك) قال تشاورت قريش ليلة بمكة فقال بعضهم إذا اصبح فأثبتوه بالوثاق يريدون النبى صلى الله عليه وسلم . وقال بعضهم بل اقتلوه ، وقال بعضهم بل أخرجوه فأطلع الله عز وجل نبيه على ذلك فبات علىّ على فراش النبى صلى الله عليه وسلم تلك الليلة وخرج النبى صلى الله عليه وسلم حتى لحق بالغار وبات المشركون يحرسون عليا يحسبونه النبى صلى الله عليه وسلم فلما اصبحوا ثاروا اليه فلما رأوا عليا رد الله مكرهم فقالوا أين صاحبك هذا ؟ قال لا أدرى ، فاقتصوا أثره فلما بلغوا الجبل خلط عليهم فصعدوا فى الجبل فمروا بالغار فرأوا على بابه نسج العنكبوت فقالوا : لو دخل هنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه فمكث فيه ثلاث ليال[3] .

---

(١) الروم : ٩

(٢) قال صاحب الكشاف : المكاء فعال بوزن الثغاء والرغاء من مكا يمكو اذا صفر (فهو التصفير) اما التصديه : التصفيق تفعلة من الصدى او من صد يصد . . . الكشاف (٢ : ١٥٦) .

(٣) مسند الامام احمد وبهامشه الفتح الربانى (١٨ : ١٥١) .

قال صاحب الفتح الربانى : (لما فتح الله على نبيه صلى الله عليه وسلم ونصره يوم بدر على كفار مكة ذكره بمكر قريش حين كانوا بمكة ليشكر نعمة الله فى نجاته من مكرهم واستيلائه عليهم فقال عز من قائل واذكر يامحمد (إذ يمكر بك الذين كفروا) وقد اجتمعوا للمشاورة فى شأنك بدار الندوة (ليثبتوك) اى يوثقوك بالحبال ويحبسوك . . (أويقتلوك) كلهم قتلة رجل واحد . . . (او يخرجوك) من مكة . . . .)[1] .

وذكر ابن كثير القصة السابقة مطولة عن ابن عباس وفى نهايتها (وأخبره بمكر القوم فلم يبت تلك الليلةواذن له بالخروج وانزل الله عليه بعد قدومه المدينة الأنفال يذكر نعمه عليهوبلاءه عنده)[2] .

وذكر السيوطى هذه القصة مطولة وفى آخرها يقول" وأذن الله له عند ذلك فى الخروج وأنزل عليه بعد قدومه المدينة يذكره نعمته عليه (وإذ يمكر بك الذين كفروا . .) الآية"[3] .

وقد سبق الآيات الكريمة آيات مشابهة لها فى مقام التذكير مما يؤكد أن سياق الآيات هو تذكير الرسول صلى الله عليه وسلم بما كان من شأن قومه ومالاقاه منهم وكيف كان حاله مع قومه فى بداية الرسالة وكيف مكنه الله منهم وأبدله بعد الضعف قوة ليشكر الله عز وجل على هذه النعم . قال تعالى (واذكروا إذ انتم قليل مستضعفون فى الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وايدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون)[4] .

وما أسلفته فى الآية الكريمة (وإذ يمكر بك الذين كفروا) ينطبق عليه فى الآيات التى تليها فقوله (وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك . . . .) الآية . هو من مقام التذكير أى واذكر إذ قالوا اللهم

---

(١) الفتح الربانى شرح مسند الامام احمد تأليف احمد عبد الرحمن البنا (١٨ : ١٥١) .
(٢) تفسير ابن كثير (٢ : ٣٠٣) .
(٣) انظر لباب النقول (ص١٠٩ - ١١٠) .
(٤) الانفال : ٢٦

إن كان هذا . . . . . الآيات .

(وقوله " وماكان الله ليعذبهم وأنت فيهم" اللام لتأكيد النفي على ان تعذيبهم وأنت بين اظهرهم غيرمستقيم فى الحكمة لأن عادة الله وقضية حكمته أن لايعذب قوما عذاب استئصال مادام نبيهم بين أظهرهم . . . . "وماكان الله معذبهم وهم يستغفرون" فى موضع الحال ومعناه نفى الاستغفار عنهم . أى ولو كانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر لما عذبهم . . . ولكنهم لايؤمنون ولايستغفرون ولايتوقع ذلك منهم)[١] .

وقوله فى نهاية الآيات (إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا الى جهنم يحشرون) .

وردت آثار تفيد أنها نزلت بسبب اجتماع أهل مكة بعد هزيمتهم يوم بدر وذهابهم إلى ابى سفيان يطلبون منه المساعدة هو ومن كانت له فى تلك العير من قريش تجارة للاعانة على حرب الرسول صلى الله عليه وسلم لعلهم يصيبون ثأرا بمن أصيب منهم يوم بدر ذكر ذلك ابن اسحق[٢] .

وردت آثار أخرى أنها نزلت فى المطعمين يوم بدر وعلى كلا القولين فالاية مدنية .

ولقد استثنى بعض المفسرين قوله (يا أيها النبى حسبك الله)[٣] الآية وصححه ابن العربى وغيره وقالوا : ويؤيده ما أخرجه البزار عن ابن عباس رضى الله عنهما أنها نزلت لما أسلم عمر رضى الله عنه[٤] . فعليه فالآية مكية .

قال الرازى : (هذه الآية نزلت بالبيداء فى غزوة بدر قبل القتال والمراد بقوله "ومن اتبعك من المؤمنين" الأنصار[٥] . قال الألوسى والظاهر

---

(١) باختصار من تفسير الكشاف لابى القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى الخوارزمى (٤٦٧ - ٥٣٨هـ) (٢ : ١٥٥) ط/دارالفكر الطبعة الاولى ١٣٩٧هـ .

(٢) تفسير ابن كثير (٢ : ٣٠٧) .

(٣) الانفال : ٦٤

(٤) راجع الاتقان (١ : ١٥) ، الالوسى (٩ : ١٥٧) .

(٥) تفسير الرازى (١٥ : ١٩١) .

شمولها للمهاجرين والأنصار - وعن الزهرى أنها نزلت فى الأنصار.[1]

قلت : ورواية البزار ضعيفة . قال السيوطى (روى البزار بسند ضعيف من طريق عكرمة عن ابن عباس قال : لما أسلم عمر رضى الله عنه قال المشركون : قد انتصف القوم منا اليوم وانزل الله (يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين)[2] .

قال ابن كثير فى تفسيره للآية (يحرض تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على القتال ومناجزة الاعداء ومبارزة الأقران ويخبرهم أنه حسبهم أى كافيهم وناصرهم ومؤيدهم على عدوهم وان كثرت اعداؤهم وترادفت امدادهم . ولو قل عدد المؤمنين . ثم ساق أثرا مرويا عن ابن ابى حاتم بسنده عن الشعبى فى قوله " يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين" قال حسبك الله وحسب من شهد معك)[3] .

فعليه فالآية مدنية تبعا للسورة . وسورة الأنفال كلها مدنية والله أعلم .

---

(١) تفسير الالوسى (١٠ : ٣٠) .
(٢) لباب النقول فى اسباب النزول للسيوطى (ص١١٣) .
(٣) تفسير ابن كثير (٢ : ٣٢٤) .

(٢) سورة التوبـــة

سورة التوبة مدنية وقال القرطبى : مدنية باتفاق .

وقال الألوسى : مدنية كما روى عن ابن عباس وعبداللهبن الزبـــير وقتادةوخلق كثير وحكى بعضهم الاتفاق عليه . وقال ابن الغرس : هـــى كذلك إلاآيتين منها" لقد جاءكم رسول من أنفسكم" . . .الخ .وهو مشكـــل بناء على مافى المستدرك عن ابى بن كعب .

واخرجه أبو الشيخ فى تفسيره عن على بن زيد عن يوسف المكى عـــن ابنعباس رضى الله عنهمامن أن آخر آيةنزلت (لقد جاءكم رسول) . .إلـــخ ولايتأتى هنا ماقالوه فى وجه الجمع بين الأقوال المختلفة فى آخرمانزل)[١] .

قلت: سورة التوبة كلها مدنية . وقد نص الحديث الصحيح علـــى مدنيتها . اخرج البخارى بسنده عن أبى اسحاق قال: سمعت البراءرضى الله عنه يقول آخر آية نزلت -يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة[٢] -وآخـــر سورة نزلت براءة)[٣] .

قال ابن حجر : وأصح الأقوال فى آخرية الآية قوله تعالى (واتقـــوا يوماترجعون فيه الىالله)[٤] .

ويوفق بين آية النساء وآية البقرة أن آية النساء آخر مانزل فى شـــأن المواريث .

فاذا ثبت أن سورة التوبة من أواخر مانزل من السور دل ذلك علـــى مدنيتها لان أواخر حياته صلى الله عليه وسلم كانت فى المدينة .

ولقد استثنى من السورة الكريمة قوله تعالى (لقد جاءكم رسول مـــن أنفسكم عزيز عليه ماعنتم)[٥] الآيتين فقيل إنهانزلت فى مكة .

---

(١) تفسير الالوسى (١٠ : ٤٠) .
(٢) النساء : ١٧٦
(٣) صحيح البخارى وبهامشه فتح البارى (٩ : ٣٨٦) .
(٤) البقرة : ٢٨١ ، انظر فتح البارى (٩ : ٢٧١ - ٢٧٢) .
(٥) التوبة: ١٢٨ - ١٢٩

ويجاب بأن الاية فى عداد الآيات التى ورد بأنها من أواخر الآيات نزولا فى القرآن . أخرج الحاكم فى المستدرك عن أبى بن كعب قال آخر آية نزلت (لقد جاءكم رسول من أنفسكم . . . . الى آخر السورة)[1] .

قال الحاكم حديث شعبة عن يونس بن عبيد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وأقره الذهبى .

(وروى ابن مردويه عن أبى قال " آخر القرآن عهدا بالله هاتان الايتان (لقد جاءكم رسول من انفسكم . .) إلى قوله (وهو رب العرش العظيم) .

ويجاب عنه بأنهما آخر ما نزل من سورة براءة ، أو أنه أخبر بذلك بحسب ظنه واجتهاده)[2] .

قلت : واخرجه ايضا الامام أحمد فى المسند عن ابن عباس عن أبى قال آخر آية نزلت (لقد جاءكم رسول) . . الاية[3] . فدل أن الآيتين مدنيتان تبعا للسورة . والله أعلم . .

ولقد استثنى من السورة قوله تعالى (ماكان للنبى والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين)[4] .

أخرج البخارى بسنده عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال : لما حضرت ابا طالب الوفاة دخل عليه النبى صلى الله عليه وسلم وعنده ابوجهل وعبد الله بن ابى اميه فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أى عم قل لا اله الا الله احاج لك بها عند الله . فقال أبو جهل وعبد الله بن أبى أمية يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم لأستغفرن لك مالم أنه عنك ، فنزلت " ماكان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ماتبين لهم أنهم أصحاب الجحيم"[5] .

فعليه فالاية مكية . والله أعلم .

---

(١) المستدرك للحاكم (٢ : ٣٣٨) .
(٢) المدخل لدراسة القرآن الكريم الدكتور محمد ابو شهبة (١٩٣) .
(٣) مسند الامام احمد بن حنبل وبهامشه الفتح الربانى (١٨ : ١٧٤) .
(٤) التوبة : ١١٣
(٥) صحيح البخارى وبهامشه فتح البارى (٩ : ٤١١) .

الفصل الرابع

الفصل الرابع
دحض الشبه التى أثيرت حول المدنى والمكى من القرآن

لمحة عن المستشرقين

لقد دأب الملاحدة وأعداء الدين من المستشرقين والمبشرين وأذنابهم على تشكيك المسلمين فى دستورهم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

ذلك الكتاب الذى أعجز بلغاء العرب وفصحاءهم .

وطبيعى كان هدفهم فتنة المؤمنين عن دينهم ، وزعزعة ثقتهم فى كتاب ربهم وبث الفرقة فى صفوفهم " يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون "(١) .

والدارس لكتبهم ومؤلفاتهم تتجلى له أساليبهم المقنعة والتى اعتادوها - الا من رحم الله - للنيل من الاسلام وتعاليمه ومقدساته .

فهم عندما يبدأون بحوثهم يبدأونها بحملتهم على من سبقهم من الدارسين - أسلافهم - وأنهم ما أنصفوا ولا تحروا الصواب . وغلبت عليهم العصبية والتأثر بالعواطف الدينية وما أشبه بهذا التحايل - مما يجعل القارىء يثق فيهم كل الثقة ويعتقد كل الاعتقاد أن ماجاء به هذا الكاتب هو عين الصواب الذى سيجعل الحق فى النصاب . فيلقى للقارىء بكل سلاح يصلح للمعارضة والتشكيك . فيسلم له القياد ثم بعد هذا يلقى بسمومه فيقول(٢) إن القرآن فى أولى سوره يوضح أن كل نبى أرسل الى قومه فيقول (رسول إلى فرعون) وقوم نوح ، ومثل هذا محمد .

إذا لم يكن بد عا من الرسل على حد تعبير القرآن ، فهل كان مرسلا إلى

---

(١) التوبة : ٣٢

(٢) كتاب (قادة الاديان واقوامهم) لتوماس كارليل ، طبع نيويورك ١٩١٩م .

عموم البشر ؟ لابل إلى اهل مكة خاصة .

ومعلوم أن كلامه هذا يخالف أعظم قواعد الدين واصوله . ويناقض الفكر الاسلامى تماما .

ومن اشهرالمستشرقين الذين كان لهم الصيت البعيد والجهود العظيمة فى الاسلام والحديث الأستاذ ونسنك (استاذ كرسى اللغة العربية بجامعة لندن)صاحب كتاب مفتاح كنوز السنة والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث الذى جمع فيه الالفاظ الهامة للحديث من الكتب الستة ومسند احمد وموطأ مالك وسنن الدارمى ورتبه على حروف المعجم. والذى اشتهر بالانصاف والاتزان عند كثير من الدارسين . نشاهد لهموقفا غريباينا قض تماما موقفه من الحديث إذ ادعى أن الرسول الف القرآن من خلاصة الكتب الدينية والفلسفية التى سبقته ، وعلى أثر اعلان هذا الرأى طرد من المجمع اللغوى المصرى ورأى الاسلام فى هذا واضح ومعروف .

وهذه الدكتورة (لورا فاجليرى) الاستاذة بمعهد الدراسات الشرقية بميلانو والتى قالوا عنها : إنها قدوضعت العدل والانصاف نصب عينيها فى مناقشتها للقيم الاسلاميةو كأنها عاشت مع الاسلام أمدا طويلا .

قالت فى كتابها (تفسير الاسلام) : (إنه لايمكن تجريد المسلمين من الروح الفدائية فى تحقيق غزواتهم، لأن ذلك من طبيعة البشر).

وتقول عن الحديث : إن الأحاديث النبوية تعطى أجمل تعريف للشفقة والرحمة ولايهم كثيرا أن بعض الاحاديث مشكوك فى صحته ، وأن بعضها ليس من كلام محمد (صلى الله عليهوسلم) الى غير ذلك من المزاعم الواهية.(١)

ولقد وجه اعداء الاسلام كثيرا من الشبه نحو القرآن الكريم وخصوصا المدنى والمكى(٢) بقسميه . ومما يؤسف له ان من أبناء الاسلام من يتفوه بتلك الشبه ويهدم بمعوله حصون الاسلام المنيعة ليكون بذلك ابنا بارا بأساتذته وجامعاته التى أرضعته تلك السموم وصبغتها على افكاره . واليك الرد على تلك الشبهود حضها .

---

(١) المستشرقون بين الإنصاف والتعصب . للدكتور السيد محمد علوى المالكى (١٣٩٦ - ١٩٧٦) ص ٣ بحر

(٢) يلاحظ اننا سنتعرض فى اثناء الكلام على الشبه للقسم المكى بجانب المدنى حيث الارتباط قائم بينهما ولايمكن صوغ الشبهة الا بشقيها ويقولون (وبضدها تتميز الأشياء) .

الشبهة الاولـــى

يقولون : إن الباحث الناقد يلاحظ أن فى القرآن أسلوبين متعارضين لا تربط الأول بالثانى صلة ولا علاقة ، مما يدفعنا إلى الاعتقاد بأن هذا الكتـــاب خضع لظروف مختلفة ، وتأثر ببيئات متباينة . فنرى ان القسم المكى منـــه يمتاز بكل مميزات الاوساط المنحطة ، كما نشاهد القسم المدنى منه تلوح عليه أمارات الثقافة والاستنارة . فالقسم المكى يتفرد بالعنف والشدة ، والقســوة والحدة ، والغضب والسباب ، والوعيد والتهديد . مثل سورة (تبت يدا أبى لهب وتب) وسورة (والعصر إن الانسان لفى خسر) وسورة (ألهاكـــم التكاثر) ومثل (فصب عليهم ربك سوط عذاب) ، (إن ربك لبالمرصاد)[1] .

الرد على الشبهة الاولى

تتألف الشبهة من ثلاثة جوانب كاذبة وهى :

اولا : أن القسم المكى تفرد بالعنف والشدة .

ثانيا : أن فيه سبابا وإقذاعا .

ثالثا : أنه يمتاز بكل مميزات الأوساط المنحطة . أما المدنى فيـــه ثقافة واستنارة وسمو ورفعة ووقار .

والقصد من إلصاق تلك الشبهة بالقرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطـــل من بين يديه ولا من خلفه ، هو تشكيك أبناء الاسلام فى القرآن ، وبأنه مفكـــك الاجزاء غير متناسب فى الآيات والسور . وأنه خاضع للظروف متأثر بالبيئـــة وغرضهم من بث هذه المزاعم الباطلة هو أن القرآن ليس كلام الله وليـــس معجزا إنما هو كلام النبى صلى الله عليه وسلم الذى تأثر أولا بأهل مكـــة فكان كلامه قاسيا بعيدا عن المعارف العالية التى اكتسبها من أهـــل الكتاب فى المدينة .

---

(١) انظر مناهل العرفان للشيخ الزرقانى (١ : ١٩٩) .

أولا :

فاما دعواهم أن القسم المكى تفرد بالعنف والشدة فتلك الدعـــوة تنبىء ان صاحبها لم يطلع على القرآن الكريم او انه اطلع ولكن اعمته عصبيتـه عن ادراك الحق المبين . فالقسم المدنى اشتمل على الوعيد والانذار. كما أن القسم المكى اشتمل على الدعوة إلى اللين والعفو والصفح ومقابلـــة الاساءة بالاحسان .

فمثلا سورة البقرة وهى مدنية (فيها الوعيد والانذار) .

قال تعالى : (فأن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين)(١) .

وقال فيها محذرا للمؤمنين من أكل الربا ، ومحاربا لآكل الربـــا (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا مابقى من الربا ان كنتم مؤمنين . فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله)(٢) . . إلى غير ذلك من الوعيـــد الذى اشتمل عليه القسم المدنى .

ثم انظر إلى ماجاء فى السور المكية حثا على اللين والعرف والصفح والتسامح . قال تعالى فى سورة الأعراف المكية : (خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين)(٣) . وفى سورة الحجر قال تعالى : (واخفض جناحك للمؤمنين)(٤) الى آخر السورة .

وقال تعالى فى سورة الانعام وهى مكية ايضا : (واذا جاءك الذيـــن يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكـــم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده واصلح فأنه غفور رحيم)(٥) .

ومن الملاحظ فى الآيات والسور المكية بشكل واضح ان القسم المكـى خلا خلواتاما من تشريع القتال والجهاد والمخاشنة . كما خلت أيامه فـــى

---

(١) البقرة : ١٩٦
(٢) البقرة : ٢٧٨ - ٢٧٩
(٣) الاعراف : ١٩٩
(٤) انظر مناهل العرفان لفضيلة الشيخ محمد عبد العظيم الزرقانـــى (ص ١٩٩ - ٢٠٥) .
(٥) الانعام : ٥٤

مكة على طولها من مقاتلة القوم بمثل مايأتون من التنكيل والمصاولة .

فلم يسمع للمسلمين فيها صلصلة لسيف ، ولا قعقعة لسلاح ولا زحف على عدو انما هو الصبر والعفو والمجاملة والمحاسنة على الرغم من إيغال الاعداء فى أذاهم ولجاجهم فى عتوهم وأساهم سبا وطعنا وقتلا ونهبا ومقاطعة ومكابرة (١) .

والمتتبع لأسلوب القرآن الكريم فى مراعاته لمقتضى الحال فى جانب الترغيب والترهيب تجده أحيانا يغلب ناصية الترغيب لمن سلك طريق الاتباع . وأحيانا يغلب ناحية الترهيب لمن اعوج ومال عن طريق الحق والصواب .

وإنما قرن سبحانه الوعد بالوعيد وأكثر من ذكرهما فى القرآن لينبه على أن المؤمن لابد ان يعتدل خوفه ورجاؤه . وليظهر بوعده للطائعين كمال رحمته بهم (وهذا كان شأنه جل وعلا فى خطابه لأهل المدينة) وبوعيده للعصاة كمال عدله وحكمته (وهذا كان فى خطابه لاهل مكة من العصاة والمعاندين) .

وتجده أحيانا يسوى بينهما حسب المقتضيات وأحوال المخاطبين .

قال تعالى فى سورة الفتح المدنية (يجمع بين الترغيب والترهيب) (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئآتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما . ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا) (٢) .

وقال تعالى فى سورة الدهر المكية يجمع بين الترغيب والترهيب (ان الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا) (٣) .

وأحيانا يقتصر على أسلوب الترهيب لان المقام يقتضى ذلك . اقرأ مثلا سورة الهمزة وهى : (ويل لكل همزة لمزة ...) .

وأحيانا يقتصر على اسلوب الترغيب إذا اقتضى المقام ذلك ايضا اقرأ مثلا سورة (القدر) إنا أنزلناه في ليلة القدر ... الآيات

---

(١) انظر مناهل العرفان للشيخ الزرقانى (ص٢٠٦) .

(٢) الفتح : ٥ - ٦

(٣) الدهر : ٦ - ٧

ثانيا :

اما دعواهم أن فى القسم المكى سبابا . ويريدون من السباب معناه المعروف عندهم من البذاءة والخروج عن حدود الأدب واللياقة فهذا عين الكذب والافتراء (كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا)(١) لان القرآن الكريم انما جاء ليعلم الناس مكارم الأخلاق ، فكيف يكون مشتملا على مايقولون ؟

ولو علموا الظروف والملابسات التى نزلت فيها هذه الآيات البينات التى استشهدوا بها لفهموا ان القرآن انما يعالج النفوس بحسب مايقتضيه المقام فلكل مقام مقال . فمراعاة مقتضى الحال هو الذى يجعل الاسلوب يتسم بالعنف والشدة وذلك مع المعاندين للحجج والبراهين . بيد أنه رغم العنف والشدة لم يخرج عن جادة الأدب ، ولم ينحز عن سبيل الحكمة بل الحكمة تتقاضاه أن يشتد مع أمثال هؤلاء . ومن مصلحتهم هم ومن الرحمة بهم ، والخير لهم أن يشتد عليهم ليرعووا عن باطلهم . ويصحوا من غفلتهم . ويسيروا على نهج الحق والهدى والرشاد .

مع العلم أن هذا التقريع الحكيم تجده فى السور المدنية ، كما تجده فى السور المكية . وإن كان فى المكى أكثر من المدنى ، لأن أهل مكة كانوا مسرفين فى العناد والاباء ، مكابرين لايريدون اتباع الحق رغم وضوحه لهم . لم يتركوا بابا من الشر إلا دخلوه ولم يدعوا مسلما إلا آذوه بل بلغ بهم الاذى بالمسلمين الى الخارج وطنهم الذى تركوه .(٢)

ثالثا :

أما زعمهم أن القسم المكى يمتاز بكل مميزات الاوساط المنحطة فهو مردود عليهم ، وعلى اى وجه قصدوا .

فإذا أرادوا بانحطاطه الاشارة إلى قصر آياته ، أو إلى خلوه من

---

(١) الكهف : ٥

(٢) انظر علوم القرآن الكريم للدكتور محمد احمد يوسف القاسم وآخرين (ص١٠٠ - ١٠١) ، ط/الاولى ١٤٠١هـ . مطبعة الحضارة العربية بالقاهرة .

التشريعات فهذا لايدل على الانحطاط بل له اعتبار سنوضحه في الشبهة القادمة[١] .

واذا أرادوا بما ذكروا ان أهل مكة كانوا منحطين في الفصاحة والبيان والذكاء فلا أدل على كذب افترائهم شهادة التاريخ لقريش بأنهم كانوا مركز الزعامة من جميع قبائل العرب ويذعنون لها بالسبق في مضمار الفصاحة والبلاغة والذكاء والشرف والنبل[٢] .

وقد شهد القرآن الكريم تعمدهم الجدل وأنهم اهل حجة وخصومة قال تعالى : (ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون . وقالوا آلهتنا خير أم هو ماضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون)[٣] .

ولقد أرادوا من إلصاق أمثال هذه التهم الباطلة بالقرآن تشكيك المسلمين في كتابهم المقدس . حيث انه تأثر بالوسط والبيئة مما يترتب عليه انه كلام النبي صلى الله عليه وسلم لاكلام رب العزة .

---

(١) راجع ما سنذكره في الشبهة الثانية (ص ٢٠٠) .
(٢) انظر مناهل العرفان للشيخ الزرقاني (ص ٢٠٦ - ٢٠٧) .
(٣) الزخرف : ٥٧ - ٥٨ ، وانظر تفسير ابن كثير(٤ : ١٣١) .

الشبهة الثانية

(إن قصر السور والايات المكية مع طول السور والآيات المدنية يدل على انقطاع الصلة بين القسم المكى والقسم المدنى ، ويدل على أن القرآن فى نمطه هذا نتيجة لتأثر محمد بالوسط والبيئة . فلماكان فى مكة أميا بين الاميين جاءت سور المكى وآياته قصيرة ، ولما وجد فى المدينة بين مثقفين مستنيرين جاءت سور المدنى وآياته طويلة) وغرضهم من إلقاء هذه الشبهة التشكيك فى القرآن وأنه ليس من عند الله .

والرد على هذه الشبهة على النحو التالى :

اولا :

ان قولهم بقصر السور والآيات المكية وطول السور والآيات المدنية لايسلم لهم على عمومه ففى القسم المكى سور طويلة مثل سورة الانعام ويونس وهود ويوسف . وفى القسم المدنى سور قصيرة مثل سورة النصر والفلق والناس . ولاشك أن قصر الآية او السورة أو طولها يرجع لمقتضى الحال الذى هو اساس البلاغة العربية . وليس تابعا للبيئة أو الوسط .

ثانيا :

قولهم بانقطاع الصلة بين المكى والمدنى دليل على جهلهم باساليب البلاغة فالصلة يحسها كل صاحب ذوق فى البلاغة فهى شاملة لكافة السور والآيات ولأادل على ذلك من انك ترى الكثير من الآيات المكية داخلة فى آيات وسور مدنية وكذلك العكس ومع ذلك فانه لايكاد احد يلمس أى تفاوت أو انقطاع بل يتجلى الاعجاز القرآنى عبر تلك الآيات من حيث الاتساق والانسجام فهو بمثابة عقد منظم تناسقت حباته وتآلفت لآلئه ونظم فى سلك من الذهب الخالص (٢) .

---

(١) مناهل العرفان للشيخ الزرقانى (١ : ٢٠٩) .

(٢) انظر المدخل لدراسة القرآن الكريم (ص٢٣٤) ، مناهل العرفان للشيخ الزرقانى (ص٢٠٩) .

قال الشيخ الباقلانى : (ان عجيب نظمه وبديع تأليفه لايتفـــاوت ولايتباين على مايتصرف اليه من الوجوه التى يتصرف فيها من ذكر قصـــص ومواعظ واحتجاج وحكم وأحكام . . .الخ

وقد تأملنا نظم القرآن ، فوجدناجميع مايتصرف فيه من الوجوه الـــتى قدمنا ذكرها على حدوا حد ، فى حسن النظم وبديع التأليف والرصف)[1] .

---

(١) اعجاز القرآن للباقلانى (٤٠٣هـ) تحقيق الاستاذ سيد صقـــــر دار المعارف ١٩٦٣م (ص ٣٦ - ٣٧) .

الشبهة الثالثة

(ان القسم المكى خلا من التشويع والاحكام على حين أن القسم المدنى مشحون بتفاصيل التشريع والأحكام . وذلك يدل على أن القرآن من وضع محمد (صلى الله عليه وسلم) وتأليفه تبعا لتأثره بالوسط الذى يعيش فيه فوجود التشريعات الاسلامية فى المدينة كالمواريث والوصايا والزواج والطلاق دليل على أن هذا اثر من آثار التوراة والبيئة اليهودية التى ثقفت المهاجرين الى يثرب ثقافة واضحة يشهد بها هذا التغيير الفجائى الذى ظهر على أسلوب القرآن)[1] .

ونرد على ذلك فنقول :

أولا :

قولهم ان القسم المكى خلا من التشريع والأحكام هذا زعم باطل فالقسم المكى لم يخل جملة من التشويع والأحكام بل عرض لها بطريقة اجمالية وذلك عند إشارته الى إصول التشريعات والاحكام والتى ذكرها القرآن الكريم فى سورة الأنعام المكية التى تحدثت عن مقاصد الدين الخمسة وهى :

(١) الايمان بالله وعدم الاشراك به .
(٢) حفظ النفس .
(٣) حفظ العقل .
(٤) حفظ النسل .
(٥) حفظ المال .

قال تعالى : (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم)[2] إلى تمام ثلاث آيات بعدها والتى جمعت الوصايا العشر لهذه المقاصد الخمسة .

---

(١) أنظر مناهل العرفان للشيخ الزرقانى (١ : ٢١١) .
(٢) الانعام : ١٥٢ - ١٥٣ - ١٥٤

ثانيا :

أما كون أن القسم المدنى كثرت فيه التشريعات فهذا تقتضيه انجع النظم السياسية والتربوية . ذلك ان الفترة المكية تعتبر بالنسبة للمسلمين نقطة البداية . ولاشك أن التدرج فى تربية أفراد المجتمع أساس نجاحه وتفوقه لهذا تدرجت التشريعات الالهية فبدأت باصلاح قلوبهم وتطهيرها من الشرك والوثنية وتقويمها بعقيدة الايمان الصحيح والتوحيد الواضح .

ومن ثم فطمهم عن أقبح العادات والأخلاق وأرشدهم الى اصول الآداب وفضائل العادات ثم فرض عليهم امهات العبادات . هذا ماكان فى مكة .

فلما استضاءت قلوبهم بالايمان وأشربوا حبه وتهيأت نفوسهم للترقى والكمال عبر الأيام والسنين . وكانوا وقتئذ قد هاجروا إلى المدينة وآمنوا على انفسهم وصارت لهم دولتهم وكيانهم وحريتهم وبعيدا عن الاضطهاد والعسف والظلم ، حينئذ جاء دور القرآن المدنى بتفصيل التشريع والاحكام . محققا السعادة لبنى الانسان . واخذ يصقل اخلاقهم ويزرع المروءة فى نفوسهم حتى اصبحت الامة الاسلامية بحق (خير امة اخرجت للناس) .

أما مازعموه أن ذلك من اختلاط النبى صلى الله عليه وسلم بأهل المدينة فان هذا ينقضه القرآن فترى الكثير من الآيات وردت تصحح عقائد أهل الكتاب واخطاءهم فى التشريع وفى التحليل والتحريم وفى الاخبار والتواريخ .

قال تعالى : (قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم)[1] الاية .

وقوله تعالى : (كل الطعام كان حلا لبنى إسرائيل إلا ماحرم

---

(١) آل عمران : ٦٤

إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة[1] الآية .

ولا يخفى أن غرضهم الوصول الى هدف معين من إلقاء أمثال هذه الشبهة وهو تشكيك المسلمين فى دينهم وفى كتابهم العزيز حتى يصلوا الى هدفهم وهو تحريف وتغيير بعض آياته وسوره ولكن الله تكفل بحفظه (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)[2] .

---

(١) آل عمران : ٩٢

(٢) الحجر : ٩

الشبهة الرابعة

يقولون (إن القرآن أقسم كثيرا بالضحى والليل ، والتين والزيتون وطور سينين ، وكثير من المخلوقات ولا ريب ان القسم بالاشياء الحسية يدل على تأثر القرآن بالبيئة فى مكة لأن القوم كانوا فى مكة اميين لا تعدو مداركهم حدود الحسيات . امابعد الهجرة واتصال محمد (صلى الله عليه وسلم) باهل المدينة ، وهم قوم مثقفون مستنيرون فقد تأثر القرآن بهذا الوسط الراقي الجديد ، وخلا من تلك الايمان الحسية الدالة على البساطة والسذاجة)[1] .

ونرد على هذه الشبهة بما يلى :

أولا :

إن القسم بالأمور الحسية كالضحى والليل دليل على رعاية مقتضى الحال فيما سبق القسم لاجله . فالقرآن بصدد علاج اقبح الخصال وهى عقيدة الشرك ولاسبيل إلى استئصال هذه العقيدة الباطلة وإقامة عقيدة التوحيد الخالصة إلا بالاشارة الى عظمة هذا الكون وما أحاطه من مخلوقات عظيمة ليدركوا أن وراء تلك المخلوقات العظيمة خالقا لها ومدبرا لشئونها ولان فى الحلف والقسم معنى العظمة التى اودعها الله فى هذه النعم وفيه تنبيه على مدى إنعامه جل وعلا عليهم فيستيقظوا من غفلتهم وشركهم بآلهتهم المزيفة التى لا تملك ضرا ولا نفعا .

ثانيا :

أما قولهم إن القوم فى مكة أميون لا تعدو مداركهم حدود الحسيات فقد سبق الرد عليهم به مما يغنى عن إعادته فى الرد على الشبهة الأولى[2] .

---

(١) مناهل العرفان للزرقانى (١ : ٢١٣ - ٢١٤) .

(٢) انظر ص ١٩٩ من بحثنا هذا

الشبهة الخامسة

يقولون (ان السور المدنية قد انخفضت فيها البلاغة حتى صار بعضها نثرا عاديا ويستدل لرأيه بان حدة الوحى قد هدأت وان البلاغة اصبحت شاحبة)[1] .

ونرد عليهم بما يلى :

اولا :

ان البلاغة عند العرب عبارة عن مراعاة الخطاب لمقتضى حال المخاطب .

فاذا كان المخاطب كافرا فله خطاب يقتضى هذا الحال .

واذا كان المخاطب مؤمنا فله خطاب يناسب حاله .

فالقرآن فى مكة كان يخاطب قوما يستأهل حالهم القرع والزجر والوعيد والتهديد اما عند انتقالهم إلى المدينة ودخول الايمان فى قلوبهم وثباتهم عليه وكان مقتضى خطابهم توضيح الشريعة وتفصيلها وعرضها فى اسلوب سهل وهذا يقتضى البسط والاطناب .

قال الدكتور حسن عتر فى معرض الرد عليهم[2] : (فاما زعمه ان القوة الخطابية للقرآن قد فترت حماستها فى المدينة بحكم المسائل والموضوعات التى عالجها . فليس فى هذا - ان سلمنا به - دليل على ضعف البلاغة بل ان مراعاة مقتضى الاحوال هو عين البلاغة ولبها . فلا يصلح قوله دليلا على انخفاض مستوى البلاغة الا ان يكون المتصدر للحكم من امثال هذا المستشرق ، يعول على قوة ايقاع فواصل الكلم ، دون فهم لباب معانيه ومراميه وتأمل صوره وفنونه (كمثل الذى ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمى فهم لا يعقلون)[3] .

ولا يفوتنا ان ننبه الى ان فى القرآن المدنى آيات قوية قارعة فيها حدة التهديد بعذاب النار ما يقض مضجع هذا الحاقد واضرابه .

---

(١) بينات المعجزة الخالدة للدكتور حسن ضياء الدين عتر . ط/دار النصر . حلب . الطبعة الاولى ١٩٧٥م (ص٣٩٦) .

(٢) انظر نفس المرجع السابق (ص٣٩٦) .

(٣) البقرة : ١٧١

قال تعالى فى سورة النساء المدنية : (إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراكلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزا حكيما)[1] .

وأخيرا نرى آخر آيات التحدى فى سورة البقرة المدنية يفصح عن ذلك قال تعالى : (وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين)[2] .

وسرعان مايصدر الحكم عليهم بالعجز الابدى . يقول تعالى (فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين)[3] .

---

(١) النساء : ٥٦
(٢) البقرة : ٢٣
(٣) البقرة : ٢٤

الباب الثاني

وفيه أربعة فصول :

مقدمة في بيان حالة المجتمع المدني وقت هجرة النبي عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم

الفصل الأول : التشريعات التفصيلية والأحكام العملية في العبادات والمعاملات مع بيان الحكمة التشريعية .

الفصل الثاني : محاجة أهل الكتاب وبيان الصفات التي وصفهم بها القرآن الكريم

الفصل الثالث : بيان ضلال المنافقين وحقيقة أمرهم وما اتصفوا به من الصفات القبيحة وما أعد لهم من العذاب والنكال وما هو موقف الرسول صلى الله عليه وسلم تجاههم وأشهر مواقفهم العدائية

الفصل الرابع : بيان قواعد الجهاد وحكمة تشريعه والأحكام المتعلقة بالحروب والغزوات والصلح والمعاهدات

مقدمـــــة

بيان حالة المجتمع المدنى وقت هجـرة النبى عليه افضل الصلاة والتسلـــيم

قبل الخوض فى الحديث عن التشريع فى العهد المدنى الـــذى يعتبر من اهم سمات وخصائص الآيات المدنية لابد لناان نتعرف علـــى طبيعة المجتمع الذى عايش نزول تلك الآيات .

فماهى البطون والقبائل التى تسكنها ؟ وماهى معتقداتهـــم؟ ومامدى العلاقة القائمة بينهم ؟ إلى غير ذلك من الأمور التى صاحبت تحول هذا المجتمع من الظلمات إلى النور ومن الضلال إلى الهدى ومـــن البغضاء إلى المحبة والأخوة .

لقد اصبحت المدينة بعد هجرة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه معقل الاسلام وحصنه الحصين . ومنطلق الدعوة الاسلامية إلى العالـــم اجمع . وسماها الرسول صلى الله عليه وسلم طيبة . وسماها الله (طابـــة) كماجاء فى الحديث الصحيح الذى اخرجه مسلم عن جابر بن سمرة (قـــال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :" إن الله سمى المدينـــة طابه "(١). ولقد سماها الله تعالى (المدينة) فى مواضع عديدة من القرآن .(٢)

وكان المجتمع بعد الهجرة النبوية يتألف من ثلاث فئات :

الفئة الاولى :

وهم المهاجرون الذين هاجروا من مكة فرارا بدينهم الى المدينـــة والأنصار الذين آوو المهاجرين وضحوا بأموالهم وانفسهم فى سبيل اللـــه

---

(١) صحيح مسلم بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقى (٢ : ١٠٠٧) .
اورد ياقوت الحموى فى كتابه معجم البلدان تسعة وعشرين اسما لها منها المدينة ، طيبة لطيب هوائها والمحببة والمحبوبة ، ويثـــرب والناجية والمباركة والعاصمة (٥ : ٨٢) ط/دار الكتاب العربـــى بيروت .

(٢) كما فى سورة التوبة : ١٠١ ، ١٢٠ ، الاحزاب : ٦٠ ، المنافقـون : آية ٨ .

من قبيلتى الأوس والخزرج سكان المدينة الاصليين . ويرجع أصلهم إلى القبائل الأزدية اليمنية الذين هاجروا من اليمن بسبب الاضطرابات وغزو الأحباش[١] .

وعلى سواعد المهاجرين والأنصار كان تكوين الدولة الاسلامية فلقد كانت الخطوة الأولى للرسول صلى الله عليه وسلم بعد دخوله المدينة هى بناء المسجد النبوى (ولم يلبث هذا المسجد فترة إلا وقد صار رمزا لشمولية رسالة الاسلام حيث أصبح مركزا روحيا لممارسة آداب الشعائر الاسلامية ومدرسة علمية وتشريعية تخرج قادة الفكر وتجمع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ساحاته وقد عقدت بساحاته الندوات والقى على منبره التعاليم والكلمات العطرة ، ومدرسة عسكرية لتوجيه علاقة الدولة فى الداخل والخارج ، كما غدا مؤسسة اجتماعية يتعلم المسلمون فيها النظام والمساواة)[٢] .

أما الخطوة الثانية فهى أنه سعى صلوات الله وسلامه عليه جاهدا فى دفن الاحقاد والكراهية التى كانت مستأصلة بين الاوس والخزرج حتى إنه وقعت بينهم حروب كثيرة أولها حرب (سمير) وآخرها حرب بعاث قبل الهجرة بخمس سنوات[٣] .

وكان الباعث لتلك الخلافات اليهود (وكانوا أصحاب دسائس ومؤامرات وعتو وفساد يلقون العداوة والشحناء بين القبائل العربية المجاورة ويغرون بعضها على بعض بكيد خفى لم تكن تشعره تلك القبائل فلا تزال فى حروب دامية متواصلة ، ولا تزال أنامل اليهود تؤجج نيرانها كلما رأتها تقارب الخمود والانطفاء)[٤] .

---

(١) باختصار من كتاب مكة والمدينة فى الجاهلية وعهد الرسول صلى الله عليه وسلم (ص٣١٥) للاستاذ احمد الشريف .

(٢) من كتاب بحوث مؤتمر رسالة المسجد الذى عقد فى مكة المكرمة بدعوة من رابطة العالم الاسلامى من ١٥ - ٢٠ رمضان ١٣٩٥هـ من بحث الشيخ على محيى الدين (ص١٠٩) بعنوان (مفهوم المسجد فى الاسلام) .

(٣) انظر كتاب الكامل فى التاريخ للامام العلامة ابى الحسن على المعروف بابن الاثير ط/الثانية ١٣٨٧هـ، دار الكتاب العربى لبنان . المتوفى سنة ٦٣٠ (١ : ٤٠٢ - ٤١٧) .

(٤) الرحيق المختوم - بحث فى السيرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة والسلام . تأليف فضيلة الشيخ صفى الرحمن المباركفورى

وسأتعرض فيمابعد لليهود وهم الفئة الثالثة التى كانت تسكن المدينة .

ومن(ثم آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والانصار فى دار أنس بن مالك وكانوا تسعين رجلا ، نصفهم من المهاجرين ونصفهم من الانصار ،آخى بينهم على المواساة ، ويتوارثون بعد الموت دون ذوى الأرحام ، الى حين وقعت بدر فلما أنزل الله" وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض"(١) رد التوارث دون عقد الاخوة)(٢) .

ومعنى هذا الأخاء (أن تذوب عصبيات الجاهلية ، فلا حمية الا للاسلام ، وأن تسقط فوارق النسب واللون والوطن ، فلايتأخر أحد او يتقدم إلا بمروءته وتقواه وقد جعل الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الاخوة عقدا نافذا لالفظا فارغا وعملا يرتبط بالدماء والأموال لاتحية تثرثر بها الألسنة ولايقوم لها أثر. . .)(٣) .

ولابد لنا من معرفة الحالة الدينية والاجتماعية للأوس والخزرج قبل الاسلام . لقدكانوا كبقية العرب تابعين لأهل مكة فى العقيدة ويعتبرون أهل مكة قادة وزعماء للدين فهم سدنة البيت وسقاة الحجيج . فكانت الأوس والخزرج متمسكين بالوثنية السائدة فى جزيرة العرب يعبدون الاصنام كما تعبدها قريش وغيرها من القبائل إلا أنه كان لكل قوم صنم تربطهم به رابطة قوية . فكانت مناة لأهل المدينة والأوس والخزرج اشد إعظاما لها من غيرهم . وكانت اللات لأهل الطائف والعزى لأهل مكة وكان من اتخذ فى داره صنما من أهل المدينة من خشب أو غيره يسميه

---

(١) الانفال : ٧٥

(٢) زاد المعاد فى هدى خير العباد لابن قيم الجوزية تحقيق شعيب الارناؤوط ـ عبد القادر الارناؤوط (٣ : ٦٣) ط/الثانية ١٤٠١ هـ مؤسسة الرسالة بيروت .

(٣) فقه السيرة للشيخ محمد الغزالى (ص١٩٢) خرج احاديثه الشيخ ناصر الدين الالبانى ط/السادسة دار الكتب الحديثة .

"مناة" ايضا كما فعل ذلك عمرو بن الجموح سيد سادات بنى سلمة قبل أن يسلم[١] .

اخرج البخارى فى صحيحه عن هشام بن عروة عن أبيه أنه قال قلت لعائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم وأنا يومئذ حديث السن أرأيت قول الله تبارك وتعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما[٢] . فما أرى على أحد شيئا ان لا يطوف بهما ، فقالت عائشة : كلا لو كانت كما تقول كانت فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما ، إنما أنزلت هذه الآية فى الأنصار كانوا يهلون لمناة وكانت مناة حذو قديد[٣] ، وكانوا يتحرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة . فلما جاء الاسلام سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فانزل الله (إن الصفا والمروة . .)[٤] الاية .

ولم يكن لأهل المدينة صنم اشتهروا به فى المدينة كاللات والعزى يرتحل الناس اليه كما كان الحال فى مكة . ولم يكن لكل بيت فى المدينة صنم خاص بهم كما كان عليه الحال فى مكة .

وكانت قريش ينظرون إلى الأوس والخزرج نظرة احترام وتقدير وتبجيل وحدثت بينهم مصاهرة . وقد تزوج هشام بن عبد مناف وهو سيد قريش من بنى النجار . واشتهر لاهل المدينة يومان يلعبون فيهما فلما قدم النبى صلى الله عليه وسلم قال لهم (قد أبدلكم الله تعالى بهما خيرا منهما يوم الفطر والأضحى)[٥] .

---

(١) باختصار وتصرف من كتاب (بلوغ الارب فى معرفة احوال العرب) للعلامة محمود شكرى الالوسى (١ : ٣٤٦) ، (٢ : ٢٠٨) ط ٢ دار الكتب القاهرة ١٩٤٢م

(٢) البقرة : ١٥٨

(٣) صحيح البخارى وبهامشه فتح البارى (٩ : ٢٤٢) .

(٤) وادى فيه قرى صغيرة لايزال معروفا كان طريق المدينة الى مكة يمر به . انظر كتاب المناسك واماكن طرق الحج تحقيق حمد الجاسر (ص ٤١٥) من منشورات وزارة الحج والاوقاف سنة ١٤٠١ هـ .

(٥) اخرجه النسائى فى كتاب صلاة العيدين (٣ : ١٧٩ - ١٨٠)

وكان للأنصار بالاضافة الى عملهم فى الزراعة بحكم خصوبة أرضهم وكثرة المياه دور كبير فى التجارة . فكانت المدينة مركزا تجاريا فكثيرا من المواد الغذائية والمنسوجات القطنية تجلب من بلاد الشام أضف الى ذلك أنها مركز لممر القوافل التجارية القادمة من بلاد الشام والمتجهة الى مكة فى رحلة الصيف التى ذكرها القرآن الكريم والوحدة المتعارف عليها بينهم كأداة للوزن هو المكيال وكثيرا من تجار المدينة تفشى بينهم انقاص المكيال .

أخرج الحاكم وابن ماجه بسندهما عن ابن عباس قال لما قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة كانوا من أخبث الناس كيلا فأنزل الله سبحانه وتعالى (ويل للمطففين) فأحسنوا الكيل بعد ذلك(١) .

هذه نبذة يسيرة عن الأوس والخزرج . ونختم هذه النبذة بنظم الدولة الاسلامية وقواعدها الركيزة التى أزاحت كل ماكان من حزازات الجاهلية والنزعات القبلية وقضى على كل التقاليد الجاهلية . ونقتصر على بعض بنود هذا النظام .

قال ابن هشام (وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا بين المهاجرين والأنصار وادع فيه يهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم واموالهم وشرط لهم واشترط عليهم .

(بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من محمد النبى صلى الله عليه وسلم بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم (وتلخيص ذلك الكتاب) :

(١) انهم أمة واحدة من دون الناس .

(٢) المهاجرون من قريش على ربعتهم(٢) يتعاقلون(٣) بينهم وهم يفدون

---

(١) أخرجه الحاكم فى المستدرك (٢ : ٣٣) وصححه الذهبى، وابن جرير (٢٩ : ٩١) ، سنن ابن ماجه (٢ : ٧٤٨) رقم الحديث (٢٢٢٣) ط/دار احياء الكتاب العربى عيسى البابى الحلبى وشركاه .

(٢) الحال التى جاء الاسلام وهم عليها .

(٣) العاقل: الديات، الواحدة معقلة .

عانيهم[1] بالمعروف والقسط بين المؤمنين . وكل قبيلة من الانصار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى .

(٣) ان المؤمنين المتقين على من بغى عليهم . وان ايديهم عليه جميعا ولو كان ولد أحدهم .

(٤) لا يقتل مؤمن مؤمنا فى كافر ، ولا ينصر كافرا على مؤمن .

(٥) وأن من اتبعنا من يهود فان له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم .

(٦) وانه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفسا ولا يحول دونه على مؤمن .

(٧) وإنه من اعتبط مؤمنا قتلا عن بينة فانه قود به إلا أن يرضى ولى المقتول .

(٨) إنه لا يحل لمؤمن أن ينصر محدثا ولا يؤويه . . ومن نصره او آواه فأن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة .

(٩) وأنكم مهما اختلفتم فيه من شىء فأن مرده إلى الله عز وجل والى محمد صلى الله عليه وسلم .

(١٠) وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة ، وإن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم[2] .

وبهذه الحكمة وبهذه الحنكة السياسية أرسى رسول الله صلى الله عليه وسلم قواعد المجتمع حتى كانت امته خير الامم كما وصفها رب العزة والجلال : (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر . . . الاية[3]) .

ومافتىء رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعاهد أمته بالتعليم والتربية وتزكية النفس والحث على مكارم الاخلاق ويؤدبهم بآداب الاخاء والمحبة والايثار والطاعة . ولقد ضرب لنا الصحابة الكرام أعلى مقامات

---

(١) العانى : الاسير .

(٢) باختصار وتلخيص من كتاب السيرة النبوية لابن هشام (٢ : ١٤٧ - ١٤٩) .

(٣) آل عمران : (١١٠)

الايثار والتضحية عند ما آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار .

أخرج البخارى بسنده عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قدم عبد الرحمن بن عوف فآخى النبى صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد بن الربيع الأنصارى فعرض عليه أن يناصفه اهله وماله فقال عبد الرحمن بارك الله لك فى أهلك ومالك[1] .

وفى رواية ايضا للبخارى (فنزل عبد الرحمن بن عوف على سعد ابن الربيع فقال : أقاسمك مالى وأنزل لك على إحدى امرأتى قال بارك الله لك فى أهلك ومالك[2]).

لهذا امتدحهم المولى عز وجل فى كتابه الكريم بقوله :

(والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون)[3] .

وقال تعالى (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم)[4] .

الفئة الثانية :

وهم اليهود . كانت المدينة تضم ثلاثة بطون من اليهود وهم (بنو قينقاع) و(بنو النضير) و(بنو قريظة) .

وقد تفرعت من هذه القبائل عشرات الجماعات كبنى عوف ، وبنى النجار ، وبنى ساعده ، وبنى ثعلبة ، وبنى جفنه ، وبنى الحارث[5] .

---

(١) صحيح البخارى وبهامشه فتح البارى (٨ : ٢٧٤) .
(٢) صحيح البخارى وبهامشه فتح البارى (١١ : ١٤٠) .
(٣) الحشر : ٩
(٤) التوبة : ١٠٠
(٥) انظر كتاب وفاء الوفاء فى اخبار دار المصطفى (١ : ١٦٣ - ١٦٤) . للسمهودى

قال ابن كثير : (وكان نزولهم بالحجاز قبل الأنصار أيام بخت نصر حين دوخ بلاد القدس)[١] .

ولم تكن العلاقة حسنة بين تلك القبائل وكانت تقع أحيانا بينهم حروب كما وقع بين بني قينقاع وبقية القبائل من اليهود وسببها ان بني قينقاع كانوا قد حالفوا مع الخزرج في يوم بعاث - وقد انقض اليهود على (بني قينقاع) ومزقوهم شر تمزيق . وقد استمرت هذه العداوة بين البطون اليهودية بعد يوم (بعاث) واخيرا وقعت الحرب بين الانصار وبين بني قينقاع فلم ينهض أحد من اليهود في محاربة الأنصار[٢] .

والاحقاد بين اليهود بعضهم لبعض قديمة ومتوارثة .

وكانت لليهود حصون منيعة وآطام[٣] فسيحة . وكانت الآطام عز اهل المدينة ومنعتهم التي كانوا يتحصنون فيها من عدوهم . . وقال شاعرهم :

ولو نطقت يوما قباء لخبرت ... بانا نزلنا قبل عاد وتبع
وآطامنا عادية مشمخرة ... تلوح فتنكى من نعادي وتمنع[٤]

ويسكنون في أماكن خاصة بهم . فكانت بنو قينقاع في داخل المدينة . وبنو قريظة في جنوب المدينة في منطقة (مهزور) . وبنو النضير على بعد ميلين او ثلاثة من المدينة بوادي (بطحان)[٥] وطبيعي لقد كانت لهم تشريعاتهم ومعاملاتهم الخاصة بهم .

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٣ : ٢٢٤) ط/مكتبة المعارف بيروت . وانظر وفاء الوفا للامام نور الدين علي بن احمد السمهودي المتوفى عام (٩١١) و(١ : ١٦٠) حققه محمد محيي الدين عبد الحميد ط/دار احياء التراث العربي - بيروت .

(٢) باختصار وتصرف من كتاب (اليهود في بلاد العرب وصدر الاسلام) للدكتور اسرائيل ولفنسون (ابو ذؤيب) (ص٩) مطبعة الاعتماد بالقاهرة سنة ١٩٢٧م .

(٣) الاطام : قال ابن الاعرابي : الاطوم القصور وفي حديث بلال انه كان يؤذن على اطم ، الاطم بالضم بناء مرتفع وجمعه آطام . لسان العرب (ص١٢١٩) .

(٤) باختصار من وفاء الوفا للسمهودي (١ : ١٦٢ - ١٦٣) .

(٥) بتصرف من كتاب (بنو اسرائيل في القرآن والسنة) د . محمد سيد الطنطاوي (ص٧٧) . ط. الاولى ١٣٨٩هـ . دار مصر القاهرة

فلقد اتخذوا أماكن خاصة يقيمون فيها طقوسهم الدينية ولهم اعيادهم واحتفالاتهم اما معاملاتهم فكانت اغلبها تقوم على المراهنة والتعامل بالربا .

ومن أشنع وأقبح ماوصلت اليه مراهنات اليهود هو تراهنهم بالنساء والاطفال .

أخرج البخارى بسنده قال عمرو : سمعت جابر بن عبد الله رضى الله عنه يقول : (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من لكعب بن الاشرف فانه آذى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم" فقال محمد بن سلمة انا فأتاه فقال : أردنا ان تسلفنا وسقا أو وسقين . فقال ارهنونى نساءكم . قالوا : كيف نرهنك نساءنا ، وأنت اجمل العرب . قال : فارهنونى أبناءكم ، قالوا : كيف نرهن ابناءنا فيسب أحدهم فيقال رهن بوسق أو وسقين ؟ هذا عار علينا ولكننا نرهنك اللامة . قال سفيان : يعنى السلاح فوعده أن يأتيه فقتلوه ثم اتوا به النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره)[1] .

ولقد استطاع اليهود تكوين نشاط تجارى كبير فى المدينة فلقد كانت أهم الأسواق وانشطها (سوق بنى قينقاع) وكانوا بارزين فى صياغة الحلى وبيعها وهناك أسواق أخرى لبيع المنتوجات الزراعية ساعد عليه خصوبة ارضها وكثرة بساتينها المكتظة بالنخيل وأنواع أخرى من الثمار وحوانيت عديدة لبيع المنسوجات القطنية والحريرية .

وبعد أن تشرفت المدينة بمقدم النبى صلى الله عليه وسلم كانت نظرة اليهود إلى الاسلام ونبيه نظرة بغض وحقد . ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن من جنسهم ولا يدعو الى ماتدعو إليه أهواؤهم . وكانوا على علم بمعرفة الشرائع . واليهود عرفوا منذ الازل بكرههم وقتلهم الأنبياء بغير حق . قال تعالى (لقد سمع الله قول الذين

---

(١) صحيح البخارى وبهامشه فتح البارى (٦ : ٦٨) .

قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ماقالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق)[1] .

ولقد رسم صلوات الله وسلامه عليه سياسة حكيمة تجاه هذا الجنس من البشر فلقد أبرم معهم معاهدة وادعهم فيها وأقرهم على دينهم واموالهم وإليك بعض فقرات هذه المعاهدة .

(١) إن اليهود ينفقون مع المؤمنين مادامو محاربين .

(٢) أن يهود بني عوف امة مع المؤمنين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ثم عدد جماعات أخرى من اليهود كبني النجار، وبني حارثة ،وبني ساعدة ، وبني جشم ، وبني الاوس، وبني ثعلبة . . . . . جميعهم مثل بني عوف .

(٣) إن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم . وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة .

(٤) وان بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم .

(٥) وان يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة .

(٦) وإنه ماكان بين أهل هذه الصحيفة من حدث او اشتجار يخاف فساده فأن مرده الى الله عز وجل . وإلى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . .الخ[2]

هذه لمحة خاطفة عن اليهود وماكانوا عليه وسوف أفصل القول في فصل كامل عن أهل الكتاب وذلك في الفصل الثاني من الباب الثاني .

---

(١) آل عمران : ١٨١

(٢) باختصار وتصرف من كتاب السيرة النبوية لابن هشام (٢ : ١٤٩) ط/دار احياء التراث العربي - بيروت .

ثم ظهر بعد ذلك وبعد أن قويت شوكة المسلمين :

الفئة الثالثة :

المنافقون : وهم الذين يظهرون الاسلام ويبطنون الكفر والعداء والبغضاء للاسلام.

والنفاق : الدخول فى الاسلام من وجه والخروج من آخر . . . وهو اسم إسلامى لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به . وهو الذى يستر كفره ويظهر إيمانه وان كان أصله فى اللغة معروفا(١).

وقد ظهر بعد انتقال الاسلام إلى المدينة واستقرار المسلمين فيها .

(وكان ظاهرة طبيعية نفسية لابد منها فانما تظهر بادرة" النفاق" فى بيئة تجمع بين دعوتين متنافستين ، وقيادتين متقابلتين ، هناك يوجد عنصر مضطرب يتأرجح بين هاتين الدعوتين ، ويتردد فى ايثار احداهما على أخرى ، وقد ينحاز إلى دعوة ، فيكون فى معسكرها ويعطيها ولاءه وحبه العاطفى ، إلا أن مصالحه المادية ، وانتشار الدعوة المقابلة وانتصارها لايسمح له بإعلان موقفه ، والانضواء إلى الدعوة الاولى وقطعه للحبال التى تربط بيئته الاولى . قال تعالى : (ومن الناس من يعبد الله على حرف ، فان أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه ، خسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين)(٢) وهم الذين وصفهم بقوله (مذبذبين بين ذلك لاالى هؤلاء ولاإلى هؤلاء)(٣)(٤) .

وسوف أعقد فصلا كاملا للحديث عن المنافقين فى الفصل الثالث من هذا الباب إن شاء الله تعالى.

---

(١) لسان العرب(١٠ : ٣٥٩) .
(٢) سورة الحج : ١١
(٣) سورة النساء : ١٤٣
(٤) السيرة النبوية للشيخ ابوالحسن على الحسنى الندوى (ص١٦٨) ط/دار الشروق .

الفصل الأول

مقاصد الآيات والسور المدنية

تمهيـــــد .

عندما أتناول (مقاصد السور المدنية) بالبحث ليس المراد حصـر المقاصد فى هذه المقاصد الأربعة فقط . فالقرآن الكريم نبع لا ينبض فيضه ومهما تعاقب العلماء والمفكرون والدارسون لهذا الكتاب العزيز بالبحث على مر الدهور فانه لا يزداد إلا جدة وطراوة ولا يزال غضا طريا كمـــا أنزل .

وسأقتصر فى بحثى هذا على أربعة مقاصد اصلية ومن خلالهـــا يفهم غيرها من المقاصد الكثيرة .

الفصل الاول
التشريعات التفصيلية والاحكام العملية
فى العبادات والمعاملات

س : لماذا لم يكن فى العهد المكى تشريعات كما هو الحال فى العهد المدنى ؟

إن إقامة الشرائع وتنفيذ جزئياتها رهن باستقرار الحكم وقوة السلطة والسلطان ، ولم يكن للمسلمين دولة فى مكة . بل كانوا مستضعفين وكثير منهم كان يخفى دينه بخلاف المجتمع فى المدينة .فان القوة فيه كانت للرسول صلى الله عليه وسلم ولصحابته رضوان الله عليهم . لذلك استطاع الرسول صلى الله عليه وسلم أن يملى تعاليمه على المسلمين فى حرية كاملة وأن يقيم الحدود على من يخالف هذه التعاليم مادام ملتزما بالعقيدة الاسلامية .

وبحثى حول التشريع فى العبادات والمعاملات يتركز وينصب حول بعض الآيات المدنية المعنية بتلك التشريعات وليس غرضنا التفصيل فى المسائل الفرعية فهذا بحثه فى كتب الفقه والأصول . وأحيانا أتعرض للحكمة التشريعية .

ونشرع أولا فى الركن الثانى من أركان الاسلام الا وهو (الصلاة) .

مشروعية الأذان .

الأذان لغة : الاعلام . قال تعالى (وأذان من الله ورسوله) واشتقاقه من الاذن بفتحتين وهو الاسماع .

وشرعا : الاعلام بوقت الصلاة بالفاظ مخصوصة(١) .

ولم يشرع الاذان الا بعد هجرة النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة وقد جزم بذلك ابن المنذر .

---

(١) فتح البارى (٢ : ٢١٧) .

قال ابن حجر (وقد جزم ابن المنذر بأنه صلى الله عليه وسلم كان يصلى بغير أذان منذ فرضت الصلاة بمكة الى ان هاجر الى المدينة والى ان وقع التشاور فى ذلك فى حديث عبد الله بن عمر ثم حديث عبد الله بن زيد)[1] . ا.هـ

أخرج البخارى بسنده عن نافع أن ابن عمر كان يقول : كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيتحينون الصلاة ليس ينادى لها فتكلموا يوما فى ذلك فقال بعضهم اتخذوا ناقوسا مثل ناقوس النصارى . وقال بعضهم بل بوقا مثل قرن اليهود .

فقال عمر : أولا تبعثون رجلا ينادى بالصلاة .فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يابلال قم فناد بالصلاة . . .)[2] .

والمراد بقوله صلى الله عليه وسلم (قم فناد بالصلاة) ليس المراد قم فاذن الاذان المعروف . وإنما المراد إعلام الناس بحضور وقت الصلاة وذلك بقوله (الصلاة جامعة)[3] .

أخرج الامام أحمد فى مسنده عن عبد اللهبن زيد قال لما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يضرب بالناقوس يجمع للصلاة الناس وهو له كاره لموافقته النصارى طاف بى من الليل طائف وانا نائم رجل عليه ثوبان أخضران وفى يده ناقوس يحمله قال فقلت له ياعبد الله اتبيع الناقوس قال : وماتصنع به قلت ندعو به الى الصلاة قال افلا أدلك على خير من ذلكقال فقلت بلى قال تقول الله أكبر الله أكبر الله اكبر الله اكبر .أشهد ان لاإله إلا الله اشهد أن لااله إلا الله . أشهد أن محمدا رسول الله أشهد أن محمدا رسول الله . حى على الصلاة حى على الصلاة . حى على الفلاح حى على الفلاح . الله أكبر الله أكبر لااله الا الله .قال ثم استأخرت غير بعيد قال ثم تقول إذا أقمت

---

(١) فتح البارى (ص٢١٨-٢١٩) جـ ٢ .
(٢) صحيح البخارى وعلى هامشه فتح البارى (ص٢٢٠) جـ ٢
(٣) انظر فتح البارى (ص ٢٢٢) جـ ٢ .

الصلاة الله أكبر . . . . (وذكر صيغة الاقامة) قال فلما أصبحت أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بما رأيت قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن هذه لرؤيا حق ان شاء الله . ثم أمر بالتأذين فكان بلال مولى أبى بكر يؤذن بذلك ويدعو رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الصلاة . . . .)[١] .

وفى رواية لابى داود (إنها لرؤيا حق إن شاء الله ، فقم مع بلال فألق عليه مارأيت فليؤذن به فانه أندى صوتا منك) فقمت مع بلال فجعلت القيه عليه ويؤذن به قال : فسمع ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو فى بيته ، فخرج يجر رداءه ويقول : (والذى بعثك بالحق يارسول الله لقد رأيت مثل مارأى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " فلله الحمد ")[٢] .

فهذا الحديث يدل على أن الأذان منقبة من مناقب الأمة المحمدية فكانوا فى بادىء الأمر (كما سبق ان بينت) يتحينون أوقات الصلاة إلى أن تعددت المرائى حول ذلك واقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يوم أن شرع والأذان شعيرة من شعائر الاسلام وبه تصير الدار دار الاسلام . ولهذا كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا سمع الاذان أمسك والا أغار وبذلك كان يوصى أصحابه رضوان الله عليهم اجمعين .

قال الزمخشرى فى تفسير قوله تعالى (واذا ناديتم الى الصلاة إتخذوها هزوا ولعبا ذلك بأنهم قوم لايعقلون)[٣] فيه دليل على ثبوت الأذان بنص الكتاب لابالمنام وحده[٤] .

وسورة المائدة مدنية . وسبب نزول الآية كما اخرجه ابن جرير عن السدى كان رجل من النصارى بالمدينة إذا سمع المنادى ينادى : أشهد ان محمدا رسول الله قال : حرق الكاذب . فدخلت خادمه ذات ليلة

---

(١) مسند الامام احمد (٤ : ٤٣) .
(٢) سنن ابى داود (١ : ١١٦) .
(٣) المائدة : ٥٨
(٤) تفسير الكشاف (١ : ٦٢٤) .

من الليالي بنار وهو نائم وأهله نيام فسقطت شرارة فاحرقت البيت فاحترق هو وأهله[١] .

قال ابن العربي في تفسير الآية : (كان المشركون واليهود والمنافقون إذا سمعوا النداء الى الصلاة وقعوا في ذلك وسخروا منه فأخبر الله سبحانه بذلك عنهم ، وليس في كتاب الله تعالى ذكر الأذان الا في هذه الاية ، أما إنه ذكرت الجمعة على الاختصاص)[٢] .

وقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون)[٣] .

ففي هذه الاية الكريمة خطاب للمكلفين بفرض الجمعة بالاهتمام والمبادرة إلى أداء فريضة الجمعة عند سماعهم للأذان .

الصلاة

الصلاة لغة : الدعاء والاستغفار . وبه سميت الصلاة لتضمنها لهما .

قال ابن منظور : الصلاة من الله الرحمة .

وقال ابن الاعرابي : الصلاة من الله رحمة ، ومن المخلوقين الملائكة والانس والجن القيام والركوع والسجود والدعاء والتسبيح[٤] .

الصلاة في الشرع : هي أقوال وأفعال مفتتحة بالتكبير ومختتمة بالتسليم بشرائط مخصوصة[٥] .

وللصلاة مكانتها العظمى في الاسلام فهي عموده المتين . وهي الصلة بين العبد وخالقه . فالصلاة طهارة للقلوب . ومفتاح لباب الغيوب وهي محل المناجاة ومعدن المصافاة تتسع فيها ميادين الأسرار وتشرق فيها شوارق الأنوار ، علم وجود ضعفنا فقلل أعدادها . وعلم

---

(١) تفسير الطبري (٦ : ٢٩١) .
(٢) احكام القرآن لابي بكر محمد بن عمر المعروف بابن العربي (٤٦٨-٥٤٣) تحقيق علي محمد البجاوي (٢ : ٦٣٤) ط/عيسى البابي الحلبي .
(٣) الجمعة : ٩
(٤) انظر لسان العرب (١٤ : ٤٦٤) .
(٥) مغني المحتاج الى معرفة الفاظ المنهاج ، تأليف شمس الدين محمد ابن احمد الشربيني الخطيب (ت ٩٧٧ هـ) القاهرة - مطبعة البابي الحلبي عام ١٩٥٨م (١ : ١٢٠) .

احتياجنا الى فضله فكثر امدادها ، ولا تصلح إلا باستيفاء أركانها وشروطها .

قال ابن القيم عن مكانة الصلاة :

(إنها محك الأحوال وميزان الايمان ، بها يوزن ايمان الرجل ويتحقق حاله ومقامه ومقدار قربه من الله ونصيبه منه ، فانها محل المناجاة ، والقربة ولا واسطة فيها بين العبد وبين ربه ، فلا شيء أقر لعين المحب ولا ألذ لقلبه ولا أنعم لعيشه منها إذا كان محبا فانه لا شيء آثر عند المحب ولا أطيب له من خلوته بمحبوبه ومناجاته له ومثوله بين يديه وقد اقبل محبوبه عليه ، وكان قبل ذلك معذبا بمقاساة الاغيار ومواصلة الخلق والاشتغال بهم فاذا قام إلى الصلاة هرب من سوى الله إليه وآوى عنده واطمأن بذكره وقرت عينه بالمثول بين يديه ومناجاته فلا شيء أهم اليه من الصلاة كأنه في سجن وضيق وغم حتى تحضر الصلاة فيجد قلبه قد انفسح وانشرح واستراح)[1] .

وأول مايحاسب عليه المؤمن يوم القيامة الصلاة . يذكرها القرآن في دعاء الخليل ابراهيم :" رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء"[2] ويمدح بها الذبيح اسماعيل " وكان يأمر اهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا"[3] .

ويأمر الله كليمه موسى باقامتها اول مايأمر به في ساعات الوحي الاولى :" وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى . إنني أنا الله لا إله إلا انا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري"[4] .

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص٥٤٣) . للامام شمس الدين محمد بن ابى بكر بن قيم الجوزية . حققه الشيخ عبد الله الانصارى طبع على نفقة الشيخ حمد بن فالح آل ثانى رحمه الله مطابع الدوحة الحديثة .

(٢) ابراهيم : ٤٠

(٣) مريم : ٥٥

(٤) طه : ١٣ - ١٤

وفى وصية لقمان لابنه "يابنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور"(١) . وينطق بها المسيح عيسى بن مريم فى مهده " وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا"(٢) ويأمر الله بها خاتم انبيائه :" اتل ما أوحى اليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله اكبر والله يعلم ماتصنعون"(٣)(٤).

ومما يزيد فى مكانتها العظمى أنها لم يترك المجال لتركها حتى فى أحنك الظروف وأعسرها ففى الحضر والسفر والامن والخوف وفى السلم والحرب وفى الصحة والمرض .

ففى السفر تخفيفا وتيسيرا للمسافر رخص بجمعها وقصرها .

وفى الحرب لها كيفيتها الخاصة وتؤدى جماعة ولها أحوال عدة .

وفى أثناء المرض ورد الحديث فيها (صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب)(٥) . . .الخ

وعن ابى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلاة الجماعة افضل من صلاة أحدكم وحده بخمس وعشرين جزءا . وفى رواية ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال صلاة الرجل فى الجماعة تزيد على صلاته وحده سبعا وعشرين . وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد ناسا فى بعض الصلوات فقال لقد هممت أن آمر رجلا يصلى بالناس ثم أخالف إلى رجال يتخلفون عنها فآمر بهم فيحرقوا عليهم بحزم الحطب بيوتهم ولو علم أحدهم أنه يجد عظما سمينا لشهدها يعنى صلاة العشاء(٦).

---

(١) لقمان : ١٧

(٢) مريم : ٣١

(٣) العنكبوت : ٤٥

(٤) انظر كتاب العبادة فى الاسلام (ص٢١٠ -٢١١) د .يوسف القرضاوى ط/مؤسسة الرسالة ، ط/التاسعة ١٤٠٢هـ .

(٥) الفتح الربانى (٥ : ١٤٥) .

(٦) صحيح مسلم بشرح النووى (٥ : ١٥١ - ١٥٢ - ١٥٣) .

وقد توعد الله سبحانه وتعالى المتهاون فيها والساهى عنها فضلا عن الذى لايؤديها فقال تعالى : (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون)[١] .

وقد صور القرآن الكريم مشهدا من مشاهد القيامة بين فيه عاقبة تاركى الصلاة وهو حديث يدور بين اصحاب اليمين واهل النار .

قال تعالى : (ماسلككم فى سقر؟ قالوا لم نك من المصلين . ولم نك نطعم المسكين . . . .الآيات)[٢] .

أما عن الاثار الواردة فيها فهى كثيرة ونقتصر على بعضها .

فلقد جعلها المصطفى صلوات الله وسلامه عليه الحد الفاصل بين المسلم والكافر .

أخرج مسلم فى صحيحه عن أبى سفيان قال سمعت جابرا يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة)[٣] .

وأخرج الترمذى بسنده عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر)[٤] .

وبلغ من مكانة الصلاة فى الاسلام أن الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم اجمعين لايرون شيئا تركه كفر غير الصلاة[٥] .

---

(١) الماعون : ٤ - ٥

(٢) المدثر : ٤٢ - ٤٣ - ٤٤

(٣) صحيح مسلم بتحقيق الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقى (١ : ٨٨) .

(٤) سنن الترمذى (٥ : ١٤) .

(٥) انظر كشف الغمة عن جميع الامة لابى المواهب عبد الوهاب الشعرانى الانصارى (١ : ٦٩) ط/الاخيرة سنة ١٣٧٠ هـ البابى الحلبى .

صـــلاة الجماعـة

فرضيتها :

فرضت صلاة الجماعة فى المدينة ولم تكن فى مكة وذلك لأن المسلمين فى المدينة كانوا يصلون فى المسجد بدون خوف من أحد لأن المجتمع مجتمع مسلم متآخ يحب الواحد منهم لاخيه مايحب لنفسه بخلاف المجتمع المسلم فى مكة فقد كان مغلوبا على أمره ولا يأمنون على أنفسهم الجماعة فى المسجد .

فضيلة صلاة الجماعة :

ليس هناك طاعة من الطاعات أتم شأنا ولا أعظم برهانا من الصلاة لذا وجب إشاعتها والاجتماع لها . ففى الاجتماع لها يكون هناك علماء يقتدى بهم وجهال متعطشون الى موعظة وفقراء يلتمسون مد يد المساعدة لهم ومتهاونون لو لم يكلفوا أن يؤدوها على أعين الناس لتهاونوا فيها . وفى اجتماع الناس لها تفقد لأحوال المسلمين بعضهم لبعض فاذا تأخر احدهم سئل عن سبب تأخره فاذا كان مريضا عادوه وإذا كان مسافرا دعوا الله له واذا كان محتاجا ساعدوه . أضف إلى ذلك مالها من عظيم الاجر فبالاجتماع لها تتنزل الرحمات والبركات وفى الخطى لها ترفع الدرجات ويحط بها السيئات .

أخرج الامام مسلم فى صحيحه عن أبى الاحوص قال عبد الله بن مسعود : (لقد رأيتنا ومايتخلف عن الصلاة إلا منافق ، قد علم نفاقه أو مريض إن كان المريض ليمشى بين رجلين حتى يأتى الصلاة ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم علمنا سنن الهدى . وإن من سنن الهدى الصلاة فى المسجد الذى يؤذن فيه .

وأخرج أيضا عنه ، قال : من سره ان يلقى الله غدا مسلما فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن . فان الله شرع لكم سنن الهدى وأنهن من سنن الهدى ، ولو أنكم صليتم فى بيوتكم كما يصلى هذا المتخلف فى

بيته لتركتم سنة نبيكم .ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم ، ومامن رجل يتطهر فيحسن الطهور، ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد ، إلاكتب الله له بكل خطوة حسنة ويرفعه بها درجة ، ويحط عنه بها سيئة . ولقد رأيتنا ومايتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام فى الصف .(١)

فرضيتها :

فرضت الصلوات الخمس بمكة ليلة الاسراء . وقد ثبت ذلك فى الحديث الصحيح الذى اخرجه البخارى فى صحيحه المروى عن أبى ذر رضى الله عنه .(٢) وكان ذلك قبل الهجرة بسنة وحكى ابن حزم الاجماع عليه .(٣) وقد فرضت أولا خمسين صلاة ثم خففت حتى صارت خمس صلوات .

أخرج الترمذى بسنده عن أنس بن مالك قال : (فرضت على النبى صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به الصلوات خمسين ، ثم نقصت حتى جعلت خمسا ، ثم نودى : يامحمد ، إنه لايبدل القول لدى ، وان لك بهذه الخمس خمسين) قال ابو عيسى : حديث أنس حديث حسن صحيح (غريب) .(٤)

أخرج البخارى بسنده عن أم المؤمنين السيدة عائشة قالت : فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين ركعتين . فى الحضر والسفر فاقرت صلاة السفر وزيد فى صلاة الحضر .(٥)

قال ابن حجر : (والذى يظهر لى وبه تجتمع الأدلة السابقة أن الصلوات فرضت ليلة الاسراء ركعتين ركعتين إلا المغرب ثم زيدت

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى (٥ : ١٥٦) .
(٢) انظر صحيح البخارى وبهامشه فتح البارى (٢ : ٤) .
(٣) انظر الفكر السامى فى تاريخ الفقه الاسلامى لمحمد بن الحسن الحجوى الثعالبى الفاسى (١ : ١٠٨) الناشر المكتبة العلمية بالمدينة المنورة لصاحبها محمد بن سلطان النمنكانى .
(٤) سنن الترمذى (١ : ٤١٧) .
(٥) صحيح البخارى وبهامشه فتح البارى (٢ : ٩) .

بعد الهجرة عقب الهجرة الا الصبح كما روى ابن خزيمة وابن حبان والبيهقى من طريق الشعبى عن مسروق ، عن عائشة قالت" فرضت صلاة الحضر ركعتين ركعتين ، وتركت صلاة الفجر لطول القراءة ، وصلاة المغرب لانها وتر النهار" . ا.هـ

ثم بعد أن استقر فرض الرباعية خفف منها فى السفر عند نزول الاية السابقة وهى قوله تعالى (فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة)- ويؤيد ذلك ماذكره ابن الأثير فى شرح المسند ان قصر الصلاة كان فى السنة الرابعة من الهجرة)[1] .

ولا يخفى ماللصلاة من مهام اجتماعية فهى تعتبر أعظم رابطة جمعت المسلمين والفت قلوبهم ووحدت صفوفهم سبب ماسن فيها من الاجتماع اليومى خمس مرات ثم الاسبوعى يوم الجمعة ثم مرتين فى السنة للعيدين فبهذه الاجتماعات امكن للرسول صلى الله عليه وسلم تهذيب امته وبث الخير والقرآن فى قلوبهم وزالت كل نفرة وضغينة كانت ساكنة بهم وعمل على ترقية أفكارهم وجمعهم لنهضة واحدة كرجل واحد حتى اصبحوا كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى لمسائر الجسد بالسهر والحمى .

ولولا الصلاة ما اضمحلت منهم بقايا الوثنية التى افسدت افكارهم وكانت الأثر الأكبر فى ابتعادهم عن المعاصى والفجور وحلت مكانها الطاعات وحب الطيبات . والى هذا يشير القرآن الكريم بقوله (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر[2])[3].

التوجه إلى القبلة والحكمة منها .

لقد حث الاسلام على تعظيم شعائر الله . قال تعالى (ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب)[4] . وبيت الله من أعظم هذه الشعائر

---

(١) فتح البارى (٢ : ١٠) .
(٢) العنكبوت : ٤٥
(٣) انظر الفكر السامى (١ : ١٠٨) باختصار وتصرف .
(٤) البقرة : ٣٢

قال تعالى : (إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين)[1].

ولما كان البيت رمزا لصاحبه . ولماكان من الأدب عند التخاطب التوجه صوب المخاطب (ولماكان التوجه فى الصلاة إلى ماهومختص بالله لطلب رضاه والتقرب منه أجمع للخاطر وأدعى للخشوع واقرب لحضور القلب معالله لأن الخشوع لايكون الا مع السكون والركون إلى جهة معينةلا التوجه من جهة إلى جهة ، لهذاكله اقتضت الحكمة الالهية أن يتوجه المسلمون فى صلاتهم الى الكعبة)[2].

فيقف العبد بين يدى خالقه مناجيا ويستشعر ذلة نفسة وعزة ربه فينكس رأسه خاضعا مخبتا .

وفى توجه المسلمين إلى قبلة واحدة فى صلواتهم رمز الى وحدتهم وتآلفهم إذ لوترك الأمر بدون وجهة واحدة لحدث للمصلين الاضطراب والحيرة فلايدرى المصلى أى الجهات أفضل او أقرب إلى الله ولكان ذلك مظهرا من مظاهر الفرقة والخلاف .

وأخيرا كما لايتوجه الوجه الى القبلة الا بالانصراف عن غيرها من الجهات كذلك فلاينصرف القلب الى الله عز وجل الا بالتفرغعما سواه .

ولقدكان صلوات الله وسلامه عليه طوال فترة إقامته فى مكة يتوجه فى صلاته إلى بيت المقدس وكان من فرط حبه للكعبة وشغفه بها يجعلها بينه وبين بيت المقدس واستمر هذا الحال حتى هاجر إلى المدينة ومكث فيهاستة أو سبعة عشر شهرا وهو يستقبل بيت المقدس . وكان ذلك امتحانا للمسلمين ولكن الله ثبتهم فقالوا : " سمعنا وأطعنا" ، وقالوا " آمنا به كل من عند ربنا" .

وفى بقاء القبلة على ماهى عليه بعد الهجرة فيه تأليف لقلوب يهود المدينة وإشارة الى وحدة الدين والرسالة ولكن هذه المعانى

---

(١) آل عمران : ٩٦

(٢) روح الصلاة فى الاسلام للشيخ عفيف عبد الفتاح طبارة . (ص ١٨١)

السامية لم تجد فى قلوب وصفها الله بانها كالحجارة او أشد قسوة ،بل زاد الطين بلة فقد اشتد حقد اليهود وحسدهم للرسول صلى الله عليه وسلم على ماوهبه الله من فضله وما احاطه من عنايته وازداد عداء اليهود يوما بعد يوم فتشوقت نفس الرسول صلى الله عليه وسلم ان يؤمر باستقبال الكعبة وألا يشارك اليهود فى وجهة العبادة لاسيما بعد ان أمعنوا فى الفساد والعناد .

قال تعالى : (ولئن أتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية ماتبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم ومابعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ماجاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين)(١) .

قال ابن كثير : (وحاصل الأمر أنه قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر باستقبال الصخرة من بيت المقدس فكان بمكة يصلى بين الركنين فتكون بين يديه الكعبة وهو مستقبل صخرة بيت المقدس فلما هاجر إلى المدينة تعذر الجمع بينهما فأمره الله بالتوجه إلى بيت المقدس قاله ابن عباس والجمهور)(٢) . ا.هـ

وكان صلى الله عليه وسلم يترقب الوقت الذى ينصرف فيه عن مشاكلة اليهود . ومن ثم تصبح قبلة المسلمين الكعبة وذلك لمكانتها العظيمة فى نفسه ولانها رمز التوحيد الذى أقامه إبراهيم عليه السلام لذا كان ديدنه الدعاء والابتهال ان يوجه إلى الكعبة فاجيب إلى ذلك وأمر بالتوجه الى البيت العتيق .

قال تعالى : (قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطرالمسجد الحرام وحيث ماكنتم فولوا وجوهكم شطره . وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون)(٣) .

---

(١) البقرة : ١٤٥
(٢) تفسير ابن كثير (١ : ١٨٩) .
(٣) البقرة : ١٤٤

اى واليهود الذين انكروا استقبالكم الكعبة وانصرافكم عن بيت المقدس وذلك بقولهم (سيقول السفهاء من الناس ماولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء الى صراط مستقيم)[1] . يعلمون ان الله تعالى سيوجهك اليها بما فى كتبهم عن انبيائهم من النعت والصفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وامته وماخصه الله تعالى به وشرفه من الشريعة الكاملة العظيمة ولكن اهل الكتاب يتكاتمون ذلك بينهم حسدا وكفرا وعنادا ولهذا تهددهم تعالى بقوله (وما الله بغافل عما يعملون)[2] .

اخرج الامام احمد فى مسنده بسنده عن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يعنى فى اهل الكتاب) (انهم لايحسدوننا على شىء كما يحسدوننا على يوم الجمعة التى هدانا الله لها وضلوا عنها وعلى القبلة التى هدانا الله لها وضلوا عنها وعلى قولنا خلف الامام آمين)[3] .

وكان توجهه إلى الكعبة عند زيارته لبنى سلمة فى ضواحى المدينة اثناء صلاته للظهر وبعد ركعتين من الصلاة نزلت عليه آية تحويل القبلة فقرت عينه وطابت نفسه وتحول وهو فى الصلاة شطر الكعبة وسمى المسجد منذ ذلك الحين بمسجد القبلتين وكان ذلك فى يوم الاثنين للنصف من رجب على رأس سبعة عشر شهرا .

أخرج ابن سعد بسنده عن ابن عباس - إلى أن قال - زار رسول الله صلى الله عليه وسلم ام بشر بن البراء بن معرور[4] فى بنى سلمة

---

(١) البقرة : ١٤٢

(٢) بتصرف من تفسير ابن كثير (١ : ١٩٣) .

(٣) مسند الامام احمد (٦ : ١٣٥) .

(٤) واسمها خليدة كما قرره ابن حجر فقال والذى يظهر لى بعد البحث ان خليده والدة بشر بن البراء . انظر الاصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر العسقلانى (٤ : ٤٣٥) .
وقال ابن عبد البر (ام بشر) ابنة البراء بن معرور الانصارية ويقال لها ام مبشر ايضا - قيل اسمها (خليدة) ولم يصح ، روى عنها عبد الله بن كعب ومجاهد . انظر الاستيعاب فى معرفة الاصحاب لابن عبد البر النمرى القرطبى المتوفى سنة ٤٦٣ (٤ : ٤٣٥) فى هامش الاصابة .

فصنعت له طعاما . وحانت الظهر فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،بـ اصحابه ركعتين ، ثم أمر أن يوجه إلى الكعبة فاستدار الى الكعبة واستقبل الميزاب ، فسمى المسجد مسجد القبلتين ،وذلك يوم الاثنين للنصف من رجب على رأس سبعة عشر شهرا وفرض شهر رمضان في شعبان على رأس ثمانية عشر شهرا .

قال محمد بن عمر[1] : وهذا اثبت عندنا[2] .

وأخرج البخارى بسنده عن البراء بن عازب قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب ان يوجه إلى الكعبة .فانزل الله عز وجل ـ قد نرى تقلب وجهك في السماء ـ فتوجه نحو الكعبة .وقال السفهاء من الناس وهم اليهود ـ ماولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ـ فصلى مع النبى صلى الله عليه وسلم رجل ثم خرج بعد ماصلى فمر على قوم من الأنصار في صلاة العصر نحو بيت المقدس(قلت : دل ذلك على أن الصلاة التى تم فيها التحويل هى صلاة الظهر) فقال : وهو يشهد أنه صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه توجه نحو الكعبة فتحرف القوم حتى توجهوانحو الكعبة)[3] .

---

(١) محمد بن عمر بن واقد السهمى الواقدى : من اقدم المؤرخين فى الاسلام ومن اشهرهم . ومن حفاظ الحديث . ولد بالمدينة سنة ١٣٠هـ تولى القضاء ببغداد وتوفى فيها سنة ٢٠٧هـ واشهر من روى عنه كاتبه محمد بن سعد (صاحب كتاب الطبقات الكبرى) . الاعلام(٦ : ٣١١) .

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (١ : ٢٤١ - ٢٤٢) .

(٣) صحيح البخارى وبهامشه فتح البارى (٢ : ٤٨) .

انـــواع الصلـــوات

سبق أن تحدثنا عن الأذان وعن أهميته ومكانة الصلاة فى الاســـلام وعن القبلة واكمالا للبحث سوف اتحدث بمشيئة اللهعن بعض الصلوات الـــتى شرعت فى العهد المدنى ولاسيما التى نزل فيها وحي يتلى كصلاة الجمعة والخوف ، والجنائز والمسافر .

صـــلاة الجمعـــة

قال تعالى : (يأ ايها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون . فـــاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل اللهواذ كروا اللهكثـــيرا لعلكم تفلحون . وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائمـــــا قل ماعند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين)(١) .

قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا) خطاب تشريف للمكلفين باداء فريضة الجمعة ويخرج عنه غير المكلفين .

أخرج أبو داود عن طارق بن شهاب عن النبى صلى الله عليه وسلـــم قال (الجمعة حق واجب على كل مسلم فى جماعة إلا أربعة عبد مملـــوك أو امرأة أو صبى أو مريض)(٢) .

وأخرج الدارقطنى بسنده عن جابر رضى الله عنه أن رسول اللـــه صلى الله عليه وسلم قال (من كان يؤمن باللهوا ليوم الآخر فعليه الجمعـــة يوم الجمعة إلا مريض أو مسافر أو امرأة أو صبى أومملوك ، فمن استغنى بلهـو أو تجارة استغنى اللهعنه واللهغنى حميد)(٣) .

---

(١) الجمعة : ٩ - ١١

(٢) سنن ابى داود للحافظ المنذرى (٢ : ٩) تحقيق محمد حامد الفقى ط/مكتبة السنة المحمدية القاهرة .

(٣) سنن الدارقطنى (٢ : ٢) تحقيق السيد عبد الله هاشم يمانـــى المدنى وبذيله التعليق المغنى على الدارقطنى ط/دار المحاسن للطباعة - القاهرة سنة ١٣٨٦هـ .

قوله تعالى (إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة) .

قال الرازى (إذا نودى) يعنى النداء إذا جلس الامام على المنبر يوم الجمعة وهو قول مقاتل وانه كما قال لأنه لم يكن فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم نداء سواه كان إذا جلس عليه الصلاة والسلام على المنبر أذن بلال على باب المسجد وكذا على عهد أبى بكر وعمر)[1] .

وقوله (للصلاة) أى لوقت الصلاة يدل عليه قوله من يوم الجمعة ولا تكون الصلاة من اليوم وإنما يكون وقتها من اليوم.[2]

قوله (من يوم الجمعة) بضم الجيم والميم وهى قراءة الجمهور[3] لغة اهل الحجاز وهى قراءة عاصم.[4]

واختلف فى سبب تسمية يوم الجمعة بهذا الاسم :

قال الحافظ ابن حجر : اختلف فى تسمية اليوم بذلك مع الاتفاق على أنه كان يسمى فى الجاهلية العروبة ، بفتح العين المهملة وضم الراء وبالموحدة .

(١) فقيل سمى بذلك لأن كمال الخلائق جمع فيه .... وهذا أسانيده ضعيفة .

(٢) وقيل لأن خلق آدم جمع فيه ... وهذا أصح الاقوال .

(٣) وقيل إنما سمى بذلك لتجميع الانصار مع اسعد بن زرارة وكانوا يسمونه يوم الجمعة . يوم العروبة فصلى بهم وذكرهم فسموه الجمعة حين اجتمعوا اليه واستدل قائله بما رواه الحافظ أبو بكر عبد الرزاق الصنعانى فى مصنفه عن أيوب عن ابن سيرين قال : جمع اهل المدينة قبل أن يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل

---

(١) وقد أحدث سيدنا عثمان رضى الله عنه (على الاذان والاقامة) اللذين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أذانا ثالثا جعله قبل الوقت عند ماكثر الناس بالمدينة ليتأهب الناس للصلاة ويستعدوا لها .

(٢) تفسير الرازى (٨ : ٣٠) .

(٣) انظر فتح القدير للشوكانى (٥ : ٢٢٧) ، وكذلك روح المعانى للالوسى (٢٨ : ٩٩) .

(٤) عاصم بن بهدلة الاسدى شيخ القراء بالكوفة واحد القراء السبعة توفى سنة ١٢٧ هـ . انظر غاية النهاية فى طبقات القراء لابى الخير شمس الدين الجزورى . توفى سنة ٨٣٣ ط/١ القاهرة مكتبة الخانجى ١٩٣٣م .

ان تنزل الجمعةوهم الذين سموا الجمعة . . . . . الحديث[1]

(٤) وقيل سمى بذلك لاجتماع الناس للصلاة فيه وبهذا جزم ابن حزم ،فقال إنه اسم إسلامى لم يكن فى الجاهلية وإنما كان يسمى العروبة .ا .هـ[2]

وأرجح من الأقوال السابقة (واللهاعلم) القول الثانى وهو انه سمى بذلك لأن خلق آدم جمع فيه لما ورد فيه من الآثار .

منها :

(١) ما أخرجه ابن خزيمة فى صحيحه عن سلمان الفارسى مرفوعا أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياسلمان مايوم الجمعة؟ قال قلت الله ورسوله اعلم(كرر ذلكمرتين) قال ياسلمان يوم الجمعةبه جمع ابوك ـ او ابوكم ـ انا احدثك عن يوم الجمعة مامن رجل يتطهر يوم الجمعة كما أمرتم ثميخرج من بيته حتى يأتى الجمعة فيقعد فينصت حتى يقضى صلاته إلاكان كفارة لما قبله من الجمعة[3].

قال ابن حجر فى الفتح أخرجه من حديث سلمان ابن خزيمة وأحمد وغيرهما ـ وله شاهد عن ابى هريرة ذكره ابن أبى حاتم موقوفا باسناد قوى وأحمد باسناد ضعيف وهذا أصح الأقوال[4].

(٢) وبما اخرجهالحافظ ابو بكر الخطيب البغدادى فى تاريخه باختصارعن محمد بن عيسى بن أبى موسى العطار عن سلمان أنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إنما سميت الجمعةلان آدم جمع فيه خلقه)[5].

وكانت اول جمعةجمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم باصحابه فى المدينة فىبنى سالم بن عوف . قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقباء فىبنى عمرو بن عوف يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم

---

(١) المصنف لعبد الرزاق (٣ : ١٥٩ - ١٦٠) بتحقيق الشيخ حبيب الرحمن الاعظمى من منشورات المجلس العلمى ط/الاولى ١٣٩٠هـ ط/ المكتب الاسلامى ـ لبنان .

(٢) انظر فتح البارى (٣ : ٣ - ٤) .

(٣) صحيح ابن خزيمة (٣ : ١١٨) تحقيق د .محمد فؤاد الاعظمى . ط/ المكتب الاسلامى .

(٤) فتح البارى (٣ : ٣) .

(٥) تاريخ بغداد للحافظ ابى بكر احمد بن على الخطيب (٢ : ٣٩٧) ط/بدون ـ دار الكتاب العربى .

الاربعاء ويوم الخميس واسس مسجده .

ثم أخرجه الله من بين اظهرهم يوم الجمعة . . . . فادركت رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمعة فى بنى سالم بن عوف . فصلاها فى المسجد الذى فى بطن الوادى ، وادى رانوناء فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة(١) .

قوله تعالى (فاسعوا إلى ذكر الله) .

قال ابن كثير (اى اقصدوا واعمدوا واهتموا فى سيركم اليها وليس المراد بالسعى هنا المشى السريع انما هو الاهتمام بها كقوله تعالى (ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهومؤمن)(٢) .

وقال البغوى قوله (فاسعوا إلى ذكر الله) اى فامضوا اليه واعملوا له وليس المراد من السعى الاسراع انما المراد منه العمل والفعل كما قال (واذا تولى سعى فى الأرض)(٣) .

وقد نهى عن المشى السريع الى الصلاة عموما فقد أخرج البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال (إذا سمعتم الاقامة فامشوا الى الصلاة وعليكم السكينة والوقار ولا تسرعوا فما أدركتم فصلوا ومافاتكم فأتموا)(٤) .

قوله (إلى ذكر الله) قال الرازى (إلى ذكر الله) الذكر هوالخطبة عند الاكثر من اهل التفسير . وقيل هو الصلاة(٥) .

قال ابو السعود : (فاسعوا الى ذكر الله)اى امشوا واقصدوا الى الخطبة والصلاة(٦) .

وقوله تعالى (وذروا البيع) .

قال الألوسى : أى اتركوا المعاملة على أن البيع مجاز عن ذلك فيعم

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام(٢ : ١٣٩) .
(٢) تفسير ابن كثير(٨ : ٣٥٣) وبهامشه تفسير البغوى .
(٣) تفسير البغوى (معالم التنزيل) للامام البغوى المتوفى سنة ٥١٦ (٨ : ٣٥٣) .ط/الاولى فى مطبعة المنار بمصر١٣٤٧هـ على هامش تفسير ابن كثير .
(٤) صحيح البخارى وبهامشه فتح البارى (٢ : ٢٥٧) .
(٥) تفسير الرازى (٣٠ : ٨) .
(٦) تفسير ابو السعود (٨ : ٢٤٩) المجلد الرابع ط/دار احياء التراث العربى ـ لبنان .

البيع والشراء والاجارة وغيرها من المعاملات . . . والأمر للوجوب فيحرم كل ذلك .

(ذلكم) أى المذكور من السعى الى ذكر الله وترك البيع .

وقوله تعالى (خير لكم إن كنتم تعلمون) أنفع من مباشرة البيع فان نفع الآخرة أجل وأبقى[1] .

وقوله تعالى (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله) أى إذا صليتم الفريضة يوم الجمعة فانتشروا فى الأرض .

هذا صيغة الأمر بمعنى الاباحة لما أن إباحة الانتشار زائلة بفريضة أداء الصلاة فاذا زال ذلك عادت الاباحة فيباح لهم أن يتفرقوا فى الأرض ويبتغوا من فضل الله وهو الرزق بالتجارة بعد المنع بقوله تعالى (وذروا البيع) .

وعن مقاتل : أحل لهم ابتغاء الرزق بعد الصلاة فمن شاء خرج ومن شاء لم يخرج . . والأفضل فى الابتغاء من فضل الله أن يطلب الرزق أو الولد الصالح أو العلم النافع وغير ذلك من الأمور الحسنة والظاهر هو الأول[2] .

(واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون) قال ابن جرير : أى اذكروه بالحمد له ، والشكر على ما أنعم به عليكم من التوفيق لأداء فرائضه لتفلحوا ، فتدركوا طلباتكم عند ربكم وتصلوا الى الخلد فى جناته[3] .

قوله تعالى (وإذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما) .

وسبب نزول هذه الآية الكريمة خروج الناس من بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب قائما يوم الجمعة .

أخرج مسلم فى صحيحه عن جابر بن عبد الله أن النبى صلى الله

---

(١) تفسير الالوسى (٢٨ : ١٠٣) .
(٢) تفسير الرازى (٣٠ : ٩) باختصار وتصرف .
(٣) تفسير الطبرى (٢٨ : ١٠٣) .

عليه وسلم كان يخطب قائما يوم الجمعة فجاءت عير من الشام فانفتل[1] الناس إليها حتى لم يبق الا اثنا عشر رجلا - فى رواية أنا فيهم - فأنزلت الآية التى فى الجمعة (وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما)[2].

وفى الآية عتاب لما وقع من الانصراف عن الخطبة يوم الجمعة إلى التجارة ولابد ان اشير إلى أن هذه القصة وقعت لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدم الصلاة يوم الجمعة على الخطبة فكان هذا هو السبب الذى ترخصوا لانفسهم فى ترك سماع الخطبة .

أخرج أبو داود فى مراسيله قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى الجمعة قبل الخطبة مثل العيدين ، حتى كان يوم جمعة والنبى صلى الله عليه وسلم يخطب ، وقد صلى الجمعة ، فدخل رجل فقال : ان دحية بن خليفة الكلبى قدم بتجارة ، وكان دحية إذا قدم تلقاه اهله بالدفاف فخرج الناس فلم يظنوا إلا أنه ليس فى ترك الخطبة شىء فأنزل الله عز وجل (وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها) فقدم النبى صلى الله عليه وسلم الخطبة يوم الجمعة واخر الصلاة[3].

وقوله تعالى (قل ماعند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين) .

أى ماعند الله من الثواب على الصلاة والثبات مع النبى صلى الله عليه وسلم خير من اللهو ومن التجارة (والله خير الرازقين) لأنه موجد الارزاق فاياه فاسألوا ومنه فاطلبوا[4].

ونختم هذا التفسير الموجز لهذه الآيات الكريمة ببيان حكمة مشروعية صلاة الجمعة . قال القفال :

---

(١) انفتل : الفتل : لى الشىء كليك الحبل وكفتل الفتيلة . يقال انفتل فلان عن صلاته اى انصرف . ا.هـ لسان العرب (١١ : ٥١٤) .

(٢) صحيح مسلم بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقى (٢ : ٥٩٠)

(٣) رواه ابو داود فى مراسيله

(٤) تفسير البغوى (٨ : ٣٦٣) .

(وهى أن الله عز وجل خلق الخلق فأخرجهم من العدم إلى الوجود وجعل منهم جمادا ونامیا وحیوانا فكان ماسوى الجماد اصنافا منها بهائم وملائكة وجن وانس ثم هى مختلفة المساكن من العلو والسفل فكان أشرف العالم السفلى هم الناس لعجيب تركيبهم ولما كرمهم الله تعالى به من النطق وركب فيهم العقول والطباع التى بها غاية التعبد بالشرائع ولم يخف موضع عظم المنه وجلاله قدر الموهبة لهم فامروا بالشكر على هذه الكرامة فى يوم من الأيام السبعة التى فيها انشئت الخلائق وتم وجودها ليكون فى اجتماعهم فى ذلك اليوم تنبيه على عظم ماأنعم الله تعالى به عليهم . ولكل أهل ملة من الملل المعروفة يوم منها معظم فلليهود يوم السبت وللنصارى يوم الأحد وللمسلمين يوم الجمعة .

ولما جعل يوم الجمعة يوم شكر وإظهار سرور وتعظيم نعمه احتيج فيه إلى الاجتماع الذى به تقع شهرته فجمعت الجماعات له كالسنة فى الأعياد واحتيج فيه إلى الخطبة تذكيرا بالنعمة وحثا على استدامتها باقامة مايعود بآلاء الشكر)[1] .

---

(١) باختصار من تفسير الرازى (٣٠ : ٩) .

صـــلاة المسافـــر

إن من إكرام الله لهذه الأمة أن رفع عنهم اصرهم فلم يكلفهم مالايطيقون وذلك لأنهم قالوا (سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير)[1].

فمنذ أول عهد الرسالة فرض عليهم سبحانه وتعالى قيام الليل وذلك بقوله تعالى (يا أيها المزمل . قم الليل إلا قليلا . نصفه او انقص منه قليلا . أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا)[2]. فكان النبي صلى الله عليه وسلم وطائفة معه يقومون الليل على تلك المقادير المشار اليها في الآية وشق ذلك عليهم فكان الرجل لايدري كم صلى أو كم بقي من الليل ، فكان يقوم الليل كله حتى انتفخت وتورمت أقدامهم وانتقعت الوانهم ، فرحمهم وخفف عنهم .

فأنزل الله تعالى (علم أن لن تحصوه فتاب عليكم)[3] اى عليكم بالعفو ورخص لكم في ترك القيام .

(فاقرأوا ماتيسر من القرآن) أى فاقرأوا في الصلاة بالليل ماخف عليكم وتيسر لكم منه من غير أن ترقبوا وقتا . ثم ذكر سبحانه عذرهم ودواعي التخفيف عليهم .

فقال تعالى (علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله) أى يسافرون فيها للتجارة والأرباح يطلبون من رزق الله مايحتاجون إليه في معاشهم[4] فلايطيقون قيام الليل - ومن هنا كان التخفيف على المسافر بقصر الصلاة الرباعية .

(وآخرون يقاتلون في سبيل الله) يعني المجاهدين فلايطيقون قيام الليل .

---

(١) البقرة : ٢٨٥
(٢) المزمل : ١ - ٤
(٣) المزمل : ٢٠
(٤) انظر تفسير القرطبي (٢٩ : ٥٢ - ٥٦) .

ومن هنا كان التخفيف عليهم وفرض صلاة الخوف باختلاف صورها .

ومن هذا الباب الذى خفف الله فيه على الامة صلاة المسافر .

قال تعالى : (وإذا ضربتم فى الأرض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا)[1] .

يقول تعالى : (وإذا ضربتم فى الارض) أى سافرتم عن موضع اقامتكم .

وقوله تعالى (فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة) : للعلماء فى هذه الآية قولان :

القول الاول :

قال ابن كثير (أى تخففوا فيها اما من كميتها بأن تجعل الرباعية ثنائية كما فهمه الجمهور من هذه الاية) واستدلوا بها على قصر الصلاة فى السفر[2] .

قال القاسمى : (ذهب الجمهور إلى أن الآية عنى بها تشريع صلاة السفر . وأن معنى قوله تعالى " أن تقصروا من الصلاة" هو قصر الكمية وذلك بأن تجعل الرباعية ثنائية . قالوا : وحكمها للمسافر فى حال الامن كحكمها فى حال الخوف لتظاهر السنن على مشروعيتها مطلقا . روى الترمذى والنسائى وابن أبى شيبة عن ابن عباس (أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج من المدينة لايخاف إلا الله رب العالمين فصلى ركعتين) قال ابوعيسى هذا حديث حسن صحيح[3] .

وروى البخارى[4] والبقية عن أنس قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى مكة فكان يصلى ركعتين ركعتين حتى رجعنا إلى المدينة . قلت: أقمتم بمكة شيئا؟ قال أقمنا بها عشرا)[5] .

---

(١) النساء : ١٠١

(٢) تفسير ابن كثير (١ : ٥٤٦) .

(٣) سنن الترمذى باب ماجاء فى التقصير فى السفر (٢ : ٤٣١) .

(٤) اخرجه البخارى وعلى هامشه فتح البارى فى كتاب تقصير الصلاة باب ماجاء فى التقصير وكم يقيم حتى يقصر (٣ : ٢١٦) .

(٥) تفسير القاسمى (محاسن التأويل) (٥ : ١٥٠٢) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ط/البابى وحلبى الاولى سنة ١٣٧٧ هـ .

القول الثانى :

إن المراد بالقصر هنا إنما هو قصر الكيفية لا الكمية وهو ادخال التخفيف فى كيفية أداء الركعات .

وهو قول مجاهد والضحاك والسدى . واعتضدوا بما رواه الامام مالك عن كيسان عن عروة بن الزبير عن عائشة رضى الله عنها انها قالت فرضت الصلاة ركعتين ركعتين فى السفر والحضر فأقرت صلاة السفر، وزيد فى صلاة الحضر (١) .

فاذا كان أصل الصلاة فى السفر هى الثنتين فكيف يكون المراد بالقصر هنا قصر الكمية لان ماهو الأصل لايقال فيه (فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة) .

وأصرح من ذلك دلالة على هذا مارواه الامام أحمد بسنده عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : صلاة السفر ركعتان ، وصلاة الضحى ركعتان ، وصلاة الفطر ركعتان ، وصلاة الجمعة ركعتان تمام غير قصر على لسان محمد صلى الله عليه وسلم (٢) .

(أخرجه النسائى وابن ماجه ورجاله ثقات ـ قال الحافظ ابن القيم فى الهدى هو ثابت عنه (يعنى عن عمر) قال وهو الذى سأل النبى صلى الله عليه وسلم مابالنا نقصر وقد أمنا ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم "صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته" .

قال : ولا تناقض بين حديثيه ، فان النبى صلى الله عليه وسلم لما أجابه بأن هذا صدقة الله عليكم ودينه اليسر السمح علم عمرانه ليس المراد من الآية قصر العدد كما فهمه كثير من الناس .

قال (صلاة السفر ركعتان غير قصر) وعلى هذا فلا دلالة فى الآية على أن قصر العدد مباح منفى عنه الجناح فان شاء المصلى فعله ولن شاء أتمه . وقد كان صلى الله عليه وسلم يواظب فى أسفاره على

---

(١) اخرجه البخارى على هامشه فتح البارى (٣ : ٢٢٤) واللفظ لمالك . اخرجه الامام مالك فى الموطأ (١ : ١٤٦) ـ انظر تفسير ابن كثير (٥ : ٥٤٥ - ٥٤٦) .

(٢) مسند الامام احمد بشرح الساعاتى (٥ : ٩٣) حديث رقم (١٢٠٧) .

ركعتين ركعتين . . . . .)[1] .

وقد فصل هذا القول الرازى ورد على القائلين به .

فقال (القول الثانى) إن المراد من القصر إدخال التخفيف فى كيفية أداء الركعات وهو ان يكتفى فى الصلاة بالايماء والاشارة بدل الركوع والسجود وأن يجوز المشى فى الصلاة ، وأن تجوز الصلاة عند تلطخ الثوب بالدم ، وذلك هى الصلاة التى يؤتى بها حال شدة التحام القتال وهذا القول يروى عن ابن عباس وطاوس . واحتج هؤلاء على صحة هذا القول بان خوف الفتنة من العدو لايزول فيما يؤتى بركعتين على اتمام اوصافها وانما ذلك فيما يشتد فيه الخوف فى حال التحام القتال وهذا ضعيف ، لأنه لايمكن أن يقال : إن صلاة المسافر إذا كانت قليلة الركعات فيمكنه أن يأتى بها على وجه لايعلم خصمه بكونه مصليا ، اما اذا كثرت الركعات طالت المدة ولايمكنه أن يأتى بها على حين غفلة من العدو .

ثم رجح أبو حيان القائلين بالقول الأول :

(واعلم أن حمل لفظ القصر على اسقاط بعض الركعات اولى . ويدل عليه وجوه :

الأول : حديث عمر بن الخطاب (قول النبى صلى الله عليه وسلم " صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته " وهذا يدل على ان القصر المذكور فى الآية هو القصر فى عدد الركعات . وأن ذلك كان مفهوما عندهم من معنى الاية .

الثانى : أن القصر عبارة عن أن يؤتى ببعض الشىء ويقتصر عليه فأما أن يؤتى بشىء آخر ، فذلك لايسمى قصرا ولا اقتصارا . ومعلوم ان إقامة الايماء مقام الركوع والسجود وتجويز المشى فى الصلاة ، وتجويز المشى فى الثوب الملطخ بالدم ، ليس شىء من ذلك قصرا ، بل كلها اثبات لاحكام جديدة واقامة لشىء مقام شىء آخر فكان تفسير القصر بما ذكرنا أولى .

---

(١) الفتح الربانى (٥ : ٩٤) .

الثالث : أن (من) فى قوله (من* الصلاة) للتبعيض، وذلك يفهم منه جواز الاقتصار على بعض الصلاة .

الرابع : أن لفظ القصر كان مخصوصا فى عرفهم بنقص عدد الركعات ولهذا لما صلى النبى صلى الله عليه وسلم الظهر ركعتين ، قال ذو اليدين أقصرت الصلاة أم نسيت[1] ؟

الخامس : ان القصر بمعنى تغيير الصلاة مذكور فى الآية التى بعد هذه الآية ، فوجب أن يكون المراد من هذه الآية بيان القصر بمعنى حذف الركعات ، لئلا يلزم التكرار .

وبهذه الوجوه السابقة يكون تفسير القصر بأسقاط بعض الركعات اولى من تفسيره بما ذكروه من الايماء والاشارة[2] .

وقوله تعالى (إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) .

ففى تفسير هذه الفتنة قولان :

الأول : خفتم أن يفتنوكم عن إتمام الركوع والسجود فى جميعها .

الثانى : إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا بعداواتهم ، والحاصل ان كل محنة وبلية وشدة فهى فتنة[3] .

وهذا خرج مخرج الغالب حال نزول هذه الآية ، فأن فى مبدأ الأسلام بعد الهجرة كان غالب أسفارهم مخوفة بل ماكانوا ينهضون إلا إلى غزو عام أو فى سرية خاصة وسائر الأحيان حرب للاسلام وأهله ، والمنطوق إذا خرج مخرج الغالب أو على حادثة فلا مفهوم له كقوله تعالى (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا) .

وقوله تعالى (إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا) لأنكم دخلتم فى الأسلام فهم لكم أعداء لهذا أقدموا على محاربتكم . فان طالت صلاتكم فربما وجدوا الفرصة فى قتلكم فعلى هذا رخصت لكم فى قصر الصلاة ـ وانما قال (عدوا) ولم يقل أعداء لأن العدو يستوى فيه الواحد والجمع[3] .

---

(١) انظر تفسير الرازى (١١ : ١٧ - ١٨) .
(٢) انظر تفسير الرازى (١١ : ٢٢) .
(٣) انظر تفسير الرازى (١١ : ٢٣) .

* يجوز أنه تكون (من) زائدة

صـــلاة الخـــوف

قال تعالى (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين فإن خفتم فرجالا أو ركبانا فاذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم مالم تكونوا تعلمون)[1] .

لما أمر تعالى بالقيام له فى الصلاة محافظين عليها فى أوقاتها ومؤدين لها بطمأنينة ووقار وسكينة وهذا فى حال الأمن والاستقرار ذكر حالة الخوف والفزع الطارئة أحيانا . وفى هذا اشارة الى أن الصلاة لاتسقط عن العبد فى جميع الأحوال ورخص لعبيده فى الصلاة رجالا على الاقدام وركبانا على الخيل والأبل ونحوها ايماء واشارة بالرأس حيثما توجه ، وهذه هى صلاة الفذ الذى قد ضايقه الخوف على نفسه فى حال المسايفة أو من سبع يطلبه او عدو يتبعه او سيل يحمله[2] .

أخرج البخارى بسنده عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم (وإن كانوا اكثر من ذلك فليصلوا قياما وركبانا)[3] .

قال ابن حجر (أى إن كان العدو والمعنى أن الخوف إذا اشتد والعدو إذا كثر فخيف من الانقسام لذلك جازت الصلاة حينئذ بحسب الأمكان وجاز ترك مراعاة مالايقدر عليه من الأركان فينقل عن القيام إلى الركوع ، وعن الركوع والسجود إلى الأيماء إلى غير ذلك . وبهذا قال الجمهور)[4] .

قال تعالى : (وإذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم إن الله اعد للكافرين عذابا مهينا)[5] .

---

(١) البقرة : ٢٣٨-٢٣٩

(٢) انظر تفسير القرطبى (٣ : ٢٢٣) باختصار وتصرف .

(٣) صحيح البخارى وعلى هامشه فتح البارى (٣ : ٨٥) .

(٤) فتح البارى (٣ : ٨٥) .

(٥) النساء : ١٠٢

هذه الآيات الكريمة مدنية فى سورة النساء المدنية وتتحدث فى سياقها عن صفة صلاة الخوف. تلك الصلاة التى تبرز مدى اهمية فريضة الصلاة فى الاسلام فهى تعتبر أبلغ مثال فى المحافظة على الصلاة بل فى ادائها جماعة، حيث إنه أمر بالاتيان بها حتى فى الحرب فى حالة الالتحام مع العدو وإن دل ذلك على شىء إنما يدل على ماللصلاة من منزلة كبرى فى الدين الاسلامى وكذلك ما للعبادة من أثر فعال فى تقوية معنويات الجيش التى هى من الاسباب الرئيسية للنصر. فالصلاة تغرس فى نفس المجاهد اليقين والصبر والثبات والتضحية وتجعله على يقين بلقاء ربه وماسوف يفوز به من منزلة الشهادة وما أعد له من النعيم.

فقوله تعالى (وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة).

اختلف العلماء فى أنه هل صلاة الخوف خاصة للرسول صلى الله عليه وسلم او أنها تجوز لغيره.

الرأى الاول: قال ابو يوسف والحسن بن زياد: صلاة الخوف كانت خاصة للرسول صلى الله عليه وسلم ولا تجوز لغيره. وقال المزنى كانت ثابتة ثم نسخت.

واحتج أبو يوسف على قوله بوجهين: الأول أن قوله تعالى (وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة) ظاهره يقتضى أن إقامة هذه الصلاة مشروطة بكون النبى صلى الله عليه وسلم فيهم لأن كلمة (اذا) تفيد الاشتراط.

الثانى: أن تغيير هيئة الصلاة أمر على خلاف الدليل، إلا أنا جوزنا ذلك فى حق الرسول صلى الله عليه وسلم لتحصل للناس فضيلة الصلاة خلفه.

الرأى الثانى: وأما سائر الفقهاء فقالوا: لماثبت هذا الحكم فى حق النبى صلى الله عليه وسلم بحكم هذه الآية وجب أن يثبت فى حق غيره لقوله تعالى (واتبعوه) ألا ترى أن قوله تعالى (خذ من اموالهم صدقة تطهرهم)[1] لم يوجب كون الرسول صلى الله عليه وسلم مخصوصا به

---

(١) التوبة: ١٠٣

دون غيره من الامة بعده .

وأما التمسك بلفظ (إذا) فالجواب أن مقتضاه هو الثبوت عند الثبوت أما العدم عند العدم فغير مسلم ، وأما التمسك بأدراك فضيلة الصلاة خلف النبى صلى الله عليه وسلم فليس يجوز أن يكون علة لاباحة تغيير الصلاة ، لأنه لايجوز أن يكون طلب الفضيلة يوجب ترك الفرض فاندفع هذا الكلام(١) .

قوله تعالى (فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فأذا سجدوا فليكونوا من ورائكم) يعنى غير المصلين من الطائفة التى لم تصل مع النبى صلى الله عليه وسلم وذلك لحراستهم (ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك) .

وفى هذه الآية يشرع لنا المولى عز وجل كيفية صلاة الخوف . وقد فصلت السنة المطهرة أنواعا كثيرة لصلاة الخوف . فأن العدو تارة يكون تجاه القبلة ، وتارة يكون فى غير اتجاهها - ثم تارة يصلون جماعة وتارة يلتحم الحرب فلايقدرون على الجماعة بل يصلون فرادى مستقبلى القبلة وغير مستقبليها ورجالا وركبانا . ولهم أن يمشوا ويضربوا الضرب المتتابع فى متن الصلاة - ومن العلماء من قال : يصلون هذه الحالة ركعة واحدة لحديث ابن عباس قال : (فرض الله الصلاة على لسان نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم فى الحضر اربعا وفى السفر ركعتين ، وفى الخوف ركعة)(٢) .

قال النووى (هذا الحديث قد عمل بظاهره طائفة من السلف منهم الحسن والضحاك وإسحق بن راهويه - وقال الشافعى ومالك والجمهور إن صلاة الخوف كصلاة الامن فى عدد الركعات فان كان فى الحضر وجب أربع ركعات وإن كانت فى السفر وجب ركعتان . ولايجوز الاقتصار على ركعة واحدة فى حال من الأحوال . وتأولوا حديث ابن عباس هذا على أن المراد ركعة مع الأمام وركعة أخرى يأتى بها منفردا . كما جاءت

---

(١) انظر تفسير الرازى (١١ : ٢٤) .

(٢) صحيح مسلم على هامشه شرح النووى (٥ : ١٩٦) .

الأحاديث الصحيحة فى صلاة النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه فى الخوف)[1] .

قال الحافظ ابن عبد البر (انفرد به بكير بن الأخنس وليس حجة فيما ينفرد به والصلاة أولى ما احتيط فيه ، ومن صلى ركعتين فى خوفه وسفره خرج من الاختلاف الى اليقين)[2] .

وقد وردت فى كتب السنة عدة روايات وضحت فيها صفة صلاة الخوف باختلاف صورها بحسب موقع العدو وتحاشيا من الأطالة سأقتصر على بعض ما أخرجه البخارى ومسلم فى صحيحيهما .

أخرج البخارى بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد فوازينا العدو فصافقناهم ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى لنا . فقامت طائفة معه تصلى وأقبلت طائفة على العدو ، وركع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن معه وسجد سجدتين ثم انصرفوا مكان الطائفة التى لم تصل . فجاءوا فركع رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم ركعة وسجد سجدتين ثم سلم ، فقام كل واحد منهم فركع لنفسه ركعة وسجد سجدتين)[3] .

وفى هذه الصورة محتمل أن العدو كان فى خلاف جهة القبلة .

وأخرج مسلم فى صحيحه عن سهل بن أبى حثمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بأصحابه فى الخوف فصفهم خلفه صفين فصلى بالذين يلونه ركعة ثم قام فلم يزل قائما حتى صلى الذين خلفهم ركعة ثم تقدموا وتأخر الذين كانوا قدامهم فصلى بهم ركعة ثم قعد حتى صلى الذين تخلفوا ركعة ثم سلم)[4] .

وفى هذه الصورة يحتمل أن العدو كان جهة القبلة .

---

(١) شرح النووى على صحيح مسلم (٥ : ١٩٧) .
(٢) تفسير القرطبى (٣ : ٢٢٤) .
(٣) صحيح البخارى على هامشه فتح البارى (٣ : ٨٢) .
(٤) صحيح مسلم على هامشه شرح النووى (٦ : ١٢٨) .

قال النووى : (" وقد روى ابو داود وغيره وجوها أُخر فى صلاة الخوف بحيث يبلغ مجموعها ستة عشر وجها" وقال الخطابى : " صلاة الخوف أنواع صلاها النبى صلى الله عليه وسلم فى أيام مختلفة وأشكال متباينة يتحرى فى كلها ماهو أحوط للصلاة وأبلغ فى الحراسة . فهى على اختلاف صورها متفقة المعنى") (١) .

قال ابن حجر : قال صاحب الهدى : أصولها ست صفات وبلغها بعضهم أكثر .

وهؤلاء كلما رأوا اختلاف الرواة فى قصة جعلوا ذلك وجها من فعل النبى صلى الله عليه وسلم وإنما هو من اختلاف الرواة . ا.هـ

وهذا هو المعتمد وإليه أشار شيخنا بقوله : يمكن تداخلها) (٢) .

ولنعد الى تفسير بقية الآية .

وقوله تعالى (وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم) .

قال الرازى : (فأن قيل : لم ذكر فى الآية الآولى " أسلحتهم" فقط وذكر فى هذه الآية حذرهم وأسلحتهم .

قلنا : لأن فى أول الصلاة قلما يتنبه العدو لكون المسلمين فى الصلاة ، بل يظنون كونهم قائمين لأجل المحاربة . اما فى الركعة الثانية فقد ظهر للكفار كونهم فى الصلاة فههنا ينتهزون الفرصة فى الهجوم عليهم فلاجرم خص الله تعالى هذا الموضع بزيادة تحذير فقال (وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم) (٣) .

ثم قال تعالى : (ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة) أى بالقتال .

وسبب نزول هذه الآية الكريمة هو ما أخرجه الأمام أحمد فى مسنده عن أبى عباشى الزرقى قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعسفان فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد وهم بيننا وبين القبلة

---

(١) شرح النووى على صحيح مسلم (٦ : ١٢٦) .
(٢) فتح البارى شرح صحيح البخارى (٣ : ٨٣) .
(٣) تفسير الرازى (١١ : ٢٦) .

فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر فقالوا : قد كانوا على حال لو اصبنا غرتهم . ثم قالوا تأتى عليهم الان صلاة هى أحب اليهم من أبنائهم وأنفسهم قال فنزل جبريل عليه السلام بهذه الآية (وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة) قال فحضرت فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذوا السلاح قال : فصففنا خلفه صفين قا ل ثم ركع فركعنا جميعا ثم رفع فرفعنا جميعا(١) . . الحديث

ثم قال تعالى : (ولا جناح عليكم ان كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم) والمعنى أنه إذا تعذر حمل السلاح إما لأنه يصيبه بلل السماء فيسود وتفسد حدته او لان من الاسلحة مايكون مظنا فيثقل على لابسه اذا ابتل بالماء أو لأجل أن الرجل كان مريضا فيشق عليه حمل السلاح ، فههنا له أن يضع السلاح .

ثم قال (وخذوا حذركم) أى إنه رخص لهم فى وضع السلاح حال المطر وحال المرض ثم أمرهم مرة اخرى بالتيقظ والتحفظ والمبالغة فى الحذر ، لئلا يجترىء عليهم العدو استغناما منهم لوضع المسلمين أسلحتهم(٢) . ثم ختم الله الآيات الكريمة بقوله :

(إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا) وفيه تقوية لقلوب المسلمين وأن الله سيخذل الكافرين ولا ينصرهم ألبتة .

---

(١) مسندا لامام احمد بن حنبل (٤ : ٥٩) والحاكم فى المستدرك (١ : ٣٣٧) وقال صحيح على شرطهما واقره الذهبى (١ : ٣٣٧) وقال صحيح على شرطهما واقره الذهبى .

(٢) انظر تفسير الرازى (١١ : ٢٦) .

صـــلاة الجنائـــز

قال تعالى : (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قـــبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون)[١] .

وسبب نزول هذه الآيات الكريمة ما أخرجه البخارى بسنده عـــن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال : لما مات عبد الله بن أبى بـــن سلول دعى له رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلى عليه ، فلما قـــام رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت اليه . قلت : يارسول الله أتصلى على ابن أبى وقد قال يوم كذا كذا وكذا ؟ قال اعدد عليه قوله ، فتبســم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : أخر عنى ياعمر ، فلما أكثرت عليـــه قال : إنى خيرت فاخترت[٢] .

لو أعلم أنى إن زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها قـــال فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انصرف فلم يمكث إلا يسيرا حتى نزلت الايتان من براءة - ولا تصل على أحد منهم مات أبدا - الى قولـه وهم فاسقون - قال : فعجبت بعد من جرأتى على رسول الله صلى اللـه عليه وسلم والله ورسوله أعلم[٣] .

واختلف العلماء فى الآية هل يؤخذ من مفهومها وجوب الصـــلاة على المؤمنين مع أن الظاهر أنها نص فى الامتناع من الصلاة على الكفـــار على قولين . والذى أرجحه أنه يؤخذ لأنه علل المنع من الصلاة علـــى الكفار لكفرهم لقوله تعالى (إنهم كفروا بالله ورسوله) فأذا زال الكفـــر وجبت الصلاة . وهذا نحو قوله تعالى (كلا إنهم عن ربهم يومئـــذ لمحجوبون)[٤] يعنى الكفار . فدل على أن غير الكفار يرونه وهم المؤمنـــون فذلك مثله . والله أعلم .

---

(١) التوبة : ٨٤

(٢) وذلك فى قوله تعالى (استغفر لهم اولا تستغفر لهم ان تستغفـــر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم) .

(٣) صحيح البخارى وعلى هامشه فتح البارى (٩ : ٤٠٦) .

(٤) المطففين : ١٥

ومنشأ الخلاف القول بدليل الخطاب وتركه .

أما الدليل من السنة ما أخرجه الأمام مسلم في صحيحه بسنده عن جابر بن عبدالله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن أخا لكم قد مات فقوموا فصلوا عليه) قال : فقمنا فصففنا صفين (١) يعني النجاشي .

والجمهور من العلماء على أن التكبير اربع . روى الدارقطني عن ابى ابن كعب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ان الملائكة صلت على آدم فكبرت عليه اربعا وقالوا هذه سنتكم يابنى آدم) (٢) .

وقوله تعالى (ولا تقم على قبره) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دفن الميت وقف على قبره ودعا له بالتثبيت (٣) .

(إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون) وهذه علة لنهيه صلى الله عليه وسلم عن الصلاة على المنافقين فكأنه قال سبحانه وتعالى لا تصل عليهم لأنهم كفروا بالله ورسوله وخرجوا عن جماعة المسلمين .

---

(١) صحيح مسلم بتحقيق محمد فؤاد عبدالباقى (٢ : ٦٥٧) حديث رقم ٦٦ كتاب الجنائز .

(٢) سنن الدارقطنى (٢ : ٧١) للامام على بن عمر الدارقطنى تحقيق السيد عبدالله المدنى ، ط/دار المحاسن بالقاهرة .

(٣) انظر تفسير القرطبى (٨ : ٢١٨) .

ثانيا : الزكـــــاة

الزكاة فى اللغة : قال الزبيدى (زكا) المال والزرع وغيرهمـــــا (يزكو : زكاء) بالمد (وزكوا) بالفتح . وكل شىء يزداد ويسمن فهو يزكـــو زكاء .

(وزكاه الله تعالى) تزكية (وأزكاه) أنماه وجعل فيه بركة .

(وزكا) الرجل يزكوا زكوا (صلح) ، وبه فسر قوله تعالى (مازكـــا منكم من أحد) اى ماصلح (وزكا) يزكو (تنعم) وكان فى خصب نقلـــه الجوهرى عن الاموى .

(والزكاة) مااخرجته من مالك لتطهر به ، كذافى المحكم وفـــى المصباح سمى القدر المخرج من المال زكاة . لأنه سبب يرجى به الزكاء .

وقال ابن الأثير (الزكاة) فى اللغة الطهارة والنماء والبركة والمدح وكل ذلك قد استعمل فى القرآن والحديث[1] .

الزكاة فى الاصطلاح :

(اسم لقدر مخصوص من مال مخصوص يجب صرفه لأصناف مخصوصـــة بشرائط معلومة تؤخذ من مظانها) وسميت بذلك لان المال ينمو ببركـــة إخراجها ودعاء الاخذ ، ولأنها تطهر مخرجها من الاثم وتمدحه حـــين تشهد له بصحة الأيمان[2] .

مكانة الزكاة فى الأسلام

تعتبر الزكاة ركناً من أركان الأسلام الاساسية فهى فى المنزلة الثالثة بعد الشهادتين وإقامة الصلاة وإيتاؤها مع الشهادتين وإقامة الصـــلاة إيذان بدخول المرء فى الأسلام واستحقاقه لأخوة المسلمين . قال تعالـــى

---

(١) تاج العروس للعلامة محمد مرتضى الزبيدى (١٠ : ١٦٤) ط/منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت ـ لبنان .

(٢) مغنى المحتاج الى معرفة الفاظ المنهاج تأليف شمس الدين محمد بن احمد الشربينى الخطيب (ت٩٧٧) القاهرة ، مطبعة البابى الحلبى عام ١٩٥٨م (١ : ٢٦٨) .

(فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فأخوانكم فى الدين)[1].

وقد تكررت كلمة الزكاة معرفة فى القرآن الكريم فى ثلاثين موضعا والمتتبع للمواضع الثلاثين التى ذكرت فيها الزكاة يجد ان ثمانية منها فى السور المكية وسائرها فى السور المدنية[2].

وقد فرضها الله تعالى بقوله عز وجل (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وماتقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله إن الله بما تعملون بصير)[3].

وجاءت السنة مؤكدة لها ومفصلة لأنصبتها .

أخرج البخارى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث معاذا رضى الله عنه الى اليمن ، فقال : ادعهم إلى شهادة أن لاإله إلا الله وأنى رسول الله ، فأن هم اطاعوك لذلك فاعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة ، فأن هم أطاعوك لذلك فاعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة فى أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم)[4].

إلى غير ذلك من الأحاديث التى سطرتها كتب السنة المطهرة .

فالزكاة فريضة واجبة يكفر جاحدها ، ويفسق مانعها ، ويقاتل تاركها وليس أدل على ذلك من أن الخليفة الصديق جهز أحد عشر لواء لمقاتلة من امتنعوا عن أدائها . وقال رضى الله عنه (والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فأن الزكاة حق المال والله لو منعونى عناقا[5] كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها)[6].

---

(١) التوبة : ١١

(٢) باختصار حقق ذلك الدكتور يوسف القرضاوى فى كتابه فقه الزكاة (١ : ٤٢) .

(٣) البقرة : ١١٠

(٤) صحيح البخارى وعلى هامشه فتح البارى (٤ : ٤) .

(٥) بفتح المهملة وهى الصغيرة من الغنم . فتح البارى (٤ : ٦٤) .
وقال الجوهرى فى الصحاح (٤ : ١٥٣٤) الطبعة الرابعة ١٤٠٢هـ بتحقيق احمد عبد الغفور عطار العناق : الانثى من ولد المعز. والجمع اعنق ، عنوق .

(٦) صحيح البخارى وعلى هامشه فتح البارى (٤ : ٨) .

(والزكاة ليست " تبرعا" يتفضل به غنى على فقير أو يحسن به واجد على معدوم إنها أبعد من ذلك غورا وأوسع أفقا .

إنها جزء هام من نظام الأسلام الاقتصادى ، ذلك النظام الفريد الذى عالج مشكلة الفقر أو مشكلة المال على وجه عام ، قبل أن تعرف الدنيا نظاما عنى بعلاج هذا الجانب الخطير من حياة الأنسان)[1] .

ومن أعظم الأدلة على عناية الاسلام بالزكاة مع أن فرضيتها كانت فى العهد المدنى - هى عنايته بالزكاة منذ العهد المكى .

ولابد لنا أن نشير إلى أن الزكاة فى مكة كانت زكاة مطلقة من القيود والحدود وكانت بحسب أريحية الشخص ولم يكن هناك داع للتحديد فقد كانوا رضى الله عنهم يضحون بأنفسهم وأموالهم وأهاليهم فى سبيل الله .

وأشير إلى بعض الآيات المكية التى حضت على الأنفاق أو ذمت الأمساك . قال تعالى : (كل نفس بما كسبت رهينة ، إلا اصحاب اليمين فى جنات يتساءلون عن المجرمين : ماسلككم فى سقر؟ قالوا لم نك من المصلين ، ولم نك نطعم المسكين)[2] .

وقال تعالى يقص علينا قصة أصحاب الجنة (فانطلقوا وهم يتخافتون ألا يدخلنها اليوم عليكم مسكين)[3] .

وفى سورة الذاريات قال تعالى : (وفى أموالهم حق للسائل والمحروم)[4] .

وفى سورة فصلت ينذر الله المشركين بالويل لعدم إيتائهم الزكاة (وويل للمشركين الذين لايؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون)[5] .

وفى سورة الأنعام ينبه سبحانه الى نعمه التى يخرجها من الأرض من الزروع والثمار وأن فيها حقا يجب إخراجه يوم حصاده .

---

(١) انظر العبادة فى الاسلام (ص٢٣٩) د .يوسف القرضاوى .
(٢) المدثر : ٣٨ - ٤٤
(٣) القلم : ٢٣ - ٢٤
(٤) الذاريات : ١٩
(٥) فصلت : ٦ - ٧

قال تعالى (وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه ، كلوا من ثمره إذا اثمر وآتوا حقه يوم حصاده ، ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين)(١) .

وهنا يتبادر الى الأذهان سؤال وهو أن المعروف فى تاريخ التشريع الأسلامى أن الزكاة فرضت فى المدينة فكيف نوفق بين هذا وذكر القرآن لها فى آيات كثيرة من سوره المكية ؟

والجواب : أن الزكاة التى ورد ذكرها فى القرآن المكى . لم تكن ذات الزكاة التى شرعت فى المدينة وفصلت وحددت مقاديرها ، وأرسل السعاة والجباه لجبايتها وصرفها واصبحت الدولة قائمة على تنظيمها وجعل بيت المال مكانا لحفظها .

فالزكاة فى مكة كانت مطلقة عن التحديد بالزمان والكم موكولة إلى إيمان الفرد وأريحيته وشعوره بواجب الاخوة نحو اخوانه من المؤمنين(٢) .

وإن الدارس للقرآن الكريم من جانب عرضه لتشريع الأحكام وبيان الحلال والحرام وأخص بذلك تشريعه لفريضة الزكاة فمنذ أول عهد الدعوة توالت الآيات فى الحض على الزكاة ففى مطلع سورة لقمان المكية قال تعالى (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون)(٣) . وفى عطف إيتاء الزكاة على اقامة الصلاة دليل على أنها زكاة المال - كما هى سنة القرآن .

وفى سورة الأعراف المكية أيضا قال تعالى (ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون)(٤) .

وفى سورة الروم وهى مكية أيضا (وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون)(٥).

---

(١) الانعام : ١٤١
(٢) بتصرف انظر فقه الزكاة للدكتور يوسف القرضاوى (٦١) .
(٣) لقمان : ٤
(٤) الاعراف : ١٥٦
(٥) الروم : ٣٩

ثم تتحول الدول الاسلامية الى دار الهجرة وفى المدينة أصبح المسلمون فى مأمن لاقامة دولتهم وسلطانهم لهذا اخذت التكاليف الأسلامية صورة جديدة على خلاف ماكانت عليه فى السابق . فتميزت بالتحديد والتخصيص بعد الأطلاق والتعميم . وتميزت بالالزام والحتمية بعد أن كانت وصايا توجيهية واعتمد فى تنفيذها على القوة والسلطان بجانب اعتمادها على الضمير والايمان .

ومن تلك الآيات المدنية الآيات التى نزلت بشأن الزكاة فحدد الشارع نصاب الزكاة من الاموال وغيرها التى تجب فيها، وشروط وجوبها والمقادير المعينة لأخراجها ، والمستحقين لها والذين لايستحقونها بل تحرم عليهم ، والفئة المكلفة بتنظيمها وإدارتها .

قال الحافظ ابن كثير عند تفسيره لسورة المؤمنون فى قوله تعالى (والذين هم للزكاة فاعلون)[1] .

الأكثرون على ان المراد بالزكاة هنا زكاة الأموال ، مع أن هذه الآية مكية وإنما فرضت الزكاة بالمدينة فى سنة اثنتين من الهجرة والظاهر أن التى فرضت بالمدينة هى ذات النصب والمقادير الخاصة . وإلا فالظاهر أن أصل الزكاة كان واجبا بمكة . قال تعالى فى سورة الأنعام - وهى مكية - (وآتوا حقه يوم حصاده)[2] [3] .

وقد وردت آثار تؤكد ماجاء به القرآن من وجوب الزكاة وذلك منذ العهد المكى نذكر منها على سبيل الاختصار ما أخرجه ابن خزيمة فى صحيحه عن ام سلمة بنت أمية رضى الله عنها (فى الحديث الطويل عن هجرة الحبشة عندما تحدث جعفر بن ابى طالب رضى الله عنه عند مخاطبته للنجاشى ويخبره بخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول له فيما قال له " وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ")[4] .

---

(١) المؤمنون : ٤
(٢) الانعام : ١٤١
(٣) تفسير ابن كثير (٣ : ٢٣٨) .
(٤) صحيح ابن خزيمة (ص١٣ - ١٤) .

قال ابن حجر (وأولى ماحمل عليه حديث أم سلمة) ان المـــــراد بقوله يأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام أى فى الجملة، ولا يلزم من ذلك أن يكون المراد بالصلاة الصلوات الخمس، ولا بالصيام صيام رمضان، ولا بالزكـــــاة هذه الزكاة المخصوصة ذات النصب والحول والله أعلم[1].

إذ أن هذه الفرائض لم تكن شرعت بعد .

---

(١) فتح البارى لابن حجر (٤ : ٩) .

فرضيـــة الزكـاة

تبين لنا مما سبق أن الزكاة المطلقة غير المقدرة فرضت بمكة . لكـــن متى فرضت الزكاة المحدودة ؟

اختلف العلماء فى ذلك على أقوال وأرجح هذه الأقوال وأشهرها أنها فرضت فى السنة الثانية من الهجرة .

قال ابن كثير أثناء ذكره جملة من الحوادث سنة ثنتين من الهجرة : (وفيها فرضت الزكاة ذات النصب)[1] .

وقال الحافظ شرف الدين الدمياطى : «إنها (أى الزكاة) فرضـــت فى السنة الثانية من الهجرة بعد زكاة الفطر بدليل قول قيس بن سعد بن عبادة ـ وذكر الحديث .

وفى تاريخ الطبرى انها فرضت فى السنة الرابعة من الهجرة»[2] .

وجزم ابن الاثير فى تاريخه أن فرض الزكاة كان فى السنة التاسعة من الهجرة . وفيه نظر وقوى بعضهم ماذهب اليه ابن الأثير بما وقع فـــــى قصة ثعلبة بن حاطب المطولة ففيها (لما نزلت آية الصدقة بعث النـــــبى صلى الله عليه وسلم عاملا فقال : ماهذه الأجزية وأخت الجزية . والجزيـــة إنما وجبت فى السنة التاسعة فتكون الزكاة فى التاسعة) .

قال ابن حجر : (ولكن الحديث ضعيف لايحتج به)[3] .

---

(١) البداية والنهاية (٣ : ٣٤٧) .

(٢) كشاف القناع على متن الاقناع للشيخ منصور بن يونس البهوتى المتوفى سنة ١٠٥١هـ ط/مطبعة الحكومة بمكة سنة ١٣٩٤هـ. انظر(٢ : ١٩٢).

(٣) فتح البارى (٤ : ٨) .

الزكاة فى العهد المدنى

قبل الخوض فى الآيات الواردة فى الزكاة لابد أن أشير الى أن الزكاة الشرعية قد تسمى فى لغة القرآن والسنة صدقة وإلى ذلك نوه الماوردى فقال (الصدقة زكاة . والزكاة صدقة ، يقترن الاسم ويتفق المسمى)[١] .

قال تعالى : (خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها)[٢] .

وقال تعالى (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم . . . . إلى آخر الاية)[٣] .

وفى حديث إرسال معاذ إلى اليمن : (اعلمهم ان الله افترض عليهم فى أموالهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم)[٤] .

والآيات الواردة بشأن الصدقة والزكاة كثيرة وسوف أستعرض بعضها لنعرف مدى عناية القرآن الكريم ولاسيما المدنى منها بفريضة الزكاة .

قال تعالى (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين)[٥] .

وقال تعالى (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وماتقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله ان الله بماتعملون بصير)[٦] .

وفى الآيتين السابقتين يحث سبحانه وتعالى عباده المؤمنين على الاشتغال بما ينفعهم وتعود عليهم عاقبته يوم القيامة من اقامة الصلاة وإيتاء الزكاة حتى يمكن لهم النصر فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد .

وقد أثنى الحق سبحانه وتعالى على الانفاق فى سبيله فى عدة آيات متتالية فى سورة البقرة بدأها بقوله تعالى :

---

(١) الاحكام السلطانية الباب (١١) باب ولاية الصدقات .
(٢) التوبة : ١٠٣
(٣) التوبة : ٦٠
(٤) صحيح البخارى وعلى هامشه فتح البارى (٤ : ٤) .
(٥) البقرة : ٤٣
(٦) البقرة : ١١٠

(مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم)[١] .

وقد حذر من الأنفاق المصاحب للأذى فيحبط عملهم .

قال تعالى (الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غنى حليم . يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس . . . الآية)[٢] .

وختم سبحانه وتعالى الايات بقوله (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون)[٣] .

وفى سورة آل عمران المدنية توالت الآيات فى الحث على الانفاق فى سبيل الله . وأنه السبيل لدخول الجنة لاسيما إذا كان الانفاق مما يحبه المنفق وكان ذلك عزيزا إلى نفسه وأن الله مطلع على ماينفقه عباده وعليم به .

فقال تعالى : (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون . وما تنفقوا من شىء فأن الله به عليم)[٤] .

واختلف فى المراد من (البر) فقيل الجنة . روى ذلك عن ابن مسعود وابن عباس وعطاء ومجاهد وعمرو بن ميمون والسدى . والمعنى (لن تصلوا الى الجنة وتعطوها حتى تنفقوا مما تحبون)[٥] .

وقيل (البر) العمل الصالح وفى الحديث الصحيح (عليكم بالصدق فان الصدق يهدى إلى البر وإن البر يهدى إلى الجنة)[٦] .

---

(١) البقرة : ٢٦١
(٢) البقرة : ٢٦٢ - ٢٦٤
(٣) البقرة : ٢٧٤
(٤) آل عمران : ٩٢
(٥) صحيح مسلم بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقى (ص٢٠١٣) حديث رقم ١٠٥
(٦) انظر تفسير القرطبى (٤ : ١٣٣) .

قلت البر : اسم جامع للخير كله . والله أعلم .

وبعد أن بين سبحانه وتعالى نوعية الأنفاق مما تكون توالت الآيات ببيان حال الانفاق وماينتظره المنفق من الأجر عند الله تعالى .

قال تعالى (الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين) إلى قوله تعالى (أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين)[1] .

فالمراد من الآيات أن المؤمنين المتقين ينفقون اموالهم فى جميع الأحوال فى الشدة والرخاء والمنشط والمكره والصحة والمرض فى الليل والنهار فى السر والعلانية فلايشغلهم امر عن طاعة الله تعالى والأنفاق فى مراضيه . لذا أعد الله لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها[2] .

وبعد أن تحدثت الآيات عن صفة المنفقين فى سبيل الله من المؤمنين المتقين ذكرت السورة الكريمة نفقة الكافرين وصورتها فى بطلانها وذهابها وعدم منفعتها بالزرع الذى اصابه ريح باردة او نار فأحرقته وأهلكته فلم ينتفع أصحابه بشىء بعد ماكانوا يرجون فائدته ونفعه .

قال تعالى (مثل ما ينفقون فى هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فاهلكته وماظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون)[4] .

وفى سورة النساء المدنية يخبرنا عز وجل عن المنافقين الذين ينفقون اموالهم لايقصدون بها وجه الله وانما قصدهم بتلك النفقة أن يقال عنهم إنهم من أهل الجود والبذل والعطاء ويمدحوا بالكرم وإنما حملهم

---

(١) آل عمران : ١٣٤-١٣٦

(٢) انظر تفسير ابن كثير (١ : ٤٠٤) .

(٣) انظر تفسير القرطبى (٤ : ١٧٨) .

(٤) آل عمران : ١١٧

على صنيعهم هذا القبيح وعدولهم عن فعل الطاعة على وجهها الشيطان فأنه سول لهم وحسن لهم القبائح . قال تعالى يخبر بخبرهم (والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا) والقرين هو الصاحب والخليل (وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما)[1] .

اما سورة الأنعام فهى مكية بلا خلاف ماعدا بعض الآيات اختلف فيها والتى سبق أن أوضحتها فى أول البحث[2] . ومن تلك الآيات قوله تعالى (وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره اذا اثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين)[3] .

وقد ذكر بعض المفسرين أن هذه الآية مدنية وان قوله تعالى (وآتوا حقه يوم حصاده) يعنى الزكاة ـ والزكاة لم تفرض إلا فى المدينة وقد فصل القول فى هذه الآية أبوجعفر النحاس ورد على من زعم ان المراد من الآية الزكاة .

قال : (أما القول بانها الصدقة المفروضة فيعارض بأشياء منها ان هذه السورة مكية والزكاة فرضت بالمدينة لا تنازع بين العلماء فى ذلك . . . ومنها أن قوله (يوم حصاده) لو كان للزكاة المفروضة وجبان يعطى وقت الحصاد وقد جاءت السنة وصحت ان الزكاة لا تعطى الا بعد الكيل .

وأيضا فأن فى الآية (ولا تسرفوا) فكيف يكون هذا فى الزكاة وهى معلومة وايضا فلو كان هذا فى الزكاة لوجب أن تكون الزكاة فى الثمر وفى كل ما أنبتت الأرض وهذا لا يقوله احد نعلمه من الصحابة ولا التابعين ولا الفقهاء إلا بعض المتأخرين ممن خرج عن الاجماع .

---

(١) النساء : ٣٨ - ٣٩

(٢) راجع (ص ١٠٠) من بحثنا هذا .

(٣) الانعام : ١٤١

ولم تختلف العلماء فى أن فى أربعة اشياء منها الزكاة (الحنطة والشعير، والتمر والزبيب) فهذا إجماع)[1].

وأخيرا فأن المراد من الاية الصدقات وليس الزكاة والله اعلم.

سورة التوبة

وتعتبر سورة التوبة من أعظم السور المدنية عناية بفريضة الزكاة ففى مطلع هذه السورة الكريمة يأمر عز وجل بقتال المشركين الناكثين للعهود ومظاهرتهم العداء على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد جعل لهم مهلة وهى انقضاء الأشهر الحرم مهلة لهم يختارون لأنفسهم مايرضيهم. قال تعالى (فاذا انسلخ الأشهر الحرم)[2] أى فاذا انقضى ومضى وخرج ويعنى بالأشهر الحرم: ذا القعدة وذا الحجة والمحرم. وإنما أريد فى هذا الموضع انسلاخ المحرم وحده، لأن الأذان كان ببراءة يوم الحج الأكبر فمعلوم انهم لم يكونوا أجلوا الأشهرالحرم كلها. ولكنه لماكان متصلا بالشهرين الآخرين قبله الحرامين وكان هو لهما ثالثا وهى كلها متصل بعضها ببعض قيل: (فأذا انسلخ الأشهر الحرم).

وخلاصة معنى الآية: (فأذا انقضت الاشهر الحرم الثلاثة عن الذين لاعهد لهم. أو عن الذين كان لهم عهد فنقضوا عهدهم بمظاهرتهم العداء على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أصحابه رضى الله عنهم أو كان عهدهم إلى أجل غير معلوم (فاقتلوا المشركين) أى حيث وجدتموهم فى الحرم وغير الحرم فى الأشهر الحرم وغير الأشهر الحرم (وخذوهم) أى وأسروهم (واحصروهم واقعدوالهم كل مرصد) أى واقعدوا لهم بالطلب لقتلهم أو أسرهم كل مرصد يعنى كل طريق (فأن تابوا. وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم). فهذه ثلاثة شروط للكف عن قتال هؤلاء وتخلية سبيلهم.

---

(١) باختصار من كتاب الناسخ والمنسوخ لابى جعفر النحاس (ص١٣٩ - ١٤٠).

(٢) التوبة: ٥

الأول : (فأن تابوا) أى فأن رجعوا عما نهاهم عنه من الشرك بالله وجحود نبوة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم الى توحيد الله وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأنداد .

الثانى : (وأقاموا الصلاة) وأدوا مافرض الله عليهم من الصلاة بحدودها وشروطها .

الثالث : (وآتوا الزكاة) أى وأعطوا الزكاة التى أوجبها الله عليهم فى أموالهم .

(فخلوا سبيلهم) أى فدعوهم يتصرفون فى أمصاركم ويدخلون البيت الحرام (ان الله غفور رحيم) لمن تاب من عباده (١) .

وبعد ست آيات من السورة نفسها قال تعالى فى شأن قوم آخرين من المشركين (فأن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فأخوانكم فى الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون) (٢) .

فلايتحقق لكافر الانضمام لرابطة المسلمين وتثبت له أخوتهم الدينية وينال حقوقه الاجتماعية إلا بالتوبة عن الشرك وايمانه بالله ورسوله وإقامة الصلوات بفرائضها وسننها . وايتاء الزكاة التى بها يتكافلون ويتحابون .

أخرج الطبرى بسنده عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال (أمرتم باقامة الصلاة وايتاء الزكاة ، ومن لم يزك فلاصلاة له) (٣) .

ثم ذكر عز وجل يمتدح عمار المساجد الذين آمنوا بالله واليوم الآخر من أهل القبول عنده وهؤلاء لايكونون عمروها بحق إلا باقامة الصلاة وايتاء الزكاة وخشية الله وحده فأولئك عمارها .

قال تعالى (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله . فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) (٤) .

---

(١) بتصرف انظر تفسير الطبرى (١٠ : ٧٧ - ٧٨) .
(٢) التوبة : ١١
(٣) تفسير الطبرى (١٠ : ٨٧) .
(٤) التوبة : ١٨

اثم مانع الزكاة

قال تعالى (ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون مابخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السموات والأرض والله بماتعملون خبير)[1] .

أخرج البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان ، يطوقه يوم القيامة ، ثم يأخذ بلهزمتيه يعنى بشدقيه ، ثم يقول : انا مالك ، انا كنزك ، ثم تلا - لا يحسبن الذين يبخلون - الآية[2] .

وقال تعالى فى سورة التوبة : (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم ، يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ماكنزتم لأنفسكم فذوقوا ماكنتم تكنزون)[3] .

قال العلماء : (إنما عظم الوعيد فى هذا الباب لما فى اختلاف العباد من الشح على المال والبخل به ، فأذا خافوا من عظيم الوعيد لانوا فى أداء الطاعة)[4] .

واختلف العلماء فى المال الذى أديت زكاته هل يسمى كنزا أولا ؟ فقال قوم نعم . . وقال قوم : ما أديت زكاته منه أو من غيره عنه فليس بكنز قال ابن عمر : ما أدى زكاته فليس بكنز وإن كان تحت سبع أرضين . وكل مالم تؤد زكاته فهو كنز وإن كان فوق الأرض . . . وهو الصحيح[5] .

---

(١) آل عمران : ١٨٠

(٢) صحيح البخارى وعلى هامشه فتح البارى كتاب الزكاة (٤ : ١٢ ، ١٣) .

(٣) التوبة : ٣٤ - ٣٥

(٤) احكام القرآن لابن العربى (٢ : ٩٣٦) .

(٥) تفسير القرطبى (٨ : ١٢٥) ، تفسير سورة التوبة .

ومن الوعيد الشديد لمانع الزكاة ماحكاه لنا القرآن الكريم فى سورة التوبة أيضا قال تعالى : (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله . بخلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ماوعدوه وبما كانوا يكذبون)[1] .

قال الألوسى[2] فى تفسيره :

(أخرج الطبرانى والبيهقى فى الدلائل وابن المنذر وغيرهم عن ابى امامة الباهلى[3] قال . . وذكر الحديث بطوله) . . (وكذلك أخرجه ابن جرير وابن مردويه من طريق العوفى عن ابن عباس - وذكر الحديث بطوله أيضا)[4] .

وذكر القصة أيضا السيوطى فى لباب النقول وضعفها وقال : (بسند ضعيف)[5] .

وخلاصة القصة كما رواها المفسرون (أن ثعلبة بن حاطب الأنصارى قال يارسول الله ادع الله أن يرزقنى مالا فقال النبى صلى الله عليه وسلم قليل تؤدى شكره خير من كثير لاتطيقه فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم واتخذ غنما فنمى كما ينمو الدود حتى ضاقت به المدينة فخرج منها وتخلف عن الصلاة ونمى وكثر غنمه حتى جاء عامل الصدقة مرسلا من رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرضت الزكاة ليأخذ زكاته فقال ماهذه إلا أخت الجزية ونزلت فيه الآيات السابقة من قوله (ومنهم من عاهد الله

---

(١) التوبة : ٧٥ - ٧٧

(٢) تفسير الالوسى (١٠ : ١٤٣) .

(٣) صدى بن عجلان ويقال ابن عمرو (ابوامامة الباهلى) الصحابى روى عن النبى صلى الله عليه وسلم وعمر وعثمان وعلى . قال ابن سعد سكن الشام، وقال ابن عيينة هو آخر من مات من الصحابة بالشام واختلف فى سنة وفاته . تهذيب التهذيب (٤ : ٤٢٠) .

(٤) تفسير الطبرى (١٠ : ١٨٨ - ١٩٠) ، والواحدى (ص ١٧٠ - ١٧١) .

(٥) لباب النقول فى اسباب النزول (ص ١٢١) .

لئن آتانا من فضله الى قوله (وبما كانوا يكذبون) .

وفى القصة ذكر ان النبى صلى الله عليه وسلم مات ولم يقبض منه الصدقة ولا أبو بكر ولا عمر وأنه مات فى خلافة عثمان .

قال ابن حجر : بعد ان ذكر ترجمته وطرفا من القصة (ولا أظن يصح - أى أن صاحب القصة هو ثعلبة بن حاطب - هو البدرى . . وقد ثبت أن النبى قال لا يدخل النار أحد شهد بدرا والحديبية . وحكى عن ربه أنه قال لأهل بدر (اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم)[1] فمن يكون بهذه المثابة كيف يعقبه الله نفاقا فى قلبه وينزل فيه ما نزل . فالظاهر أنه غيره . والله أعلم)[2] .

قلت : لا شك فى صحة القصة وأنها وقعت فعلا ونزل فيها قرآن لكن ليست فى ثعلبة بن حاطب الانصارى الصحابى البدرى المشهور وانما وقعت لرجل يسمى ثعلبة من المنافقين والله أعلم .

قال ابن هشام: (معتب بن قشير، وثعلبة والحارث ابنا حاطب وهم من بنى امية بن زيد ، من أهل بدر وليسوا من المنافقين ، فيما ذكر لى من أثق به من أهل العلم . وقد نسب ابن اسحاق ثعلبة والحارث فى بنى أمية بن زيد فى أسماء أهل بدر)[3] .

---

(١) صحيح البخارى وعلى هامشه فتح البارى (٨ : ٣٠٦ ، ٣٠٧) فى كتاب المغازى - غزوة بدر .

(٢) الاصابة فى تمييز الصحابة (١ : ١٩٨) .

(٣) السيرة النبوية لابن هشام (٢ : ١٦٩) .

مصـــارف الزكـــاة

قال تعالى : (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليهـــا والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضـــة من الله والله عليم حكيم)[1] .

يخبرسبحانه وتعالى عن الذين ينبغى أن تقسم عليهم الزكاة مـــن الفقراءو المساكين وبقية الاصناف الثمانية . فلايجوز أن يعطى منها غيرهـــم وفهم ذلك من قوله تعالى (إنما) وهى تفيد الحصر فى وقف الصدقات على الأصناف الثمانية .

وقوله تعالى (للفقراء والمساكين) وقد اختلف علماء اللغة وأهـــل الفقه فى الفرق بين الفقير والمسكين . قال أبوجعفر الطبرى بعـــدان ذكر العديد من الأقوال (وأولى هذه الأقوال عندى بالصوابمن قـــال الفقير : هو ذو الفقر أو الحاجة ومع حاجته يتعفف عن مسألة الناس والتذلل لهم فى هذا الموضع .

والمسكين : هو المحتاج المتذلل للناس بمسألتهم)[2] . والمسألـــة خلافيـــة[3] .

قال تعالى (أومسكينا ذا متربة) أى لاشىء له ، حتى كأنه قد لصـق بالتراب من الفقر ، ليس له مأوى إلا التراب . قال ابن عباس : هو المطـروح على الطريق الذى لابيت له . قال مجاهد : هو الذى لايقيه مـــن التراب لباس ولاغيره)[4] .

(والعاملين عليها) وهم السعاة لجباية الصدقة . قال الطـــبرى وهم السعاة فى قبضها من أهلها ووضعها فى مستحقيها يعطون ذلـك بالسعاية أغنياء كانوا أو فقراء[5] .

---

(١) التوبة : ٦٠

(٢) تفسير الطبرى (١٠ : ١٥٩) .

(٣) يراجع تفسير الرازى (ص ١٠٧ - ١١٠) .

(٤) انظر تفسير القرطبى (٢٠ : ٧٠) .

(٥) تفسير الطبرى (١٠ : ١٦٠) .

(والمؤلفة قلوبهم) هم قوم من أشراف العرب أعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتألف قلوبهم على الأسلام . أخرج الطبرى بسنده عن الزهرى قال : قال صفوان بن امية لقد أعطانى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه لابغض الناس إلى فما برح يعطينى حتى إنه لأحب الناس الى (١) .

(وفى الرقاب) أى وفى فك الرقاب لتخليصهم من الرق .

(والغارمين) أى الذين استدانوا فى غير معصية الله ، ثم لم يجدوا مايقضون به دينهم .

(و فى سبيل الله) اى المجاهدين والمرابطين وماتحتاج إليه الحرب من السلاح والعتاد .

(وابن السبيل) الذى انقطع فى سفره عن ماله .

(فريضة من الله) أى فرضها الله جل وعلا وحددها فيحرم إخراجها عن هذه الاصناف التى فرضها الله تعالى لعباده وهو العليم بهم والمطلع على أحوالهم ولم يترك تقسيمها لأحد بل تولى قسمتها بنفسه (والله عليم حكيم) فلايفعل إلا ماتقتضيه الحكمة من الأمور الحسنة التى من جملتها إعطاء الحقوق لمستحقيها (٢) .

---

(١) تفسير الطبرى (١٠ : ١٦٢) .

(٢) انظر تفسير الالوسى (١٠ : ١٢٠ - ١٢٥) .

حكمة مشروعيتها

لم يشرع الله لنا فريضة من فرائض هذا الدين الحنيف إلا ولها حكمة تعود على الفرد والمجتمع . ولفريضة الزكاة حكم وأهداف من وراء مشروعيتها . وتلك الحكم تعود على المعطى وعلى الآخذ في آن واحد .

أما بالنسبة للمعطى والمتصدق . فلقد عبر القرآن الكريم عن المقصود والهدف من زكاته فأجمل ذلك في كلمتين ، ينطوى تحتهما الكثير من أهداف الزكاة وهاتان الكلمتان هما (التطهير ، والتزكية) قال تعالى (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها)[1] . ومن تلك الأهداف العائدة الى المعطى مايلى :

(١) كسر سورة النفس بحبها للمال .

إن المال محبوب بالطبع . وإن الاستغراق في حبه يذهل النفس عن حب الله وعن التأهب للآخرة فاقتضت حكمة الشرع تكليف مالك المال بأخراج طائفة منه من يده ، ليصير ذلك الأخراج كسرا من شدة الميل إلى المال ، وتنبيها للنفس على أن سعادة الأنسان لا تحصل عند الاشتغال بطلب المال . وإنما تحصل بانفاق المال في طلب مرضاة الله تعالى .

فأيجاب الزكاة علاج صالح متعين لازالة مرض حب الدنيا عن القلب فالله سبحانه أوجب الزكاة لهذه الحكمة وهي المراد من قوله (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) أى تطهرهم وتزكيهم عن الاستغراق في طلب الدنيا[2] .

---

(١) التوبة : ١٠٣

(٢) انظر تفسير الرازى (١٦ : ١٠٠-١٠١) .

(٢) القسوة والطغيان من أسبابها كثرة المال .

إن كثرة المال سبب لحصول الطغيان والقسوة فى القلب والى ذلك أشار الله تعالى (كلا إن الأنسان ليطغى . أن رآه استغنى)[1] فأيجاب الزكاة يقلل الطغيان ويرد القلب إلى طلب رضوان الرحمن[2] . وفى ذلك تدريب للنفس على خلق البذل والعطاء والأنفاق ومن ثم تصبح صفة الانفاق صفة أصيلة من صفاته وخلقا عريقا من اخلاقه .

(٣) الأنفاق فى سبيل الله من صفات الكمالات .

إن الأنسان إن أستطاع أن يخلع عنه ثياب الشح والبخل وارتدى ثياب البذل والأنفاق بذلك يكون قد ارتقى من حضيض الشح الأنسانى (وكان الانسان قتورا)[3] واقترب من أفق الكمالات (الربانية) فأن من صفات الحق تبارك وتعالى إفاضة الخير والرحمة والجود والأحسان دون نفع يعود عليه . فاكتساب هذه الصفات وممارستها بقدر الامكان تخلق باخلاق الله وذلك منتهى الكمالات الأنسانية .

قال الرازى : (إن إفاضة الخير والرحمة من صفات الحق سبحانه وتعالى ، والسعى فى تحصيل هذه الصفة بقدر القدرة تخلق بأخلاق الله وذلك منتهى مكملات الأنسانية)[4] .

(٤) توفر النعم فى يد الانسان توجب شكر المنعم سبحانه .

الزكاة توقظ فى نفس معطيها معنى الشكر لله تعالى والاعتراف بفضله عليه وإحسانه اليه .

قال الغزالى فى شكر النعمة (فأن لله عز وجل على عبده نعمة فى نفسه وفى ماله فالعبادات البدنية شكرا لنعمة البدن والمالية شكرا لنعمة المال وما أخس من ينظر إلى الفقير وقد ضيق عليه الرزق وأحوج إليه

---

(١) العلق : ٦ - ٧

(٢) انظر التفسير الكبير للرازى (١٦ : ١٠١) .

(٣) الاسراء : ١٠٠

(٤) التفسير الكبير للرازى (١٦ : ١٠١ - ١٠٢) .

ثم لا تسمح نفسه بان يؤدى شكر الله تعالى على اغنائه عن السؤال واحواج غيره اليه بربع العشر او العشر من ماله)[1] .

(٥) إخراج الزكاة وعدم كنز الاموال مدعاة الى نشاط الحركة التجارية .

إلى غير ذلك من الأهداف السامية من نشر روح الأخوة والمحبة بين طبقات المجتمع ، وتحصين المال من الأخطار والبلواء ولا سيما فى هذا العصر الذى ادلهمت فيه الخطوب وكثرت فيه الفتن . وقد قال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عنه (حصنوا أموالكم بالزكاة)[2] ويفهم منه ان المال الذى تؤدى زكاته يكون محصنا من السرقة والحريق والغرق وغير ذلك .

أما الأهداف والمصالح العائدة الى من يأخذ الزكاة فمنها :

(١) الزكاة تحرر آخذها من الوقوع فى المحرمات :

شاءت حكمة الله اختلاف الناس فى الأرزاق فتجد الغنى والمتوسط والمكتفى وتجد الفقير الذى لايجد مايكفيه . (والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق)[3] . وقال تعالى : (الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له)[4] . فعندما فرض الأسلام الزكاة وأوجبها على الأغنياء منهم حتى يأخذوا بيد الفقير ويعاونوه على مواجهة الحياة ومتطلباتها فاذا حرم الاغنياء الفقراء زكاة أموالهم كان ذلك سببا فى هلاك الفقير وحرمانه فيحمله ذلك الحرمان على السرقة والنهب وربما أودى به الى القتل وربما باع عرضه وشرفه لا جل لقمة عيش .

فالزكاة حصن حصين للفقير من الوقوع فى كثير من المهالك والشرور .

---

(١) الاحياء للغزالى (١ : ٢١٥) ط/دار احياء الكتب العربية البابى الحلبى وشركاه .

(٢) رواه ابو داود فى المراسيل ورواه الطبرانى والبيهقى وغيرهما من الصحابة مرفوعا متصلا . قال المنذرى : المرسل اشبه . ا.هـ فقه الزكاة للقرضاوى (٢ : ٨٦٧) .

(٣) النحل : ٧١

(٤) العنكبوت : ٦٢

(٢) الزكاة تطهير لآخذها من الحسد والبغضاء .

كذلك من المساوىء التى تقع لحرمان الفقير من الزكاة وقوعه فى آفات نفسية خطيرة كالحسد والمقت . فقد يحصنه ايمانه من الوقوع فى تلك المحرمات التى سبق الأشارة اليها من القتل والسلب والنهب ، لكن قد لايسلم من داء الحسد والكراهية . فأذا ماعضته أنياب الفقر والحرمان ورأى حوله جيرانه بل ربما اقاربه ينعمون بالخير ويعيشون فى الرغد ولاينظرون الى حاله ومايقاسيه من الفقر والحرمان فأن هذا الانسان لايسلم قلبه من البغضاء والحقد والمقت على مجتمعه ولايخفى ماللحسد والبغضاء من آفات فتاكة قاتلة . فالفرد الذى يغزو قلبه الحسد وتحتله الضغينة لن يكون إنسانا كامل الايمان . لأن القلب لايسع الأيمان بالله مع الحقد على عباد الله .

ثالثا : الصيـــــام

الصيام فى اللغة :

الأمساك عن الشىء والترك له .

قال أبو عبيدة : كل ممسك عن طعام أو كلام أو سير فهو صائم.(١)

قال تعالى مخبرا عن مريم عليها السلام (إنى نذرت للرحمن صوما)(٢) (فلن أكلم اليوم إنسيا) أى سكوتا عن الكلام .

والصيام فى الشرع :(٣)

الأمساك عن المفطرات مع اقتران النية به من طلوع الفجر الـــى غروب الشمس، وتمامه وكماله باجتناب المحظورات ، وعدم الوقوع فـــى المحرمات لقوله صلى الله عليه وسلم: (من لم يدع قول الزور والعمل بـــه فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه)(٤) .

وقيل للصائم صائم لامساكه عن المطعم والمشرب والمنكح .

وقال الراغب : الصوم فى الأصل الأمساك عن الفعل ولذلك قيـــل للفرس الممسك عن السير صائم .

وفى الشرع : إمساك المكلف بالنية عن تناول المطعم والمشـــرب والاستمناء والاستيقاء من الفجر إلى المغرب(٥) .

فرضيتـــه

كان وجوبه فى شعبان من السنة الثانية من الهجرة(٦).

وفيه نزل قول الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيـام الى قوله لعلهم يرشدون)(٧) .

---

(١) انظر لسان العرب (ص٣٥٠ - ٣٥١) ، الصحاح للجوهرى (٥ : ١٩٧٠) تحقيق العطار .

(٢) مريم : ٢٦

(٣) تفسير القرطبى (٢ : ٢٧٣) .

(٤) رواه البخارى فى كتاب الصوم باب من لم يدع قول الزور والعمل به فى الصوم ، صحيح البخارى وعلى هامشه فتح البارى (٥ : ١٨) .

(٥) المفردات للراغب (ص٢٩١) .

(٦) انظر البداية والنهاية (٣ : ٢٥٤) .

(٧) البقرة : ١٨٣ - ١٨٦

ماجاء فى وجوب صوم رمضان

قال تعالى (يا أيها الذين آمنواكتب عليكم الصيام) .

هذه الآية الكريمة مدنية من سورة البقرة المدنية باتفاق . حيث شرع الله سبحانه وتعالى عبادة الصيام على الندب . ثم إنه تعالى أوجبها بقوله (شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن . .) الاية .

وقد خاطب سبحانه وتعالى عباده منادياله بلفظ الايمان ليحرك فيهم مشاعر الطاعة فتستجيب نفوسهم وأفئدتهم لما كتبه الله عليهم حيث فرض عليهم الصيام .

وقوله تعالى (كما كتب على الذين من قبلكم) أى فرض عليكم كما فرض على الأمم ممن قبلكم ممن كانوا اصحاب كتب ورسالة .

(ومذهب الجمهور أن الذى كتب على الأمم قبلنا مطلق الصوم لا رمضان نفسه)[1] .

وحكمة التشبيه تأكيد الحكم والتسلية لعباده .

وأما التشبيه فإنما وقع على الفرضية وذلك أن من كان قبلنا إنما كان فرض عليهم الصيام مثل الذى فرض علينا سواء .

(لعلكم تتقون) أى لتكونوامن المتقين لله المجتنبين لمحارمه .

قوله (ايامامعدودات) أى أيام شهر رمضان[2] . وهى أيام معدودات قلائل فلم يفرض علينا الدهر كله رحمة بنا . ثم بين الأسباب التى تبيح للمكلف الفطر لها . قال تعالى (فمن كان منكم مريضا) أى مرضا يعسر عليه الصوم معه (اوعلى سفر) اى سفرا يشق عليه الصوم فيه فافطر فى كلتا الحالتين (فعدة) اى فعليه عدةما افطر) (من أيام أخر) يصومهابدله .

(وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) أى وعلى الذين يستطيعون صيامه إذا أفطروا عليهم فدية طعام مسكين لكل يوم[3] . وكان ذلك فى بدء

---

(١) الفكر السامى تأليف محمد بن الحسن الحجوى الثعالبى الفاسى (١٢٩١-١٣٧٦هـ) (١ : ١١٥) الناشر المكتبة العلمية بالمدينة المنورة للتمكانى .

(٢) انظر الطبرى (٢ : ١٣٢) .

(٣) صفوة التفاسير (٢ : ١٢١) للشيخ الصابونى

الأسلام فلقد خيروا بين الصوم وبين الأفطار والفدية ثم نسخ بتعيين الصوم .

أخرج البخارى بسنده عن يزيد مولى سلمة بن الأكوع عن سلمة قال لمانزلت - وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين - كان من اراد ان يفطر ويفتدى حتى نزلت الآية التى بعدها فنسختها[1] .

وقد روى البخارى ايضا فى كتاب التفسير باب قوله تعالى (أياما معدودات . .الخ) عن عطاء سمع ابن عباس رضى الله عنه يقول (وعلى الذين يطوقونه فدية طعام مسكين) . قال ابن عباس : (ليست بمنسوخة هو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لايستطيعان أن يصوما فليطعما مكان كل يوم مسكينا) .

قال ابن حجر : (هذا مذهب ابن عباس وخالفه الأكثر وكان هذا فى أول الأمرعند الأكثر ثم نسخ وصارت الفدية للعاجز إذا أفطر)[2] . وقد ذكر ذلك فى كتاب الصيام من حديث ابن أبى ليلى قال حدثنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لمانزل رمضان شق عليهم فكان من أطعم كل يوم مسكينا ترك الصوم ممن يطيقه ورخص لهم فى ذلك فنسختها وأن تصوموا خير لكم .

ثم يقول ابن حجر (وأما على قراءة ابن عباس فلا نسخ لأنه يجعل الفدية على من تكلف الصوم وهو لايقدر عليه فيفطر ويكفر وهذا الحكم باق)[3] .

وقوله (فمن تطوع خيرا فهو خير له) بان زاد على المد او فى عدد المساكين فهو خير له (وأن تصوموا خير لكم) من الأفطار والفدية (إن كنتم تعلمون) مافى الصوم من الفضيلة .

---

(١) صحيح البخارى وعلى هامشه فتح البارى كتاب التفسير باب قوله (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) (٩ : ٢٤٧) .

(٢) فتح البارى (٩ : ٢٤٦ ، ٢٤٧) .

(٣) فتح البارى (٩ : ٢٤٧) .

ونستطيع أن نلخص المعانى السامية التى وردت فى الآية فى نقاط :

(١) ان الآية الكريمة دلت على عظيم فضل الله وسعة رحمته بعباده فقد بين الله سبحانه فى أول الآية ان شريعة الصيام لم تكن بدعا من الشرع بل كانت لنا فيها اسوة فقدكانت مكتوبة على من قبلنا من الامم .

(٢) ثم بينت الآية وجه الحكمة فى ايجاب الصوم وهو أنه سبب قوى فى حصول التقوى .

(٣) أنه سبحا نه وتعالى لم يكلفنا بمايشق بل كلفنا أياما معدودات وهى وإن قلت فجزاؤها جزيل . وفضل الله واسع والله ذو الفضل العظيم.

ثم بين جل شأنه أنه خص هذه الأيام بالشهر الذى أنزل فيه القرآن لمزيد الشرف فقال تعالى (شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن)[1] ومعنى أنزل القرآن فيه وقدانزل القرآن فى غيره أيضا أنه ابتدأ إنزاله فى رمضان والحوادث الجسام تؤرخ وتنسب الى أول اوقاتها .

وفى الآية إشارة الى العلة من تخصيص هذا الشهر بهذه العبادة ذلك أن الله سبحانه انزل القرآن الكريم وهو من أعظم آيات الربوبية فلايبعد أيضا تخصيصه بنوع عظيم من آيات العبودية وهو الصوم وبذلك ثبت ان بين الصوم وبين نزول القرآن مناسبة عظيمة فلماكان هذا الشهر مختصا بنزول القرآن ، وجب أن يكون مختصا بالصوم.[2]

وقوله تعالى (هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) حالان من القرآن أى أنزله حال كونه هداية بما فيه من الاعجاز وغيره ، وآيات واضحة مرشدة إلى الحق فارقه بينه وبين الباطل بما فيه من الحكم والأحكام . وهذا ثناء ومدح للقرآن الذى أنزله الله هدى لقلوب عباده ممن آمن به وصدق بما جاء فيه .

---

(١) البقرة : ١٨٥

(٢) انظر تفسير الرازى (٥ : ٨٤) .

وقوله تعالى (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) اى من شهد الشهر بمعنى حضر ولم يكن مسافرا (فليصمه).

قال جمهور الأمة: (من شهد أول الشهر وآخره فليصم مادام مقيما، فإن سافر أفطر. وهذا هو الصحيح وتدل عليه الاخبار الثابتة)[1] والآية عامة ويخصصه قوله تعالى (ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من ايام اخر). أى من كان به مرض فى بدنه يشق عليه الصيام معه او يؤذيه (او كان على سفر) أى فى حالة السفر فله أن يفطر فأذا أفطر فعليه عدة ما أفطره فى السفر من الايام.

ولهذا قال تعالى: (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) أى إنما رخص لكم فى الفطر فى حالة المرض والسفر مع تحتمه فى حق المقيم الصحيح تيسيرا عليكم ورحمة بكم.

(ولتكملوا العدة) اى لتكملوا عدة شهركم.

(ولتكبروا الله على ماهداكم) أى ولتذكروا الله عند انقضاء عبادتكم.

(ولعلكم تشكرون) أى اذا قمتم بما أمركم الله من طاعته باداء فرائضه وترك محارمه وحفظ حدوده فلعلكم تكونون من الشاكرين بذلك[2].

---

(١) تفسير القرطبى (٢: ٢٩٩).

(٢) انظر تفسير ابن كثير (١: ٢١٧ - ٢١٨).

الحكمة من مشروعية الصيام

لاشك أن لجميع العبادات من وراء مشروعيتها حكمة تعبدية وهي الاصل ، لكن العلماء استشفوا بما وردت بين أيديهم من النصوص حكما لتلك العبادات سطروها فى كتبهم ومن تلك الحكم :

(١) الصيام يحرر الانسان من عبودية العادات ، فأن الصيام يقلب العادات رأسا على عقب ويعلم الانسان نوعا من المرونة حتى لايتصرف تصرف الآلة .

(٢) الصيام له تأثير بالغ فى تخفيف الأمراض التى تنتاب الأعضاء الظاهرة والباطنة . ولقدا ستفاد الطب من ناحية الصوم مالم يستفده من ناحية العلاج بالعقاقير .

(٣) الصيام ينبه الأغنياء المُمسِكين فيجعلهم يحسون بالم الجوع فيحسنون إلى الفقراء وبذلك يتم العطف والمودة ، وينشأ عنها تماسك المجتمع وسعادته .

(٤) الصيام ينمى لدى الفرد الإرادة ويقوى العزيمة ويكسب الأخلاص والصبر .

(٥) واخيرا فأن الصيام يهذب النفوس ويصفى الروح .[1]

والدارس للآيات الكريمة الواردة فى مشروعية الصوم يستوحى منها الحكمة المنشودة من الصيام .

قال تعالى (يا أيها الذين آمنواكتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون)[2] فقوله تعالى (لعلكم تتقون) . . قال البقاعى أى تجعلون بينكم وبين اسخاط الله وقاية بالمسارعة اليه رجاء لرضى ربكم وخوفا ممن سبق من قبلكم لتكون التقوى لكم صفة راسخة فتكونوا ممن جعلت الكتاب هدى لهم فأن الصوم يكسر الشهوة فيقمع الهوى فيروع عن

---

(١) انظر العبادة احكام واسرار (ص٣٧٥-٣٧٦) للدكتور عبد الحليم محمود رحمه الله ط/دار الكتاب اللبنانى .

(٢) البقرة : ١٨٣

موافقة السوء)[١] .

فالحكمة من مشروعية الصيام هو رجاء حصول التقوى فأن الصوم يضعف الشهوة ويردعها كما قال عليه الصلاة والسلام (ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه وجاء له)[٢] .

وكذلك فى قوله تعالى (وأن تصوموا خير لكم) فى الآية اشارة الى ان الصائم ينال كل الخير من الصيام . والخير نكرة فى الآية فيشمل كل أنواع الخير فينال الخير في رزقه وجسمه وصحته كما جاء فى الحديث (صوموا تصحوا)[٣] . وكذلك الحديث القدسى (كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فأنه لى)[٤] .

وقوله (وإذا سألك عبادى عنى فأنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون)[٥] .

لابد قبل الخوض فى تفسير هذه الاية الكريمة من الاشارة إلى مناسبتها بين آيات الصيام . ذلك أن شهر رمضان موسم من أعظم المواسم للتعرض لنفحات الحق سبحانه وتعالى وهو شهر اوله رحمه وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار .

أخرج الامام احمد[٦] فى مسنده والترمذى[٧] فى سننه عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثلاثة لاترد دعوتهم الأمام العادل والصائم حتى يفطر ودعوة المظلوم . . . الخ الحديث) . إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة فى فضل هذا الشهر وأنه شهر الدعاء

---

(١) تفسير البقاعى (٣ : ٤٤) .
(٢) صحيح البخارى وعلى هامشه فتح البارى كتاب النكاح باب من لم يستطع الباءة فليصم (١١ : ١٢ - ١٣) .
(٣) ذكره السخاوى فى المقاصد الحسنة صـ٣٦٤ . وعزاه إلى أبو نعيم فى (الطب).
(٤) صحيح البخارى وعلى هامشه فتح البارى (١٢ : ٤٩١) كتاب اللباس.
(٥) البقرة : ١٨٦
(٦) مسند الامام أحمد (٢ : ٣٠٥)
(٧) سنن الترمذى (٤ : ٦٧٢)

والمغفرة فناسب ذكر هذه الاية اشارة الى أن شهر رمضان موطن هذا الدعاء وأنه عز وجل رقيب على عباده وقريب منهم يسمع دعاءهم فيستجيب لعباده الطائعين الصائمين الذين استجابوا لاوامره وانتهوا عما عنهاهم عنه والله أعلم.

أما سبب نزول الاية فقداً خرج ابن أبى حاتم وابن جرير الطبرى[1] أن أعرابيا قال يارسول الله أقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه .فأنزل الله (وإذا سألك عبادى عنى فانى قريب)[2].

وقوله تعالى (فانى قريب) اى فقل لهم إنى قريب . وهو تمثيل لكمال علمه بأفعال العباد واقوالهم واطلاعه على احوالهم بحال من قرب[3].

(أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم)[4] . وسبب نزول هذه الآية الكريمة ماأخرجه البخارى بسنده عن البراء رضى الله عنه قال : كان اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم اذا كان الرجل صائما فحضر الافطارفنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته ولايومه حتى يمسى وأن قيس بن حرمه الانصارى كان صائما فلما حضر الافطار أتى امرأته فقال لها : أعندكطعام فقالت :لا ، ولكن انطلق فاطلب لك .وكان يومه يعمل فغلبته عيناه فجاءته امرأته فلما رأته قالت : خيبة لك . فلما انتصف النهار غشى عليه فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم . فنزلت هذه الآية ـ احل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم ـ ففرحوا بها شديدا ـ ونزلت ـ وكلواواشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الاسود من الفجر[5].

(والرفث) كناية عن الجماع . وايثاره هنا على ماكنى به عنه فى جميع القرآن من التغشية والمباشرة واللمس والدخول ونحوها استقباح .

---

(١) تفسير الطبرى (٢ : ١٥٨) .
(٢) ابن كثير (١ : ٢١٨) .
(٣) انظر تفسير ابى السعود (١ : ٢٠٠) .
(٤) البقرة: ١٨٧
(٥) صحيح البخارى وعلى هامشه فتح البارى (٥ : ٣١) كتاب الصوم.

لما وجد منهم قبل الأباحة .ولذا سماه اختيانا فيمابعد (هن لبـــاس لكم وأنتم لباس لهن) اى هن سكن لكم وأنتم سكن لهن .

(علم الله انكم كنتم تختانون أنفسكم) الاختيان ابلغ من الخيانـــة ومعنى تختانون تظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها من الثواب[1].

وقوله تعالى (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيـط الاسود) أخرج البخارى بسنده عن عدى بن حاتم رضى الله عنه قـــال لمانزلت . . حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود ـ عمدت إلى عقال[2] اسود وإلى عقال أبيض فجعلتهما تحت وسادتى ، فجعلت أنظـــر فى الليل فلايستبين لى فغدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلـــم فذكرت له ذلك فقال : إنماذلك سواد الليل وبياض النهار[3].

وقوله (وابتغوا ماكتب الله لكم) أى واطلبوا ماقدره الله لكم فـــى اللوح من الولد .

وقوله (ولا تباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد) .

الاعتكاف : لغة الملازمة .

وفى الشرع: ملازمة طاعة مخصوصة فى وقت مخصوص على شرط مخصوص فى موضع مخصوص .

وعن قتادة (كان الرجل يعتكف فيخرج إلى امرأته فيباشرها ثم يرجع فنهوا عن ذلك وفيه دليل على أن الاعتكاف يكون فى المسجد غـــير مختص ببعض دون بعض وأن الوطء فيه حرام مفسد له . لأن النهى فـــى العبادات يوجب الفساد)[4].

(تلك حدود الله فلاتقربوها) أى هذه الاحكام حدود اللـــه فلاتخالفوها .

(كذلك يبين الله آياته للناس) أى كما بين هذه الحدود يبـــين جميع الاحكام لتتقوا مجاوزتها .

---

(١) تفسير ابى السعود (١ : ٢٠١) .
(٢) العقال المراد به الخيط .
(٣) صحيح البخارى وعلى هامشه فتح البارى (٥ : ٣٤) كتاب الصوم.
(٤) انظر ابى السعود (١ : ٢٠٢) .

(لعلهم يتقون) أى لعلهم يتقون مخالفة أوامره ونواهيه ولعل سائلا يسأل ماهى الحكمة من ذكر الاعتكاف بعد ذكر بعض أحكام الصيام ؟

والجواب كما قال البقاعى :

(لماكان الصوم شديد الملابسة للمساجد والاعتكاف وكانت المساجد مظنة للاعتكاف .وكان سبحانه قد أطلق فى صدر الآية الأذن فى الوطء فى جميع الأماكن والأحوال غير حال الصوم خص من سائر الأحوال الاعتكاف ومن الأماكن المساجد . فعقب ذلك بان قال " ولاتباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد")[1] [2] .

---

(١) البقاعى (٣ : ٨٩) . (نظم الدرر)

(٢) من اراد معرفة بعض احكام الاعتكاف فعليه مراجعة كتب الفقه .

رابعاً : الحـــــج

الحج لغة : القصد . ورجل محجوج أى مقصود .

قال ابن السكيت : يكثرون الاختلاف إليه ، هذا الاصل . ثم تعورف استعماله فى القصد إلى مكة للنسك ، والحج إلى البيت خاصة[١] .

الحج شرعا : القصد الى البيت الحرام على وجه التعظيم بأفعال مخصوصة كالطواف والسعى والوقوف بعرفة محرما بنية الحج[٢] .

مشروعيته : اختلف العلماء فى السنة التى شرع فيها . فالجمهور على أنها سنة ست لأنها نزل فيها قوله تعالى (وأتموا الحج والعمرة لله) وهذا ينبنى على أن المراد بالأتمام ابتداء الفرض ويؤيد قراءة علقمة ومسروق وإبراهيم النخعى بلفظ ـ وأقيموا ـ أخرجه الطبرى باسانيد صحيحة عنهم .

وقيل المراد بالأتمام الأكمال بعد الشروع وهذا يقتضى تقدم فرضه قبل ذلك[٣] .

(وقالت طائفة من أهل العلم انه تأخر نزول فرضه إلى السنة التاسعة حكاه النووى فى الروضة والماوردى فى الأحكام السلطانية وصححه القاضى عياض والقرطبى وصوبه ابن القيم فقال : إن الحج فرض سنة تسع وإن آية فرضه قوله تعالى" ولله على الناس حج البيت" وهى نزلت عام الوفود أو آخر سنة تسع وأنه عليه الصلاة والسلام لم يؤخر الحج بعد فرضه عاما واحدا وهذا هو اللائق بهديه وحاله صلى الله عليه وسلم)[٤] .

قال تعالى (إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين) يخبر سبحانه عن أول بيت وضع للناس لعبادتهم ونسكهم

---

(١) انظر لسان العرب (٢ : ٢٢٦) ، الصحاح للجوهرى (١ : ٣٠٣) .
(٢) انظر بلوغ الامانى للبنا (١ : ١١) ، ومغنى المحتاج للنووى (١ : ٤٥٩).
(٣) فتح البارى (٤ : ١٢١) .
(٤) انظر اسعاف اهل الاسلام بوظائف الحج الى بيت الله الحرام للعلامة الشيخ حسن مشاط (ص٧) الطبعة ٣ ، ١٣٩٧هـ .

يطوفون به ويصلون اليه ويعتكفون عنده (للذى ببكة) يعنى الكعبة التى بناها إبراهيم الخليل عليه السلام.

أخرج مسلم فى صحيحه عن أبى ذر رضى الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أول مسجد وضع فى الارض قال (المسجد الحرام) قلت ثم أى؟ قال: المسجد الأقصى قلت كم بينهما؟ قال أربعون عاما ثم الارض لك مسجد فحيثما أدركتك الصلاة فصل)[1].

وعن مجاهد قال تفاخر المسلمون واليهود فقالت اليهود بيت المقدس أفضل وأعظم من الكعبة لانه مهاجر الأنبياء وفى الأرض المقدسة.

وقال المسلمون: بل الكعبة أفضل، فأنزل الله هذه الآية[2].

(للذى ببكة): خبر (إن) واللام للتوكيد (وبكة) موضع البيت.

وبكة لغة فى مكة لأن العرب تعاقب بين الباء والميم وسميت بكة لأنها تبك اعناق الجبابرة لم يقصدها جبار إلا قصمه الله عز وجل[3].

قوله تعالى (مباركا) أى كثير الخير والنفع لما يحصل لمن حجه واعتمره ولما يحصل من مضاعفة العمل فيه.

(وهدى للعالمين) لأنه قبلتهم ومتعبدهم.

(فيه آيات بينات) يعنى مقام ابراهيم عليه السلام قالوا: أثر قدميه فى المقام آية بينة. وكذلك من آياته الصفا والمروة والركن والحطيم[4].

(ومن دخله كان آمنا) يعنى حرم مكة اذا دخله الخائف يأمن من كل سوء.

أخرج ابن ابى حاتم عن ابن عباس فى قوله تعالى (ومن دخله كان آمنا) قال من عاذ بالبيت أعاذه البيت ولكن لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى فأذا خرج أخذ بذنبه.

قوله تعالى (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا).

---

(١) صحيح مسلم بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقى (١: ٣٧٠)
(٢) تفسير القرطبى (٤: ١٣٧).
(٣) تفسير الالوسى (٢: ٦٠).
(٤) انظر تفسير القرطبى (٤: ١٣٩).

هذه آية وجوب الحج عند الجمهور . . (ولله) اللام فى قوله (ولله) لام الإيجاب والإلزام والاستحقاق

أخرج مسلم فى صحيحه[١] عن أبى هريرة رضى الله عنه قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيها الناس :(قد فرض الله عليكم الحج فحجوا) فقال رجل أكل عام يارسول الله . فسكت حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم) ثم قال (ذرونى ماتركتم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم واذا أمرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شىء فدعوه) . رواه الامام أحمد فى مسنده[٢] والنسائى فى سننه[٣] .

وقوله (من استطاع إليه سبيلا) . السبيل المراد به الزاد والراحلة . أخرج الدارقطنى[٤] عن ابن عباس قال : قيل يارسول الله الحج كل عام ؟ قال : لا بل حجة . قيل : فما السبيل ؟ قال : الزاد والراحلة .

وأخرج الحاكم[٥] فى المستدرك عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن قول الله عز وجل (من استطاع إليه سبيلا) فقيل ما السبيل ؟ قال : الزاد والراحلة . قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . قال الذهبى (على شرط البخارى ومسلم) .

وقوله تعالى (ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين) قال ابن عباس ومجاهد وغيرواحد أى ومن جحد فريضة الحج فقد كفر والله غنى عنه .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى (٩ : ١٠٠) .
(٢) سنن الامام احمد (ص٨ ٥٠) ط/دار صادر .
(٣) سنن النسائى وعليه شرح الحافظ السيوطى وحاشية السندى - كتاب مناسك الحج (٥ : ١١٠) باب وجوب الحج ط/دار احياء التراث العربى - بيروت .
(٤) سنن الدارقطنى (٢ : ٢١٦) وبذيله التعليق المغنى على الدارقطنى لابى الطيب الابادى ، ط/دار المحاسن للطباعة بالقاهرة ط/ونشر السيد عبد الله هاشم اليمانى المدنى .
(٥) المستدرك للحاكم (١ : ٤٤٢) كتاب المناسك .

وقد روى الاسماعيلى الحافظ من حديث الاوزاعى بسنده عن عبد الرحمن بن غنم أنه سمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : من أطاق الحج فلم يحج فسواء عليه مات يهوديا أو نصرانيا . قال ابن كثير وهذا إسناد صحيح إلى عمر رضى الله عنه .(١)

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (١ : ٣٨٦) .

الحكمة من مشروعية الحج

الحكمة والهدف الأساسى من مشروعية الحج كسائر العبادات (تعبدنا الله به) . والمتأمل فى هذه الفريضة ومانزل فيها من الذكر الحكيم وماورد فيها من الأحاديث والاثار يستشعر أن للحج أسرارا فيما اشتمل عليه من المناسك فى الأفعال والأقوال .

قال تعالى مخاطبا نبيه إبراهيم عليه السلام بعد أن أكمل بناء البيت الحرام (وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على مارزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها واطعموا البائس الفقير ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق)(١) .

والعبادات كلها وان اختلفت صورها ، تلتقى عند غاية واحدة ، هى تحقيق معنى العبودية لله ، بالأخلاص فى طاعته ، والتوجه إليه وحده والاستعانة به وحده والتخلص من سلطان الآثام التى يرتكبها الانسان فى حياته .

والحج كذلك عبادة من هذه العبادات يحقق معنى العبودية والأخلاص لله تعالى . لهذا جعل عنوان الشروع فيه ، والشعار الذى يصحبه فى جميع مراحله فيوجه القلب إلى الله ويصرفه عما سواه (لبيك اللهم لبيك لبيك لاشريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك) . يسجل به المؤمنون على أنفسهم أسمى معانى الاخبات والخضوع والاستجابة لنداء مولاهم .

قال تعالى (ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله . . .) .

قال الفخر الرازى (إنما نكر المنافع لانه أراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية ودنيوية لاتوجد فى غيرها من العبادات)(٢) .

---

(١) الحج : ٢٧ - ٢٩

(٢) تفسير الرازى (٢٣ : ٢٩) .

ولا يخفى ما الاجتماع المسلمين على صعيد واحد وفى زمن محـــــدد لا فرق بين أبيضهم وأسودهم وعربيهم وعجميهم إلا بالتقوى . يجمع بينهـــم الأخاء لدين الله وتسودهم روح المحبة والتعاون ويعمهم الفرح والسرور .

وكم من زعماء وعلماء ومفكرين وأطباء وتجار وغيرهم يتبادلون الخبرات والمعارف ويتناصحون فيما بينهم ويتعارفون ويتزاورون ويتراحمون وصـــدق الحق سبحانه وتعالى (ليشهدوا منافع لهم) .

المعـــامـــــلات

ولما أنهينا الكلام عن معاملة العبد مع خالقه نتطرق إلى معاملـــة العبد مع الخلق .

وقد نظمت الشريعة أبواب المعاملات بأمرين :

الأول : أمرت بالوفاء بالعقود ففي السنة العاشرة نزلت المائـــدة التي أولها (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود)[1] وهي العقود الصحيحـة شرعا الخالية من المفاسد الاجتماعية والدينية والأدبية .

الثاني : أوجبت الصدق على المتعاقدين وترك الغش والايمـــان الفاجرة قال تعالى (يا ايها الـذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطـــل إلا أن تكون تجارة عن تراض بينكم)[2] .

وقال تعالى (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلـــــى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالأثم وأنتم تعلمون)[3] [4] .

---

(١) المائدة : ١

(٢) النساء : ٢٩

(٣) البقرة : ١٨٨

(٤) شريعة الله الخالدة تأليف الدكتور السيد محمد علوى المالكـــــى (ص ١٠٣) .

البيـــــــع

البيع لغة : نقل ملك بثمن على وجه مخصوص . والشراء قبول ذلك على أن لفظ كل منهما يقع على الآخر .

البيع : ضد الشراء ، والبيع الشراء أيضاً وهو من الاضداد[1] .

شرعا : مقابلة مال بمال على وجه مخصوص[2] .

قال ابن حجر : (البيع: نقل ملك إلى الغير بثمن والشراء قبوله ويطلق كل منهما على الآخر . وأجمع المسلمون على جواز البيع والحكمة تقتضيه لأن حاجة الانسان تتعلق بما في يد صاحبه غالبا . وصاحبه قد لا يبذله له . ففي تشريع البيع وسيلة الى بلوغ الغرض من غير حرج)[3] .

قال تعالى : (الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس . ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره الى الله ومن عاد فاولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)[4] .

هذه الآية الكريمة أصل في جواز البيع وللعلماء فيها أقوال أربعة أصحها :

(١) (أنها عام مخصوص فان اللفظ لفظ عموم يتناول كل بيع فيقتضي إباحة الجميع . لكن قد منع الشارع بيوعا اخرى وحرمها فهو عام في الإباحة مخصوص بما لا يدل الدليل على منعه) .

(٢) وقيل عام أريد به الخصوص .

(٣) وقيل مجمل بينته السنة .

(٤) وقيل إن اللام في البيع للعهد وأنها نزلت بعد أن أباح الشرع بيوعا وحرم بيوعا فأريد بقوله ـ وأحل الله البيع ـ أي الذي أحله الشرع من قبل)[5] .

---

(١) لسان العرب (٨ : ٢٣) .

(٢) مغني المحتاج الى معرفة الفاظ المنهاج شرح الشيخ محمد الشربيني الخطيب (٢ : ٢) .

(٣) فتح الباري (٥ : ١٩١) كتاب البيوع .

(٤) البقرة : ٢٧٥

(٥) فتح الباري كتاب البيوع (٥ : ١٩١) .

الـــربـــــا

الربا فى اللغة : ربا الشيء يربو ربوا ورباء : زاد ونما[١].

ومنه قوله تعالى (اهتزت وربت) أى زادت ونمت.

وشرعا : عقد على عوض مخصوص غير معلوم التماثل فى معيار الشـــرع حالة العقد او مع تأخير فى البدلين أو أحدهما[٢].

والأصل فى تحريمه آيات منها قوله تعالى (وحرم الربا)[٣].

وأحاديث كحديث البخارى (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن ثمن الدم، وثمن الكلب، وكسب الأمة، ولعن الواشمة والمستوشمة، وآكل الربا وموكله)[٤] الحديث.

ولا شك أن الربا ظاهرة اجتماعية خطيرة فلا غرابة أن جاء الوعيـــــد والتهديد الشديد لمن تعامل بالربا، لما فيه من امتصاص دماء الناس وأكل حقوقهم بالباطل. لهذا أعلن الله الحرب على المرابين قال تعالى (فـــان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون)[٥].

ولقد عالج الأسلام هذه الظاهرة كغيرها من الأمراض المستأصلة فـــى النفوس فمن المعلوم أن التشريع الاسلامى سار بسنة التدرج فى تقرير الأحكام.

---

(١) لسان العرب (١٤ : ٣٠٤).
(٢) مغنى المحتاج الى معرفة معانى الفاظ المنهاج للشربينى (٢ : ٢١).
(٣) البقرة : ٢٧٥
(٤) صحيح البخارى وعلى هامشه فتح البارى كتاب البيوع (٥ : ٣٣١).
(٥) البقرة : ٢٧٩

منهج الاسلام فى تحريم الربا

ولقد مر تحريم الربا بأربعة أدوار كما حدث فى تحريم الخمر وذلك تمشيا مع قاعدة التدرج ومصداقا لحديث ام المؤمنين السيدة عائشة رضى اللهعنها فى حديثها مع العراقى (إنما نزل أول ما نزل منه سورة المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى اذا ثاب[1] الناس إلى الأسلام نزل الحلال والحرام. ولو نزل أول شىء لاتشربوا الخمر لقالوا لاندع الخمر ابدا. ولو نزل لاتزنوا. لقالوا لاندع الزنى أبدا... الحديث)[2].

هذا الحديث يدلنا على مدى عناية الاسلام بتربية الفرد والجماعة وانه لم يأمرهم بالحلال وينهاهم عن الحرام الا بعد ما تقبلته نفوسهم وأشربت حبه ثم إنه لم يلزمهم به دفعة واحدة، بل كان على سبيل التدرج.

الدور الأول:

قوله تعالى (وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون)[3].

هذه الآية الكريمة مكية نزلت فى مكة وفيها بيان أن اللهتعالى يمحق بركة الربا أما الزكاة ففيها المخلص لمن أراد أن يضاعف أمواله أضعافا كثيرة. وليس فى الآية نص على تحريم الربا. ولكنه لفت الانظار الى أن التعامل بالربا غير مربح عند الله، وأولى منه الزكاة التى يراد بها وجه الله تعالى.

الدور الثانى:

ثم نزلت آية النساء المدنية وفيها قوله تعالى (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل اللهكثيرا وأخذهم الربا وقد نهوا

---

(١) (ثاب) بالمثلثة ثم الموحدة اى رجع. انظر فتح البارى (١٠ : ٤١٥).

(٢) صحيح البخارى وعلى هامشه فتح البارى كتاب فضائل القرآن باب تأليف القرآن (١٠ : ٤١٥).

(٣) الروم : ٣٩

عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما[1]).

وهى درس قصه الله سبحانه وتعالى علينا من سيرة اليهود الذين حرم عليهم الربا فأكلوه واستحقوا عليه اللعنة والغضب . فالآية حكاية عن جرائم اليهود الذين خالفوا أوامر التوراة ونواهيها وحيث إن التحريم كان فى كتاب سماوى سابق . وليس فيه مايدل دلالة قطعية عليه فالتحريم فى هذا الدور كان غير صريح . وليس فيه مايدل دلالة قطعية عليه ، ففيه تلويح بان التحريم فى سبيله إلى الذكر فى القرآن الكريم . فالتحريم فى هذا الدور كان غير صريح .

الدور الثالث :

ثم نزلت آية آل عمران (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا اضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون[2]) .

هذه الآية مدنية وفيها تحريم للربا صريح ولكنه تحريم (جزئى) لا (كلى) لأنه تحريم لنوع من الربا الذى يسمى (الربا الفاحش) وهو الربا الذى بلغ فى الشناعة والقبح الذروة العليا وبلغ فى الاجرام النهاية العظمى حيث كان الدين فيه يتزايد حتى يصبح اضعافا مضاعفة . فقد كان الدائن إذا حل الأجل ولم يسدده المدين قال أربيك وتزيد فى الاجل . فان لم يسدد زيد فى الأجل مقابل الزيادة فى الفائدة[3] .

الدور الرابع :

وفى هذا الدور الأخير نزل التحريم الكلى القطعى فقد نزل قوله تعالى (الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا . . . .) الآيات . إلى قوله تعالى (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا مابقى من الربا إن كنتم مؤمنين . فإن لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون[4]) .

---

(١) النساء : ١٦٠ - ١٦١
(٢) آل عمران : ١٣٠
(٣) انظر تفسير آيات الاحكام للشيخ محمد على الصابونى (١ : ٣٩٠) .
(٤) البقرة : ٢٧٥ - ٢٧٩

قال الطبرى : (نزلت هذه الآية فى العباس بن عبد المطلب ورجل من بنى المغيرة كانا شريكين فى الجاهلية ، سلفا فى الربا إلى اناس من ثقيف من بنى عمرو ، وهم بنو عمرو بن عمير ، فجاء الاسلام ولهما اموال عظيمة فى الربا ، فأنزل الله (ذروا مابقى) من فضل كان فى الجاهلية (من الربا)[1] .

وختم سبحانه وتعالى آيات الربا بقوله (وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون)[2] اى إذا كان المستدين معسرا فعليكم إن تمهلوه إلى وقت اليسر لا كما كان أهل الجاهلية يقول أحدهم لمدينه : إما أن تقضى وإما ان تربى . فيندب إلى الوضع عنه ويعد على ذلك الخير والثواب الجزيل[3] .

---

(١) تفسير الطبرى (٣ : ١٠٦ ، ١٠٧) .
(٢) البقرة : ٢٨٠
(٣) انظر تفسير ابن كثير (١ : ٣٣١) .

الحكمة فى تحريم الربا

لقد حرم الاسلام الربا وأكد حرمته وتوعد المرابين بالحرب وفى ذلك التحريم مراعاة للبشرية فى اخلاقها واجتماعها واقتصادها . وأهم الاسباب لتحريم الربا مايلى :

أولا : (من ناحية اقتصادية) :

(أ) أن الربا يقتضى اخذ مال الأنسان من غير عوض، لأن بيع الدرهم نقدا أو نسيئة يحصل له زيادة درهم من غير عوض .ومال الأنسان معلق بحاجته . وله حرمة عظيمة . فأخذ ماله من غير عوض محرم .

(ب) إن الاعتماد على الربا يمنع الناس عن الاشتغال بالمكاسب لأن صاحب الدرهم إذا تمكن بواسطة عقد الربا من تحصيل الدرهم الزائد نقدا كان أم نسيئة ، خف عليه اكتساب وجه المعيشة ، فلايكاد يتحمل مشقة الكسب والتجارة والصناعات الشاقة وذلك يفضى إلى انقطاع منافع الخلق ، ومن المعلوم أن مصالح العالم لاتنتظم إلا بالتجارات والحرف والصناعات والعمارات .

ثانيا : (من ناحية أخلاقية) :

أنه يفضى إلى انقطاع المعروف بين الناس من القرض، لان الربا إذا حرم طابت النفوس بقرض الدرهم واسترجاع مثله ، ولو حل الربا لكانت حاجة المحتاج تحمله على اخذ الدرهم بدرهمين ،فيفضى ذلك إلى انقطاع المواساة والمعروف والأحسان .

ثالثا : (ومن ناحية إجتماعية) :

أن الغالب أن المقرض يكون غنيا ، والمستقرض يكون فقيرا ، فالقول بتجويز عقد الربا تمكين للغنى من أن يأخذ من الفقير الضعيف مالا لا حق له فيه وفى ذلك أكل مال بالباطل ويورث التباغض والكراهية والعداء بين طبقات المجتمع (١) .

---

(١) انظر تفسير الرازى (٧ : ٧٨) بتصرف واختصار .

المداينة والقرض الحسن

ولما ذكر تعالى الربا وبين مافيه من قباحة وشناعة وأكل أموال الناس بالباطل وأنه كسب يحرمه الأسلام ويمقته ، أردفه بذكر القرض الحسن بلا فائدة وتناول الأحكام الخاصة بالدين والتجارة والرهن وكيف السبيل اليها ؟ وماهى اسلم الطرق فى التعامل بها ؟ وأنها هى أشرف الطرق لتنمية المال وزيادته بما فيه صلاح الفرد والمجتمع .

وتعتبر آية الدين اطول آيات القرآن الكريم على الاطلاق مما يدل على عناية الاسلام بالنظم الاقتصادية واهتمامه بها لأنها على أثرها تنبنى حياة الأمم .

قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه ....)[1] .

وفى ذلك إرشاد من الله تعالى لعباده بكتابة المعاملات ليكون ذلك أحفظ وأوثق لمقدارها وميقاتها .

(وليكتب بينكم كاتب بالعدل) أى بالحق ولايكتب إلا مااتفقوا عليه من غير زيادة ولانقصان .

(ولايأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب) أى ولايمتنع أحد من الكتابة بالعدل كما علمه الله .

(وليملل الذى عليه الحق وليتق الله ربه ولايبخس منه شيئا) فلاينقص من الحق شيئا[2] .

(فأن كان الذى عليه الحق سفيها أو ضعيفا أولايستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل)أى لايستطيع الأملاء بنفسه لعلة أو خرس أو عجمه فليملل قيمه او وكيله بالعدل من غير نقص او زيادة .

(واستشهدوا شهيدين من رجالكم فأن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى)

---

(١) البقرة : ٢٨٢

(٢) انظر تفسير ابن كثير(١ : ٣٣٤-٣٣٥) .

(ولا يأب الشهداء اذا مادعوا) أى ولا يمتنع الشهداء عن أداء الشهادة أو تحملها إذا طلب منهم ذلك .

(ولا تسأموا ان تكتبوه صغيرا أو كبيرا الى أجله) هذا من تمام الارشاد وحث على عدم التهاون فى كتابه الحق سواء أقل أو كثر الى إجله (ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا) (إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم) أى إلا إذا كان البيع حاضرا يدا بيد والثمن مقبوضا (فليس عليكم جناح ألا تكتبوها) (وأشهدوا إذا تبايعتم) لأنه أبعد عن النزاع والاختلاف .

(ولا يضار كاتب ولا شهيد) فى هذا نهى للكاتب والشهيد عن إضرار من له الحق وذلك بأن يزيد الكاتب أو ينقص أو لا يشهد أو يشهد بحيث لا يحصل معه النفع (١) . وهذا قول اكثر المفسرين . ويحتمل أن يكون نهيا لصاحب الحق عن اضرار الكاتب والشهيد (وإن تفعلوا فانه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شىء عليم) .

---

(١) تفسير الرازى (٧ : ١١٨) .

الرهـــــن

الرهن: ما وضع عند الانسان مما ينوب مناب ما أخذ منه (١)

قال تعالى: (وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة) (٢)

أى إن كنتم مسافرين وتداينتم إلى أجل مسمى ولم تجدوا من يكتب لكم، فليكن بدل الكتابة رهان مقبوضة يقبضها صاحب الحق وثيقة لدينه.

(فأن أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى أؤتمن أمانته وليتق الله ربـــه ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فأنه آثم قلبه والله بما تعملون عليم).

أى إذا دعيتم إلى أداء الشهادة فلا تكتموها فأن كتمانها إثم كبير. (٣)

---

(١) لسان العرب (١٣: ١٨٨)

(٢) البقرة: ٢٨٣

(٣) انظر تفسير صفوة التفاسير للشيخ محمد على الصابونى (ص١٧٧-١٧٩).

النكـــــاح

النكاح فى اللغة: الضم والتداخل . قال الفراء النكح بضم ثم سكون اسم للفرج . و يجوز كسر أوله وكثر استعماله فى الوطء وسمى به العقد لكونه سببه (١) .

وفى لسان العرب : نكح فلان امرأة ينكحها نكاحا إذا تزوجهـــا ونكحها ينكحها باضعها أيضا (٢) .

فى الشرع : عقد يتضمن إباحة وطء بلفظ إنكاح أو تزويج أوترجمته (٣) .

قال ابن حجر: إنه حقيقة فى العقد ـ مجاز فى الوطء على الصحيح .

والحجة فى ذلك كثرة وروده فى الكتاب والسنة للعقد حتى قيل إنـه لم يرد فى القرآن الا للعقد .

قال تعالى : (وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكـم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم) (٤) .

الأيامى : مقلوب أيايم جمع أيم ، لان فيعل لا يجمع على فعالـــى بل على فعائل فقدمت الميم على الياء وفتحت للتخفيف ، فانقلبت الياء ألفـا لتحركها وإنفتاح ماقبلها . والأيم : كل ذكر لا أنثى معه وكل أنثى لا ذكـر معها بكرا أو ثيبا .

والمعنى : زوجوا من لا زوج له (منكم) أى الذين من جنسكم فـى الحرية من الأحرار والحرائر . وذهب الفخر الرازى وبعض المفسرين الـى أن الاية ليست وعدا من الله بأغناء المتزوج ـ بل المقصود الحث علـى النكاح والنهى عن التعلل بالفقر . والمراد : ليس النكاح مانعا من الغنى

---

(١) فتح البارى وعلى هامشه صحيح البخارى (١١ : ٣) كتاب النكاح .
(٢) لسان العرب (٢ : ٦٢٥) .
(٣) مغنى المحتاج الى معرفة الفاظ المنهاج (٣ : ١٢٣) كتاب النكاح .
(٤) النور : ٣٢

ولاسببا فى الفقر والمال غاد ورائح فلا تنظروا الى فقر من يخطب اليكم أو فقر من تريدون تزوجها[1] .

وهذا الحكم وان كان مشروعا فى مكة الا أننى ذكرته هنا لما له من صلة ايضا بالتشريع فى المدينة ثم لما له من صلة وثيقة بالطلاق الذى هو من التشريعات المدنية .

---

(١) انظر كتاب تأملات فى تفسير سورة النور للدكتور محمد احمد يوسف القاسم (ص١١٤ - ١١٥) .

الخطبـــــة

الخطبة : تعبير واضح عن الرغبة فى الزواج . الخطبة (بكسر الخاء) فحين يطمئن الرجل الى حسن اختياره ، ويرضى بمافى المرأة التى وقع اختياره عليها من الصفات التى تكفل لهما السعادة ، فيتقدم للخطبة .

وقد جعل الأسلام الخطبة وسيلة للتعرف على الصفات المرغوبة التى يبهم الرجل الاطمئنان اليها فيمن يريد ها زوجا له . حتى يقدم على الزواج وهو مرتاح الى سمات زوجته الحسية والمعنوية فلايفاجأ بعد بما ينغص حياته ويكدر عيشته .

أخرج الترمذى بسنده عن المغيرة بن شعبة أنه خطب امرأة فقال النبى صلى الله عليه وسلم (أنظر اليها فأنه أحرى أن يؤدم بينكما) قال ابو عيسى هذا حديث حسن ومعنى قوله (أحرى أن يؤدم بينكما) قال أحرى أن تدوم المودة بينكما[1] .

وقد كره الأسلام الأقدام على الزواج دون نظر وتثبت خشية تقطع العلاقات عند تبين الحقيقة . أخرج مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال إنى تزوجت امرأة من الانصار فقال له النبى صلى الله عليه وسلم هل نظرت إليها فأن فى عيون الأنصار شيئا)[2] .

وقال تعالى (ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء)[3] .

هذه الآية الكريمة تشير الى خطبة المعتدة التى توفى عنها زوجها والتعريض ضد التصريح . وهو إفهام المعنى بالشىء المحتمل له ولغيره .

قال ابن عطية : أجمعت الامة على ان الكلام مع المعتدة بما هو نص فى تزوجها وتنبيه عليه لايجوز . وكذلك أجمعت الامة على ان الكلام

---

(١) سنن الترمذى (٣ : ٣٩٧) .
(٢) صحيح مسلم بشرح النووى (٩ : ٢١٠) .
(٣) البقرة : ٢٣٥

معها بما هو رفث وذكر وجماع أو تحريض عليه لا يجوز . وكذلك ما أشبهه وجوز ماعدا ذلك)[1] .

والحكمة فى عدم التصريح بخطبة المعتدة : (هى أن المرأة فى عدتها ماتزال معلقة بذكرى لم تمت . وبمشاعر أسرة الميت . ومرتبطة كذلك بما قد يكون فى رحمها من حمل لم يتبين ، أو حمل تبين والعدة معلقة بوضعه . . . كل هذه الاعتبارات تمنع الحديث عن حياة زوجية جديدة . لان هذا الحديث لم يحن موعده . ولانه يجرح مشاعر ويخدش ذكريات . ومع رعاية هذه الاعتبارات فقد أبيح التعريض - لا التصريح - بخطبة النساء أبيحت الأشارة البعيدة التى تلمح المرأة ان هذا الرجل يريدها زوجة بعد انقضاء عدتها)[2] .

---

(١) تفسير القرطبى (٣ : ١٨٨) .
(٢) انظر ظلال القرآن لسيد قطب (١ : ٣٧٤) .

الخلـــــع

لغة : بضم الخاء . وهو النزع. لأن كلا من الزوجين لباس الآخر. قال تعالى : (هن لباس لكم وانتم لباس لهن) فكأنه بمفارقة الآخر نـــزع لباسه .

فى الشرع: (فرقة بين الزوجين بعوض مقصود راجع لجهة الزوج بلفظ طلاق أو خلع)[1] .

قال ابن قدامة[2] : (وجملة الأمر أن المرأة إذا كرهت زوجها لخلقه أو خلقه أو دينه أو كبره أو ضعفه أو نحو ذلك وخشيت أن لا تؤدى حق الله فى طاعته جاز لها أن تخالعه بعوض تفتدى به نفسها منه . لقوله تعالى "فان خفتم أن لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به"[3] .

أخرج البخارى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما أن امرأة ثابت ابن قيس بن شماس أتت النبى صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله ما أعيب عليه فى خلق ولا دين ولكن اكره الكفر فى الاسلام . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أتردين عليه حديقته ؟) (وكان قد أمهرها حديقة) قالت : نعم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أقبل الحديقة وطلقها تطليقة)[4] .

---

(١) مغنى المحتاج الى معرفة الفاظ المنهاج للشيخ محمد الشربينى الخطيب (٣ : ٢٦٢) كتاب الخلع .

(٢) المغنى لابن قدامة (٧ : ٣٢٣) .

(٣) البقرة : ٢٢٩

(٤) صحيح البخارى وعلى هامشه فتح البارى (١١ : ٢١٦ - ٣١٩) .

الطـــــــلاق

الطلاق لغة : حل الوثاق . ومنه ناقة طالق : أى مرسلة بلا قيد .

شرعا : حل عقد النكاح بلفظ الطلاق ونحوه .

الأسلام حين شرع الطلاق كان قبل ذلك قد شرع طرقا حكيمة كفيلة برأب الصدع والنزاع الذى حصل بين الزوجين فأذا لم تنفع جميع تلك الوسائل فلابد ان نستعمل آخر الأدوية وكما يقال فى الامثال (آخر الدواء الكى) حتى لايؤدى ذلك المرض الخطير الى حدوث عواقب اليمة ، فقد يؤدى استفحال الشقاق والنزاع الى حدوث قتل وفتك بأحد الزوجين ومن هنا تنشأ العداوة حتى ربما وصلت إلى اراقة دماء أبرياء يذهبون ضحية هذا النزاع . فما هى الخطوات التى سلكها الأسلام لعلاج نشوز المرأة؟

قال تعالى : (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم . فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن فأن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما إن الله كان عليما خبيرا)[1] .

أرشدت الآية الكريمة الى الطرق الحكيمة فى معالجة نشوز المرأة ودعت الى سلوك هذه الخطوات التالية :

اولا : النصح والارشاد بالحكمة والموعظة الحسنة لقوله تعالى (فعظوهن) .

ثانيا : الهجران بعزل فراشه عن فراشها وترك معاشرتها لقوله تعالى (واهجروهن فى المضاجع) .

---

(١) النساء : ٣٤ - ٣٥

ثالثا : الضرب غير المبرح بسواك ونحوه تأديبا لها لقوله تعالى (واضربوهن) .

رابعا : إذا لم تجد كل هذه الوسائل فينبغى التحكيم لقوله تعالى (فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها) فأن لم يفلح الحكمان من استرجاع الود ومحو الشقاق ورأيا من العوائق مايحول دون استمرار الحياة الزوجية على وجه صالح . فأن لهما أن يطلبا من الزوج تطليق زوجته إذا كانت متضررة من بقائها معه على هذا الوجه . فأن أبى رفع الامر الى القاضى ليطلقها منه للضرر .

لذلك أباح الاسلام الطلاق وهو التفريق بين الزوجين عند تعذر اجتماعهما فى حياة مشتركة لما نشأ من الاذى والكيد ، ليكون لكل منهما سبيله وليرتفع الضرر ، وينتفى الحرج ، ولعل كلا منهما يوفق إلى من يعجبه ويرضيه .

قال تعالى (وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما)[1] .

ثم قال تعالى (يا أيها النبى إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم لاتخرجوهن من بيوتهن)[2] الآية

أخرج البخارى بسنده عن نافع عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما انه طلق امرأته وهى حائض على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل عمر بن الخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مره فليراجعها . ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر . ثم ان شاء امسك بعد ، وإن شاء طلق قبل أن يمس . فتلك العدة التى امر الله أن يطلق لها النساء)[3] .

قال السدى : نزلت فى عبد الله بن عمر ، وذلك أنه طلق امرأته

---

(١) النساء : ١٣٠

(٢) الطلاق : ١

(٣) فتح البارى وعلى هامشه صحيح البخارى كتاب الطلاق (١١ : ٢٦١ ٢٦٦) .

حائضا ، فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يراجعها ويمسكها حتى تطهر ثم تحيض حيضة أخرى فاذا طهرت طلقها إن شاء قبل أن يجامعها فإنها العدة التى أمر الله بها(١).

قلت: والحكمة فى نهى الشارع الحكيم عن طلاق المرأة وقت الحيض لئلا تطول عليها العدة فتتضرر ولان فترة الحيض منفرة للزوج فقد يتسرع فى طلاقها بخلاف ما إذا كانت طاهرا . ونهى كذلك عن طلاقها فى الطهر الذى جامعها فيه لاحتمال حصول حمل من ذلك الوطء فتتحول العدة من الحيض لوضع الحمل وفى ذلك ضرر بالغ كما لا يخفى .

ولقد عالجت سورة البقرة فى الآيات من قوله تعالى :

(للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فان فاءوا فان الله غفور رحيم وإن عزموا الطلاق فان الله سميع عليم)(٢) الى قوله تعالى (وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم الا ان يعفون أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح وأن تعفوا أقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم إن الله بما تعملون بصير)(٣).

ولقد عالجت تلك الآيات وغيرها مما ورد كسورة الطلاق والتحريم ـ الإيلاء وأحكام الطلاق وكيفيته وأنواعه وشروطه ومتى يقع وما ينبنى عليه من الأمور الخاصة بكل من الزوج والزوجة . وحثت الازواج على حسن المعاشرة (ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف)(٤).

كما ثبت فى الحديث الصحيح الذى رواه مسلم عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى خطبته فى حجة الوداع (فاتقوا الله فى النساء ، فانكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم احدا تكرهونه ، فان فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح ، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف)(٥).

---

(١) اسباب النزول للواحدى (ص٢٨٩) .
(٢) البقرة: ٢٢٦ - ٢٢٧
(٣) البقرة : ٢٣٧
(٤) البقرة : ٢٢٨
(٥) صحيح مسلم وعلى هامشه شرح النووى (كتاب الحج) باب حجة النبى صلى الله عليه وسلم (٨ : ١٨٣) .

حكمة التشريع

شرع الله الطلاق ، فى حين أنه أبغض الحلال إلى الله وذلك لضرورة قاهرة وفى ظروف استثنائية ملحة . تجعله دواءوعلاجا للتخلص من شقاء محتم قد لايقتصر على الزوجين بل يمتد الى الاسرة كلها فيقلب حياتها الى جحيم لايطاق نعم إن الطلاق هدم للاسرة وتصديع لبنيانها وضياع للاولاد وتمزيق لشملهم ومع هذا فقد أجازه الاسلام لدفع ضرر أكبر وتحصيل مصلحة أكثر . وهى تفريق بين متباغضين من الخيران يفترقا لأن الشقاق والنزاع قد استحكم بينهما واستحال التوفيق بينهما رغم كثرة محاولات الأصلاح للتوفيق بينهما .

لذا كان الطلاق ضرورة لامندوحة عنه . لأن الحياة الزوجية مبنية على الحب والوفاءوالهدوء والاستقرار . لاالتناحر والخصام والبغضاء[1] .

ومما تجدر الأشارة اليه (ان الشريعة الاسلامية انفردت بنظام " المراجعة" فى الطلاق دون الشرائع الأخرى ، حرصا على اعادة الرباط الزوجى بين الزوجين وحفاظا على الذرية من الضياعوالتشرد واستصلاحا لما فسد بين الزوجين من مودة وسكن ويعتبر الطلاق الرجعى فى الأسلام وهو المرة الأولى والثانية ـ فترة اختبار للزوجين ، وفرصة تأمل ومراجعة للاخطاءوالزلات والندم والتوبة ثم العودة إلى بيت الزوجية ، ومايظلله من مودة ورحمة وسكن وذرية .

وصدق الحق سبحانه وتعالى حيث يقول فى كتابه العزيز: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليهاوجعل بينكم مودة ورحمة)[2] .

---

(١) انظر باختصار وتصرف من كتاب (روائع البيان فى تفسير آيات الاحكام) للشيخ محمد على الصابونى (١ : ٣٤٣) .

(٢) الروم : ٢١

كما ينبغى أن نلاحظ أيضا أن الاسلام جاء ليصحح وضعا خاطئا ويحفظ للمرأة كرامة كانت مضيعة على عهد الجاهلية الأولى ، إذ كان العرب يطلقون دون حصر أو عدد فكان الرجل يطلق ماشاء ثم يراجع امرأته قبل أن تنقضى عدتها إضرارا لها حيث تظل معلقة بين طلاق ورجعة فى نهاية العدة . ثم طلاق فى بداية الرجعة وهكذا ، فنزل القرآن يضع لهذه الفوضى حدا ، ولهذا الظلم النازل بالنساء قيدا (الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان (١) . . . .) (٢) .

---

(١) البقرة : ٢٢٩

(٢) من كتاب محاضرات فى الثقافة الاسلامية (ص٢٨٨) للاستاذ احمد محمد جمال .

الظهـــــار

الظهار : بكسر المعجمة . هو قول الرجل لامرأته : أنت على كظهر أمي . .

وإنما خص الظهر دون سائر الاعضاء لأنه محل الركوب غالبا ولذلك سمى المركوب ظهرا فشبهت الزوجة بذلك لانها مركوب الرجل[1] . ا.هـ

والظهار هو نوع من أنواع طلاق الجاهلية وقد جاء الاسلام فبين حكمه وكفارته .

قال الشافعي : (سمعت من أرضى من أهل العلم بالقرآن يقول "كان اهل الجاهلية يطلقون بثلاث (الظهار - والايلاء - والطلاق) فاقر الله الطلاق طلاقا وحكم في الايلاء والظهار بما بين في القران)[2] . ا.هـ

هذا وقد نزلت سورة المجادلة وبينت أحكام الظهار .

قال تعالى (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها)[3] الآيات .

أخرج البخاري بسنده عن عائشة قالت : الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات فأنزل الله تعالى على النبي صلى الله عليه وسلم قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها[4] .

هكذا أخرجه البخاري وتمامه عند أحمد في مسنده بعد قولها (الأصوات) لقد جاءت المجادلة[5] الى النبي صلى الله عليه وسلم تكلمه وأنا في ناحية البيت ما اسمع ما تقول فانزل الله عز وجل (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها) الآية[6] .

---

(١) فتح الباري (١١ : ٣٥٣) .
(٢) فتح الباري (١١ : ٣٥٤) .
(٣) المجادلة : ١
(٤) صحيح البخاري وعلى هامشه فتح الباري كتاب التوحيد (١٧ : ١٤٣) .
(٥) تعني المرأة التي كانت تجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم في ظهار زوجها وهي خولة بنت ثعلبة .
(٦) الفتح الرباني في ترتيب مسند الامام احمد للساعاتي (احمد عبد الرحمن البنا) (١٨ : ٢٩٨) .

ويوضح سبب النزول ما اخرجه الامام احمد فى مسنده :

عن خولة بنت ثعلبة قالت والله فىّ وفى اوس بن صامت أنزل الله عز وجل من صدر سورة المجادلة قالت : كنت عنده وكان شيخاكبيرا قد ساء خلقه وضجر قالت فدخل على يوما فراجعته بشىء فغضب .فقال انت علىّ كظهر امى . قالت ثم خرج فجلس فى نادى قومه ساعة ثم دخل على فاذا هو يريدنى على نفسى . قالت فقلت كلا والذى نفس خويلة بيده لاتخلص الى وقد قلت ماقلت حتى يحكم الله ورسوله فينا بحكمه .قالت : فواثبنى وامتنعت عنه فغلبته بماتغلب به المرأة الشيخ الضعيف فالقيته عنى قالت: ثم خرجت الى بعض جاراتى فاستعرت منها ثيابا ثم خرجت حتى جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلست بين يديه فذكرت له مالقيت منه .فجعلت أشكو اليه صلى الله عليه وسلم ما القى من سوء خلقه ، قالت فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ياخويلة ابن عمك شيخ كبير فاتقى الله فيه قالت فوالله مابرحت حتى نزل فى القرآن فتغشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ماكان يتغشاه ثم سرى عنه -فقال لى ياخويلة قدأنزل الله فيك وفى صاحبك ثم قرأ على (قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله) إلى قوله (وللكافرين عذاب أليم) .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مريه فليعتق رقبة . قالت فقلت يارسول الله والله ماعنده مايعتق قال : فليصم شهرين متتابعين .قالت فقلت والله يارسول الله انه لشيخ كبير مابه من صيام . قال فليطعم ستين مسكينا وسقا من تمر، قالت قلت والله يارسول الله ماذاك عنده . قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلمفانا سنعينه بعرق من تمر فقالت وأنا يارسول الله ساعينه بعرق آخر . قال قد أصبت واحسنت فاذهبى وتصدقى عنه ثم استوصى بابن عمك خيرا . قالت ففعلت .[1] اهـ

فكان نزول الكفارة تخفيفا ورحمة .

---

(١) الفتح الربانى (١٨ : ٢٩٧ - ٢٩٨) .

الحجاب والاستئذان

شرع الحجاب فى العهد المدنى وكان فى بادىء الأمر لسيدات بيت النبوة رضى الله عنهن اجمعين وذلك فى قصة زواجه عليه الصلاة والسلام بالسيدة زينب .

أخرج البخارى بسنده عن انس بن مالك رضى الله عنه قال : لما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب ابنة جحش دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون واذا هو كأنه يتهيأ للقيام فلم يقوموا فلما رأى ذلك قام فلما قام من قام وقعد ثلاثة نفر فجاء النبى صلى الله عليه وسلم ليدخل فأذا القوم جلوس، ثم انهم قاموا .فانطلقت فجئت فاخبرت النبى صلى الله عليه وسلم أنهم قد انطلقوا فجاء حتى دخل . فذهبت ادخل فألقى الحجاب بينى وبينه ، فأنزل الله (يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى ....)[1] الاية .

وان كان السبب خاصا بامهات المؤمنين إلا أنه يسرى أيضا على جميع النساء المؤمنات لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

ثم قال تعالى (قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم ان الله خبير بما يصنعون . وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أوآبائهن)[2] الاية .

واستثنى من ذلك من لا ريبة فى كشفها فقال تعالى : (والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خير لهن والله سميع عليم)[3] .

وبهذا انسدل الحجاب على نسوة الأسلام فكان أعظم إكرام أهداه الأسلام للمرأة حيث أمرها بما يصونها ويحفظ شرفها وأنوثتها ويبعدها من مظان الفتنة .ويجعلها فى حصن حصين من العفة .

---

(١) صحيح البخارى وعلى هامشه فتح البارى تفسير سورة الاحزاب (١٠ : ١٤٧) والشاهد فى الاية قوله (واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن) .

(٢) النور : ٣١

(٣) النور : ٦٠

الخمر والتدرج فى تحريمه

الخمر: ما أسكرت من عصير العنب لأنها خامرت العقل ، والتخمير التغطية[1] .

قال القرطبى : (الخمر مأخوذة من خمر إذا ستر، ومنه خمار المرأة ومن ذلك الشجر الملتف يقال له الخمر، لأنه يغطى ماتحته ويستره ، ولما كانت الخمر تستر العقل وتغطيه سميت بذلك.

والخمر : ماء العنب الذى غلى أوطبخ . وماخامر العقل من غيره فهو فى حكمه . والجمهور من الأئمة على أن ما أسكر كثيره من غير خمر العنب فمحرم قليله وكثيره . والحد فى ذلك واجب)[2] .

أخرج البخارى بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قام عمر على المنبر فقال : اما بعد نزل تحريم الخمر وهى من خمسة : العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير والخمر ماخامر العقل[3] .

قال الطبرى : قال بعض المفسرين (ان الله تعالى لم يدع شيئا من الكرامة والبر إلا أعطاه هذه الأمة ، ومن كرامته واحسانه أنه لم يوجب عليهم الشرائع دفعة واحدة و لكن اوجب عليهم مرة بعد مرة . فكذلك تحريم الخمر)[4] .

فقد كان الناس مفتونين بالخمر مولعين بشربها حتى انها لو حرمت من اول الامر على سبيل القطع لانصرف الكثير ممن هم مدمنون عليها عن الاسلام او حتى التفكير فى الدخول الى الاسلام . فكان من لطف الله وبالغ حكمته الجليلة أن نزلت آيات الخمر بالتدريج آخذة فى التنفير منها ووصفها بالأثم إلى أن وصفها المولى عز وجل بأنها رجس مبينا إثمها وضررها مؤكدا حرمتها على سبيل القطع .

---

(١) لسان العرب (٤ : ٢٥٤) .
(٢) تفسير القرطبى (٣ : ٥١ - ٥٢) .
(٣) صحيح البخارى وعلى هامشه فتح البارى كتاب الاشربة (١٢ : ١٣٤) ،
(٤) تفسير الطبرى (٣ : ٥٢) .

ولنأخذ الآن فى بيان الايات على سبيل الايجاز وبالله التوفيق .

أولا : قال تعالى فى سورة النحل : (ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكراورزقاحسنااان فى ذلك لآية لقوم يعقلون)[1] .

هذه الآية مكية حيث كان الناس يشربونها والآية تبين انهم اتخذوا من ثمرات النخيل والأعناب شرابا سكرا - وكان ذلك قبل نزول آيات التحريم الصريحة والاية تشير الى الحرمة :

(١) حيث قابل السكر بالرزق الحسن .

(٢) والاتخاذ من قبلهم هم .

(٣) وتذييل الآية كذلك يدل على منافاتهاللعقل .

ثانيا : ثم قال تعالى : (يسألونك عن الخمر والميسر ، قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وأثمهما أكبر من نفعهما . . .)[2] .

أخرج الترمذى بسنده عن عمر بن الخطاب انه قال : اللهم بين لنا فى الخمر بيان شفاء فنزلت التى فى البقرة (يسألونك عن الخمر والميسر) الآية الحديث[3] .

فتركها قوم تحريا عن الأثم . وشربهاآخرون للمنافع ، ولاشك أن من تركها قدم درأ المفاسد على جلب المصالح ، ومن شربها وقف مع ظاهر التخيير الذى لاجزم فيه بالمنع .

ثالثا : ثم قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون)[4] الاية .

وسبب نزولها ماأخرجه الترمذى بسنده عن على بن أبى طالب قال صنع لنا عبد الرحمن بن عوف طعاما فدعانا وسقانا من الخمر ، فأخذت الخمر منا وحضرت الصلاة فقدمونى فقرأت . قل يا أيها الكافرون لاأعبد ماتعبدون . ونحن

---

(١) النحل : ٦٧

(٢) البقرة : ٢١٩

(٣) سنن الترمذى (٥ : ٢٥٣) .

(٤) النساء : ٤٣

نعبد ماتعبدون قال : فأنزل الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون) .

قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح غريب[1] .

ولايفهم من الآية تحريم الخمر قطعا إنما تحريمها فى الأوقات القريبة من الصلاة وحينئذ لم يبق للمصر على شربها سوى شربها بعد صلاة العشاء وضرره قليل أو بعد صلاة الصبح لمن لاعمل له .

رابعا : ثم تركوا فترة حتى قوى الأيمان فى القلوب ورسخ اليقين وكثرت الوقائع التى ظهر فيها إثم الخمر وضررها وعند ذلك ناسب النهى عنها على سبيل القطع فى كل الاوقات كما فى الآية التالية ، وهى قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون)[2] .

اختلفت الروايات فى سبب نزول الآية ونذكر منها ماأخرجه الترمذى بسنده عن عمر بن الخطاب انه قال (اللهم بين لنا فى الخمر بيان شفاء فنزلت التى فى البقرة (يسألونك عن الخمر والميسر) الآية ، فدعى عمر فقرئت عليه فقال : اللهم بين لنا فى الخمر بيان شفاء فنزلت التى فى النساء (يا أيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وانتم سكارى) فدعى عمر فقرئت عليه ثم قال : اللهم بين لنا فى الخمر بيان شفاء ، فنزلت التى فى المائدة (إنما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر) الى قوله (فهل أنتم منتهون) فدعى عمر فقرئت عليه فقال انتهينا انتهينا[3] .

قال الطبرى : (وقد اختلف اهل التأويل فى السبب الذى من اجله نزلت هذه الآية وجائز ان يكون نزولها كان بسبب دعاء عمر رضى الله عنه فى امر الخمر . وجائز أن يكون السبب مانال سعدا من الأنصارى عند انتشائهما

---

(١) سنن الترمذى (٥ : ٢٣٨)

(٢) المائدة : ٩٠ - ٩١

(٣) سنن الترمذى (٥ : ٢٥٣) .

من الشراب، وجائز ان يكون كان من اجل ماكان يلحق احدهم عند ذهاب ماله بالقمار من عداوة من يسره وبغضه. وليس عندنا بأى من ذلك كان خبر قاطع للعذر.

غير أنه أى ذلك كان فقد لزم حكم الآية جميع أهل التكليف، وغير ضائرهم الجهل بالسبب الذى له نزلت هذه الآية، فالخمر والميسر والانصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فرض على جميع من بلغته الاية من التكليف اجتناب جميع ذلك كما قال تعالى (فاجتنبوه لعلكم تفلحون)[1].

هذا وقد اكد القرآن الكريم حرمة الخمر والميسر حتى إنه لم يرد فى القرآن مثل هذه التأكيدات الصارمة فى جل المحرمات مثلما ورد فى الخمر والميسر وذلك لشدة ولع الناس بهما.

وقد ذكر الكشاف وجوها استنبطها من الآيتين فى تأكيد حرمة الخمر:

(١) تصدير الجملة بأنما.

(٢) أنه قرنها بعبادة الأصنام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم (شارب الخمر كعابد الوثن)[2].

(٣) وأنه جعلها رجسا كما قال تعالى (فاجتنبوا الرجس من الأوثان)[3].

(٤) أنه جعلهما من عمل الشيطان. والشيطان لايأتى منه إلا الشر البحت.

(٥) انه امر بالاجتناب فى قوله تعالى (فاجتنبوه).

(٦) أنه جعل الاجتناب من الفلاح. وإذا كان الاجتناب فلاحا كان الارتكاب خيبة ومحقة.

(٧) أنه ذكر ماينتج منهما من الوبال وهو وقوع التعادى والتباغض ومايؤديان اليه من الصد عن ذكر الله وعدم مراعاة أوقات الصلاة.

(٨) الامر بالابتعاد عنهما بصيغة الاستفهام المقرون بفاء السببية (فهل أنتم منتهون)[4].

---

(١) تفسير الطبرى (٧ : ٣٥).

(٢) سنن ابن ماجه (٢ : ١١٢٠) بلفظ (من الخمر كعابد الوثن).

(٣) انظر الكشاف (١ : ٦٤١ - ٦٤٢) تأليف ابى القاسم جار الله محمود الزمخشرى (٤٦٧ - ٥٣٨) ط/دار الفكر.

(٤) الحج : ٣٠

الحكمة من تحريم الخمر

أولا : أنها مفسدة خلقيةواجتماعية ودينية وبيان ذلك: -

(١) أن الخمر تخرج الأنسان عن وعيه وتفقده ادراكه حتى يبلغ مرتبة الهذيان وفى ذلك امتهان للعقل وهو أشرف نعمة اكرم به الانسان فالخمر مفسدة للفرد فى عقله وآدميته .

(٢) ماتسببه من وقوع العداوة والبغضاء بين المسلمين وتصرفهم عن ذكر الله وقد وصفها الله سبحانه بأنها (رجس من عمل الشيطان) .

ثانيا : انها مسببة لكثير من الامراض الخطيرة وبيان ذلك : -

(١) تؤثر على الجهاز الهضمى وذلك يسبب الالتهابات المزمنة بالغشاء المخاطى المبطن للمعدة مع حرمانها من الحمض اللازم لعملية الهضم فيعانى المدمن دائما من عسر الهضم .

(٢) تؤثر على القلب وعضلاته فتصبح شحمية القوام .

(٣) تؤثر على الجهاز العصبى وتصيبه بالتهابات اطراف الاعصاب والشلل والارتعاشات فى اصابع اليد واللسان .

(٤) تؤثر على الصحة العقلية فتظهر تغيرات نفسية عقلية من المدمنين تتسم بشكوك متطرفة تجاه الآخرين من زوجةوزملاء واصدقاء ونزوع عدوانى اجرامى وتزداد الصور بشاعةمما يعرف بالهوس الكحولى .

(٥) يؤثر تأثيرا مباشراًعلى الكبد فيعطل عمله وبذلك تصبح هذه السموم خطرا على حياة الشخص وقد تؤدى الى الوفاة .

ثالثا : مضار الخمر من الناحية الاقتصادية وبيان ذلك : -

(١) إن الخمر تضعف شاربهاوتجعله إنسانا مريضا لايتمتع بالقدرات الانتاجية التى يتمتع بها الشخص السوى . وبذلك لايكون عنصرا فعالا فى الاقتصاد القومى .

(٢) إن تعاطى الخمور يفتح سوقا واسعة لاستيراد المنتجات الكحولية وفى ذلك ضياع للأموال كان الاولى وضعها فى مايمكن ان يعود على الناس بالنفع والفائدة بدلا من إنفاقه فيمايعود عليهم بالضرروالخراب.(١)

---

(١) انظر كتاب (نظام التجريم والعقاب فى الاسلام مقارنا بالقوانين الوضعية)للمستشار على على منصور (١ : ٩٣ - ٩٤) .

الوصيـــــــة

الوصية لغة : تطلق على فعل الموصى وعلى مايوصى به من مال أوغيره من عهد ونحوه .

وفى الشرع: عهد خاص إلى مابعد الموت .

وسميت وصية لان الميت يصل بها ماكان فى حياته بعد مماته.(١)

قال تعالى (كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقا على المتقين . فمن بدله بعد ماسمعه فانما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم . فمن خاف من موصى جنفا او إثما فأصلح بينهم فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم)(٢) .

هذه آية الوصية حيث أوجبت الوصية وفرضتها (كتب عليكم) كتب بمعنى فرض فدل على وجوب الوصية .

أخرج البخارى بسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ماحق امرئ مسلم له شئ يوصى فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده)(٣) .

قال ابن حجر : استدل بهذا الحديث مع ظاهر الآية على وجوب الوصية(٤) .

اختلف العلماء فى نسخ هذه الآية على أقوال :

أولا : إن هذه الآية منسوخة بآية المواريث (للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن)(٥) وبقوله تعالى (يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين)(٦) الايتين .

---

(١) فتح البارى (٦ : ٢٨٥) كتاب الوصية .
(٢) البقرة: ١٨٠ - ١٨٢
(٣) صحيح البخارى وبهامشه فتح البارى (٦ : ٢٨٦ - ٢٨٧) .
(٤) فتح البارى (٦ : ٢٨٧) .
(٥) النساء: ٣٢
(٦) النساء : ١١

ثانيا : وقيل إنه لانسخ بل الأيتان محكمتان فالاولى باقية فيمن كان صاحب فرض وحجب فى الميراث أوإنه من ذوى الارحام، أو ان الأولى فى الوصية المندوب اليها بأن كان من أصحاب الفروض من هو صاحب عاهة لايستطيع التكسب أو أنه من ذوى العيال . فيؤثره المورث بحظ أوفر فى الوصية .

والذى أرجحه أن آية الوصية منسوخة وبخاصة أن فيها من هم لايسقطون فى التوريث بحال . وهم الوالدان . وجاء فى الحديث الصحيح الذى أخرجه أبو داود والترمذى من حديث أبى امامة (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى خطبته عام حجة الوداع " إن الله قد أعطى كل ذى حق حقه فلاوصية لوارث" قال الترمذى حديث حسن صحيح واللفظ للترمذى (١) .

وكذلك الحديث المرفوع الذى أخرجه البخارى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان المال للولد وكانت الوصية للوالدين . فنسخ الله من ذلك ما أحب فجعل للذكر مثل حظ الانثيين ، وجعل للأبوين لكل واحد منهما السدس وجعل للمرأة الثمن والربع، وللزوج الشطروالربع) (٢) .

فثبت النسخ وأن الناسخ الآيات من سورة النساء . وقد جاء ذلك أيضا فى الأجماع . والأجماع عند العلماء لايكون إلاعن دليل فثبت النسخ بذلك ايضا .

وأماتصدير آية الوصية (بكتب) فلايمنع ذلك لأن النسخ معناه العمل بالمنسوخ الى حين الابد فأذا نزل الناسخ الغى هذا الزمن حين العمل بالناسخ .

وتبقى الوصية بمفهومها العام فيمن لايرث . وهى حق الميت فى حدود ثلث التركة كما ثبت فى الحديث الصحيح عن سعد بن أبى وقاص قلت يارسول الله أوصى بمالى كله ؟ قال لا قلت : فالشطر ؟ قال لا ، قلت الثلث قال : الثلث والثلث كثير) (٣) . الحديث .

---

(١) سنن ابى داود (٢ : ١٠٣) .
(٢) صحيح البخارى وعلى هامشه فتح البارى (٦ : ٣٠١ - ٣٠٢) .
(٣) صحيح البخارى وبهامشه فتح البارى (٦ : ٢٩٤، ٢٩٥) .

وقوله تعالى (فمن بدله بعد ماسمعه فانما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم) .

أى من بدل الوصية وحرفها فغير حكمها وزاد فيها اونقص ويدخل فى ذلك الكتمان بطريق الأولى وقوله (فمن خاف من موص جنفا أو إثما) - الجنف الخطأ وهو يشمل انواع الخطأ كلها سواءكان غير عامد بل بطبعه وقوة شفقته من غير تبصر، او متعمدا آثما فللوصى والحالة هذه أن يصلح القضية ويعدل فى الوصية على الوجه الشرعى (١) .

قال ابن كثير وأحسن ماورد فى الباب ما أخرجه عبد الرزاق بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الرجل ليعمل بعمل أهل الخير سبعين سنة فأذا أوصى حاف فى وصيته فيختم له بشر عمله فيدخل النار . وإن الرجل ليعمل بعمل اهل الشر سبعين سنة فيعدل فى وصيته فيختم له بخير عمله فيدخل الجنة) .

قال أبو هريرة : اقرأوا إن شئتم (تلك حدود الله فلا تعتدوها) الآية (٢) .

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (١ : ٢١٢) .

(٢) المصنف لعبد الرزاق الصنعانى (٩ : ٨٨) حديث رقم ١٦٤٥٥ .

حكمة مشروعيتها

الاسلام جعل المسلم له كيانه المستقل فى استغلال ماله فى وجوهه المشروعة وليس للدولة أن تجور على الافراد ولا أن تستولى على ثرواتهم وممتلكاتهم وموارد هم . فللفرد المسلم كامل الحرية فى التصرف فيه . ومن جملة الطرق المشروعة فى التصرف فى المال الوصية به . وهى لون من الوان التكافل العائلى العام فى خارج حدود الوراثة .

والوصية متى ما أحسن الموصى فى وضعها فى الموضع المناسب لها وكانت فى حدود الثلث يناله الثواب الجزيل وقد تكون سببا فى دخول الجنة كما مر علينا فى حديث أبى هريرة السابق وهى بمنزلة الصدقة الجارية كما فى الحديث الصحيح (إذا مات الانسان انقطع عمله إلا من ثلاثة " صدقة جارية" أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له)[1] .

---

(١) اخرجه مسلم فى كتاب الوصايا (١١ : ٨٥) والبخارى فى الادب المفرد حديث ٣٨ (١ : ١٠٤) .

الفـــرائـــض

فى السنة الثالثة بعد غزوة أحد نزلت آية فرض الميراث .

أخرج الامام احمد[١] فى مسنده عن جابر بن عبد الله قال : جـــاءت امرأة سعد بن الربيع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بابنتيها مـــن سعد فقالت يارسول الله : هاتان ابنتا سعد بن الربيع قتل ابوهما فـــى احد شهيدا وإن عمهما أخذ مالهما فلم يدع لهما مالا ولا ينكحان الا ولهما مال . فقال : يقضى الله فى ذلك . قال : فنزلت آية المواريث . فأرسـل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عمهما فقال : اعط ابنتى سعد الثلثين وامهما الثمن ومابقى فهو لك .

وآية المواريث هى قوله تعالى (يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثـل حظ الانثيين) إلى قوله (والله عليم حكيم)[٢] .

ثم نزلت آية الكلالة واكملت مابقى من اصحاب الفرائض .

قال تعالى (إن امرؤا هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ماترك) الايـــة[٣] .

وقوله تعالى (يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة)[٤] .

وسبب نزول هذه الآية ما أخرجه مسلم فى صحيحه عن جابر بـــن عبد الله قال مرضت فأتانى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر يعودانى ماشيين فاغمى علىّ فتوضأ ثم صب علىّ من وضوئه فأفقت قلت يارسول الله كيف أقضى فى مالى فلم يرد على شيئا ؟ حتى نزلت آية الميراث (يستفتونك قـــل الله يفتيكم فى الكلالة)[٤] الآية .

والجمهور من العلماء فى أن المراد بالكلالة فى الآية (اسم للميـــت الذى ليس له ولد ولا والد ذكرا كان الميت أو أنثى) .

---

(١) الفتح الربانى (١٨ : ١١١) .
(٢) النساء : ١١ - ١٢
(٣) النساء : ١٧٦
(٤) صحيح مسلم وعلى هامشه شرح النووى (١١ : ٥٥) كتاب الفرائض .

قال النووى : ذكر بعض العلماء الاجماع على أن الكلالة من لا ولد له ولا والد[١] .

ومذهب الجمهور أن معنى الآية الكريمة (أن توريث النصف للأخت بالفرض لايكون إلا إذا لم يكن ولد فعدم الولد شرط لتوريثها النصف فرضا)[٢] .

وإذا نظرنا فى الوراثة وكيف كانت فى عهد الجاهلية ثم فى صدر الدعوة الأسلامية وكيف استقر الأمر لها حينئذ يتجلى لنا مدى عناية الاسلام بموضوع الوراثة .

(١) كانت الوراثة فى الجاهلية بالذكورة والقوة فكانوا يورثون الرجال دون النساء والصبيان فأبطل الله ذلك بقوله (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون) الاية[٣] .

(٢) وكانت أيضا فى الجاهلية وابتداء الاسلام بالمحالفة . قال تعالى (والذين عقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم)[٤] .

(٣) ثم صارت الوراثة بالهجرة قال تعالى (والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شىء حتى يهاجروا)[٥] .

(٤) نسخ ذلك كله وصارت الوراثة بأحد الأمور الثلاثة (النسب أو النكاح أو الولاء) .

والمعنى بالنسب ان القرابة يرث بعضهم من بعض لقوله تعالى (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله)[٦] .

والمعنى بالنكاح أن احد الزوجين يرث صاحبه .

ومعنى الولاء : أن المعتق بكسر التاء الفوقية وعصباته يرثون المعتق بالفتح[٧] .

---

(١) انظر شرح النووى على صحيح مسلم (١١ : ٥٨) .
(٢) انظر شرح النووى على صحيح مسلم (١١ : ٥٩) .
(٣) النساء : ٧
(٤) النساء : ٣٣
(٥) الانفال : ٧٢
(٦) الانفال : ٧٥
(٧) الفتح الربانى (١٨ : ١١١) .

الحكمة فى تشريع هذه القسمة

(١) لقد شرع الحق سبحانه وتعالى المواريث وفصلها فى كتابه العزيز وتولى توزيعها لأنه العالم باحوال عباده الخبير بمصالحهم ونلاحظ ختم آيات المواريث بقوله تعالى (إن الله كان عليماً حكيماً) و فى الثانية (عليم حليم) وتوعد من يخالف تلك الفروض بالعذاب المهين (ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين). النساء الآيات ١١ - ١٢ - ١٤ ثم فى آية الكلالة ختمها بقوله (والله بكل شىء عليم) لايخفى عليه شىء سبحانه وتعالى .

(٢) إن فى تلك الفروض التى فرضها الله حكمة عظيمة فهى مدعاة لاستقرار الاسرة وطمأنينتها واستمرارها وفى المحافظة على الثروة وعدم ضياعها .. ذلك انها حافز للأنسان للاستمرار فى العمل وذلك إذا علم ان الثروة ستؤول الى اهله وأسرته بعد مماته ، ولولا ذلك لقل نشاطه فى حال كبره واستغنائه ، ولعمد هو وأهله لتبديد الثروة إذا كبرت سن رب الأسرة أو المورث .

(٣) إن الأسلام لم يحرم المرأة من الميراث كما هو حال المذاهب الأخرى .

(٤) إنه راعى مضاعفة ميراث الرجل (للذكر مثل حظ الأنثيين) :

(أ) قال تعالى (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من اموالهم)[1] .
فالذى يتولى الأنفاق على المرأة هو الرجل سواء أكان أبا أم زوجا ام ابنا إذن لابد من مضاعفة المال فى يده .

(ب) إن الرجل أكمل حالا من المرأة فى الخلقة وفى العقل وكذلك شهادة المرأة نصف شهادة الرجل ومن كان كذلك كان الأنعام عليه أزيد .

(جـ) إن المرأة قليلة العقل كثيرة الشهوة ، فأذا انضاف إليها المال الكثير عظم الفساد)[2] .

---

(١) النساء : ٣٤
(٢) انظر تفسير الرازى (٩ : ٢٠٧) .

الحـــــدود

الحد لغة : المنع . لذلك عرف بعض فقهاء الشريعة الحدود بأنها موانع قبل الفعل زواجر بعده أى ان العلم بشرعيتها يمنع الأقدام على الفعل وايقاعها بعده يمنع من العودة إليه[١] .

الحدود : جمع حد وأصل الحد مايحجز بين شيئين فيمنع اختلاطهما وسميت عقوبة الزنى ونحوه حدا لكونها تمنعه من المعاودة . أو لكونها مقدرة من الشارع[٢] .

وسوف أذكر فيمايلى حد الزنى ، والقذف ، والسرقة ، والحرابة .

حد الزنـــــى

الزنى لغة : الوطء المحرم .

فى الشرع : وطء الرجل امرأة فى فرجها من غير نكاح ولا شبهة نكاح[٣] .

ولقد كان الزنى من أعظم الامراض تفشيا . ومن أشنع الرذائل وأقبحها . ومن سنة الله عز وجل فى تشريع الأحكام ان يسير بالأمة فى طريق (التدرج) ليكون أنجح فى العلاج ، وألزم فى التطبيق ، وأسهل على النفوس تقبلا كما مر علينا فى تحريم الربا والخمر .

فكانت عقوبة الزنى فى صدر الأسلام مخففة لأن الناس حديثو عهد بحياة الجاهلية . فكانت عقوبة المرأة (الحبس فى البيت) وعدم الأذن لها بالخروج منه وعقوبة الرجل (التأنيب والتوبيخ) بالقول من شتم وتعيير .

قال تعالى : ﴿واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فأن شهدوا فأمسكوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت أويجعل الله لهن سبيلا واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما ان الله كان توابا رحيما﴾[٤] .

---

(١) شرح فتح القدير لابن الهمام (٤ : ١١٢) المطبعة الاميرية .
(٢) انظر فتح البارى (١٥ : ٦١) كتاب الحدود .
(٣) تفسير آيات الاحكام للشيخ الصابونى (٢ : ٨) .
(٤) النساء : ١٥ - ١٦

قال ابن كثير : قال ابن عباس (كان الحكم كذلك حتى أنزل الله سورة النور فنسخها بالجلد وا لرجم) وانتهى ذلك الحكم المؤقت الى تلك العقوبة الرادعة الزاجرة(١).

قال تعالى : (الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) الاية.

أخرج مسلم فى صحيحه عن عبادة بن الصامت قال كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا أنزل عليه كرب لذلك وتربد له وجهه قال فأنزل عليه ذات يوم فلقى كذلك فلما سرى عنه قال : خذوا عنى فقد جعل الله لهن سبيلا الثيب بالثيب والبكر بالبكر الثيب جلد مائة ثم رجم بالحجارة والبكر جلد مائة ثم نفى سنة(٢).

ولم ينص القرآن الكريم على رجم المحصن . وهذا مما نسخ لفظه وبقى حكمه . وقد ثبت ذلك بفعل النبى صلى الله عليه وسلم وكذلك بأجماع الصحابة والتابعين وبطريق التواتر . وقد اقام النبى صلى الله عليه وسلم (حد الرجم) على بعض الصحابة كماعز والغامدية ولم يخالف فى ذلك إلا فئة شاذة وهم الخوارج حيث أنكروا مشروعية الرجم . وقد تنبأ لذلك الفاروق عمر ابن الخطاب . أخرج البخارى ومسلم واللفظ للبخارى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال عمر لقد خشيت ان يطول بالناس زمان حتى يقول قائل لا نجد الرجم فى كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله الا وان الرجم حق على من زنى وقد أحصن إذا قامت البينة ، او كان الحمل أو الاعتراف . قال سفيان كذا حفظت ، ألا وقد رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده(٣).

---

(١) تفسير ابن كثير (١ : ٤٦٢) .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى (١١ : ١٩٠) وهذا الحديث وان كان صحيحا وقد عمل به الامام على كرم الله وجهه لكنه روجع من الصحابة فرجع عن رأيه ، وذلك انهم علموا النسخ وشاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يرجم بدون جلد المحصن ، ومن علم حجة على من لم يعلم . فبقى حكم الجلد لمن لم يحصن والرجم لمن احصن والله اعلم .

(٣) صحيح البخارى وعلى هامشه فتح البارى (١٥ : ١٥٥) ، صحيح مسلم بشرح النووى (١١ : ١٩١) .

الحكمة التشريعية

لعل أول ماتهدمه جريمة الزنى هو خلق الطهارة والعفة فى النفس البشرية وهو الخلق الذى يرتفى به الأنسان عن مستوى الحيوان .

ويعد الزنى فى الشريعة الأسلامية جريمة من أقبح الجرائم وأشنعها لذلك كانت عقوبته شديدة صارمة لان فى هذه الجريمة إهدارا لكرامة الأنسانية وتصديعا لبنيان المجتمع . وفيه تعريض النسل للخطر . فالزنى يفضى إلى اختلاط المياه واشتباه الأنساب وكثرة (اللقطاء) وأولاد البغاء ولا يكون هناك من يتعهدهم ويربيهم وينشئهم النشأة الصالحة - وربما كان هؤلاء الأطفال مصدر فساد للمجتمع .

ومن أهداف الشريعة الاسلامية وأغراضها الأساسية الكليات الخمس وهى (حفظ العقل ، وحفظ النسل ، وحفظ النفس، وحفظ الدين ، وحفظ المال) ولقد قررت جميع الأديان حفظها وشرعت مايكفل حمايتها لانها ضرورية لحياة الأنسان . ولما كان (النسل) هو أحد هذه الضروريات لذلك شرع الاسلام من العقوبات الصارمة مايقطع دابر هذه الجريمة ، ويحقق الامن والاستقرار للمجتمع (١) .

وإذا كان الزنى قد أخل بموازين الزواج وأصوله ، فأنه من ناحية أخرى اوجد الكثير من العوانس والمطلقات ، لأنه اذا فتح باب الزنى أغلق باب الزواج .

ومن مضار الزنى أيضا أنه اذا ماتداخلت الأنساب أدى الى توزيع الميراث على من لايستحق وحرمان المستحق منه .

وأخيرا فأن فى الزنى من انتشار الأمراض والأصابة بالعدوى القاتلة من سيلان وزهرى وغالبا مايمتد أثرها الى الكبد والمثانة والخصيتين مما لايخفى ولاعجب إذا رأينا أن الأديان السماوية كلها مجمعة على تحريمه وصدق الله العظيم حيث قال (ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا) (٢) .

---

(١) انظر بتصرف من تفسير آيات الاحكام للشيخ محمد على الصابونى (٢ : ٥٢) .

(٢) الاسراء : ٣٢

حـــد القـــذف

القذف : هو الرمى بالزنى - وهو محرم بأجماع الأمة[١].

قال تعالى : (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهـــداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقـــون إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فأن الله غفور رحيم)[٢].

هذه الآية الكريمة فيها بيان حكم جلد القاذف للمحصنة وهى الحـرة البالغة العفيفة . فأذا كان المقذوف رجلا فكذلك يجلد قاذفه أيضا . وليـس فيه نزاع بين العلماء . وعلى المقذوف أن يقيم البينة على إثبات القـــذف وحينئذ يجلد القاذف . فان اقام القاذف بينة على صحة ما قاله درأ عنـــه الحد . فأذا لم يقم البينة ترتب على ذلك ثلاثة أحكام :

(احدها) : أن يجلد ثمانين جلدة .

(الثانى) : أن ترد شهادته .

(الثالث) : أن يكون فاسقا ليس بعدل لا عند الله ولا عند الناس[٣].

وقد لعن الله القاذف وتوعده بالعذاب العظيم .

قال تعالى (إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنـــوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم)[٤].

والقذف أحد السبع الموبقات التى أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم باجتنابها .

أخرج البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلـــى الله عليه وسلم (اجتنبوا السبع الموبقات قالوا يارسول الله ماهن قـــال الشرك بالله ، والسحر، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربـــا وأكل مال اليتيم والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات)[٥].

---

(١) المغنى (٩ : ٨٣) لابن قدامة ابى محمد عبد الله بن احمد بن محمـد ابن قدامة الناشر مكتبة القاهرة .

(٢) النور : ٤ - ٥

(٣) انظر تفسير ابن كثير (٣ : ٢٦٤) .

(٤) النور : ٢٣

(٥) صحيح البخارى وعلى هامشه فتح البارى (١٥ : ١٩٨) كتاب الحـدود باب رمى المحصنات .

حكمة التشريع

لقد حارب الاسلام جميع الرذائل حتى جعل من الأمة الاسلامية (خير امة أخرجت للناس) .ومن تلك الجرائم والرذائل التى حاربها جريمة القذف .فأن اتهام الناس بالباطل والوقوع فى أعراضهم دون رادع وزاجر يمنعهم من ذلك يجعل المجال فسيحا لكل من شاء أن يقذف بريئة أوبريئا بتلك التهمة الشنيعة فتصبح أعراض الأمة الأسلامية مجرحة وسمعتها ملوثة.

لذلك وصيانة للأعراض من التهجم وحماية لأصحابها من إهدار الكرامة وسدا لباب الذين يريدون تلطيخ سمعة الآخرين .شدد فى عقوبة القذف فجعلها قريبة من عقوبة الزنى (ثمانين جلدة مع إسقاط الشهادة والوصف بالفسق) وغرض الاسلام من هذه العقوبة صيانة الأعراض ، وحفظ الكرامة ، وتطهير المجتمع من مقالة السوء لتظل (الأسرة المسلمة) موفورة الكرامة مصونة الجانب (١).

---

(١) انظر تفسير آيات الاحكام للشيخ محمد على الصابونى (٢ : ٧٥) .

حـــد السرقـــة

السرقة لغة : أخذ المال فى خفاء وحيلة (والسارق عند العرب من جاء مستترا الى حرز فأخذ منه ماليس له)[١].

وفى الشرع (أخذ العاقل البالغ مقدارا من المال خفية من حـــرز معلوم بدون حق ولا شبهة)[٢].

قال تعالى : (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم . فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فان اللـه يتوب عليه إن الله غفور رحيم)[٣].

عموم الآية يقتضى قطع كل سارق إلا أن الفقهاء اشترطوا فـــى القطع شروطا خصصوا بها العموم فمن ذلك من اضطره الجوع الى السرقـة او سرق من غير حرز، أو سرق أقل من النصاب . . . الخ

أما ماذكر فى الآية عن توبة السارق فهو ان يندم على مامضى ويقلـع فيما يستقبل ويرد ماسرق إلى من يستحقه[٤].

---

(١) لسان العرب (١٠ : ١٥٥) .
(٢) تفسير آيات الاحكام للشيخ الصابونى (١ : ٥٥٣) .
(٣) المائدة : ٣٨ - ٣٩
(٤) انظر تفسير التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلبى (١ : ١٧٦) .

الحكمة التشريعيـــة

عقوبة السارق (قطع اليد) وهى عقوبة رادعة زاجرة . تقتلع الشر من جذوره فيسود الأمن والاستقرار ويهنأ المجتمع بحياة كريمة فياله من تشريع حكيم وعند ما خالف القانون الشريعة فجعل السجن عقابا للسارق ازدادت الجرائم وكثرت العصابات اللصوصية وأصبحت تلك الدول مهددة فى أمنها واستقرارها فلا يأمن الأنسان على ماله ولاعلى نفسه .

قال ابن القيم (إن من بعض حكمته سبحانه ورحمته أن شرع العقوبات فى الجنايات الواقعة بين الناس بعضهم على بعض، فى النفوس والأبدان والاعراض والاموال كالقتل والجرح والقذف والسرقة فأحكم سبحانه وجوه الزجر الرادعة عن هذه الجنايات غاية الأحكام، وشرعها على أكمل الوجوه المتضمنة لمصلحة الردع والزجر مع عدم المجاوزة لما يستحقه الجانى من الردع . .

وإن فى حد السرقة معنى آخر، وهو أن السرقة تقع من فاعلها سرا كما يقتضيه اسمها . والعازم على السرقة مختف كاتم خائف أن يشعر بمكانه فيؤخذ به ثم هو مستعد للهرب والخلاص بنفسه إذا أخذ الشىء ، واليدان للأنسان كالجناحين لـ لطائر فى إعانته على الطيران ، فعوقب السارق بقطع اليد قصا لجناحه . . . وعقوبة السارق بالقطع أبلغ وأردع من عقوبته بالجلد ، ولم تبلغ جنايته حد العقوبة بالقتل فكان أليق العقوبات به إبانة العضو الذى جعله وسيلة الى أذى الناس واخذ اموالهم[1].

---

(١) أنظر إعلام الموقعين عن رب العالمين (٣ : ١١٤ - ١١٥ - ١٥٦)

حـــد الحرابـــة

قال تعالى : (إنماجزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فـــى الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم الا الذيـن تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم)(١) .

وسبب نزول هذه الآية هو ما اخرجه البخارى بسنده عن أنس رضـــى الله عنه قال : قدم على النبى صلى الله عليه وسلم نفر من عكل فأسلمـــوا فاجتووا(٢) المدينة فأمرهم أن يأتوا ابل الصدقة فيشربوا من أبوالها وألبانهـــا ففعلوا فصحوا فارتدوا وقتلوا رعاتها واستاقوا فبعث فى آثارهم فاتى بهـــم فقطع ايديهم وارجلهم وسمل(٣) اعينهم ، ثم لم يحسمهم(٤) حتى ماتوا .

قال ابن حجر : (المعتمد أن الآية نزلت اولا فيهم وهى تتنـــاول بعمومها من حارب المسلمين بقطع الطريق)(٥) .

قال الرازى : كلمة (أو) هنا ليست للتخيير بل هى لبيان أن الأحكام تختلف باختلاف الجنايات ، فمن اقتصر على القتل قتل ، ومن قتل وأخـــذ المال قتل وصلب ، ومن اقتصر على أخذ المال قطع يده ورجله من خـــلاف ومن اخاف السبل ولم يأخذ المال نفى من الأرض . وهذا قول الأكثرين مـن العلماء وهومذهب الشافعى رحمه الله(٦) .

---

(١) المائدة : ٣٣ - ٣٤

(٢) فاجتووا المدينة : اى اصابهم الجوى وهو المرض وداء الجوف اذا تطاول . لسان العرب (١٤ : ١٥٨) .

(٣) سمل اعينهم : سمل العين فقؤها - السمل ان تفقأ العين بحديدة محماة . لسان العرب (١١ : ٣٤٧) .

(٤) الحسم : المنع . اى انه لم يمنع نزيف دمهم وذلك بكويهم بل تركهم ينزفون حتى ماتوا . لسان العرب (١٢ : ١٣٥) .

(٥) فتح البارى (١٥ : ١١٩) .

(٦) تفسير الرازى (١١ : ٢١٥ - ٢١٦) .

الحكمة التشريعية

لقد حافظ الأسلام على كرامة الانسان . وجعل الاعتداء على النفس أو المال أو العرض وقطع الطريق وإثارة الفزع والخوف بالنهب والقتل أشد العقوبات وأزجرها (القتل ، والصلب ، وتقطيع الأيدى والأرجل من خلاف والنفى) كل ذلك حتى ينعم المسلم بالأمن والاستقرار .

قال ابن القيم : ولما كان ضرر المحارب أشد من ضرر السارق وعداوته أعظم ضم إلى قطع يده قطع رجله ليكف عدوانه وشريده التى بطش بها . ورجله التى سعى بها ، وشرع ان يكون ذلك من خلاف لئلا يفوت عليه منفعة الشق بكماله ، فكف ضرره وعدوانه ، ورحمه بأن أبقى له يدا من شق ورجلا من شق (١) .

---

(١) اعلام الموقعين عن رب العالمين (٢ : ١٢٦) .

جريمة القتل

قال تعالى : (يا أيها الذين آمنواكتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفى له من أخيه شىء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بأحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة . فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم)[١] .

قال تعالى : (وماكان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى اهله الا ان يصدقوا فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى أهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من اللهوكان الله عليما حكيما ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد لهعذابا عظيما)[٢] .

تعتبر جرائم التعدى على النفس من اخطر الجرائم وأهمها فى حياة البشر فالاعتداء فيها يقع على الجسد الأنسانى . وقد يتجاوز الجانى إلى إزهاق الروح . وقد سما القرآن بالأنسان لمجرد آدميته قال تعالى (ولقد كرمنا بنى آدم)[٣] وقال تعالى (لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم)[٤] .

وعلى قدر ما اعلى الاسلام من قدر الانسان فانه قد اشتد فى النكر على من يتعدى على حياته بغير حق . فجعل اللهقتل النفس الواحدة بمثابة قتل الناس جميعا واحياء النفس الواحدة بمثابة إحياء الناس جميعا هكذا فى شريعة بنى إسرائيل وليس فى شرعنا مايخالفه . يقول تعالى (من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أوفساد فى الارض فكأنما قتل الناس جميعا ومن احياها فكأنما أحيا الناس جميعا)[٥] .

---

(١) البقرة : ١٧٨
(٢) النساء : ٩١ - ٩٣
(٣) الاسراء : ٧٠
(٤) التين : ٤
(٥) المائدة : ٣٢

ولقد اعتبر القرآن أيضا أن قتل الشخص للآخر هو قتل لنفسه هو حيث إن النفس المسلمة واحدة فى الجميع قال تعالى (ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما)[١].

ولم يأت القرآن بوعيد على المسلم أشد من الوعيد الذى أنذر به قاتل النفس. قال تعالى (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما)[٢].

وقد جاءت السنة المطهرة مشددة فى قتل المؤمن.

أخرج الترمذى بسنده عن عبدالله بن عمرو ان النبى صلى الله عليه وسلم قال: (لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم)[٣].

ومن أجل تكريم الأسلام للنفس البشرية من أن يمسها آخر بغير حق كانت شريعة القصاص التى كتبها الله لعباده.

قال تعالى (يا أيها الذين آمنواكتب عليكم القصاص فى القتلى)[٤] الآية

وشريعة القصاص فعالة فى سد منافذ الجريمة.

قال ابن كثير: (وفى شرع القصاص لكم وهو قتل القاتل حكمة عظيمة وهى بقاء المهج وصونها لأنه إذا علم القاتل أنه يقتل انكف عن صنيعه فكان فى ذلك حياة للنفوس وفى الكتب المتقدمة (القتل أنفى للقتل)[٥] فجاءت هذه العبارة فى القرآن أفصح وأبلغ وأوجز (ولكم فى القصاص حياة ياأولى الألباب) قال أبو العالية: كم من رجل يريد أن يقتل فتمنعه مخافة أن يقتل[٦].

---

(١) النساء: ١٢

(٢) النساء: ٩٣

(٣) سنن الترمذى (٤: ١٦).

(٤) البقرة: ١٧٨

(٥) هذا مثل مشهور من كلام فصحاء العرب.

الحكمة التشريعية فى القصاص

القصاص هو جزاء جريمة تعمد الاعتداء على النفس التى حرم الله إلا بالحق وهى من أكبر الجرائم التى نهى الشارع الحكيم عنها .

قال تعالى (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما)[١] .

ذلك لأن الانسان خليفة الله فى الأرض وأناط به تعمير الكون والرقى به . فحفظ النفس وصيانتها واجب شرعى كما أقرته العقول السليمة منذ بدء الخليقة وارتضته الفطر السليمة ، وشعرت بفداحة الاعتداء عليه وحرمته منذ بدء الخليقة[٢] .

ولقد كان من حكمة الشريعة الأسلامية أن شرعت القصاص فى العمد وجعلته حقا للمجنى عليه او أوليائه كما قال تعالى (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل إنه كان منصورا)[٣] .

ثم جعلت أهل القتيل بخير النظيرين من استرضاء لنفوسهم وشفاء لما بها من الغيظ والألم ثم حببت إليهم العفو استجلابا لمحبة النفوس وإبقاء على أواصر التآلف بين القلوب وإغلاقا لباب التقاطع والنفرة . فرب قاتل جنى على قريب أو صديق فكادت جريمته تقطع اواصر الألفة بين الأقارب والأصحاب فأذا مكن أولياء المجنى عليه من الأخذ بحقهم وأصبحوا بالخيار بين أن يأخذوا بثأرهم أو يعفوا عن الجانى .

وعلموا مافى العفو من مرضاة الله تعالى رضيت نفوسهم أن يتنازلوا عن القصاص إلى غيره من دية أو دونهما لأن عفوهم يحينئذ من عفو القادرين وهو كما يشفى النفس يدل على سماحة العافى وكرمه ، ثم جعلت

---

(١) النساء : ٩٣

(٢) وذلك ماذكرته من الايات من سورة المائدة من آية ٢٧ -٣١ من حادثة ابنى آدم .

(٣) الاسراء : ٣٣

فى الخطأ أن الدية على عاقلة الجانى وهم أهله وعشيرته الذين يتعاونون فيما بينهم يتناصرون عند نزول الخطب .

قال تعالى (ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون)[1] .

فأنه قد جعل تشريع القصاص ظرفا للحياة وهو يفيد أن مجرد شرعيته يتسبب عنها الحياة المثلى إما باحياء الجانى إن عفي عنه أو احياء غيره من الكثيرين الذين ربما لولم يشرع القصاص من الجانى لا قدموا على الجريمة التى تشيع الفساد فى الارض وتفتح باب الأخذ بالثأر الذى يجر فى ذيله الجانى وغيره ظلما وعدوانا فكان تشريع القصاص حاجزا دون ذلك كله وسبحان العليم الحكيم[2] .

---

(١) البقرة : ١٧٩

(٢) باختصار من كتاب اثر تطبيق الحدود فى المجتمع (القسم الرابع بحث الدكتور عبد السميع امام) طبعة جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية المجلس العلمى . وهو من البحوث المقدمة لمؤتمر الفقه الاسلامى الذى عقدته الجامعة بالرياض سنة ١٣٩٦ هـ طبعة عام ١٤٠١ هـ .

الفصل الثاني

الفصل الثانـــى

بنـــو إسرائيـــــل

ومن مقاصد السور المدنية الحديث عن أهل الكتاب .

لقد فصل القرآن الكريم الحديث عن بنى إسرائيل تفصيلا وافيا ووصـــف عقائدهم وأخلاقهم ومواقفهم من الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وصفـــــا مستفيضا .

ولقد اعتنت الآيات والسور المكية أكثر عناية بذكر قصصهم وأحوالهـــم المختلفة ومواقفهم مع رسلهم الى غير ذلك من أحداث سبقت بعثة خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام .

أما الآيات والسور المدنية والتى نحن بصدد الحديث عنها فقـــد تحدثت عن مواقفهم تجاه الدعوة الأسلامية ، ومحاربتهم لها ، وعما أسبغه الله عليهم من النعم ، وما أنزله الله بهم من النقم ، جزاء كفرهم وإعراضهم عـــن أوامر ربهم كما تحدثت بالتفصيل عن أخلاقهم ورذائلهم والرد على جميـــع ماوجهوه من الدعاوى الباطلة . وعن مسالكهم المتنوعة لكيد الاسلام والمسلمين قال الشيخ المراغى : (وأمهات ماجاء فى السور المدنية قواعد التشريـــع التفصيلية ومحاجة أهل الكتاب وبيان ماضلوا فيه من هداية كتبهم ورسلهـــم فكثر فى سورة البقرة محاجة اليهود . وكثر فى سورة آل عمران محاجـــة النصارى وكثر فى سورة المائدة محاجة الفريقين . . .) (١) .

من هم بنو إسرائيـــل ؟

بنو اسرائيل : نسبة الى إبيهم إسرائيل وهو يعقوب بن اسحـــاق ابن إبراهيم ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وإسرائيل : كلمة عبرانية مركبة مـــن

---

(١) تفسير المراغى (١٠ : ٤٦) .

(إسرا) بمعنى عبد أو صفوة، ومن (إيل) وهو الله. فيكون معنى الكلمة عبد الله، أو صفوة الله[١].

وكان يعقوب يقيم فى أرض كنعان (الشام) وقد أنجب من الولد اثنى عشر ولدا يوسف، بنيامين، شمعون، لاوى، رأوبين، يهودا، يساكر زبولون، دان، نفتالى، جاد، أشير.

هؤلاء هم أبناء يعقوب عليه السلام المشار اليهم فى القرآن بالأسباط قال تعالى: (داعيا المؤمنين الى الأيمان بالله والأيمان بهم وبأنبيائهم: (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا، وما أنزل الى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط)[٢].

قال صاحب الفتوحات الألهية (الأسباط فى بنى إسرائيل كالقبائل فى العرب من بنى إسماعيل فأسباط بنى إسرائيل هم قبائلهم. وهذا كله بالنظر إلى أصل اللغة فى إطلاق السبط على ولد الولد مطلقا وإلا فالعرف الطارئ خصص السبط بولد البنت والحفيد بولد الابن)[٣]. ا.هـ

وتوضيحا لما سبق: المراد بالأسباط: تلك القبائل المتناسلة من هؤلاء الأبناء الاثنا عشر قال تعالى عنهم (وقطعناهم اثنتى عشرة أسباطا أمما)[٤].

وهؤلاء الأبناء الاثنا عشر كانوا جميعا أنبياء دل على ذلك قوله تعالى (إنا أوحينا إليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا)[٥].

---

(١) أنظر كتاب بنو اسرائيل فى القرآن والسنة د. محمد سيد طنطاوى (١: ٦) ط/الاولى ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م توزيع دار حراء بالقاهرة. وكذلك تفسير القرطبى (١: ٣٣١).

(٢) البقرة: ١٣٦

(٣) أنظر الفتوحات الالهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية تأليف سليمان بن عمر العجيلى الشهير بالجمل المتوفى سنة ١٢٠٤ (١: ١١١) ط/بمطبعة عيسى البابى الحلبى بمصر.

(٤) الاعراف: ١٦٠

(٥) النساء: ١٦٣

أما عن سبب تسميتهم بيهود فقد اختلف فى ذلك :

(١) قيل إنهم سموا بذلك حين تابوا عن عبادة العجل . وقالوا (إنا هدنا اليك)[1] . اى تبنا ورجعنا .

قال ابن منظور (الهود : التوبة ، هاد يهود هودا وتهود : تاب ورجع الى الحق) فهو هائد . . . .وفى التنزيل العزيز (انا هدنا اليك) أى تبنا اليك . وهو قول مجاهد وسعيد بن جبير وإبراهيم.[2]

(٢) وقيل إنهم سموابذلك لانهم يتهودون ، أى يتحركون عند قراءة التوراة .

(٣) وقيل إنهم سموا يهودا نسبة إلى (يهوذا) الابن الرابع ليعقوب عليه السلام وقد رجح بعض العلماء هذا القول . قال البيرونى مؤيدا هذا القول :

(إنما سموا باليهود نسبة الى يهوذا احد الاسباط .فان الملك استقر فى ذريته وابدلت الذال المعجمة دالا مهملة ، لان العرب كانوا اذا نقلوا اسماء اعجمية الى لغتهم غيروا بعض حروفها . . .)[3] .

وعن تسمية المسيحيين - بالنصارى - وأصل اشتقاقها وسبب تسميتهم بذلك :

فالنصارى : جمع ، واحدة نصرانى وقيل نصران بأسقاط الياء . وهذا قول سيبويه . والأنثى نصرانة ، كندمان وندمانة . وهو نكرة يعرف بالألف واللام . ولايستعمل نصران ونصرانة إلا بياء النسب ، لانهم قالوا : رجل نصرانى وامرأة نصرانية . وفى الحديث (فابواه يهودانه او ينصرانه)[4] ا.هـ

والديانة المسيحية امتداد للديانة اليهودية وكلاهماكانتا فى بنى اسرائيل ولذانرى أن المسيح عليه السلام كان يحكم بنى اسرائيل بالتورا ة

---

(١) الاعراف : ١٥٦

(٢) لسان العرب لابن منظور (٣ : ٤٣٩) بتصرف ط/دار صادر بيروت .

(٣) تاريخ الملل والنحل (٢ : ٤) للمرحوم الاستاذ أمين الخولى . وانظر تفسير القرطبى (١ : ٤٣٢) .

(٤) انظر لسان العرب (٥ : ٢١١) ، تفسير القرطبى (١ : ٤٣٣) .

مع الأنجيل قال تعالى (ومصدقا لما بين يدى من التوراة ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم)[1]. على لسان عيسى بن مريم .

قال القرطبى[2]: أما سبب التسمية :

(١) فقيل نسبة إلى قرية تسمى "ناصرة" كان ينزلها عيسى بن مريم فنسب اليها فقيل : عيسى الناصرى ، فلما نسب أصحابه اليه قيل النصارى . قاله ابن عباس وقتادة .

وقال الجوهرى : نصران قرية بالشام ينسب إليها النصارى ، ويقال ناصرة .

(٢) وقيل سموا بذلك لنصرة بعضهم بعضا .

(٣) وقيل سموا بذلك لقوله تعالى (من أنصارى الى الله قال الحواريون[3] نحن انصار الله)[4].

---

(١) آل عمران : ٥٠

(٢) تفسير القرطبى (١ : ٤٣٣ - ٤٣٤) .

(٣) الحواريون : هم انصار المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ، وخاصته الذين استجابوا له ولدعوته .

(٤) آل عمران : ٥٢

اليهود وهجرتهم الى الحجاز

اختلفت آراء المؤرخين حول أصل يهود المدينة المنورة ـ والحجاز عامة ـ والمكان الذى هاجروا منه والزمان الذى قدموا فيه ، ولكن أقواها يميل الى أن بداية نزوحهم من الشام فى القرنين الأول والثانى بعد الميلاد بعد أن نجح الرومان فى السيطرة على سوريا ومصر فى القرن الأول ق.م وعلى اليهود ودولة الأنباط فى القرن الثانى بعد الميلاد مما ادى باليهود الى الهجرة إلى شبه الجزيرة العربية التى كانت بعيدة عن سيطرة الرومان الذين أفزعوهم .

غير أن هجرة اليهود الى الحجاز اشتدت بعد فشل التمرد اليهودى ضد الرومان والتى أخمدها الامبراطور تيتوس فى عام ٧٠م ، وقد وصل بعض هؤلاء اليهود المهاجرين الى المدينة (يثرب) كما وصلت مجموعة أخرى من اليهود الى المدينة (يثرب) بعد فشل ثورة اخرى قاموا بها فى زمن الامبراطور هادريان بين عامى ١٣٢ - ١٣٥م .

وشكل هؤلاء اليهود الجالية اليهودية فى المدينة والحجاز[1] .

ولا شك أن المجتمع المدنى تأثر باليهود اقتصاديا وسياسيا وفكريا .

لقد حملوا معهم خبراتهم الزراعية والصناعية والعمرانية مما أثر فى ازدهار بساتين المدينة حيث النخيل والأعناب والرمان واشتغلوا بتربية المواشى والدواجن وبرزت صناعات عديدة يدوية فكانت نساؤهم يشتغلن بنسج الاقمشة ومن اهم الصناعات التى اشتهروا بها صناعة الصياغة واشتهر منهم بنو قينقاع حتى لقد عرف سوق خاص باسمهم . كما كانوا يزاولون صناعة السيوف والدروع وسائر الالات الحربية .

وكانت معظم معاملاتهم مع غيرهم تقوم على المراهنات وتعاطى الربا وكان لهم من طبيعة منطقة المدينة الزراعية فرصة الى ذلك . لان الزراع عادة يحتاجون إلى اقتراض الاموال لحين الحصاد وقد وبخهم القرآن

---

(١) تاريخ العرب قبل الاسلام (٦ : ٥١٣ - ٥١٤) بتصرف ، د . جواد على ، ط/بيروت ١٩٦٨م .

الكريم على اخذهم الربا الذى نهاهم الله عن اخذه فقال تعالى (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم، وبصدهم عن سبيل الله كثيرا، واخذهم الربا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما)[1].

وقد ترتب على سيطرة اليهود على الجوانب الاقتصادية فى المدينة وضواحيها ان قوى نفوذهم المالى، وصاروا يتحكمون فى الاسواق تحكما فاحشا، ويحتكرونها لمصلحتهم ومنفعتهم. ولقد اقام اليهود مساكن خاصة بهم تمتاز بعزلتها ومتانتها. ومن تلك المساكن الآطام حيث بلغ عددها فى يثرب تسعا وخمسين اطما[2].

وقد أقاموها ليتحصنوا فيها عند الاخطار وليدافعوا عن أنفسهم من ورائها[3].

قال شاعرهم فيها :

وآطامنا عاليّةٌ مُشمَخِرّة تلوح فتنكى من نعادى وتمنع[4]

وقد أُخبر عن ذلك القرآن الكريم قال تعالى (لا يقاتلونكم جميعا إلا فى قرى محصنة أو من وراء جدر)[5].

أحوالهم الدينية وكتبهم المقدسة.

وقد كان لليهود الذين سكنوا جزيرة العرب مدارس يتدارسون فيها أمور دينهم وأحكام شريعتهم كما كانت لهم اماكن خاصة يقيمون فيها عباداتهم وشعائر دينهم وكانت هذه الاماكن تسمى (المدارس) أى المكان الذى تدرس فيه نصوص التوراة وامور الشريعة. وكذلك كانت تلك الاماكن

---

(١) النساء : ١٦١ - ١٦٢

(٢) وفاء الوفاء للسمهودى (١ : ١٦٥).

(٣) قال الشهرستانى صاحب الملل والنحل (٣ : ١١-١٢) : وانما بنى اسلافهم الحصون والقلاع بقرب المدينة لنصرة رسول آخر الزمان فامروهم بمهاجرة اوطانهم بالشام الى تلك القلاع والبقاع حتى اذا ظهر واعلن الحق بعدان هاجروا الى يثرب هجروه وتركوا نصره. وذلك قوله تعالى (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين).

(٤) وفاء الوفاء للسمهودى (١ : ١٦٣).

(٥) الحشر : ١٤

المكان الذى يتجمع فيه اليهود لتبادل المشورة فى سائر أحوالهم الدينية والدنيوية . وقد يراد منه كبير اليهود الذى يعلمهم شريعتهم .

وقد جاءت الاخبار الصحيحة بان الرسول صلى الله عليه وسلم بعد هجرته الى المدينة كان يذهب الى (مدراسهم) ليدعوهم الى الاسلام ويحذرهم من الكفر به فقد أخرج البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال (بينما نحن فى المسجد إذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : انطلقوا إلى يهود . فخرجنا معه حتى جئنا بيت المدراس[1] فقام النبى صلى الله عليه وسلم فناداهم يامعشر يهود أسلموا تسلموا ، فقالوا : قد بلغت يا أبا القاسم ، فقال ذلك أريد ، ثم قالها الثانية فقالوا : قد بلغت يا أبا القاسم ، ثم قال الثالثة فقال اعلموا أن الارض لله ورسوله وأنى أريد ان أجليكم فمن وجد منكم بماله شيئا فليبعه ، والا فاعلموا أن الأرض لله ورسوله)[2] .

وقد كانت لليهود تشريعاتهم ونظمهم الخاصة بهم فيما يتعلق بالذبائح ، والقصاص ، والميراث ، والختان ، والنكاح ، ومايخص المرأة وغيرها من التشريعات التى بعضها اخذوه عن كتبهم وبعضها وضعه لهم كهانهم واحبارهم من عند انفسهم بما يلائم أهواءهم .

ولنضرب مثلا عن بعض تشريعاتهم الخاصة بهم . أخرج مسلم فى صحيحه عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن اليهود كانوا اذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوهن فى البيوت - اى لم يخالطوهن ولم يساكنوهن فى بيت واحد - فسأل أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم النبى صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى (ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فأذا

---

(١) المدراس : بكسر الميم وآخره مهملة مفعال من الدرس . والمراد به كبير اليهود ، ونسب البيت اليه لانه هو الذى كان صاحب دراسة كتبهم اى قراءتها . وفسره بعضهم بالبيت الذى تقرأ فيه التوراة . فتح البارى لابن حجر (١٥ : ٣٥٠) .

(٢) صحيح البخارى وعلى هامشه فتح البارى (١٥ : ٣٥٠) كتاب الاكراه .

تطهرن فاتوهن من حيث أمركم الله . إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين)[1] .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اصنعوا كل شيء إلا النكاح) .

فبلغ ذلك اليهود فقالوا : مايريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئا الا خالفنا فيه فجاء أسيد بن حضير ، وعبادة بن بشر فقالا : يارسول الله تقول كذا وكذا أفلا نجامعهن ؟ فتغير وجه النبي صلى الله عليه وسلم حتى ظننا أن قد وجد[2] عليهما فخرجا فاستقبلهما هدية من لبن إلى النبي صلى الله عليه وسلم فارسل في آثارهما فسقاهما فعرفا أنه لم يجد عليهما)[3] .

وكانت لليهود أعيادهم الخاصة بهم . كما كانت لهم أيام معينة يصومونها كيوم عاشوراء .

أخرج الأمام مسلم في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فوجد اليهود صياما يوم عاشوراء . فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم (ماهذا اليوم الذي تصومونه ؟) فقالوا : هذا يوم عظيم . انجى الله فيه موسى وقومه وغرق فرعون وقومه فصامه موسى شكرا . فنحن نصومه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (فنحن أحق وأولى بموسى منكم) فصامه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر بصيامه[4] .

هذه نبذة مختصرة عن أحوال اليهود في المدينة حيث كانوا يسكنون أما النصارى فكانوا يسكنون في نجران في جنوب الجزيرة العربية في نحو ثلاث وسبعين قرية[5] .

---

(١) البقرة : ٢٢٢

(٢) (قد وجد عليهما) اي غضب عليهما . ولم يجد عليهما اي لم يغضب . لسان العرب (٣ : ٤٤٦) .

(٣) صحيح مسلم بتحقيق الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقي (١ : ٢٤٦) - كتاب الحيض .

(٤) صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي (٢ : ٧٩٦) باب صوم يوم عاشوراء .

(٥) انظر البداية والنهاية (٥ : ٥٤) .

وكان أهل نجران اعظم النصارى فى عيسى قولا فكانوايجادلون النبى صلى الله عليه وسلم فيه .

أخرج الطبرى بسنده عن ابن عباس قوله (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون)[1] وذلك أن رهطا من أهل نجران ، قدموا على محمد صلى الله عليه وسلم وكان فيهم السيد والعاقب فقالوا لمحمد : ماشأنك تذكر صاحبنا ؟ فقال : من هو؟ قالوا : عيسى تزعم أنه عبد الله .فقال محمد : أجل إنه عبد الله ، قالوا له : فهل رأيت مثل عيسى ، أو انبئت به ؟ ثم خرجوا من عنده ، فجاءه جبريل صلى الله عليه وسلم بامر ربنا السميع العليم فقال : قل لهم : اذا أتوك (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم) ... الى آخر الاية[2]. الى قوله (فمن حاجك فيه من بعد ماجاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين)[3].

وقوله (نبتهل) أى نتضرع فى الدعاء .وأصل الابتهال الاجتهاد فى الدعاء باللعن ..

وحكى أبو عبيدة : بهله الله يبهله بهلة أى لعنه[4].

قال القرطبى : (هذه الآية من اعلام نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه دعاهم الى المباهلة فابوا منها ورضوا بالجزية بعد أن أعلمهم كبيرهم العاقب أنهم إن باهلوه اضطرم عليهم الوادى نارا فان محمدا نبى مرسل ، ولقد تعلمون أنه جاءكم بالفصل فى أمر عيسى ،فتركوا المباهلة وانصرفوا إلى بلادهم على أن يؤدوا فى كل عام ألف حلة فى صفر

---

(١) آل عمران : ٥٩

(٢) تفسير الطبرى (٣ : ٢٩٥) وانظر البداية والنهاية لابن كثير (٥ : ٥٢ - ٥٥) .

(٣) آل عمران : ٦١

(٤) انظر تفسير القرطبى (٣ : ١٠٤) .

وألف حلة فى رجب فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك بدلا من الاسلام)[1] . ا.هـ

ولاشك أن العقيدة التى شرعها عيسى عليه السلام هى عقيدة التوحيد . قال الشيخ محمد أبو زهرة[2] : (ينص القرآن الكريم على أن عقيدة المسيح هى التوحيد الكامل التوحيد بكل شعبه ، التوحيد فى العبادة ، فلايعبد إلا الله .والتوحيد فى التكوين لخالق السماء والأرض ومابينهما هو الله وحده لاشريك له التوحيد فى الذات والصفات فليست ذاته مركبة وهى منزهة عن مشابهة الحوادث سبحانه وتعالى .

فالقرآن يثبت أن عيسى مادعا إلا إلى التوحيد الكامل وهذا مايقوله الله تعالى عما يكون من عيسى يوم القيامة من مجاوبة بينه وبين ربه .

(واذ قال الله ياعيسى بن مريم ءانت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله قال سبحانك مايكون لى أن أقول ماليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم مافى نفسى ولا أعلم مافى نفسك انك أنت علام الغيوب ماقلت لهم إلا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شىء شهيد)[3] .

---

(١) تفسير القرطبى (٣ : ١٠٤) .

(٢) محاضرات فى النصرانية (ص١٢ -١٣) للاستاذ الشيخ محمد ابو زهرة . ط/الرابعة ١٣٩٢هـ طبع ونشر دار الفكر العربى .

(٣) المائدة: ٧٥

صفات بنى اسرائيل كما تحدث عنها القرآن الكريم

لقد سجل القرآن الكريم فى آياته وسوره الكريمة وبالأخص المدنية منها كثيرا من أخلاق بنى اسرائيل السيئة و طباعهم القبيحة ونواياهم الخبيثة .

فقد وصفهم بنقضهم للعهود والمواثيق ، وبالكفر والجحود والأنانية والغرور ، والجبن والكذب والخداعوا نحراف الطباع ، وقسوة القلب والعصيان والتعدى وأكل أموال الناس بالباطل ، والمسارعة فى الاثم والعدوان . . الى غير ذلك من الرذائل والصفات الممقوتة القبيحة التى سطرها القرآن الكريم . واستحقوا الطرد بسببها من رحمة الله .

إن هذه الصفات الذميمة التى سطرها القرآن الكريم يراها ويلمسها البشر واضحة جلية فيهم على مر السنين والدهور و عصرنا الحاضر خير شاهد على رسوخها فيهم وتمكنها منهم . وسوف اذكر بعضها على وجه الاجمال ثم اتحدث عنها تفصيلا فيما سيأتى إن شاء الله .

اولا : سوء ادبهم مع الله ، وعداوتهم للملائكة ، وقتلهم الانبياء بغير حق ، ونبذهم لكتاب الله واتباعهم السحر .

ثانيا : تحريفهم للكلم عن مواضعه ، وتحايلهم على استحلال محارم الله .

ثالثا : نقضهم العهود ، وجحودهم الحق .

رابعا : تنطعهم فى الدين وإلحافهم فى المسألة .

خامسا : حرصهم على الحياة وجبنهم عند الجهاد .

أولا : سوء أدبهم مع خالقهم جل وعلا - وعداوتهم للملائكة وقتلهم لانبيائه ، ونبذهم لكتاب الله واتباعهم السحر

قال تعالى (لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن اغنياء ، ستكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق . ونقول ذوقوا عذاب الحريق . ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد)[1] .

أخرج الطبرى وابن اسحاق عن ابن عباس رضي الله عنهما قال دخل ابو بكر الصديق رضى الله عنه بيت المدراس فوجد من يهود ناساكثيرا قد اجتمعوا الى رجل منهم يقال له فنحاص، كان من علمائهم واحبارهم ومعه حبر يقال له : اشيع، فقال ابو بكر رضى الله عنه لفنحاص : ويحك يافنحاص، اتق الله واسلم، فوالله انك لتعلم ان محمدا رسول الله ، قد جاءكم بالحق من عند الله ،تجدونه مكتوبا عندكم فى التوراة والأنجيل . قال فنحاص : والله يا ابا بكر مابنا الى الله من فقر، وإنه إلينا لفقير، ومانتضرع اليه كما يتضرع إلينا وإنا عنه لأغنياء ، ولو كان غنيا ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم .ينهاكم عن الربا ويعطينا . ولو كان غنيا ما اعطانا الربا فغضب ابو بكر، فضرب وجه فنحاص ضربة شديدة . وقال : والذى نفسى بيده لولا العهد الذى بيننا وبينك لضربت عنقك ياعدو الله ،فاكذبونا ما استطعتم إن كنتم صادقين فذهب فنحاص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يامحمد انظر ماصنع بى صاحبك ،فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر ماحملك على ماصنعت؟ فقال يارسول الله إن عدو الله قال قولا عظيما ،زعم ان الله فقير، وأنهم عنه اغنياء فلما قال ذلك غضبت لله مما قال فضربت وجهه . فجحد ذلك فنحاص، وقال : ماقلت ذلك ، فانزل الله تبارك وتعالى فيما قال فنحاص ردا عليه وتصديقا لأبى بكر (لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء) الآية[2] .

---

(١) آل عمران : ١٨١ -١٨٢

(٢) تفسير الطبرى (٤ : ١٩٤) .

فهذا الاثر يدل على أن اليهود كانوا يتهكمون على القرآن الكريم عندما يحض الناس على البذل والعطاء والجود والسخاء والانفاق في سبيل الله - ويصفون الله عز وجل - بما هو منزه عنه ويحاولون بشتى الطرق تحريض المؤمنين على الشح وعدم الانفاق لتشكيكهم في دينهم، وصرفهم عن الاستجابة لكتاب ربهم وسنة نبيهم . وليس هذا القول القبيح غريبا على اليهود . فقد سجل القرآن الكريم امثال ذلك قال تعالى (وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء) قال ابن عباس (مغلولة) أي بخيلة . فهم لا يعنون ان يد الله موثوقة ولكن يقولون بخيل . تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا(١) .

ومن جملة إساءتهم مع الله عز وجل (نسبة الابن إلى الله) وقالوا انهم هم ابناء الله تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

قال تعالى : (وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم ، بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والأرض ومابينهما واليه المصير)(٢) .

أخرج ابن جرير بسنده عن ابن عباس قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمان بن اضا وبحرى بن عمرو وشاس بن عدى فكلموه فكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم إلى الله وحذرهم نقمته فقالوا ماتخوفنا يامحمد ، نحن والله أبناء الله وأحباؤه كقول النصارى فأنزل الله جل وعز فيهم (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه)(٣) .

وقال تعالى (وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (٢ : ٧٥) .
(٢) المائدة : ١٨
(٣) تفسير ابن جرير الطبري (٦ : ١٦٤) . وانظر تفسير ابن كثير (٢ : ٣٥) .

عما يشركون يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون . هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون)[1] .

اخرج ابن جرير الطبرى عن ابن عباس رضى الله عنهما - انه قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم (سلام بن مشكم ، ونعمان بن اوفى وشاس بن قيس ، ومالك بن الصيف) فقالوا : كيف نتبعك يا محمد ، وقد تركت قبلتنا وأنت تزعم أن عزيرا ابن الله ، فأنزل الله فى ذلك قولهم (وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله . . . . الآية)[2] .

وقال تعالى (يا اهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقلوا على الله الا الحق . انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد سبحانه أن يكون له ولد له مافى السموات ومافى الارض وكفى بالله وكيلا)[3] .

فقوله تعالى (ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد سبحانه) التقدير : ولا تقولوا هو ثالث ثلاثة . فحذف المبتدأ والمضاف .

والنصارى مع فرقهم مجمعون على التثليث ويقولون : ان الله جوهر واحد وله ثلاثة اقانيم فيجعلون كل اقنيم الها ويعنون بالاقانيم الوجود والحياة ، والعلم . وربما يعبرون عن الاقانيم بالاب والابن وروح القدس . . . ومحصول كلامهم يؤول الى التمسك بان عيسى انه بماكان يجريه الله سبحانه وتعالى على يده من خوارق العادات على حسب دواعيه وارادته وقالوا قد علمنا خروج هذه الأمور عن مقدور البشر ، فينبغى أن يكون المقتدر عليها موصوفا بالألهية[4] .

---

(١) التوبة : ٣٠ - ٣٣

(٢) تفسير الطبرى (١٠ : ١١٠) .

(٣) النساء : ١٧١

(٤) انظر تفسير القرطبى (٦ : ٢٣) .

وقد رد الله عليهم بقوله (إنما الله اله واحد سبحانه أن يكون له ولد له مافى السموات ومافى الارض وكفى بالله وكيلا) .

وقال تعالى (لقدكفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة ومامن اله الا الهواحد وإن لم ينتهوا عمايقولون ليمسن الذين كفروامنهم عذاب أليم . افلايتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم)[1] .

فقوله تعالى (ثالث ثلاثة) أى أحد ثلاثة . ولايجوز فيه التنوين .

وهذا قول فرق النصارى من الملكية والنسطورية واليعقوبية لانهم يقولون أب وابن وروح القدس إلهواحد . ولايقولون ثلاثةآلهة وهو معنى مذهبهم ، وانما يمتنعون من العبارةوهى لازمة لهم .

فاكفرهم الله بقولهم هذا وقال (ومامن إله إلا إله واحد) أى أن الاله لايتعدد وهويلزمهم القول بثلاثة آلهة كما تقدم وان لم يصرحوا بذلك لفظا[2] .

ثم توالت الايات الكريمة تبين لهم حقيقة الأمر وأن المسيح عليه السلام رسول من عند الله وان ظهرت الآيات على يديه فانما جاءبها كما جاءت بها الرسل . فأن كان الها فليكن كل رسول الها . فهذا رد لقولهم واحتجاج عليهم .

وانه عليه السلام مولود مربوب ، ومن ولدته النساء وكان باكل الطعام مخلوق محدث كسائر المخلوقين . وقال بعض المفسرين (كانا يأكلان الطعام) إنه كنايةعن الغائط والبول . وفى هذا دلالة على أنهما بشران[3] .

قال تعالى : (ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر انى يؤفكون)[4] .

---

(١) المائدة : ٧٣ - ٧٤

(٢) تفسير القرطبى (٦ : ٢٤٩ - ٢٥٠) .

(٣) انظر تفسير القرطبى (٦ : ٢٥٠) .

(٤) المائدة : ٧٥

وخلاصة القول أن أهل الكتاب أساءوا الأدب مع الحق سبحانه وتعالى حيث نسبوه للفقر وقالوا إنه فقير ونحن أغنياء ، وقالوا إنه ثالث ثلاثة ، وأنكروا الحق الذى جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ونسبوا الولد إلى الله فقال اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله .

وعن عداوتهم للملائكة . قال تعالى (قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك بأذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين من كان عدوا لله وملائكته ورسله و جبريل وميكال فأن الله عدو للكافرين) .

قال الامام ابوجعفر الطبرى رحمه الله أجمع أهل العلم بالتأويل أن هذه الآية نزلت جوابا لليهود من بنى إسرائيل إذ زعموا أن جبريل عدو لهم وأن ميكائيل ولى لهم (١) .

أخرج البخارى بسنده عن أنس بن مالك قال : سمع عبد الله بن سلام بقدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى أرض يخترف فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : إنى أسائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبى فما اول اشراط الساعة؟ وما أول طعام أهل الجنة؟ وماينزع الولد الى أبيه أو إلى أمه ؟ قال : أخبرنى بهن جبريل آنفا قال : جبريل ؟ قال نعم قال ذاك عدو اليهود من الملائكة . فقرأ هذه الاية (قل من كان عدوا لجبريل . . . .) . الحديث (٢) .

وأخرج الأمام أحمد عن ابن عباس (أن اليهود بعد ان سألوا النبى صلى الله عليه وسلم أسئلة أجا بهم عنها ، قالوا صدقت فحدثنا من وليك من الملائكة فعندها نجامعك او نفارقك قال ولى جبريل ، لم يبعث الله نبيا قط إلا هو وليه .

قالوا : فعندها نفارقك ، ولو كان وليك سواه من الملائكة لتابعناك وصدقناك قال : فما يمنعكم أن تصدقوه ؟ قالوا إنه عدونا . فأنزل الله قوله

---

(١) تفسير الطبرى (١ : ٤٣١) .

(٢) صحيح البخارى وعلى هامشه فتح البارى (٩ : ٢٣٢) كتاب التفسير .

(قل من كا ن عدوا لجبريل فأنه نزله على قلبك بأذن الله مصدقا لما بين يديه . . . . . الآيات)[1] .

حقا انها صفةعجيبة من صفات اليهود وهى عداوتهم لملك من ملائكة الله وهو من الملائكة المقربين الذين لا يعصون اللهما امرهم ويفعلون مايؤمرون .

أما عن قتلهم لأنبياء الله . .

قال تعالى : (وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون)[2] .

وقال تعالى (ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم أولئك الذين حبطت اعمالهم فى الدنياوالآخرة ومالهممن ناصرين)[3] .

اشتملت الآيتان الكريمتان على صفتين قبيحتين لبنى إسرائيل .

الصفة الأولى : هى كفرهم بآيات الله التنزيلية والكونية .

الصفة الثانية : هى قتلهم النبيين بغير حق . وهذا قد تكررمنهم فى مختلف الأزمنة والعصور وقد أزهقت أرواح الكثير من أنبيائهم استهتارا بمقام النبوة وذلك بسبب عمى بصيرتهم وعتوهم واستكبارهم .

وكان قد صدر هذا القتل منهم (بغير حق) فليس هناك أى نوع من أنواع العذاب يحملهم على ارتكاب مثل هذا الجرم الشنيع وقد ارتكبوا ذلك مع علمهم انهم على الباطل . وهذا هو غاية الكبر .

أخرج ابن جرير الطبرى رحمه الله بسنده عن أبى عبيدة الجراح قال : قلت يارسول الله اى الناس أشد عذابا يوم القيامة ؟ قال : رجل قتل نبيا . أو رجل أمر بالمنكر ونهى عن المعروف ، ثم قرأ رسول الله

---

(١) مسند الامام احمد (١ : ٢٧٨) .
(٢) البقرة : ٦١
(٣) آل عمران : ٢١ ، ٢٢

(إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس) إلى أن انتهى الى (ومالهم من ناصرين) ثم قال صلى الله عليه وسلم : يا أبا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلاثة وأربعين نبيا من أول النهار في ساعة واحدة . فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرائيل فأمروا من قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر النهار في ذلك اليوم وهم الذين ذكر الله عز وجل .

وقوله تعالى (فبشرهم بعذاب اليم) أى موجع مهين.(١)

أما ماجاء من الذكر الحكيم في نبذهم لكتاب الله واتباعهم السحر.

فقال تعالى (ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون واتبعوا ماتتلوا الشياطين على ملك سليمان وماكفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ومايعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما مايفرقون به بين المرء وزوجه وماهم بضارين به من أحد إلا باذن الله ويتعلمون مايضرهم ولاينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق ولبئس ماشروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون).(٢)

تشير هذه الآية الكريمة الى أن اليهود لهم جذورهم في التاريخ حيث تعلموا من قديم السحر وعلموه الناس ليفتنوهم عن دين الله ونبذوا كتاب الله وتعاليمه وماجاءتهم به أنبياؤهم وراء ظهورهم وهلكوا وأهلكوا غيرهم ممن اتبعهم من الناس بتعلمهم وتعليمهم السحر.

---

(١) تفسير الطبرى (٣ : ٢١٦) ، تفسير ابن كثير (١ : ٣٥٥) .

(٢) البقرة : ١٠١-١٠٢

ثانيا : تحريفهم للكلم عن مواضعه وتحايلهم على استحلال محارم الله

من أشنع صفات بني إسرائيل التي كررها القرآن الكريم ووبخهم عليها ووعدهم بالويل والعذاب الأليم هي تحريفهم للكلم عن مواضعه . وحمله على غير وجهه الصحيح . وإنما حملهم على ذلك قسوة قلوبهم ، وجشعهم وحبهم لحطام الدنيا وعمى بصيرتهم .

قال تعالى (افتطمعون ان يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ماعقلوه وهم يعلمون . وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم افلا تعقلون . أولا يعلمون ان الله يعلم مايسرون ومايعلنون ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني وان هم الا يظنون . فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون)[1] . صدق الله العظيم

فقوله تعالى (يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ماعقلوه وهم يعلمون) .

قال ابن كثير : (قال السدى : هي التوراة حرفوها . وقد اختاره ابن جرير . وقال مجاهد الذين يحرفونه والذين يكتمونه هم العلماء . وقال أبو العالية : عمدوا الى ما أنزل الله في كتبهم من نعت محمد صلى الله عليه وسلم فحرفوه عن مواضعه . . . . . حرفوا التوراة التي أنزلها الله عليهم يجعلون الحلال فيها حراما والحرام حلالا . والحق فيها باطلا والباطل فيها حقا)[2] .

قلت : والسنة المطهرة قد روت لنا الكثير من تحريفهم لكتبهم بما يناسب أهواءهم . أخرج البخاري بسنده عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

---

(١) البقرة : ٧٥ - ٧٩

(٢) انظر تفسير ابن كثير (١ : ١١٥) .

ان اليهود جاءوا الى النبى صلى الله عليه وسلم برجل منهم وامرأة قد زنيا فقال لهم : كيف تفعلون بمن زنى منكم؟ قالوا : نحممهما[1] ونضربهما فقال :ألا تجدون فى التوراة الرجم ؟ فقالوا : لا نجد فيها شيئا . فقال لهم عبد الله بن سلام :كذبتم فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين . فوضع مدراسها الذى يدرسها منهم كفه على آية الرجم فطفق يقرأ ما دون يده وماوراءها ولا يقرأ آية الرجم ، فنزع يده عن آية الرجم فقال : ماهذه؟ فلما رأوا ذلك قالوا : هى آية الرجم فأمر بهما فرجما قريبا من حيث موضع الجنائز عند المسجد . فرأيت صاحبها يجنأ[2] عليها يقيها الحجارة[3] .

ونختم حديثنا بقوله تعالى فى سورة النساء حيث صرحت الاية الكريمة بتحريفهم للكلم عن مواضعه وبأساءتهم للنبى صلى الله عليه وسلم بلسان حالهم ومقالهم . قال تعالى (من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بالسنتهم وطعنا فى الدين ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا)[4] .

فقوله تعالى عن اليهود (يحرفون الكلم عن مواضعه) اى يتأولونه على غير تأويله ويفسرونه بغير مراد الله عز وجل قصدا منهم وافتراء (ويقولون سمعنا) أى سمعنا ماقلته يامحمد ولا نطيعك فيه (واسمع غير مسمع) أى اسمع مانقول لاسمعت وهذا استهزاء منهم واستهتار عليهم لعنة الله[5] .

---

(١) نحممها - تحميم الوجه : اى يصب عليه ماء حار مخلوط بالرماد والمراد تسخيم الوجه بالحميم وهو الفحم وفى رواية اخرى للبخارى (تحميم الوجه والتجبية) والمراد بالتجبية : من جبهت الرجل اذا قابلته بمايكره من الاغلاظ فى القول والفعل . . وقال عياض فسر التجبية فى الحديث بانهما يجلدان ويحمم وجوههما ويحملان على دابة مخالفا بين وجوههما . فتح البارى (١٥ : ١٤٠) .

(٢) يجنأ : جنأ عليه جنوءا وجانأ عليه وتجانأ عليه . اكب وفى الحديث فجعل الرجل يجنىء عليها اى يكب ويميل عليها ليقيها الحجارة . لسان العرب (١ : ٥٠) .

(٣) صحيح البخارى وعلى هامشه فتح البارى (٩ : ٢٩٢) كتاب التفسير .

(٤) النساء : ٤٦

(٥) انظر تفسير ابن كثير (١ : ٥٠٧) .

ثالثا : نقضهم العهود . وجحودهم الحق

أن من أبرز صفات اليهود التى اشتهروا بها منذ أقدم العصور الى يومنا هذا هى نقضهم العهود والمواثيق وجحودهم للحق . وقد وردت آيات كثيرة فى القرآن الكريم تحدثنا عن هذه الخصلة الذميمة التى أصبحت طبيعة فيهم.

فقد أخذ الله عز وجل عليهم كثيرا من المواثيق على لسان أنبيائه ورسله ولكنهم نقضوها وعاهدهم صلوات الله وسلامه عليه مرات كثيرة فكانوا ينقضون عهدهم فى كل مرة .

قال تعالى : (وإذ أخذنا ميثاق بنى إسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين إحسانا ، وذى القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم إلا قليلا منكم وأنتم معرضون) (١) .

فقد أخذ العهد عليهم بألا يعبدوا سوى الله وأن يحسنوا الى آبائهم وبأداء جميع الحقوق نحوهم وكذلك الأحسان إلى ذى القربى واليتامى والمساكين ومخاطبة الناس بالحسنى بما فيه صلاحهم ونفعهم وكذلك المحافظة على فريضة الصلاة وايتاء الزكاة ولكنهم نقضوا عهدهم الا قليلا منهم حافظوا على ذلك العهد .

وهناك نوعا آخر من الميثاق الذى أخذ عليهم ولم يحافظوا عليه فكان عقابهم الخزى فى الدنيا والعذاب الشديد فى الآخرة .

قال تعالى (وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون . ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون . أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون) (٢) .

---

(١) البقرة : ٨٣

(٢) البقرة : ٨٤ - ٨٦

وخلاصة الميثاق الذى أخذ عليهم : هو عدم التعرض لبعضهم البعض بالقتل . وألا يخرج أحدهم الآخر من مسكنه وإذا وقع أحدهم فى الأسر فادوه وبذلوا أموالهم لفدائه واقروا العهد وشهدوا على الوفاء به والالتزام بما جاء فيه . ولكنهم خرجوا على تعاليم التوراة فنقضوا عهدهم واراق بعضهم دماء بعض وأخرجوا إخوانهم فى الملة والدم من ديارهم ظلما وعدوانا اذ انه لما نشبت الحرب بين الاوس والخزرج انضمت بنو قريظة إلى الأولى وانضمت بنو قينقاع وبنو النضير إلى الخزرج وصارت كل قبيلة تقاتل الاخرى مع حلفائها . ومع ذلك اذا وقع اخوانهم الذين قاتلوهم واخرجوهم من ديارهم فى الاسر فادوهم . فقال تعالى (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) إن هذا التفريق بين أحكام الله جزاء فاعله الهوان فى الدنيا والعذاب الأليم الشديد فى الاخرة .

تلك هى بعض العهود التى نقضوها مع الله عز وجل . ومع أنبيائه عليهم السلام فلما بعث النبى صلى الله عليه وسلم الذى يعرفونه كما يعرفون أبناءهم كفروا به ونقضوا عهودهم معه فى كل مرة وحاربوه بكل وسيلة لذلك حذر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم من اليهود المعاصرين له والذين ورثوا رذائل آبائهم ونقضهم لعهودهم وغدرهم وخيانتهم وانحرافهم عن الطريق المستقيم . لذلك لعنهم الله وطردهم من رحمته وجعل قلوبهم قاسية وهى فى قساوتها أشد من الحجارة[1] .

قال تعالى (وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار)[2] .

قال تعالى (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به . ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين)[3] .

---

(١) انظر بنو اسرائيل فى القرآن والسنة ، د . محمد سيد طنطاوى (٢ : ٢٢٩)

(٢) البقرة : ٧٤

(٣) المائدة : ١٣

أما عن جحودهم للحق : فقد تكرر في القرآن هذا الوصف الذميم وهو جحودهم الحق عن معرفة وعلم ونكتفي بهذه الآية الكريمة :

قال تعالى : (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين . بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين) .

قال أبو العالية : كانت اليهود تستنصر بمحمد صلى الله عليه وسلم على مشركي العرب يقولون : اللهم ابعث هذا النبي الذي نجده مكتوبا عندنا حتى نعذب المشركين ونقتلهم . فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم ورأوا انه من غيرهم كفروا به حسدا للعرب وهم يعلمون أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال الله تعالى (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين)[1] .

وأخرج محمد بن إسحق بسنده عن ابن عباس أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه . فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء يا معشر يهود اتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد صلى الله عليه وسلم ونحن أهل الشرك وتخبروننا بانه مبعوث وتصفونه بصفته فقال سلام بن مشكم أخو بني النضير : ما جاءنا بشيء نعرفه وما هو الذي كنا نذكر لكم[2] .

---

(١) تفسير ابن كثير (١ : ١٢٤) .
(٢) نفس المرجع السابق . ،

رابعا : تنطعهم فى الدين والحافهم فى المسألة

ومن الصفات الذميمة التى اشتهرت فى بنى إسرائيل تنطعهم فى الدين . ومحاولتهم تضييق ماوسعه الله عليهم . وتهربهم من الانصياع لكلمة الحق وتشككهم فى صدق انبيائه وتعنتهم فى السؤال . إما للتحلل من الأمتثال وإما لانطماس بصيرتهم عن فهم مقاصد الشريعة وقصة أمرهم بذبح بقرة على لسان نبيهم موسى عليه السلام خير دليل على ماوصفهم الله به من رذائل ومن فسوق عن أمر ربهم ، وسوء تقبل لنعم خالقهم.(١)

قال تعالى (وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا ؟ قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين . قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهى ؟ قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ماتؤمرون . قالوا ادع لنا ربك يبين لنا مالونها ؟ قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين . قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهى ؟ إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون . قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقى الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وماكادوا يفعلون . وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ماكنتم تكتمون . فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون)(٢) .

وتؤخذ من القصة العبر والعظات الآتية :

(١) دلالتها على ماجبل عليه بنو إسرائيل من فظاظة وغلظة وسوء ادب مع مرشديهم واحفاء فى الأسئلة بلا موجب ، وعدم الاستعداد للتسليم بما يأتيهم به رسلهم .

(٢) دلالتها على صدق النبى صلى الله عليه وسلم فيما يبلغه عن ربه فقد أخبر عن هذه القصة الواقعية التى لم يشاهد حوادثها بما

---

(١) انظر بنو اسرائيل فى القرآن والسنة د . محمد سيد طنطاوى (٢ : ١٦٧)

(٢) الايات من ٦٧ - ٧٣ سورة البقرة

أوحاه الله اليه وهذا الاخبار من أعلام نبوته (صلى الله عليه وسلم) كما أنها تدل على صدق نبوة موسى عليه السلام وأنه رسول من رب العالمين .

(٣) دلالتها على أن التنطع فى الدين والألحاف فى المسألة يؤديان إلى التشديد فى الأحكام لأن بنى اسرائيل لو أنهم من أول الأمر عمدوا إلى ذبح أية بقرة لاجزأتهم . ولكنهم شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم .

(٤) دلالتها على قدرة الله تعالى فى احياء الميت . وصدقه تعالى حيث يقول (فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون)[1] .

---

(١) انظر كتاب (بنو اسرائيل فى القرآن والسنة) د . محمد سيد طنطاوى (ص١٨٧ - ١٨٩) .

خامسا : حرصهم على الحياة وجبنهم عن الجهاد

ومن الصفات الممقوتة التى جبل عليها بنو إسرائيل فى كل مكان وزمان هى تهالكهم على الدنيا وحرصهم على الحياة مما أدى بهم هذا الحب الشديد للحياة الى الجبن والهلع . والاعتذار عن القتال بشتى أنواع وألوان المعاذير وقد صورها القرآن فى آياته الكريمة . قال تعالى :

(ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر الف سنة وماهو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بمايعملون)[1] .

يخبر تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم عن اليهود بأنهم أحرص الناس والمراد بالناس جميعهم على (حياة) ونكر سبحانه الحياة التى يحرصون عليها زيادة فى تحقيرهم تلك الحياة التى يضحون من اجلها بدينهم وكرامتهم حتى إنهم أحرص عليها حتى من المشركين الذين لا يؤمنون بالبعث . وهم فى حرصهم هذا على الحياة يتمنون ا ن تطول اعمارهم د هورا طويلة (يود أحدهم لو يعمر الف سنة) ثم بين سبحانه أن تعميرهم الطويل لن ينجيهم من العقوبة لأن الموت لن يتركهم مهما طال عمرهم . (والله بصير بما يعملون) تهديد ووعيد لهم وأن الله سيجازيهم عن كل ذلك بمايستحقون[2] .

وقد أشار القرآن الكريم إلى جبنهم قال تعالى :

(لأنتم أشد رهبة فى صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لايفقهون لايقاتلونكم جميعا إلا فى قرى محصنة أومن وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لايعقلون) .

المعنى الاجمالى للآية : يخبر تعالى عن اليهود الجبناء أنه من شدة هلعهم لايقدرون على قتال المسلمين إلا إذا كانوا متحصنين فى قلاعهم وحصونهم وخنادقهم لفرط جبنهم . (بأسهم بينهم شديد) أى عداوتهم

---

(١) البقرة : ٩٦

(٢) انظر بنو اسرائيل فى القرآن والسنة (٢ : ١١٤) .

فيما بينهم شديدة (تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى) اى تظنهم مجتمعين على امر ورأى وهم مختلفون غاية الاختلاف .

قال قتادة : أهل الباطل مختلفة آراؤهم . مختلفة أهواءهم مختلفة شهاداتهم وهم مجتمعون فى عداوة اهل الحق (١) .

وهم فى خوفهم وجبنهم هذا ضاهوا آباءهم وا جدادهم عندما امرهم نبيهم موسى عليه السلام بان يدخلوا الارض المقدسة (٢) فاجابوه : بأن فيها قوما جبارين وأنهم لايدخلونها حتى يخرج منها أهلها . وقالوا له إنهم لايدخلونها ماداموا فيها وقالوا له : (فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون) .

واليك بيان الآيات الكريمة :

(ياقوم ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين قالوا ياموسى ان فيها قوما جبارين . وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها . فان يخرجوا منها فانا داخلون قال رجلان من الذين يخافون انعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين . قالوا ياموسى انا لن ندخلها ابدا ماداموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون . قال رب انى لا أملك إلا نفسى وأخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين . قال فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الارض فلا تأسى على القوم الفاسقين) (٣) .

فتلك الآيات الكريمة تصور لنا ما فطر عليه بنو إسرائيل من جبن شديد وعزيمة خوارة وعصيان لرسلهم . وايثار للذل مع الراحة على العزة مع الجهاد .

---

(١) انظر تفسير القرطبى (١٨ : ٣٥) .

(٢) اختلف بالمراد منها قيل هى اريحاء ، وقيل الشام ، وقيل الطور وقيل فلسطين . قال ابن جرير الطبرى واولى الاقوال فى ذلك بالصواب ان يقال هى الارض المقدسة كما قال نبى الله موسى عليه السلام لان القول فى ذلك بانها ارض دون ارض لا تدرك حقيقة صحته الا بالخبر ولا خبر بذلك يجوز القطع به غير انها لا تخرج عن ان تكون من الارض التى بين الفرات وعريش مصر لاجماع جميع اهل التأويل والسير والعلماء بالاخبار على ذلك) . (٦ : ١٧٢) .

(٣) المائدة : ٢١ - ٢٦

الفصل الثالث

الفصل الثالـــث

المنـــافقـــــــون

من مقاصد السور والايات المدنية الحديث عن المنافقين وصفاتهم .
وسوف اتحدث بمشيئة الله عن هذه العناصر الآتية :
أولا : صفات المنافقين كما تحدث عنها القرآن والسنة المطهرة .
ثانيا : حقيقة المنافقين وخطرهم وما أعد لهم من العذاب .
ثالثا : موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من المنافقين .

اولا : صفات المنافقين كما تحدث عنها القرآن الكريم والسنة المطهرة

المنافق :

هو الذى يظهر الأسلام ويبطن الكفر والعداء والبغضاء للأسلام .

والنفاق : هو مخالفة الباطن للظاهر .

واختلف فى اشتقاقه .

قال الأنبارى : وهو مأخوذ من النفق وهو السرب . فهم يتسترون بالأسلام كما يستتر الرجل فى السرب .

وقال غيره : إنه مشتق من النافقاء - وهو جحر اليربوع . أو أحد بابيه قال أبو عبيدة : إنه يجعل لجحره بابين أحدهما القاصعاء . والآخر النافقاء . فأذا طلب من أحدهما خرج من الآخر . وهكذا شأن (المنافق) يظهر للمؤمنين من باب الأيمان . وللكافرين من باب الكفر . فاذا أصابته مشقة من أحدهما لجأ الى الاخر . . وهو إسم إسلامى لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص . وهو الذى يستر كفره ويظهر إيمانه وإن كان أصله فى اللغة معروفا (١) .

والنفاق مرض نشأ مع بداية ظهور الأسلام فى المدينة ولا زال هذا المرض الخطير يجوب كثيرا من المجتمعات حتى وقتنا الحاضر .

وهو مرض قلبى وكثيرا ما جمع القرآن بين المنافقين ومرضى القلوب .

قال تعالى (وإذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا) (٢) .

وقال تعالى (لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة) (٣) الآية .

---

(١) انظر لسان العرب (١٠ : ٣٥٩) .
(٢) الاحزاب : ١٢
(٣) الاحزاب : ٦٠

وقد يذكر فى الآية مرضى القلوب وحدهم وحينئذ يكون المراد بهم المنافقون .

قال تعالى (فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا)[١] .

وقال تعالى (فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة)[٢] .

وقال تعالى (أم حسب الذين فى قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم)[٣] .

ولابد أن نتعرف على بعض صفات المنافقين وحقيقة أمرهم . وقد أفصح عنها القرآن الكريم فى عدد من سوره وآياته وأكدتها السنة المطهرة .

(١) الكذب :

هو الأخبار عن الشىء بخلاف ماهو عليه . قال تعالى (انما يفترى الكذب الذين لايؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون)[٤] .

فهو السبيل للمنافقين فى إظهار خلاف مايبطنون فيظهرون الأيمان بقولهم . . قال تعالى (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وماهم بمؤمنين)[٥] . وقال تعالى يبين لنا أساليب كذبهم : (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا) فلجأوا إلى الكذب لتثبيت ايمانهم (وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون)[٦] .

وقال تعالى متوعدا لهم العذاب جزاء لكذبهم (فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بماكانوا يكذبون)[٧] .

---

(١) البقرة : ١٠
(٢) المائدة : ٥٢
(٣) محمد (صلى الله عليه وسلم) : ٢٩
(٤) النحل : ١٠٥
(٥) البقرة : ٨
(٦) البقرة : ١٤
(٧) البقرة : ١٠

وقد وضحت السنة ان الكذب احد خصال النفاق .

اخرج البخارى بسنده عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (آية المنافق ثلاث : اذا حدث كذب) . . .الحديث (١)

(٢) الخلف فى الوعد والغدر فى المعاهدة :

وكلاهما من الصفات القبيحة الممقوتة التى اتصف بها المنافقون وذلك بأنهم يعدون الناس ويعاهدونهم وفى نيتهم عدم الوفاء .لكن لو كان الانسان عازما على الوفاء فعرض مانع فلا اثم عليه ولا يعد من المنافقين بمجرد إخلاف الوعد .

قال النووى : هذا الحديث عده جماعة من العلماء مشكلا من حيث إن هذه الخصال قد توجد فى المسلم المجمع على عدم الحكم بكفره ، قال وليس فيه إشكال بل معناه صحيح ،والذى قاله المحققون إن معناه أن هذه خصال نفاق ، وصاحبها شبيه بالمنافقين فى هذه الخصال ومتخلق بأخلاقهم (٢) قال تعالى (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين . فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون . فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ماوعدوه وبماكانوا يكذبون) (٣) .

(٣) الخيانة :

قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون) (٤) .

وهى من الصفات القبيحة التى ارتداها المنافقون وتخلقوا بها . وقد مقت الله الخائنين قال تعالى (وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين) (٥) . وفى الحديث (وإذا اؤتمن خان) (٦) .

---

(١) صحيح البخارى وعلى هامشه فتح البارى (١ : ٩٧) .
(٢) انظر شرح مسلم للنووى (٢ : ٤٦ - ٤٧) .
(٣) التوبة : ٧٥ - ٧٧
(٤) الانفال : ٢٧
(٥) الانفال : ٥٨
(٦) صحيح البخارى وعلى هامشه فتح البارى (١ : ٩٧) .

(٤) الضلال والحيرة :

فهم غارقون فى الظلمات ، يغتالهم اليأس ، ويعميهم الشك ماضيهم ذكريات سوداء معتمة ، وحاضرهم رعب قاتل مدمر ، ومستقبلهم الخيبة والضياع والناس من حولهم أعداء . وقد ضرب الله لضلالهم وحيرتهم الأمثال .

قال تعالى (مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون ، صم بكم عمى فهم لا يرجعون) إلى قوله (إن الله على كل شىء قدير) .

(٥) الجبن :

قال تعالى (وإذا رأيتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله انى يؤفكون)[1] .

يقول جل ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واذا رأيت هؤلاء المنافقين تعجبك أجسامهم لتناسب أشكالهم وحسن منظرهم وإن يتكلموا تسمع للين كلامهم وحسن منطقهم كأنهم خشب مسنده لا خير فيهم ولا فقه لهم ولا علم . يحسب هؤلاء المنافقون من خبثهم وسوء ظنهم وقلة يقينهم كل صيحة عليهم لأنهم دوما على وجل من أن ينزل الله فيهم أمرا يهتك أسرارهم ويفضحهم ويبيح للمؤمنين قتلهم وسبى ذراريهم . (فاحذرهم) فأن ألسنتهم معكم وقلوبهم مع أعدائكم أخزاهم الله الى أى وجه يصرفون عن الحق .

قال تعالى (ويحلفون بالله إنهم لمنكم ، وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا إليه وهم يجمحون)[2] .

---

(١) المنافقون : ٤

(٢) التوبة : ٥٦ - ٥٧

وقال تعالى : (فأذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت)[1] .

يصف الله تعالى المنافقين الجبناء بأنهم إذا حضر البأس وجاء القتال و خافوا الهلاك والقتل رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم خوفا من القتل وفرارا منه كدوران عين الذى يغشى عليه من الموت النازل به) .

قال تعالى (ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فأذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين فى قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشى عليه من الموت فأولى لهم[2] طاعة وقول معروف) الآية

وهناك الكثير من الصفات التى وردت بحقهم فى القرآن .

قال ابن القيم رحمه الله[3] : (لما ذكر تعالى أقسام الخلق فى أول سورة البقرة (٢ - ٢٠) فقسمهم إلى مؤمن ظاهرا وباطنا ، وكافرا ظاهرا وباطنا ، ومؤمن فى الظاهر كافر فى الباطن وهم المنافقون ، ذكر فى حق المؤمنين ثلاث آيات (٣ - ٥) وفى حق الكافرين آيتين (٦ - ٧) فلما انتهى إلى ذكر المنافقين ذكر فيهم بضع عشرة آية (٨ - ٢٠) ذمهم فيها غاية الذم وكشف عوراتهم وقبحهم وفضحهم) .

وصفهم بالخداع (وهو إظهار خير يتوسل به الى ابطان شر يؤول اليه أمر ذلك الخير المظهر)[4] .

قال تعالى (يخادعون الله والذين آمنوا ومايخدعون إلا أنفسهم ومايشعرون)[5] .

وصفهم بأنهم مرضى القلوب - قال القرطبى (المرض عبارة مستعارة للفساد الذى فى عقائدهم وذلك إما أن يكون شكا ونفاقا . قال تعالى

---

(١) الاحزاب : ١٩

(٢) محمد (صلى الله عليه وسلم) : ٢٠-٢١

(٣) كتاب طريق الهجرتين وباب السعادتين تأليف الامام شمس الدين محمد بن القيم الجوزية . حققه خادم العلم عبد الله الانصارى طبع على نفقة الشيخ حمد بن فالح آل ثانى (ص١ ٧٠) .

(٤) نظم الدرر فى تناسب الايات والسور للبقاعى (١ : ١٠٧) .

(٥) البقرة : ٩

(في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا) الاية . واما جحدا وتكذيبا)[1] .
والله عز وجل يزيدهم مرضا على مرضهم .

وصفهم بالأفساد في الأرض والأستهزاء بدينه وبعباده وبالطغيان .

قال تعالى (وإذا قيل لهم لاتفسدوا في الارض قالوا إنما نحن مصلحون . ألا إنهم هم المفسدون ولكن لايشعرون وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا انؤمن كما آمن السفهاء الا إنهم هم السفهاء ولكن لايعلمون وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزؤن الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون)[2] .

قال تعالى (ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن)[3] .

ونعتهم بأنهم المغبونون في اشترائهم الضلالة بالهدى وأنهم صم بكم عمى فهم لايرجعون . قال تعالى (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وماكانوا مهتدين)[4] .

وقال تعالى (صم بكم عمى فهم لايرجعون)[5] .

وأنهم كسالى عند عبادته وفي أعمال الخير وقلة ذكره .

قال تعالى (ولايأتون الصلاة الا وهم كسالى ولاينفقون الا وهم كارهون)[6] .

وقال تعالى (وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولايذكرون الله الا قليلا)[7] .

ومن صفاتهم انك إذا دعوتهم عند المنازعة للتحاكم الى القرآن والسنة ابوا ذلك وأعرضوا عنه ودعوك الى التحاكم إلى طواغيتهم .

---

(١) القرطبي (١ : ١٩٧) .
(٢) البقرة : ١١ - ١٥
(٣) التوبة : ٦٥
(٤) البقرة : ١٦
(٥) البقرة : ١٨
(٦) التوبة : ٥٤
(٧) النساء : ٦٠

قال تعالى (ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا) .

(وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا . فكيف إذا اصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا الا إحسانا وتوفيقا أولئك الذين يعلم الله مافي قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا) (١) .

وأنهم مذبذبون مترددون بين المؤمنين والكفار فلا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء .

قال تعالى (إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا) (٢) .

وقال تعالى (مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا) (٣) .

ومن صفاتهم الحلف بالله كذبا وباطلا فهم جبناء كاذبون كما قال تعالى (وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون انفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون) (٤) .

وإن من عدائهم للمؤمنين أنهم يحزنون لما يحصل للمؤمنين من الخير والنصر . ويفرحون بما يحصل لهم من المحنة والابتلاء .

قال تعالى (إن تصبك حسنة تسؤهم وإن تصيبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون) (٥) .

---

(١) النساء : ٦٠ - ٦٣
(٢) النساء : ١٤٢
(٣) النساء : ١٤٣
(٤) التوبة : ٤٢
(٥) التوبة : ٥٠

وأنهم يتربصون الدوائر بالمسلمين . قال تعالى (قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا إنا معكم متربصون)[1] .

والمراد بقوله (قل هل تربصون بنا) أى تنتظرون بنا (إلا احدى الحسنيين) شهادة أو ظفر بكم[2] .

ومن جهلهم وعمى قلوبهم أنهم يعيبون على النبى صلى الله عليه وسلم فى قسم الصدقات . قال تعالى (ومنهم من يلمزك فى الصدقات فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها إذا هم يسخطون)[3] .

فهم عبيد الدنيا إن أعطوا منها رضوا وإن منعوا سخطوا .

ومن صفاتهم الأيذاء . فهم يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم وينسبونه الى مابرأه الله منه ويعيبونه مما هو من كماله وفضله .

قال تعالى (ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم)[4] .

والمراد بقوله (ويقولون هو أذن) أى من قال له شيئا صدقه ومن حدثه صدقه فاذا جئناه وحلفنا له صدقنا . وقوله تعالى (قل أذن خير لكم) أى هو أذن خير يعرف الصادق من الكاذب[5] .

ومن أقبح صفاتهم أنهم يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم عن الأنفاق فى مرضاته عز وجل . وقد نسوا الله فنسيهم وأنهم فاسقون . قال تعالى (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون ايديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون)[6] .

---

(١) التوبة : ٥٢
(٢) ابن كثير (٢ : ٣٦٣) .
(٣) التوبة : ٥٨
(٤) التوبة : ٦١
(٥) ابن كثير (٢ : ٣٦٦) .
(٦) التوبة : ٦٧

وأنهم يعيبون المؤمنين ويرمونهم بما ليس فيهم . فيلمزون المتصدقين ويعيبون مزهدهم ، ويرمون بالرياء وارادة الثناء مكثرهم .

قال تعالى (الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب اليم)[1] .

أخرج البخارى بسنده عن أبى مسعود قال لما أمرنا بالصدقة كنا نتحامل[2] فجاء أبوعقيل بنصف صاع وجاء انسان باكثر منه . فقال المنافقون إن الله لغنى عن صدقة هذا ومافعل هذا الآخر الا رياء . فنزلت (الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم)[3] . الاية .

وأنهم يفرحون إذا تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكرهون الجهاد فى سبيل الله فهم جبناء .

قال تعالى (فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله وقالوا لا تنفروا فى الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون . فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون)[4] .

وأنهم أحلف الناس قد اتخذوا أيمانهم جنة تقيهم من إنكار المسلمين ووصفهم الله بأنهم رجس . والرجس من كل جنس أخبثه وأقذره فهم أخبث بنى آدم وأقذرهم وأرذلهم وبأنهم فاسقون .

قال تعالى (سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون . يحلفون لكم لترضوا عنهم فأن ترضوا عنهم فأن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين)[5] .

---

(١) التوبة : ٧٩

(٢) تحامل فى الامر اى تكلفه على مشقة .

(٣) صحيح البخارى وعلى هامشه فتح البارى (٩ : ٤٠٠) .

(٤) التوبة : ٨١ - ٨٢

(٥) التوبة : ٩٥ - ٩٦

وأنهم يحبون أن تشيع الفاحشة فى المؤمنين فيلطخون أعراض المؤمنين النزهاء الابرياء بأشنع التهم وذلك يتجلى فى قصة أهل الافك والبهتان المنافقين حين رموا السيدة عائشة فأنزل الله براءتها صيانة لعرض الرسول صلى الله عليه وسلم .

قال تعالى (إن الذين جاءوا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم والذى تولى كبره منهم لعذاب عظيم) إلى قوله تعالى (إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب اليم فى الدنيا والاخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رءوف رحيم) (١) .

ووصفهم الله بعدم الفقه فى الدين وبالبلادة وقلة الفهم وأنهم يخرجون من مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفهمون منه شيئا فاذا خرجوا من عنده (قالوا للذين أوتوا العلم) من الصحابة رضى الله عنهم (ماذا قال آنفا) أى الساعة .

قال تعالى (ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم) (٢) .

وأنهم قد استحوذ عليهم الشيطان أى استولى عليهم وغلب عليهم حتى أنساهم ذكر الله فلا يذكرونه إلا قليلا . (وعلامة استحواذ الشيطان على العبد أن يشغله بعمارة ظاهرة من المآكل والمشارب والملابس ويشتغل قلبه عن التفكر فى آلاء الله ونعمائه والقيام بشكرها ويشغل لسانه عن ذكر ربه بالكذب والغيبة والبهتان ويشغل لبه عن التفكر والمراقبة بتدبير الدنيا وجمعها) (٣) .

وهؤلاء هم حزب الشيطان وأعوانه . وأنهم يوادون من حاد الله ورسوله .

---

(١) النور : ١١ - ٢٠

(٢) محمد (صلى الله عليه وسلم) : ١٦

(٣) تفسير النسفى (٤ : ٢٣٦) .

قال تعالى (استحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون)[١] .

وقال تعالى (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله)[٢] الآية .

وإن من استكبارهم واحتقارهم اذا عرضت عليهم التوبة والاستغفار ابوها وزعموا انهم لا حاجة لهم اليها .

قال تعالى (وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رءوسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون)[٣] .

تلك صفات المنافقين التى وردت فى القرآن الكريم وقد أشار اليها ابن القيم رحمه الله فى كتابه طريق الهجرتين وباب السعادتين[٤] .

---

(١) المجادلة : ١٩
(٢) المجادلة : ٢٢
(٣) المنافقون : ٥
(٤) بتصرف من الكتاب المذكور (ص ٧٠١ - ٧٠٦)

ثانيا : حقيقة المنافقين وخطرهم على المسلمين وما اعد لهم من العذاب

المنافقون : هم قوم أظهروا الاسلام ومتابعة الرسل وأبطنوا الكفر ومعاداة الله ورسوله .

وقد توعدهم الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز بأشد أنواع الوعيد :

(١) قال تعالى (إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا)[1] .

فالكفار المجاهرون بكفرهم أخف عذابا . وهم فوقهم فى دركات النار لأن الطائفتين إشتركتا فى الكفر ومعاداة الله ورسوله وزاد المنافقون عليهم بالكذب والنفاق والخداع . وبلية المسلمين بهم أعظم من بليتهم بالكفار المجاهرين .

والذى أنزلهم فى الدرك الاسفل من النار هو شدة كفرهم . فقد خالطوا المسلمين وعاشروهم ، وباشروا من أعلام الرسالة وشواهد الأيمان مالم يباشره الأعداء ، ووصل اليهم من معرفته وصحته مالم يصل إلى المنابذين بالعداوة ، فأذا كفروا مع هذه المعرفة كانوا أشد كفرا وأخبث قلوبا ، وأشد عداوة لله ولرسوله وللمؤمنين من البعداء عنهم ، وإن كان البعداء متصدين لحرب المسلمين . ولهذا قال تعالى عنهم (ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون)[2] . وقال تعالى فيهم (صم بكم عمى فهم لا يرجعون)[3] . وقال تعالى فى الكفار (صم بكم عمى فهم لا يعقلون)[4] .

فالكافر لم يعقل ، والمنافق أبصر ثم عمى وعرف ثم تجاهل وأقر ثم أنكر وآمن ثم كفر ومن كان هكذا كان أشد كفرا وأخبث قلبا وأعتى على الله ورسوله . فاستحق الدرك الأسفل .

---

(١) النساء : ١٤٥
(٢) المنافقون : ٣
(٣) البقرة : ١٨
(٤) البقرة : ١٧١

(٢) ولهذا قال تعالى فى حقهم (هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون)[1] .

ومثل هذا اللفظ يقتضى الحصر ، أى لاعدو إلا هم . ولكن لم يرد هنا حصر العداوة فيهم وانهم لاعدو للمسلمين سواهم ، بل هذا من إثبات الأولوية والأحقية لهم فى هذا الوصف ، وأنه لايتوهم بانتسابهم الى المسلمين ظاهرا وموالاتهم لهم ومخالطتهم إياهم أنهم ليسوا باعدائهم بل هم أحق بالعداوة ممن باينهم فى الدار ونصب لهم العداوة وجاهرهم بها . . لأن الحرب مع أولئك ساعة أو اياما ثم ينقضى ويعقبه النصر والظفر . وهؤلاء معهم فى الديار والمنازل صباحا ومساء يدلون العدو على عوراتهم ويتربصون بهم الدوائر فهم أحق بالعداوة من المباين المجاهر فلهذا قيل (هم العدو فاحذرهم) .

(٣) وهؤلاء المنافقون أشقى الاشقياء ، ولهذا يستهزأ بهم فى الاخرة فيعطون نورا يتوسطون به على الصراط ثم يطفئ الله نورهم ويقال لهم (ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا) ويضرب بينهم وبين المؤمنين (بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب . ينادونهم الم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأمانى حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور)[2] .

وهذا أشد مايكون من الحسرة والبلاء أن يفتح للعبد طريق النجاة والفلاح حتى إذا ظن أنه ناج ورأى منازل السعداء اقتطع عنهم وضربت عليه القسوة ونعوذ بالله من غضبه وعقابه[3] .

(٤) وقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بان يبشرهم بالعذاب الاليم قال تعالى (بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما)[4] .

---

(١) المنافقون : ٤

(٢) الحديد : ١٣ - ١٤

(٣) باختصار وتصرف من كتاب طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم (ص٦٩٨ - ٧٠٠) .

(٤) النساء : ١٣٨

ومن الوعيد الذى ورد فى المنافقين من الله تعالى (وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هى حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم)(١) .

وقال تعالى (ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم وساءت مصيرا)(٢) .

---

(١) التوبة : ٦٨

(٢) الفتح : ٦

ثالثا : بيان موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من المنافقين

قال ابن القيم (وأما سيرته في المنافقين : فأنه أمر أن يقبل منهم علانيتهم ، ويكل سرائرهم الى الله ، وأن يجاهدهم بالعلم والحجة ، وأمره أن يعرض عنهم ، ويغلظ عليهم ، وأن يبلغ بالقول البليغ الى نفوسهم ونهاه أن يصلي عليهم ، وأن يقوم على قبورهم ، وأخبر انه إن استغفر لهم فلن يغفر الله لهم)[1] . ا.هـ

أخرج البخاري بسنده عن زيد بن أرقم قال : كنت في غزاة[2] فسمعت عبد الله بن أبي يقول : لا تنفقوا على من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ينفضوا من حوله ، ولئن رجعنا من عنده ليخرجن الأعز منها الأذل . فذكرت ذلك لعمي أو لعمر فذكره للنبي صلى الله عليه وسلم فدعاني فحدثته ، فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عبد الله بن ابي وأصحابه فحلفوا ما قالوا فكذبني رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدقه فأصابني هم لم يصبني مثله قط . فجلست في الدار فقال لي عمي : ما اردت إلى أن كذبك رسول الله صلى الله عليه وسلم ومقتك . فأنزل الله تعالى (إذا جاءك المنافقون) فبعث الى النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ فقال إن الله قد صدقك يا زيد[3] .

وفي الحديث السابق نرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل منه علانيته ووكل سريرته الى الله تعالى[4] . فهو علام الغيوب يعلم سرهم ونجواهم . قال تعالى (الم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب)[5] .

---

(١) زاد المعاد في هدى خير العباد لابن القيم الجوزية . تحقيق شعيب الارناؤوط ، عبد القادر الارناؤوط (٣ : ١٦١) .

(٢) اختلف فيها فقيل تبوك . والذي عليه اهل المغازي انها غزوة بني المصطلق .

(٣) صحيح البخاري وعلى هامشه فتح الباري (١٠ : ٢٦٩) .

(٤) انظر حدائق الانوار ومطالع الاسرار لابن الديبع الشيباني (٢ : ٥٥٨ ، ٥٥٩) .

(٥) التوبة : ٧٨

وأما مجاهدته صلى الله عليه وسلم بالعلم والحجة واعراضه عنهم وان يغلظ عليهم وتبليغه القول البليغ الى نفوسهم ،فتوضحه الاية الكريمة .

(اولئك الذين يعلم الله مافى قلوبهم فاعرض عنهم وعظهم وقل لهم فى أنفسهم قولا بليغا)(١) .

أما ماورد فى نهيه صلى الله عليه وسلم عن الصلاة عليهم والقيام على قبورهم وعدم قبول إستغفاره لهم إن استغفر لهم :

قال تعالى (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون)(٢) .

وقال تعالى (استغفر لهم أولا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدى القوم الفاسقين)(٣) .

وسبب نزول الآيات ما أخرجه البخارى بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال لما توفى عبد الله بن أبى جاء إبنه عبد الله بن عبد الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه اباه ،فاعطاه ثم سأله أن يصلى عليه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلى عليه فقام عمر فاخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله أتصلى عليه وقد نهاك ربك أن تصلى عليه ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما خيرنى الله فقال أستغفر لهم او لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة . وسأزيد على سبعين. فقال : إنه منافق ، قال : فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأنزل الله (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره)(٤) .

---

(١) النساء : ٦٣
(٢) التوبة : ٨٤
(٣) التوبة : ٨٠
(٤) صحيح البخارى وعلى هامشه فتح البارى (٩ : ٤٠٣) كتاب التفسير سورة التوبة .

قال الخطابى : (انما فعل ذلك النبى صلى الله عليه وسلم مع عبد الله بن أبى مافعل لكمال شفقته على من تعلق بطرف من الدين ولتطييب قلب ولده عبدالله الرجل الصالح ولتألف قومه من الخزرج لرياسته فيهم فلو لم يجب سؤال ابنه وترك الصلاة عليه قبل ورود النهى الصريح لكان سبة على ابنه وعارا على قومه فاستعمل أحسن الأمرين فى السياسة الى أن نهى فانتهى)(١) .

وهناك المواقف الكثيرة التى تحدث عنها القرآن والتى وقعت بين الرسول صلى الله عليه وسلم والمنافقين واكتفى بذكر ثلاثة منها وهى :

(١) موقف المنافقين فى غزوة أحد .

(٢) قصة الافك .

(٣) قصة مسجد ضرار .

---

(١) فتح البارى (٩ : ٤٠٦) .

(١) موقف المنافقين من غزوة احد

ذلك أن المسلمين لما أظهرهم الله على أعدائهم يوم بدر ، علت هيبتهم فى نفوس القبائل وعندئذ دخل فى الأسلام ظاهرا من ليس معهم فيه باطنا . فاقتضت حكمة الله عز وجل أن سبب لعباده محنة ميزت بين المؤمن والمنافق فأظهر المنافقون نفوسهم فى هذه الغزوة وتكلموا بماكانوا يكتمونه .وعاد تلويحهم تصريحا . وانقسم الناس إلى كافر، ومؤمن ، ومنافق انقساما ظاهرا . وعرف المؤمنون أن لهم عدوا فى نفس دورهم وهو معهم لايفارقهم ، فاستعدوا لهم وتحرزوا منهم .قال تعالى (ماكان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وماكان الله ليطلعكم على الغيب، ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء)(١) .

أى ماكان ليذركم على ما انتم عليه من التباس المؤمنين بالمنافقين حتى يميز أهل الايمان من أهل النفاق . فظهر به إيمانهم وصبرهم وجلدهم وثباتهم وطاعتهم لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم . وهتك به ستر المنافقين فظهر مخالفتهم ونكولهم عن الجهاد وخيانتهم لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم بانخذالهم مع عبد الله بن أبى بنحو ثلث العسكر وقال (ما أرى أن يكون قتال ولو علمنا أن يكون قتال لكنا معكم) . قال تعالى (وما اصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله وليعلم المؤمنين .وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا فى سبيل الله او ادفعوا قالوالو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان يقولون بأفواههم ماليس فى قلوبهم والله أعلم بمايكتمون)(٢) .
أى مايخفون من النفاق .

---

(١) آل عمران : ١٧٩
(٢) آل عمران : ١٦٧

(٢) قصة الافك

قال تعالى (إن الذين جاءوا بالأفك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الأثم والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم . لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا افك مبين لولا جاءوا عليه باربعة شهداء فأذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون) .

إلى قوله تعالى (أولئك مبرءون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم)[1] .

أخرج البخارى بسنده عن عروة عن عائشة رضى اللهعنها - والذى تولى كبره - قالت عبد اللهبن أبى بن سلول[2] . وقيل غير ذلك والصحيح مارواه البخارى وقصة الأفك مشهورة[3] وهى أيضا نوع من أنواع الابتلاء حتى يتميز المؤمن من المنافق ، ذلك المنافق الذى يحب أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا . وقد أشاعوها هنا فى ام المؤمنين زوج سيد الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . وكان إمتحان وابتلاء عظيم واقتضى تمام الامتحان أن يحبس الوحى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا لم ينزل عليه شىء فى أمر (الأفك وأصحابه) وكذلك توقف النبى صلى الله عليه وسلم فى أمر زوجته الطاهرة المبرأة حتى نزلت براءتها من فوق سبع سموات .

وإنما حبس الوحى هذه الفترة المديدة حتى تنبىء القلوب عن مكنونها ويعرف المؤمن من المنافق والبار من الفاجر . وهنا تتطلع قلوب المؤمنين الى مايوحيه الله الى رسوله صلى الله عليه وسلم . فوقع منهم أعظم موقع وأكرمه . ولقد تولى سبحانه الدفاع عن نبيه والرد على أعدائه المنافقين .

---

(١) النور : ١١ - ٢٦

(٢) صحيح البخارى وعلى هامشه فتح البارى (١٠ : ٦٧) كتاب التفسير .

(٣) تراجع فى صحيح البخارى وعلى هامشه فتح البارى (١٠ : ٦٧) تفسير سورة النور .

والقصد من رمى السيدة عائشة هو ايذاؤه صلى الله عليه وسلم وتلطيخ طهارة فراشه وهو معلم الناس الطهارة ، وكذلك رمى صفوان بن المعطل المسلم المجاهد الذى كان لايملك الا أن يقول فى مواجهة هذا الاتهام الاليم (سبحان الله . والله ماكشفت كتف انثى قط) .

ثم تنزل براءتها رضى الله عنها وكان البكاء لايفارقها .

وتروى لنا السيدة عائشة ذلك الموقف (ولكن والله ماكنت أظن أن الله منزل فى شأنى وحيا يتلى ولشأنى فى نفسى كان أحقر من أن يتكلم الله فى بأمر يتلى ، ولكن كنت أرجوأن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم رؤيا يبرئنى الله بها . قالت : فوالله مارام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه فأخذه ماكان يأخذه من البرحاء انه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق وهو فى يوم شات من ثقل القول الذى ينزل عليه قالت فلما سرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك فكان اول كلمة تكلم بها ياعائشة أما الله عز وجل قد برأك وانزل الله عز وجل (إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه ـ العشر الآيات كلها)[1] . ا.هـ

---

(١) صحيح البخارى وعلى هامشه فتح البارى (١٠ : ٩٢) .

(٣) مسجد الضرار

قال تعالى (والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون . لا تقم فيه أبدا لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين . أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هاو فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين . لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم)[1] .

وهذا المسجد أعده المنافقون وكرا لاجتماعهم . ومنطلقا لدسائسهم ولنشر روح الفرقة بين صفوف المسلمين .

وقد جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن بنوه وهو يتجهز إلى تبوك فقالوا يارسول الله . . إنا قد بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة الشاتية ، وإنا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه فقال صلى الله عليه وسلم (إني على جناح سفر وحال شغل ، ولو قدمنا إن شاء الله لاتيناكم فصلينا لكم فيه) .

فلما نزل بعد رجوعه من تبوك في (ذي أوان) جاءه خبر المسجد من السماء فدعا مالك بن الدخشم اخا بني سلمة بن عوف ، ومعن بن عدي العجلاني فقال (انطلقا الى هذا المسجد الظالم أهله ، فاهدماه وحرقاه فخرجا مسرعين حتى أتيا بني سالم بن عوف وهم رهط مالك بن الدخشم فقال مالك لمعن أنظرني حتى أخرج إليك بنار من أهلي ، ودخل الى أهله ، فأخذ سعفا من النخل فأشعل فيه النار ثم خرجا يشتدان حتى دخلاه - وفيه أهله - فحرقاه وهدماه ، فتفرقوا عنه .

---

(١) التوبة : ١٠٧ - ١١٠

وذكر ابن اسحاق الذين بنوه وهم اثنا عشر رجلا منهم ثعلبة بن حاطب[1] .

قال الطبرى فى تفسير الاية الكريمة (والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين) الاية . فتأويل الكلام : (والذين ابتنوا مسجدا ضرارا لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكفرا بالله لمحادتهم بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويفرقوا به المؤمنين ليصلى فيه بعضهم دون مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعضهم فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيختلفوا بسبب ذلك ويفترقوا (وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل) يقول : واعدادا له ، لأبى عامر الكافر الذى خالف الله ورسوله وكفر بهما وقاتل رسول الله من قبل يعنى من قبل بنائهم ذلك المسجد ، وذلك أن أبا عامر هو الذى كان حزب الاحزاب ، يعنى حزب الاحزاب لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما خذله الله ، لحق بالروم يطلب النصر من ملكهم على نبى الله وكتب الى اهل مسجد الضرار يأمرهم ببناء المسجد الذى كانوا بنوه فيما ذكر عنه ليصلى فيه فيما يزعم اذا رجع اليهم . ففعلوا ذلك ، وهذا معنى قول الله جل ثناؤه (وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن ان اردنا الا الحسنى) يقول جل ثناؤه وليحلفن بانوه إن أردنا الا الحسنى ببنائه إلا الرفق بالمسلمين والمنفعة والتوسعة على اهل الضعف والعلة من عجز على المسير الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة فيه ، وتلك هى الفعلة الحسنة (والله يشهد إنهم لكاذبون) فى حلفهم ذلك ، وقيل لهم مابنيناه الا ونحن نريد الحسنى ، ولكنهم بنوه يريدون ببنائه السوء أى ضرارا لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكفرا بالله وتفريقا بين المؤمنين ، وإرصادا لأبى عامر الفاسق)[2] .

---

(١) انظر زاد المعاد لابن القيم (ص٥٤٩) ، بهجة المحافل وبغية الاماثل (٢ : ٣٥) ، تفسير الطبرى (١١ : ٢٣) تفسير سورة التوبة .

(٢) تفسير الطبرى (١١ : ٢٣) تفسير سورة التوبة .

الفصل الرابع

الجهـــــاد

من مقاصد السور والآيات المدنية الحديث عن الجهاد .

وسوف اتحدث عنه بأذن اللهتعالى من نواح ثلاث :

(١) تعريف الجهاد وأنواعهومتى فرض .

(٢) بيان قواعد التشريع الخاصة بالجهاد وحكمة تشريعه .

(٣) ذكر الأحكام المتعلقة بالحروب والغزوات من الصلح والمعاهـــدات والغنائم والفيء وفك الأسرى .

اولا : تعريف الجهاد وبيان أنواعه ومتى فرض .

الجهاد لغة : مصدر جاهد . وهو مشتق من الجهد ، وهوالمشقة .

والجهاد بالكسر : القتال مع العدو كالمجاهدة وهو المبالغـــة واستفراغ مافى الوسع والطاقة من قول أو فعل(١) .

قال الراغب الاصفهانى (الجهاد والمجاهدة) استفراغ الوسع فـــى مدافعة العدو(٢) .

الجهاد شرعا : بذل الوسع والطاقة بالقتال فى سبيل الله عز وجل بالنفس والمال واللسان وغير ذلك(٣) .

أنواع الجهاد

أولا : مجاهدة العدو الباطن .

وهو عبارة عن :

(أ) مجاهدة النفس (ب) مجاهدة الشيطان

ثانيا : مجاهدة العدو الظاهر . ويتحقق ذلك بما يلى :

(أ) المجاهدة بالمال (ب) المجاهدةبالنفس(الروح)

(جـ) المجاهدة باللسان

---

(١) تاج العروس(٢ : ٣٢٩) .

(٢) مفردات القرآن للاصفهانى (١ : ١٤٢) (الحسين بن محمد المعـــروف بالراغب الاصفهانى) الناشر مكتبة الانجلو المصرية .

(٣) بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع للامام علاء الدين ابى بكر بن مسعود الكاسانى الحنفى المتوفى سنة ٨٧هـ ، ط/الاولى ١٣٢٨ هـ ط/الثانية ١٣٣٤هـ الناشر دار الكتاب العربى بيروت لبنان (٧ : ٩٧) .

اولا : مجاهدة العدو الباطن .

(أ) مجاهدة النفس :

الجهاد يبتدىء بجهاد النفس بتخليصها من الأهواء والشهوات واتجاهها إلى الحق فى ذاته ، لا حبا فى شهرة ولا رغبة فى متعة ولا رجاء أى شأن من شئون الدنيا .

وإنما أعتبر المجاهد من يجاهد لأرضاء الله وطلب ماعنده ، ولرفعة الحق وجعل كلمة الله هى العلياوكلمة أعداء الله هى السفلى ، وان ذلك لاريب لايكون إلا إذاجاهد نفسه واخضع اهواءه وشهواته لاحكام الله . وتبعا لماجاء به النبى صلى الله عليه وسلم .

قال العلامة ابن القيم رحمه الله فى كتابه (الفوائد) تعليقا على قوله عز وجل (والذين جاهدوا فينالنهدينهم سبلنا)[1] علق سبحانه الهداية بالجهاد فاكمل الناس هداية أعظمهم جهادا . وأفرض الجهاد جهاد النفس وجهاد الهوى ، وجهاد الشيطان ، وجهاد الدنيا . فمن جاهد هذه الأهواء الاربعة فى الله ، هداه الله سبل رضاه الموصلة الى جنته . . . . . ولايتمكن من جهاد عدوه فى الظاهر الامن جاهد هذه الأعداء باطنا ، فمن نصر عليها نصر على عدوه ، ومن نصرت عليه نصر عليه عدوه)[2] . ا.هـ

وقال تعالى : (وجاهدوا فى الله حق جهاده)[3] .

قال القرطبى : قوله (حق جهاده) إشارة إلى امتثال جميع ما امر الله به والانتهاءعن كل مانهى الله عنه ، اى جاهدوا انفسكم فى طاعة الله وردها عن الهوى ، وجاهدوا الشيطان فى رد وسوسته ، والظلمة فى رد ظلمهم والكافرين فى رد كفرهم[4] .

---

(١) العنكبوت : ٦٩

(٢) الفوائد لابن القيم (ص٥٩) لشمس الدين محمد بن ابى بكر المعروف بابن قيم الجوزية ط/دار مصر للطباعة . طبع على نفقة عمر عبد الجبار .

(٣) الحج : ٧٨

(٤) تفسير القرطبى (١٢ : ٩٩) .

وقد ذكر العلامة ابن القيم مراتب جهاد النفس فقال :

(احدها : أن يجاهدها على تعلم الهدى ودين الحق .

الثانية : أن يجاهدها على العمل به بعد علمه والا فمجرد العلم بلا عمل ان لم يضرها لم ينفعها .

الثالثة : أن يجاهدها على الدعوة اليه وتعليمه من لا يعلمه والا كان من الذين يكتمون ما أنزل الله من الهدى والبينات .

الرابعة : أن يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله وأذى الخلق ويتحمل ذلك كله لله فان استكمل هذه المراتب الاربعة صار من الربانيين)[1] .

والنفس الانسانية أشبه ماتكون بالمريض الذى وضع تحت المراقبة . فقد كلفنا حفظها و من أسباب حفظها ميلها الى الأشياء التى تقيمها ، فلابد من اعطائها مايقيمها . . . ونحن كالوكلاء فى حفظها . لأنها ليست لنا بل هى وديعة عندنا فمنعها حقوقها على الاطلاق خطر . ثم رب شد أوجب استرخاء ورب مضيق على نفسه فرت منه فصعب عليه تلافيها ، وإنما الجهاد لها كجهاد المريض العاقل يحملها على مكروهها فى تناول ماترجو به العافية ويذوب فى المرارة قليلا من الحلاوة ويتناول من الاغذية مقدار مايصفه الطبيب ، ولا تحمله شهوته على موافقة غرضها من مطعم ربما جر جوعا ، ومن لقمة ربما حرمت لقمات ، فكذلك المؤمن العاقل لايترك لجامها ، ولايهمل مقودها ، بل يرخى لها فى وقت والطول[2] بيده ، فما دامت على الجادة لم يضايقها فى التضييق عليها ، فأذا رآها قد مالت ردها باللطف فأن ونت وأبت فبالعنف ، ويحبسها فى مقام المداراة ، كالزوجة التى مبنى عقلها على الضعف والقلة ، فهى تدارى عند نشوزها بالوعظ ، فأن لم تصلح فبالهجر ، فأن لم تستقم فبالضرب . وليس فى سياط التأديب أجود من

---

(١) زاد المعاد لابن القيم (٣ : ١٠) .

(٢) الطول الزمام . قال لبيد (كالطول المرخى وثنياه فى اليد) .

سوط عزم .[1]

قال البوصيرى فى قصيدته (البرده) :

فلا ترم بالمعاصى كسر شهوتها ... إن الطعام يقوى شهوة النهم
والنفس كالطفل إن تهمله شب على ... حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم
فاصرف هواها وحاذر أن توليه ... إن الهوى ماتولى يصم أو يصم
وراعها وهى فى الاعمال سائمة ... وإن هى استحلت المرعى فلا تسم
كم حسنت لذة للمرء قائلة ... من حيث لم يدر ان السم فى الدسم

إلى أن قال :

وخالف النفس والشيطان واعصهما ... وإن هما محضاك النصح فاتهم
ولا تطع منهما خصما ولا حكما ... فأنت تعرف كيد الخصم والحكم[2]

---

(١) صيد الخاطر (ص٨٤) للامام ابن الجوزى . راجعه على الطنطاوى وحققه ناجى الطنطاوى ، ط/دار الفكر بدمشق ط/الثانية ١٣٩٨هـ.

(٢) مجموع امهات المتون (ص٨١) ، قصيدة البردة او الكواكب الدرية لشرف الدين محمد بن سعيد الصنهاجى البوصيرى ، مطبعة البابى الحلبى بمصر الطبعة الرابعة ١٣٦٩هـ (ص٦٠٨-٦٩٦) .

(ب) مجاهدة الشيطان :

إن الشيطان العدو اللدود للانسان منذ ان كان آدم فى الجنة. فحين خلق الله آدم عليه السلام أسكنه الجنة، وأمر الملائكة أن يسجدوا له فسجدوا الا إبليس أبى وأستكبر وقال : (أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين)[1] فطرده الله من الجنة وتوعده بالعقاب الشديد .

قال تعالى (ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين. قال مامنعك الا تسجد اذ امرتك قال انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين. قال فاهبط منها فمايكون لك ان تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين. قال انظرنى الى يوم يبعثون. قال انك من المنظرين. قال فبما اغويتنى لاقعدن لهم صراطك المستقيم. ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولاتجدا كثرهم شاكرين. قال اخرج منها مذءوما مدحورا لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم اجمعين)[2].

قال الطبرى : فى قوله تعالى (ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم ....) الآية.

اى لآتينهم من جميع وجوه الحق والباطل فاصدهم عن الحق، وأحسن لهم الباطل[3].

وكان آدم عليه السلام وزوجه قد أسكنهما الله الجنة فوسوس لهما الشيطان فكان سببا لارتكابهما مانهاهما الله عنه من اكل الشجرة.

قال تعالى (ويا آدم أسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولاتقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين. فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ماووارى عنهما من سوءاتهما وقال مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة

---

(١) الاعراف : ١٢

(٢) الاعراف : ١١ - ١٨

(٣) تفسير الطبرى (٨ : ١٣٧) .

الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين . وقاسمهما أني لكما لمن الناصحين فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين . قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين . قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع الى حين)[1] .

والشيطان وأعوانه سواء من الجن أو الانس . لان هناك من الانس من جند نفسه لخدمة الشيطان لذلك جاءت الايات تعيذنا منهم (من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس في صدور الناس من الجنه والناس)[2] . وقال تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الأنس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا)[3] . وهؤلاء الشياطين هم سبب الهلاك والضلال للانسان لذلك حذرنا الله عز وجل من إتباع خطواتهم والانقياد لما يزينونه لنا من الملذات . قال تعالى (يا أيها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين . إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وان تقولوا على الله مالا تعلمون)[4] .

وقال تعالى (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم)[5] .

وهو يحض الأنسان على الكفر والخروج عن الملة ثم يتبرأ منه ويقول أنا برىء منك . قال تعالى (كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال إني برىء منك إني أخاف الله رب العالمين)[6] .

---

(١) الاعراف : ١٨ - ٢٤
(٢) الناس : ٤ - ٦
(٣) الانعام : ١١٢
(٤) البقرة : ١٦٨ - ١٦٩
(٥) البقرة : ٢٦٨
(٦) الحشر : ١٦

أخرج مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يأتى الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا وكذا حتى يقول له من خلق ربك فاذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته)[1].

وخير سلاح يتسلح به المؤمن لمواجهة مكايد الشيطان هو الاستعاذة بالله . قال تعالى (واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون)[2].

وكذلك آية الكرسى[3] فأنها حافظة من الشيطان . كما ورد فى صحيح البخارى فى قصة ابى هريرة رضى الله عنه حينما قال الشيطان له :

(إذا أويت الى فراشك فاقرأ آية الكرسى ، لم يزل معك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح . وقال النبى صلى الله عليه وسلم : صدقك وهو كذوب ، ذاك شيطان)[4].

قال ابن القيم : وأما جهاد الشيطان فمرتبتان :

(إحداهما : جهاده على دفع مايلقى إلى العبد من الشبهات والشكوك القادحة فى الايمان .

الثانية : جهاده على دفع مايلقى إليه من الارادات الفاسدة والشهوات . فالجهاد الأول يكون بعده اليقين . . والثانى يكون بعده الصبر)[5].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى (٢ : ١٥٤) ، ط/دار الفكر .
(٢) الاعراف : ٢٠٠ - ٢٠١
(٣) البقرة : ٢٥٥ وهو قوله تعالى (الله لا اله الا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم) الاية .
(٤) صحيح البخارى وعلى هامشه فتح البارى (١٠ : ٤٣٢) .
(٥) زاد المعاد لابن القيم (٣ : ١٠) .

ثانيا : مجاهدة العدو الظاهر .

(أ) المجاهدة بالمال :

لقد ورد الامر بالجهاد بالمال والنفس فى القرآن معا . قال تعالى (انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون)(١) .

ولقد ضرب الله الامثال فى تضعيف الثواب لمن أنفق فى سبيله وابتغاء مرضاته .قال تعالى (مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل اللهكمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة واللهيضاعف لمن يشاء واللهواسع عليم. الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله ثم لايتبعون ماانفقوا منا ولا اذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون)(٢) .

وقال تعالى (ومثل الذين ينفقون أموالهم إبتغاء مرضاة اللهوتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة اصابها وابل فآتت اكلها ضعفين فأن لم يصبها وابل فطل)(٣) .

ولا شك أن مقابلة الاعداءتتطلب أصناف السلاح والعتاد لذلك أمر المولىعز وجل عباده المؤمنين بإعداد القوة للاعداءوختم قوله جل وعلا بأن ماينفقهالمؤمن مهماكان ذلك الانفاق سوف يجازى به الجزاء الأوفى .

قال تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لاتعلمونهم اللهيعلمهم وماتنفقوا من شىء فى سبيل اللهيوف اليكم وأنتم لاتظلمون) .

قال القرطبى(٤) : قال ابن عباس : القوة هاهنا السلاح والقسى .

وفى صحيح مسلم(٥) عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول : (وأعدوا لهم ماستطعتم من قوة .ألا ان القوة

---

(١) التوبة : ٤١

(٢) البقرة : ٢٦١ ، ٢٦٢

(٣) البقرة : ٢٦٥
قوله وابل : المطر الشديد . فطل : المطر الضعيف المستدق من القطر الخفيف . تفسير القرطبى (٣ : ٣١٧) .

(٤) تفسير القرطبى (٨ : ٣٥) .

(٥) صحيح مسلم وبهامشه شرح النووى (١٣ : ٦٤) .

الرمى ألا إن القوة الرمى) . فقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم (القوة) فى الاية الكريمة بالرمى . والرمى لابد له من سلاح وبدون بذل الأموال لايتوفر السلاح .

ولقد سطر لنا التاريخ مواقف الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فى إنفاقهم الاموال الطائلة فى سبيل تجهيز الجيوش للجهاد فى سبيل الله . .

فهذا سيدنا عثمان بن عفان جهز جيش العسرة باحلاسها[1] واقتابها[2] .

أخرج البخارى بسنده عن أبى عبد الرحمن أن عثمان رضى الله عنه حين حوصر أشرف عليهم وقال : انشدكم الله ولا أنشدكم إلا أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم الستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حفر رومة فله الجنة فحفرتها ؟ الستم تعلمون أنه قال : من جهز جيش العسرة فله الجنة ؟ فجهزته . قال : فصدقوه بما قال .[3]

واخرج البخارى بسنده عن ابى سعيد قال : سمعت سعيد المقبرى يحدث أنه سمع ابا هريرة رضى الله عنه يقول : قال النبى صلى الله عليه وسلم من احتبس فرسا فى سبيل الله ايمانا بالله وتصديقا بوعده فان شبعه وريه وروثه وبوله فى ميزانه يوم القيامة[4] .

وبهذا يتضح لنا الثواب العظيم الذى أعده المولى عز وجل للمنفقين فى سبيل الله من خلال الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة .

---

(١) احلاس : جمع حلس : كل شىء ولى ظهر البعير والدابة تحت الرجل والقتب والسرج . لسان العرب (٦ : ٥٤) .

(٢) اقتابها : جمع قتب : اكاف البعير وفى الصحاح : رحل صغير على قدر السنام . لسان العرب (١ : ٦٦٠) .

(٣) صحيح البخارى وعلى هامشه فتح البارى (١ : ٣٣٦) .

(٤) صحيح البخارى وعلى هامشه فتح البارى (٦ : ٣٩٧) .

(ب) المجاهدة بالنفس (الروح)

قال تعالى (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والأنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم)(١).

لماكان الجهاد ذروة سنام الاسلام . جاءت الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة مبينة لمنازل أهله . فهم الأعلون فى الدنيا والاخرة ، وكان المثل الأعلى والنموذج الأمثل للمجاهد هو المصطفى صلوات الله وسلامه عليه فلقد جاهد فى الله حق جهاده .

أخرج البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : انتدب الله لمن خرج فى سبيله لا يخرجه الا ايمان بى وتصديق برسلى ، أن أرجعه بما نال من أجر أو غنيمة او أدخله الجنة ولولا أن اشق على أمتى ماقعدت خلف سرية ، ولوددت أنى أقتل فى سبيل الله ، ثم أحيا ، ثم أقتل ثم أحيا ثم اقتل)(٢).

وأخرج البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : دلنى على عمل يعدل الجهاد قال : لا أجده . قال : هل تستطيع إذا خرج المجاهد ان تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر وتصوم ولا تفطر؟ قال : ومن يستطيع ذلك(٣).

وأخرج البخارى ايضا عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لغدوة فى سبيل الله أو روحه خير من الدنيا ومافيها(٤).

وقد ترجم البخارى أيضا فى كتاب الجهاد باب أفضل الناس مؤمن

---

(١) التوبة : ١١١

(٢) صحيح البخارى وعلى هامشه فتح البارى (١ : ١٠٠) كتاب الايمان .

(٣) صحيح البخارى وعلى هامشه فتح البارى (٦ : ٣٤٥) كتاب الجهاد .

(٤) صحيح البخارى وعلى هامشه فتح البارى (٦ : ٣٥٤) كتاب الجهاد .

يجاهد بنفسه وماله فى سبيل الله . وقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ، يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم)(١) .

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قيل يارسول الله أى الناس أفضل ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤمن يجاهد فى سبيل الله بنفسه وماله قالوا : ثم من ؟ قال مؤمن فى شعب من الشعاب يتقى الله ويدع الناس من شره(٢) .

---

(١) الصف : ١٠ - ١٢

(٢) صحيح البخارى وعلى هامشه فتح البارى (٦ : ٣٤٦) كتاب الجهاد .

(جـ) المجاهدة باللسان :

الدعوة إلى دين الله وتبليغ ما أنزل الله من الذكر الحكيم وإقامة الحجة بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة أمام الملحدين وأعداء الإسلام من الكافرين والمنافقين والفاسقين . كل ذلك وغيره إنما يكون الجهاد به بواسطة اللسان فهو الوسيلة لنشر دين اللهوتوصيله إلى القلوب ويلزم للداعى التحلى بالحكمة والرفق واختيار أنسب الأساليب لذلك .

قال تعالى (ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين)[1] .

وقال تعالى فى حق المجاهدين بأنهم يقومون بمهمة الرسل الذين يبلغون رسالات الله . . (الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله وكفى بالله حسيبا)[2] .

أخرج الإمام أحمد فى مسنده عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم)[3] .

وأخرج الإمام مسلم فى صحيحه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه . فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)[4] .

هذا وان كانت المجاهدة باللسان موجودة فى القرآن المكى الا أن وجودها فى القرآن المدنى أظهر حيث إن الظروف فى المدينة كانت مهيأة لتبليغ الدعوة حيث أرسل الرسول عليه الصلاة والسلام رسله للأقاليم المجاورة وكتب الكتب إلى الملوك والقياصرة .

---

(١) فصلت : ٣٣

(٢) الاحزاب : ٣٩

(٣) مسند الامام احمد - الفتح الربانى مع مختصر شرحه بلوغ الامانى للشيخ احمد عبد الرحمن البنا (١٣ : ٧) الناشر دار الحديث بالقاهرة .

(٤) صحيح مسلم . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى - كتاب الايمان - باب كون النهى عن المنكر من الايمان (١ : ٦٩) .

فرضيـــة الجهـــاد

ذكر الحافظ ابن حجر فى الفتح (إن أول ماشرع الجهاد بعد الهجرة النبوية الى المدينة اتفاقا)[1].

وقد ورد أن أول آية فرض فيها القتال نزلت فى السنة الثانية للهجـــرة وهى قوله تعالى (كتب عليكم القتال وهوكرهلكموعسى أن تكرهوا شيئا وهـــــو خير لكم)[2].

وهكذا نفهم أن المسلمين الأوائل منعوامن القتال قبل الهجـــــرة وأذن لهم فيه بعد الهجرة بدليل قوله تعالى (أذن للذين يقاتلون بأنهـم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حـــق إلا أن يقولوا ربنا الله)[3].

فقوله تعالى (الذين أخرجوا) يدل على أن الاذن فى القتال كـــان بعد هجرة النبى صلى الله عليه وسلم .ومع ذلك فنضيف أن فرضية الجهـــاد كانت بآية البقرة (كتب عليكم القتال . . .) الأية وكانت نزولها فى السنة الثانية من الهجرة . . والله أعلـــم . .

---

(١) فتح البارى شرح صحيح البخارى (٦ : ٣٧٧) .
(٢) البقرة : ٢١٦ ، وانظر تفسير المراغى (٢ : ١٣٢) .
(٣) الحج : ٣٩ - ٤٠

ثانيا : بيان قواعد التشريع الخاصة بالجهاد وحكمة تشريعه

(مفهوم الجهاد)

لابد لنا قبل الخوض فى بيان قواعد التشريع الخاصة بالجهاد وحكمه وتشريعه أن نتعرف على مفهوم الجهاد فى الأسلام . حيث إن أعداء الأسلام شوهوا الصورة الحقيقية الواضحة . والغاية السامية من الجهاد . ورسموها فى صورة بشعة من شراسة الطبع والخلق والهمجية وسفك الدماء . وللأسف إن كثيرا من أبناء المسلمين والمثقفين بالثقافة الغربية قد انخدعوا وعلقت هذه الصورة البشعة فى أذهانهم فوقعوا فى الحيرة والشك وقد يعتريهم الخجل والندامة من تاريخهم المجيد . الذى كان عنوانه الجهاد .

إن القتال فى الأسلام لايكون قط إلا فى سبيل الله . لأعلاء راية الأسلام ولنشر دعوته والدفاع عن حزبه والمحافظة على المسلمين عامة وبلادهم وممتلكاتهم من الطامعين فى اغتصاب خيرات بلادهم أو انتهاك مقدساتهم ونشر مبادئهم . فهو دفاع عن العقيدة وإحقاق الحق وإبطال الباطل ومطاردة الكفر وقطع دابر الظالمين .

والاسلام لم يعمد إلى القتال كوسيلة من وسائل نشره . وإنما كان ذلك تطورا تقتضيه طبيعة الدعوة واضطرت إليه نتيجة لموقف الكافرين منها ولم يتقرر إلا بعد أن مرت الدعوة الأسلامية بمراحل متعددة وهى :

أولا : مرحلة الدعوة سرا .

ثانيا : مرحلة الدعوة جهرا .

ثالثا : مرحلة القتال للدفاع .

رابعا : مرحلة القتال الخاصة ببعض الأماكن والأزمنة دون غيرها وذلك بمواجهة القوة بالقوة واستخلاص الحقوق المغتصبة والتمكن للحق فى

غير الأشهر الحرم والبيت الحرام . قال تعالى (فأذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم)[1] . وقال تعالى (ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فأن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين . فأن انتهوا فان الله غفور رحيم وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فأن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين)[2] .

خامسا : القتال مطلقا في كل زمان ومكان : وهي للتخلص من العدو الداخلي كاليهود والمشركين وتأديب العدو الخارجي كالفرس والروم وتأمين المسلمين على دعوتهم ودولتهم ووطنهم وللتفرغ للأصلاح العام ونشر الدعوة . قال تعالى (فأن لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم وأولئك جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا)[3] .

فالجهاد الاسلامي ليس حربا استعمارية كتلك الحروب التي اصطلى العالم بها في القديم والحديث .

إن الخلط بين الجهاد والحروب الاستعمارية خطل في الرأي وجور في الحكم ومجافاة للحق وتجن على الاسلام . لأن الحروب الاستعمارية انطلاق إلى التوسع والتطلع إلى الاحتكار والسلب والاستيلاء على خيرات البلاد والقبض على ينابيع ثروتها وليست لها غاية نبيلة تسوغ ما تقترفه من جرائم وآثام .

على حين نرى الجهاد لا يذكر إلا مقترنا بلفظ (في سبيل الله) وسبيل الله في المصطلح الاسلامي لفظ جامع لأصول الخيرات شامل لمهمات المبرات . فكل عمل تقوم به للمصالح العامة وسعادة المجتمع ابتغاء لمرضاة الله لا تريد به مغنما ومكسبا في الحياة العاجلة فهو في سبيل الله فما قيد الشارع الجهاد بهذا الشرط إلا لله لاله على هذا المعنى .

وصدق الله جل وعلا حيث يقول في كتابه الكريم (الذين آمنوا يقاتلون

---

(١) التوبة : ٥
(٢) البقرة : ١٩١ -١٩٣
(٣) النساء : ٩١

فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت)[1] . ا.هـ[2]

وإذا نظرنا فى هديه صلى الله عليه وسلم وماجاء عنه من التشريعات الحكيمة والتى جعلته بحق أعظم القادة العسكريين الذين عرفوا فى التاريخ أدركنا الفرق الشاسع بين الجهاد والحروب الاستعمارية وذلك نظرا للاختلاف الكلى بين قواعدها ومقوماتها .

فمن تلك القواعد التشريعية :

(أ) مبايعته صلى الله عليه وسلم لأصحابه على عدم الفرار فى الجهاد وربما بايعهم على الموت . قال تعالى (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما)[3] .

وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار . ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير)[4] . فلا جماعة إلا بثبات . وكذلك لاثبات إلا بجماعة . قال تعالى (يا ايها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون . وأطيعوا الله ورسوله ، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم)[5] أى تتلاشى قوتكم .

(ب) وأمر المجاهدين بالصبر . وأن يكون القصد من خروجهم إعلاء كلمة الله وإحقاق الحق وإزهاق الباطل ولا يكون خروجهم لبث الفزع والطغيان على العباد والمفاخرة بين الناس لاظهار قوتهم وعدتهم وعتادهم . قال تعالى (واصبروا إن الله مع الصابرين ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط)[6] .

---

(١) النساء : ٧٦

(٢) باختصار وتصرف من كتاب الدعوة الاصلاحية تأليف فضيلة الشيخ الدكتور السيد محمد علوى مالكى .

(٣) الفتح : ١٠

(٤) الانفال : ١٥ -١٦

(٥) الانفال : ٤٥

(٦) الانفال : ٤٥-٤٧

(جـ) وكان يشاور أصحابه فى أمر الجهاد وأمر العدو وتخير المنازل .
ومن ذلك مشاورته لأصحابه يوم بدر فكان يقول : (أشيروا على) فقام سعد بن معاذ فقال إياناتريد يارسول الله . والذى نفسى بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها الى برك الغماد لفعلنا .
ونزل بدراً على ادنى ماء الى العدوة ونزلت المياه كلها خلفه بمشورة الحباب بن المنذر وبنى له عريشا يستظل فيه بمشورة سعد بن معاذ(١) .

وكان يتخلف فى ساقتهم فى المسير، فيزجى الضعيف، ويردف المنقطع . وكان أرفق الناس بهم فى المسير .

(د) ومن هديه أنه إذا أراد غزوة ورى بغيرها . أخرج البخارى بسنده عن كعب بن مالك رضى الله عنه (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلما يريد غزوة يغزوها إلا ورى بغيرها)(٢) .
واخرج البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحرب خدعة(٣) .

(هـ) وكان يبعث العيون يأتونه بخبر عدوه ويطلع الطلائع . وكان إذا لقى عدوه وقف ودعا واستنصر الله . وأكثر هو وأصحابه من ذكر الله(٤) .

(و) وكان صلى الله عليه وسلم ينظم الجيش وقسمه الى ميمنة وميسرة ويجعل فى كل جهة كفأ لها قال تعالى (إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص)(٥) .

---

(١) بهجة المحافل وبغية الاماثل (١ : ١٨١ - ١٨٣) .
(٢) صحيح البخارى وعلى هامشه فتح البارى كتاب الجهاد (٦ : ٤٥٤) .
(٣) صحيح البخارى وعلى هامشه فتح البارى كتاب الجهاد (٦ : ٤٩٩) .
(٤) انظر بهجة المحافل (١ : ١٨٣) .
(٥) الصف : ٤

(ز) وأخيرا فأن الأسلام لم يشرع القتال لذ اته ولا حبا له ، بل شرعه لدرء الشر ، ودفع البغى والعدوان وحماية الدعوة ، وكف الطغيان والباطل عنها . لذلك فهو يفضل استخدام الطرق السلمية لتحقيق أهدافه وغايته .

فعن سليمان بن بريدة عن ابيه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أمر أميرا على جيش أو سرية أوصاه فى خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا ، ثم قال : (اغزوا بسم الله فى سبيل الله ، قا تلوا من كفر ولا تغلوا (١) ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا (٢) ، ولا تقتلوا وليدا . واذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال . فأيتهن ما أجا بوك فاقبل منهم وكف عنهم ، ادعهم إلى الاسلام فان أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم إلى التحول من دارهم الى دار المهاجرين وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ماللمهاجرين وعليهم ماعلى المهاجرين ، فأذا أبوا ان يتحولوا منها فاخبرهم أنهم يكونون كاعراب المسلمين يجرى عليهم الذى يجرى على المؤمنين ولايكون لهم فى الغنيمة والفىء شىء ، الا أن يجاهدوا مع المسلمين ، فأن هم أبوا فسلهم الجزية ، فأن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، فأن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم) . الحديث (٣)

ولقد حرم الأسلام محاربة غير المحاربين . فهو لايجيز قتل المرأة والصبى والشيخ والعجزة أو من انقطعوا للعبادة .

فعن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (انطلقوا باسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله ولا تقتلوا شيخا فانيا ، ولا طفلا صغيرا ولا امرأة ولا تغلوا ، وضموا غنائمكم ، وأصلحوا إن الله يحب المحسنين) (٤)(٥) .

والجهاد فى الاسلام لايمتد الى قتل الحيوان أو تخريب البيوت أوقطع الاشجار . مالم تكن هذه وسائل لكسب المعركة كالحيوانات التى تساعد فى الحرب او البيوت والأشجار التى تتخذ حصونا ومعاقل .

---

(١) لاتغلوا : اى لاتخونوا فى الغنيمة .
(٢) لاتمثلوا : لاتشوهوا القتلى بقطع الانوف والاذان ونحوها .
(٣) اخرجه مسلم فى كتاب الجهاد والسير (٣ : ١٣٥٧) باب تأمير الامام الامراء على البعوث - تحقيق محمد فؤاد .
(٤) رواه ابو داود بسند صالح (٢ : ٣٦) .
(٥) انظر كتاب المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الاسلامية بحث الشيخ محمد ابو زهرة .

حكمة مشروعيـــة الجهـــاد

القتال سنة من سنن الكون منذ أن خلق الله الارض ومن عليها فهـــو أمر فطرى فى الأنسان لأن الظلم والعدوان طبيعة البشرية منذ حلت علـــى الارض . وقد بين القرآن الكريم طبيعة هذا الظلم حيث قال جل شأنـــه (إن الانسان لظلوم كفار)[١] .

لذا فأن القوى يحاول أن يتعدى على الضعيف . ولعل هذا هـــو الأمر السائد اليوم . وهذا الامر ليس قاصرا على الانسان ، بل لو نظرنا إلـــى الحيوان الأعجم نجده يدافع عن نفسه اذا اعتدى عليه بدافع غريزة حب البقـــاء قال ابن خلدون : (أن الحروب وأنواع المقاتلة لم تزل واقعة فى الخليقـــة منذ برأها الله ، وأصلها إرادة انتقام بعض البشر من بعض ، فهى إذن امـــر طبيعى فى البشر لا تكاد تخلو منه أمة ولا جيل ، وسبب هذا الانتقام فـــى الاكثر اما غيرة ومنافسة ، وإما عدوان ، وإما غضب لله ولدينه ، وإما غضب للملـــك وسعى فى تمهيده)[٢] .

وقد جاءت الأديان السماوية لتهذيب هذه الطبيعة وتقويمها ، ودعـــوة الناس للتعاون والمسالمة لكن الذين اعتنقوا هذه الاديان حرفوها لتلائم طباعهم فاستمر الظلم والعدوان حتى جاء الأسلام بتنظيم دقيق مبدع للجهاد وتحديد لاسبابه واهدافه ومحاولة لجعل الجهاد وسيلة اذا عجز السلام المحـــضان يمنح البشرية الأمن والسلامة . فعلى مر التاريخ لم يسعد قوم الا بعـــد ان دافعوا عن انفسهم وأثبتوا لمن حولهم انهم يستطيعون حماية الديار حـــتى لقد ارتبط عز الأقوام بجهادهم[٣] .

---

(١) ابراهيم : ٣٤

(٢) انظر مقدمة ابن خلدون (ص ٢٧٠ -٢٧١) ، ط /دار احياء التراث العربى - بيروت .

(٣) انظر الجهاد فى التفكير الاسلامى (ص٥٧) للدكتور احمد شلـــبى ط/الثانية ١٩٧٤م ط/ونشر مكتبة النهضة المصرية .
وانظر الجهاد فى التشريع الاسلامى (ص٤٢ - ٤٣) د . محمود محمد على ط/اولى ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م ط/دار الاتحاد العربى للطباعـــة القاهرة .

وأخيرا فان الأحكام المثالية التى شرعها تعالى قبل القتال وفى أثنائه لتخفيف ويلات القتال والنهى عن الاعتداء والعدوان ، لتدل دلالة واضحة على أن الاسلام ماقصد من تشريع الجهاد ازهاق الأرواح وتخريب الديار والثمار وسلب الاموال وتعذيب الناس، وانما اراد من تشريع الجهاد دفع الشر وحماية المؤمنين ودعوتهم وبلادهم وأموالهم من العدوان ، وأراد هداية الناس وحسم شرهم لا إبادتهم وسحقهم (١) .

---

(١) انظر كتاب المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الاسلامية ـ بحث فضيلة الشيخ محمد ابو زهرة (ص٢٤٩) .

ثالثا : الاحكام المتعلقة بالغزوات من الصلح والمعاهدات والغنائم والفيء وفك الاسرى

لقد أمر الاسلام بالمحافظة على الوفاء بالعهد والميثاق فى الحرب والسلم . حتى إن الله تعالى لم يبح لنا ان ننصر إخواننا المسلمين غير الخاضعين لحكمنا على المعاهدين من الكفار كما جاء فى قوله تعالى (وإن استنصروكم فى الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق)(١) .

لأن هؤلاء المعاهدين يجب الوفاء بعهدهم ، وعدم نقض مواثيقهم قال تعالى (إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم احدا فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين)(٢) .

ولقد حافظ النبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء من بعده على العهد حتى إن عهد الحديبية الذى قست شروطه على المسلمين وجاء فيه (على انه من أتى محمدا من قريش بغير إذن وليه رده عليه ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم يرده عليه ، الى آخر ماورد فيه ، قدم عليه الصلاة والسلام بتنفيذه تنفيذا دقيقا ، يدل على ذلك أنه بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو ، إذ جاء ابو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف فى الحديد(٣) وقد انفلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأى سهيل ابا جندل قام إليه فضرب وجهه ، وأخذ بتلبيبه ، ثم قال يامحمد قد لجت(٤) القضية بينى وبينك قبل أن يأتيك هذا ، قال : صدقت ، فجعل ينتره بتلبيبه ويجره ليرده إلى قريش ، وجعل ابو جندل يصرخ باعلى صوته ، يامعشر المسلمين أأرد الى المشركين يفتنونني فى دينى ؟ فقال صلى الله عليه وسلم (يا أبا جندل اصبر واحتسب فأن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا

---

(١) الانفال : ٧٢

(٢) التوبة : ٤

(٣) اى يمشى مشى المقيد (رسف) انظر لسان العرب (٩ : ١١٨) .

(٤) قال ابن منظور (وفى حديث الحديبية : قال سهيل بن عمرو : قد لجت القضية بينى وبينك اى وجبت ، قال هكذا جاء مشروحا ، قال : ولا اعرف اصله) . لسان العرب (٢ : ٣٥٥) .

انا قدعقدنا بيننا وبين القوم صلحا . وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله وإنا لا نغدر بهم)[1] .

فالوفاء بالعهد من فرائض الأسلام مادام العهد معقودا والعهد المؤقت لايجوز نقضه إلا بانتهاءوقته ، وشرط وجوب الوفاء به علينا محافظة العدو المعاهد لنا عليهب حذافيره فأذا خيف من العدو المعاهد لنا أن يخون فى عهده ، وظهرت آية ذلك فى قوله أو عمله فحينئذ يجب على الامام أن ينبذ اليه عهده ، على طريق عادل سوى صريح لا خداع فيهولا استخفاء ولا خيانة ولا ظلم .

قال تعالى : (وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لايحب الخائنين)[2] .

وذلكبأن يعلمهم بفسخه وعدم التقيد به ، قبل حربهم[3] .

---

(١) سيرة ابن هشام بتحقيق مصطفى السقا ـ ابراهيم الابيارى ـ عبد الحفيظ شلبى (٣ : ٣٣٢ - ٣٣٣) دار احياء التراث العربى .

(٢) الانفال : ٥٨

(٣) انظر كتاب المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الاسلامية بحث فضيلة الشيخ محمد ابوزهرة رحمه الله (ص٢٤٥ - ٢٤٧) .

الغنـــائـــم

الغنيمة : لغة : ماينالـه الرجل أو الجماعة بسعى ـ تقول غنمت الشيء أغنمه غنما اذا اصبته غنيمة والجمع الغنائم.(١)

وفى عرف الفقهاء : كل ما أخذ من العدو عنوة بطريق القهر والغلبة.(٢)

وفى هذا يقول الشافعى رحمه الله (ما أخذ من مشرك بوجه من الوجوه فهو على وجهين لايخرج منهما : الغنيمة : وهى الموجب عليها بالخيل والركاب ولمن حضر من غنى او فقير، والفيء : وهو مالم يوجف عليها بخيل ولا ركاب)(٣).

ويقول ابن القيم : (والأرض لا تدخل فى الغنائم المأمور بقسمتها بل الغنائم هى الحيوان والمنقول)(٤).

وهذه هى التى تخمس لله وللرسول والباقى للغانمين بينهم .

وقد وضع الحق سبحانه وتعالى تشريعا محكما فى توزيع الغنائم حيث قال جل وعلا : (واعلموا انما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وماأنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير)(٥).

قال ابن القيم : (وكان صلى الله عليه وسلم اذا ظفر بعدوه أمر مناديا فجمع الغنائم كلها فبدأ بالأسلاب فأعطاها لاهلها ، ثم أخرج خمس الباقى فوضعه حيث أراه الله ، وأمره به من مصالح الاسلام، ثم يرضخ(٦) من الباقى لمن لاسهم له من النساء والصبيان والعبيد ثم قسم الباقى بالسوية بين

---

(١) لسان العرب (١٢ : ٤٤٦) .
(٢) راجع تفسير ابن كثير (٢ : ٣١٠) . وتفسير القرطبى (٨ :
(٣) بتصرف واختصار من كتاب الأم الشافعى (٤ : ١٣٩) ط/ دار المعرفة بيروت .
(٤) راجع زاد المعاد (٣ : ١١٨) .
(٥) الانفال : ٤١
(٦) الرضخ : العطية القليلة . انظر لسان العرب (٣ : ١٩) .

الجيش، للفارس ثلاثة اسهم . سهم له ، وسهمان لفرسه ،وللراجل سهم هذا هو الصحيح الثابت عنه.(١)

قلت : وهذا ماعليه الجمهور خلافا للأحناف . واحتج الجمهور بما أخرجه البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل للفرس سهمين ولصاحبه سهم.(٢)

والفيء كما سبق أن عرفته : وهو مالم يوجف عليها بخيل ولا ركاب.

قال القرطبى فى الفيء هو : (مارجع للمسلمين من اموال الكفار عفوا صفوا من غير قتال ولا ايجاف - كالصلح . والجزية والخراج والعشورالمأخوذة من تجار الكفار. ومثله ان يهرب المشركون ويتركوا اموالهم او يموت احد منهم فى دار الاسلام ولا وارث له . . .

وكانت الغنائم فى صدر الاسلام للنبى صلى الله عليه وسلم يصنع فيها ماشاء كما قال تعالى فى سورة الأنفال (قل الانفال لله والرسول) ثم نسخ بقوله تعالى (واعلموا انما غنمتم من شيء) الاية .

وأما الفيء فقسمته وقسمة الخمس سواء ، والأمر عند مالك فيهما للامام.(٣)

قال تعالى : (وما افاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير . ما أفاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لايكون دولة بين الأغنياء منكم وما أتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب)(٤).

والذى عليه الجمهور أن الفيء لجميع المسلمين الفقير والغنى وأن الأمام يعطى منه للمقاتلة وللحكام والولاة وينفق منه فى النوائب التى تنوب المسلمين كبناء القناطر وإصلاح المساجد وغير ذلك ولا خمس فى شيء منه.(٥)

---

(١) زادالمعاد لابن القيم (٣ : ١٠٠ - ١٠١) .
(٢) انظر عمدة القارى شرح صحيح البخارى (١٤ : ١٥٤) كتاب الجهاد باب (سهام الفرس) .
(٣) تفسير القرطبى (١٨ : ١٤ - ١٥) .
(٤) الحشر : ٦ - ٧
(٥) بداية المجتهد لابن رشد القرطبى (١ : ٣٤٢) ط/المكتبة التجارية الكبرى بمصر .

ولقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغلول .

والمراد من الغلول : الخيانة فى المغنم ـ وقد نقل ابن حجر سبب تسميته بذلك فقال : (قال ابن قتيبة : سمى بذلك لأن آخذه يغله فى متاعه أى يخفيه ونقل النووى الاجماع على أنه من الكبائر)[1] . قال تعالى (وماكان لنبى أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس ماكسبت وهم لا يظلمون)[2] .

أخرج البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره ، قال لا ألفين أحدكم يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء[3] على رقبته فرس له حمحمة[4] يقول : يارسول الله أغثنى فأقول : لا أملك لك من الله شيئا قد أبلغتك ، وعلى رقبته بعير له رغاء[5] يقول : يارسول الله أغثنى ، فأقول : لا أملك لك شيئا قد أبلغتك وعلى رقبته صامت[6] فيقول : يارسول الله أغثنى . فأقول : لا أملك لك شيئا قد أبلغتك وعلى رقبته رقاع تخفق[7] فيقول : يارسول الله أغثنى فأقول : لا أملك لك من الله شيئا قد أبلغتك)[8] .

---

(١) فتح البارى (٦ : ٥٢٥) ، شرح النووى (١٢ : ٢١٧) .
(٢) آل عمران : ١٦١
(٣) ثغاء : صوت الشاة .
(٤) حمحمة : صوت الفرس عند العلف وهو دون الصهيل . انظر فتح البارى (٦ : ٥٢٦) .
(٥) رغاء : صوت البعير .
(٦) صامت : اى الذهب والفضة .
(٧) رقاع تخفق : اى تتقعقع وتضطرب اذا حركتها الرياح . وقيل معناه تلمع والمراد بها الثياب .
(٨) صحيح البخارى وعلى هامشه فتح البارى (٦ : ٥٢٦) .

الأسرى ومعاملتهم فى الأسلام

الأسير : مشتق من الأسار وهو القيد الذى يشد به المحمل فسمى أسيرا لأنه يشد وثاقه - فهو أسير ومأسور والجمع أسرى وأسارى .

والأسير : الأخيز وأصله من ذلك . وكل محبوس فى قد أو سجن أسير.(١)

قال تعالى (ماكان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم . لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم . فكلوا مماغنمتم حلالا طيبا واتقوا الله إن الله غفور رحيم)(٢) .

وسبب نزول هذه الآيات : ما أخرجه الأمام مسلم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال ابن عباس: فلما أسروا الأسارى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر وعمر (ماترون فى هؤلاء الاسارى؟) فقال أبو بكر : يانبى الله . هم بنو العم والعشيرة . أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار . فعسى الله أن يهديهم للأسلام . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ماترى يا ابن الخطاب؟) قلت: لا والله يارسول الله . ما أرى الذى رأى أبو بكر، ولكنى أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم . فتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه . وتمكنى من فلان (نسيبا لعمر) فاضرب عنقه . فان هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها(٣) . فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ماقاله أبو بكر ولم يهو ماقلت . فلما كان من الغد جئت فأذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر قاعدان يبكيان قلت يارسول الله . أخبرنى من أى شىء تبكى أنت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أبكى للذى عرض على اصحابك من اخذهم الفداء . لقد عرض على عذابهم أدنى من هذه الشجرة (شجرة قريبة من نبى الله صلى الله عليه وسلم) وأنزل الله عز وجل : (ماكان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض . الى قوله تعالى : فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا . . فأحل الله الغنيمة لهم)(٤) .

---

(١) لسان العرب (٤ : ١٩) .
(٢) الانفال : ٦٧ - ٦٩
(٣) يعنى اشرافها .
(٤) صحيح مسلم بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقى (٣ : ١٣٨٥) .

فكانت تلك الآيات عتابا من الله عز وجل لأصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم .

(والمعنى : ماكان ينبغى لكم أن تفعلوا هذا الفعل الذى أوجب أن يكون للنبى صلى الله عليه وسلم أسرى قبل الأثخان . والاثخان : كثرة القتل . والنبى صلى الله عليه وسلم لم يأمر باستبقاء الرجال وقت الحرب ولا أراد قط عرض الدنيا . وإنما فعله جمهور مباشرى الحرب ، فالتوبيخ والعتاب إنماكان متوجها بسبب من أشار على النبى صلى الله عليه وسلم بأخذ الفدية ـ هذا قول المفسرين وهو الذى لايصح غيره ، وجاء ذكر النبى صلى الله عليه وسلم حين لم ينه عنه حين رآه من العريش وأذكره سعد بن معاذ وعمر بن الخطاب وعبد الله بن رواحه ، ولكنه عليه السلام شغله بغت الأمر ونزول النصر فترك النهى عن الاستبقاء ولذلك بكى هو وابو بكر حين نزلت الآيات والله أعلم)[1] .

أقول : ولعل عتاب الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم كان لأنه قبل الفداء قبل ان ينزل القرآن ولم يكن ذلك فى الشرائع السابقة . وهذا لاينقص من قدر رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه من باب خلاف الأولى وحسنات الابرار سيئات المقربين .

قال القرطبى : فاعلم الله سبحانه وتعالى نبيه أن قتل الأسرى الذين فودوا ببدر كان أولى من فدائهم . وقال ابن عباس رضى الله عنه كان هذا يوم بدر والمسلمين يومئذ قليل فلما كثروا واشتد سلطانهم انزل الله عز وجل بعد هذا فى الأسارى (فأذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداءً حتى تضع الحرب أوزارها . ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم)[2] .

اختلف العلماء فى تأويل هذه الآية فقيل إنها منسوخة . وهى فى اهل الأوثان لايجوز أن يفادوا ولايمن عليهم وقيل إنها فى الكفار جميعا وهى منسوخة . وقيل إنها ناسخة .

---

(١) انظر تفسير القرطبى (٨ : ٤٦ - ٤٨) .

(٢) محمد ﷺ : ٤

والذى أرجحه ماقاله القرطبى أن الآية محكمة والأمام مخير فى كل حال . رواه على بن ابى طلحة عن ابن عباس وقاله كثير من العلماء منهم ابن عمر والحسن وعطاء ، وهو مذهب الأمام مالك والشافعى والثورى والاوزاعى وابى عبيد وغيرهم وهو الأختيار . لان النبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين فعلوا كل ذلك ، فقتل النبى صلى الله عليه وسلم عقبةبن معيط والنضر بن الحارث يوم بدر صبرا ، وفادى سائر أسارى بدر ، ومن على ثمامة بن اثال الحنفى ، وهبط عليه (عليه السلام) قوم من أهل مكة فاخذهم النبى صلى الله عليه وسلم ومن عليهم وقد منّ على سبى هوازن . وهذا كلهثابت فى الصحيح . . .)[1] .

قال ابو جعفر النحاس : (وهذا على ان الآيتين محكمتان معمول بهما وهو قول حسن لان النسخ إنما يكون بشىء قاطع فأما إذا أمكن العمل بالايتين فلا معنى فى القول بالنسخ إذ كان يجوز أن يقع التعبد إذا لقينا الذين كفروا قبل الأسر قتلناهم فاذاكان الأسر جاز القتل والمفاداة والمن على مافيه الصلاح للمسلمين وهذا القول يروى عن أهل المدينة والشافعى وأبى عبيد وبالله التوفيق)[2] . ا.هـ

معاملة الاسير :

لقد دعت تعاليم الأسلام الى الرفق بالأسارى والرحمة بهم والعناية بشأنهم ، ولم يعرف التاريخ معاملة حسنة للأسير كمعاملة المسلمين الأولين للأسرى .

قال عليه الصلاة والسلام فى أسارى بدر (استوصوا بالاسارى خيرا)[3] .

واذا كان الاسلام يأمر بشد الوثاق على من أسر من الاعداء فهذا كناية عن قيد الاسر . والشد المشار اليه ان دل على شىء فانما يدل على ان الاسير يجب منعه من الفرار .

---

(١) تفسير القرطبى (١٦ : ٢٢٨) .
(٢) الناسخ والمنسوخ لابى جعفر النحاس (ص٢٢٢) .
(٣) اخرجه الطبرانى فى الكبير عن ابى عزيز (حسن) .

وكان الأسير في صدر الاسلام يوضع في المسجد كما حبس ثمامة بن أثال سيد أهل اليمامة فربط بسارية من سوارى المسجد[1].

والقرآن الكريم حض على إطعام الاسرى . قال تعالى (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا)[2].

---

(١) شرح مسلم (١٢ : ٨٧) .
(٢) الدهر : ٨ - ١٠

الخـــاتمـــة

الحمد لله الذى بفضله تتم الصالحات .والصلاة والسلام على خاتـــم الانبياء والمرسلين سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين .

فبعد ان أنهيت هذا البحث أود أن ألخص اهم ماورد فيه من البحوث والأستنتاجات .

أولا : بعد أن عرفت كلا من المدنى والمكى رجحت أشهر الاقوال وهو الذى إتخذ الزمان حدا ضابطا .

وهو (أن المدنى مانزل بعد الهجرة .وإن كان نزوله بمكة .والمكـــى مانزل قبل الهجرة) . وبينت الضوابط التى يعرف بها المدنى والفرق بـــين تلك الضوابط وضوابط المكى . وتحدثت عن خصائص السور والآيات المدنيـــة من الناحية الاسلوبية والموضوعية .

وقد يتساءل شخص ماهى الفائدة من معرفتنا بالمدنى والمكى ؟

أقول : إن معرفتنا بالمدنى والمكى من القرآن له أهميته الكبرى فـــى معرفتنا :

(١) أنه بهيتميز الناسخ والمنسوخ فى كتاب الله . فلو وردت آيتان متعارضتان واحداهما مكية والأخرى مدنية فاننا نحكم بنسخ الثانية للأولـــــى لتأخرها عنها .

(٢) أنه هو السبيل لمعرفتنا بتاريخ التشريع وتدرجه الحكيم بوجه عـــام والوقوف عـلى سنة الله الحكيمة فى تشريعه بتقديم الاصول على الفـــروع والاجمال على التفصيل .

ثانيا : بينت السور المتفق على مدنيتها والمختلف فيها .

ولابد من الاشارة إلى أن العمدة فى معرفتنا للمدنى والمكى هو النقـــل الصحيح عن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين الذين كانوا يشاهدون أحـــوال الوحى والتنزيل . وكذلك التابعين الأخذين عنهم وأنه لم يرد عن النبى صلـــى الله عليه وسلم فى ذلك قول .

ثالثا : بينت الآيات المدنية فى السور المكية والآيات المكية فى السور المدنيـــة .

ولابد من الإشارة الى أن السورة قد تسمى مكية أو مدنية بحسب الغالب فيها من الايات .

رابعا : قمت بالرد على الشبه التى أثيرت حول المدنى والمكى مـــن القرآن الكريم .

خامسا : تحدثت عن المقاصد الأساسية للسور والآيات المدنية :

(١) التشريعات التفصيلية والأحكام العملية فى العبادات والمعاملات . وغالبا ماكنت أتطرق للحكمة التشريعية فى تلك العبادات والتى حفل بهـــا القسم المدنى .

(٢) أهل الكتاب . الى من ينتمون ؟ ومتى هاجروا إلى الجزيرة العربيـــة وماهى أشهر صفاتهم الذميمة التى جاء بها القرآن الكريم ومحاجـــة القرآن لهم .

(٣) ثم تحدثت عن ضلال المنافقين وحقيقة أمرهم وأشهر صفاتهم القبيحـــة التى وردت فى القرآن الكريم . وما أعد لهم من العذاب والنكال وماهو موقف الرسول صلى الله عليه وسلم تجاههم . وذكرت أشهر مواقفهـــم العدائية .

(٤) وبينت أيضا قواعد الجهاد وحكمة تشريعه والأحكام المتعلقة بالحـــروب والغزوات والصلح والمعاهدات .

سادسا : لابد من التنبيه الى أن المصاحف التى بين أيدينا قد كتب فى مطلع كل سورة (مدنية أو مكية أو أنها مدنية بهاآيات مكية او العكس) . . . ولا نستطيع أن نسلم به ولا يمكن الاعتماد عليها فى الحكم على مدنية الســـورة أو مكيتها . وأقترح أن تشكل لجنة من كبار العلماء المتخصصين فى التفسير وعلـــوم القرآن لدراسة تلك الأقوال المذكورة فى مطلع كل سورة وإعادة وضعها فـــى المصحف . ولا يمكن أن يقوم بهذا العمل فرد واحد لاهمية هذا الموضوع حيـــث يتعلق بكتاب الله .

واضرب على ذلك مثلا . سورة الرحمن يشير المصحف الذى بين يدى انها مدنية (وهو طبعة دار المصحف بالقاهرة " المصحف المعلم") .

وكذلك (مصحف الحرمين) طباعة (شركة الشمرلى بالقاهرة) طبع بتصريح من مشيخة الازهر .ومن خلال دراستى للآثار وأقوال العلماء من المفسرين وغيرهم رجحت أن سورة الرحمن مكية . ومن الامثلة كذلك سورة يوسف عليه السلام (١)

وأخيرا أبتهل إلى الله العلى القدير أن يفيض علينا من بركات القرآن ولا يحرمنا من خيراته ويرزقنا فهما فى كتابه العزيز يرضاه عنا .ويرزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار.وأن يغفر لنا ولوالدينا ولاهلينا ولمشايخنا ولكل من يتمسك بحبل الله المتين (رب أوزعنى ان اشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه واصلح لى فى ذريتى إنى تبت اليك وإنى من المسلمين)(٢) . والحمد لله الذى هدانا لهذا وماكنا لنهتدى لولا أن هدانا الله . . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه باحسان الى يوم الدين . آمين . .

(رجاء)

هذا وأرجو من القارئ الكريم الذى يطلع على هذه الرسالة ويجد ملاحظات عليها أن يبصرنا ويرشدنى إلى إصلاحها وله من الله تعالى الأجر والثواب ، ومنى خالص الدعاء وجزيل الشكر

والله الموفق

---

(١) انظر ص ٢٨٤ من بحثنا هذا .
(٢) الاحقاف : ١٥

الفهـــــارس

(١) فهـــرس الاعـــلام

(٢) ثبت المراجـــــع

(٣) فهرس الموضوعـــات

فهـــرس الاعـــلام

صفحـــة

(١)	ابو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤)	٢
(٢)	ميمون بن مهارن (ت ١١٧)	٢
(٣)	شهاب الدين بن حجر العسقلانى (ت ٨٥٢)	٧
(٤)	بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى (ت ٧٩٤)	٩
(٥)	ابو بكر محمد بن الطيب الباقلانى (ت ٤٠٣)	٩
(٦)	الحسن بن محمد بن حبيب النيسابورى (ت ٤٠٦)	١١
(٧)	عكرمة ابو عبد الله مولى ابن عباس رضى الله عنه	٣٤
(٨)	محمد بن ايوب بن يحيى الضريسى (ت ٧٤٨)	٣٥
(٩)	على بن ابى طلحة (ت ١٤٣)	٣٥
(١٠)	هبة الله بن سلامة	٣٧
(١١)	عقبة بن عامر الجهنى	٨٨
(١٢)	الحسين بن الفضل بن عمير البجلى (ت ٢٨٢)	١١٤
(١٣)	جندب الخير الازدى	١٢٦
(١٤)	ابو عمر عثمان بن سعيد الدارمى	١٤٨
(١٥)	عبد الله بن رواحه الانصارى	١٥٣
(١٦)	سعد بن هشام بن عامر الانصارى	١٥٣
(١٧)	فروة بن مسيك المرادى	
(١٨)	خباب بن الارت (ت ٣٧)	١٦٦
(١٩)	عبد الله بن سلام (ت ٤٣)	١٧٠
(٢٠)	ابو سعد البقال	١٧٣
(٢١)	يوسف بن ماهك (ت ١٠٣)	١٧٨
(٢٢)	خالد الجهنى (ت ٧٨)	١٧٩
(٢٣)	الشهاب الخفاجى	١٨٣
(٢٤)	ام بشر بن البراء	٢٣٣
(٢٥)	محمد بن عمر الواقدى	٢٣٤
(٢٦)	عاصم بن بهدلة الاسدى (ت ٨٣٣)	٢٣٦
(٢٧)	ابو امامة الباهلى	٢٦٩

ثبت المراجع

(١) الاتقان فى علوم القرآن
للحافظ جلال الدين السيوطى
دار الفكر - بيروت .

(٢) اثر تطبيق الحدود فى المجتمع
طبعة جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية - المجلس الاعلى ط/١ ١٤٠٠هـ.

(٣) الاحكام السلطانية والولايات الدينية
على بن محمد بن حبيب الماوردى
ط/٣ القاهرة شركة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى ١٣٩٣هـ .

(٤) احكام القرآن
لابى بكر محمد بن عمر بن العربى
تحقيق على محمد البجاوى - ط/عيسى البابى الحلبى .

(٥) احياء علوم الدين
للامام أبو حامد الغزالى
ط/دار احياء الكتب العربية البابى الحلبى وشركاه .

(٦) ارجوزة فى المكى والمدنى
بدر الدين الحلبى التادفى
مخطوط فى مركز البحث العلمى مصور عن المكتبة الظاهرية تحت رقم٧٦٥٩ .

(٧) ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم (تفسير ابى السعود)
لقاضى القُضاة ابى السعود محمد العمادى ت ٩٥١هـ) - دار احياء التراث العربى - لبنان .

الاستيعاب فى معرفة الاصحاب
للشيخ ابن عبد البر النمرى القرطبى ت ٤٦٣هـ . طبع على هامش الاصابة ط/الاولى ١٣٢٨هـ - دار صادر بيروت .

(٩) اسباب النزول
لابى الحسن على بن احمد الواحدى النيسابورى ت ١٦٨هـ
ط/دار الفكر ـ مكتبة الرياض الحديثة .

(١٠) اسباب النزول
محمد اسعد العراقى
مخطوط مكتبة دبلن برقم ١٩٩٥ ومنه نسخة مصورة لدى مركز البحث العلمى بام القرى .

(١١) اسباب النزول
للواحدى
تحقيق الاستاذ سيد صقر .

(١٢) اسعاف اهل الاسلام بوظائف الحج الى بيت الله الحرام
للعلامة الشيخ حسن مشاط
ط/٣، ١٣٩٧هـ .

(١٣) الاعجاز البيانى فى ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره
د .محمد احمد يوسف القاسم
ط/١، ١٣٩٩هـ .

(١٤) اعجاز القرآن
للباقلانى
تحقيق سيد صقر ـ طبعة دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٣م .

(١٥) الاصابة فى تمييز الصحابة
لابن حجر العسقلانى
بهامشه الاستيعاب ط/الاولى ١٣٢٨هـ دار صادر بيروت .

(١٦) الاعـــلام
خير الدين الزركلى
ط/دار العلم للملايين ، ط/الرابعة ١٩٧٩م .

(١٧) اعلام الموقعين عن رب العالمين
محمد بن ابى بكر ابن قيم الجوزية ت ٧٥١هـ
المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة ١٣٧٤هـ .

(١٨) الام
للامام محمد بن ادريس الشافعي (١٥٠ - ٢٠١)
ط/دار المعرفة بيروت - ط/الثانية ١٣٩٣هـ.

(١٩) البحر المحيط
للامام محمد بن يوسف بن علي بن حيان الاندلسي الغرناطي
المتوفى سنة ٧٥٤هـ بالقاهرة
الناشر مكتبة ومطابع النصر الحديث - الرياض .

(٢٠) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع
للامام علاء الدين ابي بكر بن مسعود الكاساني الحنفي ت ٨٧هـ
ط/الاولى ١٣٢٨هـ الناشر دار الكتاب العربي - لبنان .

(٢١) بداية المجتهد
لابن رشد القرطبي
ط/دار المكتبة التجارية الكبرى بمصر .

(٢٢) البداية والنهاية
للحافظ ابن كثير ت ٧٧٤هـ
ط/مكتبة المعارف بيروت - ط/الرابعة ١٩٨١م

(٢٣) البرهان في علوم القرآن
بدر الدين الزركشي
ط/٢ عيسى البابي الحلبي مصر سنة ١٣٩١هـ تحقيق محمد ابوالفضل ابراهيم

(٢٤) بلوغ الارب في معرفة احوال العرب
للعلامة محمود شكري الالوسي
شرح محمد بهجة الاثري ط/٣ القاهرة دار الكتب ١٣٤٢هـ .

(٢٥) بنو اسرائيل في القرآن والسنة
د . محمد سيد الطنطاوي
ط/الاولى ١٣٨٩هـ توزيع دار حراء - القاهرة .

(٢٦) بهجة المحافل وبغية الاماثل في تلخيص المعجزات والسير والشمائل
يحيى بن ابي بكر العامري الحرضي ت ٨٩٣هـ
المدينة المنورة - المكتبة العلمية د . ت

(٢٧) بينات المعجزة الخالدة
د . حسن ضياء الدين عتره
ط/دار النصر - حلب - الطبعة الاولى ١٩٧٠م .

(٢٨) تاج العروس من جواهر القاموس
للعلامة محمد بن محمد مرتضى الزبيدى ت ١٢٠٥هـ
ط/منشورات دار مكتبة الحياة بيروت - لبنان . د .ت

(٢٩) تاريخ ابن معين رواية الدورى
تحقيق د . احمد محمد نور سيف - ط/الاولى - مركز البحث العلمى
جامعة ام القرى ١٣٩٩هـ .

(٣٠) تاريخ بغداد او مدينة السلام
احمد بن على الخطيب البغدادى ت ٤٦٣هـ
بيروت - دار الكتاب العربى - د .ت

(٣١) تاريخ العرب قبل الاسلام
د . جواد على
ط/بيروت ١٩٦٨م .

(٣٢) تأملات فى تفسير سورة النور
د . محمد احمد يوسف القاسم
ط/الاولى ١٣٩٩هـ - دار الطباعة المحمدية .

(٣٣) التسهيل لعلوم التنزيل
لابن جزى الكلبى
ط/الثانية ١٣٩٣هـ - دار الكتاب العربى .

(٣٤) تفسير الدر المنثور
للسيوطى
ط/دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت .

(٣٥) تفسير القرآن العظيم
لابن كثير ت ٧٧٤هـ
ط/دار الفكر - بيروت .

(٣٦) التفسير الكبير
فخر الدين الرازى
ط/٢ دار الكتب العلمية - طهران .

(٣٧) تفسير المراغى
احمد مصطفى المراغى
ط/٣ القاهرة - مكتبة الحلبى ١٣٩٤هـ .

(٣٨) تلخيص المستدرك
للذهـــبى
مطبوع بذيل المستدرك - ط/دار الكتاب العربى - بيروت .

(٣٩) تهذيب التهذيب
لابن حجر العسقلانى
دائرة المعارف النظامية - الدكن - حيدراباد - الهند ط/١، ١٣٢٥هـ.

(٤٠) جامع البيان عن تأويل آى القرآن
لابى جعفر محمد بن جرير الطبرى م ٣١٠هـ
ط/الثالثة ١٣٨٨هـ - مطبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر .

(٤١) الجامع لاحكام القرآن (تفسير القرطبى)
لابى عبدالله محمد بن احمد الانصارى القرطبى
ط/٢ دار الكتب المصرية ١٣٥٦هـ .

(٤٢) الجهاد فى التشريع الاسلامى
د.محمود محمد على
ط/الاولى ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م - ط/دار الاتحاد العربى للطباعة بالقاهرة.

(٤٣) الجهاد فى التفكير الاسلامى
د.احمد شلبى
ط/الثانية ١٩٧٤م - نشر مكتبة النهضة المصرية .

(٤٤) حاشية الشهاب المسماة عناية القاضى وكفاية الراضى على تفسيرالبيضاوى
ط/المكتبة الاسلامية ازمير - تركيا .

(٤٥) حدائق الانوار ومطالع الاسرار فى سيرة النبى المختار صلى الله عليه وآله المصطفين الاخيار
عبدالرحمن بن على بن الديبع الشيبانى
دمشق مطبعة محمد هاشم الكتبى . د.ت

(٤٦) حسن المحاضرة فى اخبار مصر والقاهرة
للسيوطـــى
المطبعة الشرفية ١٣٢٧هـ - القاهرة .

(٤٧) الدر المنثور فى التفسير بالمأثور
للامام الحافظ جلال الدين السيوطى ت ٩١١هـ
ط/دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت .

(٤٨) الدعوة الاصلاحية
الدكتور السيد محمد علوى مالكى

(٤٩) الرحيق المختوم
الشيخ صفى الرحمن المباركفورى
ط/الاولى ١٤٠٠هـ - منشورات رابطة العالم الاسلامى .

(٥٠) روائع البيان تفسير آيات الاحكام
للشيخ محمد على الصابونى
ط/١٩٣١م دار القرآن الكريم - الكويت .

(٥١) روح الصلاة فى الاسلام
للشيخ عفيف عبد الفتاح طبارة
ط/الثامنة - دار العلم للملايين - بيروت .

(٥٢) روح المعانى
للالوسى البغدادى
دار الطباعة المنيرية - تصوير دار احياء التراث العربى - بيروت .

(٥٣) زاد المعاد فى هدى خير العباد
لابن القيم الجوزية
تحقيق شعيب الارناؤوط - عبد القادر الارناؤوط - ط/الثانية ١٤٠٢هـ.
مؤسسة الرسالة .

(٥٤) سنن ابن ماجه
للحافظ ابى عبد الله محمد بن يزيد القزوينى (٢١٧ - ٢٧٥هـ)
ط/دار احياء الكتاب العربى - عيسى البابى الحلبى .

(٥٥) سنن ابى داود
لابى داود السجستانى
ط/الاولى ١٣٧١هـ - مطبعة البابى الحلبى مع تعليق الشيخ احمد سعد على

(٥٦) سنن الترمذى
لابى عيسى الترمذى المتوفى ٢٧٩هـ
تحقيق احمد شاكر - نشر المكتبة الاسلامية لصاحبها الحاج رياض الشيخ .

(٥٧) سنن الدارقطنى
الدارقطنى
تحقيق السيد عبدالله هاشم يمانى المدنى - ط/دار المحاسن القاهرة ١٣٨٦هـ .

(٥٨) سنن النسائى
بشرح الحافظ السيوطى
ط/دار احياء التراث العربى - بيروت .

(٥٩) سير اعلام النبلاء
للامام شمس الدين محمد بن احمد الذهبى
مؤسسة الرسالة - ط/١ بيروت ١٤٠١هـ .

(٦٠) السيرة النبوية
لابن هشام
تحقيق مصطفى السقا وابراهيم الانبارى وعبد الحفيظ شلبى - دار احياء التراث العربى - بيروت .

(٦١) السيرة النبوية
للشيخ ابو الحسن على الندوى
ط/دار الشروق - ط/الثانية ١٩٧٩م .

(٦٢) شرح فتح القدير
لابن الهمام
المطبعة الاميرية .

(٦٣) شذرات الذهب
عبدالحى بن احمد بن العماد الحنبلى ت ١٠٨٩هـ
القاهرة - مكتبة القدسى ١٣٥٠هـ .

(٦٤) شريعة الله الخالدة
الدكتور السيد محمد علوى المالكى
(٦٥) الصحاح (للجوهرى)
بتحقيق احمد عبد الغفور عطار ـ ط/الثالثة ١٤٠٢هـ .
(٦٦) صحيح ابن خزيمة
للامام محمد بن اسحاق بن خزيمة ت ٣١١هـ
تحقيق د . محمد مصطفى الاعظمى ـ ط/المكتب الاسلامى .
(٦٧) صحيح البخارى
محمد بن اسماعيل البخارى
طبع مصطفى البابى الحلبى واولاده بمصر ط/الاولى ١٣٨٣هـ.
(٦٨) صحيح مسلم
تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ـ دار احياء التراث العربى ـ بيروت
ط/الاولى ١٣٧٤هـ .
(٦٩) صحيح مسلم
بشرح الامام النووى
ط/٢ دار الفكر ـ بيروت ١٣٩٢هـ .
(٧٠) الصحيح المسند فى اسباب النزول
مقبل الوادعى
ط/مكتبة المعارف ـ الرياض ـ ط/الاولى ١٤٠٠هـ .
(٧١) صفوة التفاسير
للشيخ محمد على الصابونى
ط/الرابعة ١٤٠٢هـ ـ دار القرآن الكريم ـ بيروت .
(٧٢) صيد الخاطر
للامام ابن الجوزى
راجعه على الطنطاوى ـ حققه ناجى الطنطاوى ـ ط/دار الفكر بدمشق
ط/الثانية ١٣٩٨هـ .

(٧٣) الطبقات الكبرى
لابن سعد
ط/دار صادر - بيروت .

(٧٤) طريق الهجرتين وباب السعادتين
للامام شمس الدين محمد بن ابى بكر بن قيم الجوزية
تحقيق الشيخ عبد الله الانصارى - مطابع الدوحة الحديثة .

(٧٥) العبادة احكام واسرار
للدكتور عبد الحليم محمود
ط/٢ دار الكتاب اللبنانى - بيروت ١٩٧٥م .

(٧٦) العبادة فى الاسلام
د .يوسف لاقرضاوى
ط/مؤسسة الرسالة ، ط/التاسعة ١٤٠٢هـ .

(٧٧) علوم القرآن
د .عبد المنعم النمر
ط/الاولى دار الكتاب المصرى - دار الكتاب اللبنانى .

(٧٨) علوم القرآن الكريم
للدكتور محمد احمد يوسف القاسم وآخرون
ط/الاولى ١٤٠١هـ مطبعة الحضارة العربية بالقاهرة .

(٧٩) عمدة القارى شرح صحيح البخارى
للعلامة بدر الدين ابى محمد محمود العينى الحنفى
دار الطباعة العامرة - الشركة الصحافية العثمانية فى دار السلطنة
السنة ١٣٠٨هـ .

(٨٠) غاية النهاية فى طبقات القراء
لابى الخير شمس الدين الجزورى ت ٨٣٣هـ
ط/١ القاهرة - مكتبة الخانجى ١٩٣٣م .

(٨١) فتح البارى
للحافظ ابى الفضل شهاب الدين احمد بن على بن حجر العسقلانى
تحقيق ومراجعة ابراهيم عطوة عوض - مطبعة مصطفى البابى الحلبى واولاده
بمصر ط/الاولى ٨٣ ١٣هـ .

(٨٢) الفتح الربانى
احمد عبدالرحمن البنا
الناشر دار الحديث ـ القاهرة ط/الثانية .

(٨٣) فتح القدير
محمد بن على الشوكانى ت ١٢٥٠هـ
مصطفى البابى الحلبى بالقاهرة ١٣٤٩هـ .

(٨٤) الفتوحات الالهية
سليمان بن عمر العجلى المعروف بالجمل
ط/عيسى البابى الحلبى ـ القاهرة .

(٨٥) فضائل القرآن لابن كثير
وهو ذيل تفسير الحافظ لابن كثير ت ٧٤٤هـ
ط/دار الفكر .

(٨٦) فقه الزكاة
د .يوسف القرضاوى
مؤسسة الرسالة ـ ط/الخامسة ١٤٠١هـ .

(٨٧) فقه السيرة
للشيخ محمد الغزالى
ط/السادسة ـ دار الكتب الحديثة .

(٨٨) الفكر السامى فى تاريخ الفقه الاسلامى
لمحمد بن الحسن الحجوى الفاسى
الناشر المكتبة العلمية بالمدينة المنورة .

(٨٩) الفوائد
محمد بن ابى بكر بن القيم الجوزية ت ٧٥١هـ
دار مصر للطباعة ـ طبع على نفقة عمر عبد الجبار .

(٩٠) فى ظلال القرآن
للامام الشهيد سيد قطب
دار احياء التراث العربى ط/٧ سنة ١٣٩١هـ .

(٩١) قادة الاديان واقوامهم
لتوماس كارليل
ط/نيويورك ١٩١٩م .

(٩٢) القرآن المعجزة الكبرى
محمد ابو زهرة
ط/دار الفكر العربى .

(٩٣) الكامل فى التاريخ
للامام العلامة ابى الحسن على المعروف بابن الاثير م٦٣٠هـ
ط/الثانية ١٣٨٧هـ دار الكتاب العربى ـ لبنان .

(٩٤) كتاب المناسك واماكن طرق الحج
تحقيق الشيخ حمد الجاسر
من منشورات وزارة الحج والاوقاف ١٤٠١هـ .

(٩٥) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل
لابى القاسم جار الله محمود الزمخشرى الخوارزمى (٤٦٧-٥٣٨هـ)
ط/الاولى ١٣٩٧هـ دار الفكر .

(٩٦) كشف الغمه عن جميع الامة
لابى المواهب عبدالوهاب الشعرانى الانصارى
ط/الاخيرة ١٣٧٠هـ البابى الحلبى ـ القاهرة .

(٩٧) كشف القناع على متن الاقناع
للشيخ منصور بن يونس البهوتى ت ١٠٥١هـ
مطبعة الحكومة بمكة ١٣٩٤هـ .

(٩٨) لباب النقول فى اسباب النزل
جلال الدين السيوطى
دار احياء العلوم ـ بيروت ط/٣ سنة ١٤٠٠هـ .

(٩٩) لسان العرب
لابن منظور
ط/دار صادر ـ بيروت .

(١٠٠) مجموع امهات المتون
مطبعة البابى الحلبى بمصر ط/الرابعة ١٣٦٩هـ .
(١٠١) محاسن التأويل (تفسير القاسمى)
للعلامة محمد جمال الدين القاسمى
ط/الاولى عيسى البابى الحلبى ١٣٧٩هـ ،تعليق وتخريج محمد فؤاد عبد الباقى .
(١٠٢) محاضرات فى الثقافة الاسلامية
للاستاذ احمد محمد جمال
(١٠٣) محاضرات فى النصرانية
للشيخ محمد ابو زهرة
ط/الرابعة ١٣٩٢هـ طبع ونشر دار الفكر العربى .
(١٠٤) مختصر المنذرى على سنن ابى داود
للحافظ عبد العظيم المنذرى
تحقيق محمد حامد الفقى مكتبة السنة المحمدية بالقاهرة .
(١٠٥) المدخل لدراسة القرآن الكريم
الدكتور محمد محمد ابو شهبة
ط/٢ مطابع القاهرة الحديثة ١٩٧٣م .
(١٠٦) المدخل لدراسة القرآن والسنة والعلوم الاسلامية
د .شعبان محمد اسماعيل
ط/دار الانصار بالقاهرة ط/الاولى ١٤٠٠هـ .
(١٠٧) المستدرك على الصحيحين
للامام ابى عبد الله الحاكم النيسابورى
بيروت ـ دار الكتاب العربى .
(١٠٨) مسند ابى داود الطيالسى
نسخة مصورة عن طبعة دائرة المعارف العثمانية حيدر اباد ١٣٢١هـ

(١٠٩) مسند الامام احمد
للامام احمد بن حنبل الشيبانى
دار صادر - بيروت .

(١١٠) المستشرقون بين الانصاف والعصبية
للدكتور السيد محمد علوى المالكى
مطابع سحر ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

(١١١) المصنف
للحافظ ابى بكر عبد الرزاق الصنعانى (١٢٦ - ٢١١هـ)
تحقيق حبيب الرحمن الاعظمى - من منشورات المجلس العلمى
ط/الاولى ١٣٩٠هـ، المكتب الاسلامى - لبنان .

(١١٢) معالم التنزيل تفسير البغوى
للامام البغوى ت ٥١٦هـ
ط/الاولى مطبعة المنار بمصر ١٣٤٧هـ على هامش تفسير ابن كثير.

(١١٣) معجم البلدان
لياقوت الحموى
ط/دار الكتاب العربى بيروت .

(١١٤) مغنى المحتاج الى معرفة الفاظ المنهاج
للامام شمس الدين محمد بن احمد الشربينى الخطيب ت٩٧٧هـ
مطبعة البابى الحلبى ١٩٥٨م القاهرة .

(١١٥) المغنى
ابن قدامة

(١١٦) مفردات القرآن للاصفهانى
الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهانى
الناشر مكتبة الانجلو المصرية .

(١١٧) مقدمة ابن خلدون
ط/دار احياء التراث العربى - بيروت .

(١١٨) مكة والمدينة فى الجاهلية وعهد الرسول صلى الله عليه وسلم
للاستاذ احمد الشريف

(١١٩) الملل والنحل
للشهرستانى ت ٤٨٠ هـ
على هامش الفصل لابن حزم - مكتبة ومطبعة محمد على صبيح واولاده
بالقاهرة .

(١٢٠) مناهل العرفان فى علوم القرآن
عبد العظيم الزرقانى
ط/٢ عيسى البابى الحلبى بالقاهرة

(١٢١) المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الاسلامية (فى مقال لعبد الله بن كنون)
رجب ١٣٨٨هـ القاهرة ط/المدنى .

(١٢٢) مؤتمر رسالة المسجد
ط/رابطة العالم الاسلامى ١٣٩٥ هـ .

(١٢٣) الموافقات فى اصول الشريعة
لابى اسحاق الشاطبى

(١٢٤) ميزان الاعتدال
لابى عبد الله محمد بن احمد بن عثمان الذهبى
دار المعرفة - بيروت - لبنان .

(١٢٥) الناسخ والمنسوخ
لابى القاسم هبة الله بن سلامة
ط/الثانية البابى الحلبى ١٣٨٧هـ .

(١٢٦) الناسخ والمنسوخ
لابى جعفر النحاس
مطبعة السعادة ط/الاولى ١٣٢٣هـ .

(١٢٧) النجوم الزاهرة
لابن تغرى بردى
مطبعة دار الكتب المصرية .

(١٢٨) نظام التجريم والعقاب فى الاسلام مقارنا بالقوانين الوضعية
للمستشار على على منصور

(١٢٩) نظم الدرر فى تناسب الايات والسور
للبقاعى

(١٣٠) وفاء الوفاء فى اخبار دار المصطفى
للامام نور الدين على بن احمد السمهودى ت ٩١١هـ
تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد ـ ط/دار احياء التراث
العربى ـ بيروت .

(١٣١) وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان
لابن خلكان
تحقيق د .احسان عباس ط/دار صادر ـ بيروت .

(١٣٢) اليهود فى بلاد العرب وصدر الاسلام
للدكتور اسرائيل ولفنسون
مطبعة الاعتماد بالقاهرة ١٩٢٧م .

وغيرها من المراجع ...

فهـــرس الموضوعات

صفحـــة

الفصل الاول :

(١) المراد من المدنى ، والفرق بينه وبين المكى ١

(٢) الضوابط التى يعرف بها المدنى ، والفرق بين تلك الضوابط وضوابط المكى ٩

(٣) ضوابط السور والايات المدنية ١٥

(٤) ضوابط السور والايات المكية ١٧

(٥) خصائص السور والايات المدنية ١٨

الفصل الثانى :

(٦) فى بيان السور المتفق على مدنيتها والمختلف فيها ٣١

(٧) سورة الفاتحة ٤١

(٨) سورة الرعد ٤٣

(٩) سورة النحل ٤٦

(١٠) سورة الحج ٤٨

(١١) سورة العنكبوت ٥١

(١٢) سورة محمد صلى الله عليه وسلم ٥٨

(١٣) سورة الرحمن ٦٠

(١٤) سورة الصف ٦٢

(١٥) سورة التغابن ٦٤

(١٦) سورة الانسان ٦٧

(١٧) سورة عبس ٦٩

(١٨) سورة المطففين ٧١

(١٩) سورة الفجر ٧٣

(٢٠) سورة الليل ٧٤

(٢١) سورة القدر ٧٧

(٢٢) سورة البينة ٨٠

(٢٣) سورة الزلزلة ٨٢

صفحة

(٢٤) سورة النصر ٨٣
(٢٥) سورة الصمد (الاخلاص) ٨٤
(٢٦) سورتا المعوذتين ٨٦

الفصل الثالث :

(٢٧) بيان الايات المدنية في السور المكية والايات المكية في السور المدنية (تمهيد) ٨٩
(٢٨) ترتيب سور القرآن وآياته ٩٠
(٢٩) ترتيب الايات ٩٠
(٣٠) ترتيب السور ٩٢
(٣١) اقتران سورة التوبة بالانفال ٩٤
(٣٢) سورة الانعام ١٠٠
(٣٣) سورة الاعراف ١٠٤
(٣٤) سورة يونس ١٠٥
(٣٥) سورة هود ١٠٧
(٣٦) سورة يوسف ١١٠
(٣٧) سورة الرعد ١١٢
(٣٨) سورة ابراهيم عليه السلام ١١٣
(٣٩) سورة الحجر ١١٤
(٤٠) سورة النحل ١١٦
(٤١) سورة الاسراء ١١٨
(٤٢) سورة الكهف ١٢٢
(٤٣) سورة مريم ١٢٨
(٤٤) سورة طه ١٢٩
(٤٥) سورة الانبياء ١٣١
(٤٦) سورة الحج ١٣٢
(٤٧) سورة المؤمنون ١٣٤

صفحـــة

(٤٨) سورة الفرقان ١٤١
(٤٩) سورة الشعراء ١٤٣
(٥٠) سورة القصص ١٤٥
(٥١) سورة لقمان ١٤٩
(٥٢) سورة السجدة ١٥٠
(٥٣) سورة سبأ ١٥٦
(٥٤) سورة يس ١٥٨
(٥٥) سورة الزمر ١٦٠
(٥٦) سورة غافر ١٦٢
(٥٧) سورة الشورى ١٦٤
(٥٨) سورة الزخرف ١٦٧
(٥٩) سورة الجاثية ١٦٨
(٦٠) سورة الاحقاف ١٧٠
(٦١) سورة ق ١٧٢
(٦٢) سورة النجم ١٧٦
(٦٣) سورة القمر ١٧٨
(٦٤) سورة الواقعة ١٧٩
(٦٥) سورة الماعون ١٨١
(٦٦) سورة الكوثر ١٨٢
ثانيا : الايات المكية فى السور المدنية ١٨٤
سورة الانفال ١٨٥
سورة التوبة ١٩٠
الفصل الرابع : ــــــــــ
دحض الشبه التى اثيرت حول المدنى والمكى من القرآن ١٩٢
لمحة عن المستشرقين ١٩٣
الشبهة الاولى ١٩٥

صفحة

الشبهة الثانية ٢٠٠
الشبهة الثالثة ٢٠٢
الشبهة الرابعة ٢٠٥
الشبهة الخامسة ٢٠٦
الباب الثانى ٢٠٨

الفصل الاول :

مقدمة (بيان حالة المجتمع المدنى وقت هجرة النبى عليه
افضل الصلاة والتسليم) ٢٠٩
مقاصد الايات والسور المدنية ٢٢٠
الفصل الاول : التشريعات التفصيلية والاحكام العملية
فى العبادات والمعاملات ٢٢١
اولا : مشروعية الاذان ٢٢١
الصلاة ٢٢٤
صلاة الجماعة ٢٢٨
التوجه الى القبلة والحكمة منها ٢٣٠
انواع الصلوات ٢٣٥
صلاة الجمعة ٢٣٥
صلاة المسافر ٢٤٢
صلاة الخوف ٢٤٧
صلاة الجنائز ٢٥٣
ثانيا : الزكاة ٢٥٥
مكانة الزكاة فى الاسلام ٢٥٥
فرضية الزكاة ٢٦١
الزكاة فى العهد المدنى ٢٦٢
نموذج من السور المدنية فى عنايتها بالزكاة (سورة التوبة) ٢٦٦
اثم مانع الزكاة ٢٦٨

صفحة

مصارف الزكاة	٢٧١
حكمة مشروعيتها	٢٧٣
ثالثا : الصيام	٢٧٧
فرضيته	٢٧٧
ماجاء فى وجوب صوم رمضان	٢٧٨
الحكمة من مشروعية الصيام	٢٨٢
الاعتكاف	٢٨٥
رابعا : الحج	٢٨٧
الحكمة من مشروعية الحج	٢٩١
المعاملات	٢٩٣
البيع	٢٩٤
الربا	٢٩٥
منهج الاسلام فى تحريم الربا والادوار التى مر بها	٢٩٦
الحكمة فى تحريم الربا	٢٩٩
المداينة والقرض الحسن	٣٠٠
الرهن	٣٠٢
النكاح	٣٠٣
الخطبة	٣٠٥
الخلع	٣٠٧
الطلاق	٣٠٨
حكمة التشريع	٣١١
الظهار	٣١١
الحجاب والاستئذان	٣١٥
الخمر والتدرج فى تحريمه	٣١٦
الحكمة فى تحريم الربا	٣٢٠
الوصية	٣٢١
حكمة مشروعيتها	٣٢٤

صفحة

الفرائض	٣٢٥
الحكمة فى تشريع هذه القسمة	٣٢٧
الحدود	٣٢٨
حد الزنى	٣٢٨
الحكمة التشريعية	٣٣٠
حد القذف	٣٣١
الحكمة التشريعية	٣٣٢
حد السرقة	٣٣٣
الحكمة التشريعية	٣٣٤
حد الحرابة	٣٣٥
الحكمة التشريعية	٣٣٦
جريمة القتل	٣٣٧
الحكمة التشريعية فى القصاص	٣٣٩
الفصل الثانى :	
بنو اسرائيل	٣٤١
من هم بنو اسرائيل	٣٤٥
اليهود وهجرتهم الى الحجاز	٣٤٥
احوالهم الدينية وكتبهم المقدسة	٣٤٦
صفات بنى اسرائيل كما تحدث عنها القرآن الكريم (سوء ادبهم مع خالقهم جل وعلا - وعداوتهم للملائكة والانبياء ونبذهم لكتاب الله واتباعهم السحر)	٣٥٢
تحريفهم للكلم عن مواضعه وتحايلهم على استحلال محارم الله	٣٥٩
نقضهم العهود وجحودهم الحق	٣٦١
تنطعهم فى الدين والحافهم فى المسألة	٣٦٤
حرصهم على الحياة وجبنهم عن الجهاد	٣٦٦

صفحة

الفصل الثالث :

المنافقون ٣٦٨
اولا : صفات المنافقين كما تحدث عنها القرآن الكريم والسنة المطهرة ٣٦٩
المنافق ٣٦٩
الكذب ٣٧٠
الخلف في الوعد والغدر في المعاهدة ٣٧١
الخيانة ٣٧١
الضلال والحيرة ٣٧٢
الجبن ٣٧٢
ثانيا : حقيقة المنافقين وخطرهم على المسلمين وما اعد لهم من عذاب ٣٨٠
ثالثا : بيان موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من المنافقين ٣٨٣
(١) موقف المنافقين من غزوة احد ٣٨٦
(٢) قصة الافك ٣٨٧
(٣) مسجد الضرار ٣٨٩
الجهاد ٣٩١
انواع الجهاد ٣٩١
اولا : مجاهدة العدو الباطن ٣٩٢
(أ) مجاهدة النفس ٣٩٢
(ب) مجاهدة الشيطان ٣٩٥
ثانيا : مجاهدة العدو الظاهر ٣٩٨
(أ) المجاهدة بالمال ٣٩٨
(ب) المجاهدة بالنفس (الروح) ٤٠٠
(جـ) المجاهدة باللسان ٤٠٢
فرضية الجهاد ٤٠٣
بيان قواعد التشريع الخاصة بالجهاد وحكمة تشريعه ٤٠٤
مفهوم الجهاد ٤٠٤

صفحة

حكمة مشروعية الجهاد ٤٠٩

ثالثا : الاحكام المتعلقة بالغزوات من الصلح والمعاهدات والغنائم و الفيء وفك الاسرى ٤١١

الغنائم ٤١٣

الاسرى ومعاملتهم فى الاسلام ٤١٦

معاملة الاسير ٤١٨

الخاتمة ٤٢٠

فهرس الاعلام ٤٢٤

ثبت المراجع ٤٢٥

فهرس الموضوعات ٤٤٠